

موسى صبرى



وثائق حرب أكتوبر

المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى

رمضان ١٣٩٤ هـ — سبتمبر ١٩٧٤ م

الغلاف بريشة الفنان مصطفى حسين

**الناشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
الاسكندرية : ٧ شارع نوبار ت ٢٦٦.٢
القاهرة : ٢ شارع شريف ت ٥٢١٢٧**

موسیٰ صبری

وٹائف حرب اُکھویر

هذا الكتاب.. لماذا؟

أستطيع أن أزعج أننى عشت حرب أكتوبر على أعصابى ! .. ما قبل الحرب ، وخلالها ، وبعدها أيضا !

كنت واثقا منذ اليوم الأول لتولى أنور السادات مسئولية رئاسة الجمهورية . أنه سيحارب . وكنت واثقا أن كل قرار سوف يصدره داخليا أو خارجيا ، هو من أجل الاعداد للحرب .

وعندما أتيت لى أن ألقى الرئيس السادات ، بعد وفاة جمال عبد الناصر بيومين ، كان حديثه مركزا على شيئين فقط : الديمقراطية .. والمعركة .

وأنا أعرف أن الرجل فيه كل أعماق رجل السياسة ، والقدرة على المناورة ، والصبر الذى لا ينفذ منه الصبر .. وأعرف أيضا أنه مقاتل .. بطبيعة المناضل التى لم تفارقه منذ شبابه ، ولم تؤثر فيها المناصب ومظاهرها .

أعرفه منذ عام ١٩٤٣ .. عندما رايته لأول مرة داخل أسوار معتقل الزيتون . وكنت قد تخرجت فى كلية الحقوق .

شاب هادئ ، كثير التأمل ، قليل الكلام ، ملئ بالأسرار .. يحب الموسيقى والطرب ! أنه اليوزباشى محمد أنور السادات ، المفصول من الجيش بقرار بريطانى ، لأنه كان يسعى من خلال اتصالات دولية سرية مع هتلر زعيم ألمانيا ، الى ضرب القوات البريطانية فى مصر .. نصلا ضد الاحتلال .

وكان يتحدث معنا فى تاريخ مصر ..

ولم يكن يتحدث أبدا عن الأسباب الخطيرة التى دعت الانجليز الى الأمر باعتقاله ، باعتباره عنصر خطر كبير على الوجود البريطانى فى مصر .

وكان مرنا ، فى تعامله ، مع كل المعتقلين ، من كل الاتجاهات السياسية ..

وكان بسيطا فى كل سلوكه ، يعنى بملابسه ونظافته وأناقته عناية شديدة ..

ودبر خطتين للهروب من المعتقل .. على الرغم من أن بناء المعتقل محاط بحراسة مسلحة ، من الداخل والخارج ، تتغير كل ٦ ساعات ، ولا ينفصل الجندى المسلح عن زميله أكثر من ثلاثة أمتار ، والأوامر له بإطلاق الرصاص على الفور ..

ولكن المعتقل أنور السادات ، استطاع أن يكتشف موقع ضعف في الحراسة ، كان أساس خطة الهرب التي وضعها ، ونفذها ه معتقلين هو على رأسهم ، في سرية تامة ، دون أن يشعر باقى المعتقلين وهم أكثر من ثلاثمائة شخص يضمهم مبنى واحد .. ومن المستحيل أن يبقى فيه سر واحد !

وجرت الأيام .. واشترك أنور السادات في أكثر من عمل سياسى خطير تحت الأرض . ولم يكن ليقع انفجار في القاهرة ، أو حادث اغتيال ، إلا وكان أنور السادات أول من يقبض عليه . ولم تصل أجهزة الأمن ، الى دليل واحد ضده ، في كل الأحداث التي كان فيها أنور السادات ، المتهم الأول ، بأنه العقل المدبر لكل ما جرى !

وجرت الأيام .. وكان أنور السادات هو الصوت الذى يذيع اعلان الثورة ٢٣ يوليو من اذاعة القاهرة ..

وفضل ان يعمل فيما يهواه .. فضل ان يعمل كاتباً .. عن ان يتولى منصباً رسمياً . غير عضوية مجلس الثورة . ثم كان لابد ان يواجه مسئوليات عديدة .. الى ان أصبح نائباً لرئيس الجمهورية .. ثم شاء الله القدر ان يحمل الأمانة الثقيلة ..

وطوال كل هذه السنوات .. لم يتغير أنور السادات .

ان ما يشتغل به وراء الستار ، أكثر كثيراً جداً ، من عمله على المسرح .

واحتفظ بالطبعين .. الحياة التضالية .. والعمل الصامت .

وانذاك تحمست في تأييد أنور السادات منذ اللحظة الأولى لمسئوليته رئيساً للجمهورية .

وتصور البعض اننى أبالغ .. وتصور الكثيرون اننى أنافق .. ونصحنى البعض بأن هذا التأييد المتدفع لأنور السادات ، سيعيدنا الى حكم الفرد المطلق .. وارشيف رسائلى يحتفظ بألاف الخطابات التى هاجمتنى واتهمتنى .. وتلك التى أشفقت على .

ولم أتردد لحظة في مسلكى ..

ولم أتخلف يوماً عن الدعوة للحرب . طريقاً وحيداً ، للخلاص ..

وكنت واثقاً من طريقى ..

وأكد ثقتى ، فرص قليلة ، عندما كان يتاح لى ان أتحدث الى الرئيس بالتليفون ، أو فى لقاء خاص .. وكنت خلالها أزداد ثقة ، فى أن أنور السادات رئيس الجمهورية ، هو بعينه المعتقل أنور السادات . المناضل

الشرس ، نو الطبيعة القتالية الشجاعة ، القادر دائما على الكتمان ،
الذى يتمتع بطاقة صبر لا تنفذ ، والسياسى المرن ، الذى يهوى الكتابة
والمناورة !

.....

وكنيت اتحدى فى مجالسى الخاصة .. ان انور السادات سيحارب .

وكنيت القى بعض السخريات .. ابسطها اننى اريد ان ادافع عما اكتب ،
ولا اريد ان اظهر بمن له رايان .. راي يكتبه . ورأي مناقض يظهر فى
المجالس الخاصة .. وكانت هذه بكل أسف ظاهرة منتشرة فى العشر
سنوات الأخيرة .

.....

ولكننى لا أنكر ان ضراوة الحرب النفسية التى تعرضنا لها فى كل صحف
العالم .. وتعقيد الموقف الدولى ، وتعاسة الموقف العربى ، وآلام الموقف
الداخلى .. كلها كانت تتراكم بين الحين والحين فى وجدانى .. واهتز ..
واتساعل فى مرارة .. كيف يمكن ان يخرج انور السادات من هذا المأزق ..
واتصور أننا نسير فى الطريق المستحيل . واعذر الرجل . فالتركة ثقيلة .
والصراعات الدولية قاسية . وكان جمال عبد الناصر قد رتب سياسته
فى رايى ، على أنه سيصل الى حل سلمى . ولكن الحلقات بدأت تضيق
فى عهد انور السادات .. ولم يكن من مخرج الا القتال . فالاعداد العسكرية
تطور اذن الى المجرى الطبيعى . لم يكن اعادة لبناء القوات المسلحة
للدفاع ، كما بدا بعد الهزيمة فى حياة جمال عبد الناصر .. ولكننا وصلنا
الى الحدود التى يجب فيها ان نحصل على أسلحة تصلح لقتال هجومى .
وهنا كانت العقبات الصعبة .. بل البالغة الصعوبة أمام انور السادات .
والموقف الدولى ، تدرج الى توثيق سياسة التقارب بين العسكريين
الكبيرين ، والجميع مستريح الى حالة الاسترخاء العسكرى .. وتحولنا
الى جثة فى نظر العالم . والداخل لا يرحم . والأمة العربية تتفرج ! ..
وشريعة الانسان فى كل زمان ومكان ، لا تحترم الا الاقوياء .

.....

ولكن ثقتى فى انور السادات لم تهتز لحظة واحدة ..

وكل مشاعرى تحولت الى خوف على الرجل الذى شاء له قدره أن
يرأس الأمة ، فى هذه العاصفة القاتلة !

.....

.. وجاءت الحرب ..

وعايشتها لحظة بلحظة ..

ثم فاجأنا العبور المسرحي الاسرائيلي الى غرب القناة ..

وليس من ينكر أنها كانت أياما قاسية ، اضطربت فيها كثير من العواطف ، وحل الارتباك في كثير من المواقع .. وكان يمكن أن تنجح هذه الحركة التليفزيونية الاسرائيلية وتحقق أهدافها الدعائية .. لولا أن قيادة أنور السادات كانت في قمة احتفاظها بطبيعتها الفضائية ، وبالقدرة على اتخاذ القرار المؤسس على تفكير هادئ ، وحساب متزن عميق ، وبموهبة الرؤية الصحيحة لحقائق الأمور .

واسجل هنا .. أن المشير أحمد اسماعيل واجه الموقف بأعصاب هائلة . متماسكة .. وكانت مسئولية جبهة الداخل برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم في لجنة تضم رئيس مجلس الشعب وأمين اللجنة المركزية ونواب رئيس الوزراء ومستشار الرئيس للأمن القومي ، وكانت هذه اللجنة في حالة انعقاد مستمر منذ بدأت الحرب ، واسجل هنا للدكتور حاتم حنكته وسيطرته العقلية الكاملة ، واسجل لمدرح سالم تماسكه وتفكيره الرصين .

وتم الاستعداد الكامل ، لمحاصرة التسلل الاسرائيلي ، والقضاء عليه .

ثم كان الفصل بين القوات والانسحاب الاسرائيلي .. والعمل السياسي من أجل السلام .

.....

ورأيت اليوم من واجبي كصحفي عايش هذه الأيام ساعة بساعة .. أن أسجلها في سطور .

والجزء الأول من هذا الكتاب ، يتضمن حديثا تاريخيا للرئيس أنور السادات : اختص به الرئيس هذا الكتاب . أن هذا الحديث يكشف لأول مرة عن أسرار عسكرية خطيرة كان يجب أن تحجبها الأحداث ، كما يروي القصة الكاملة لاتخاذ قرار ٦ أكتوبر . كما يكشف عن خطة دفاعية سابقة لم يعلن عنها من قبل ، اسمها الخطة ٢٠٠ !!

ويشمل هذا الجزء في فصله الثاني ، وثيقة تاريخية عسكرية خطيرة ، من أهم وثائق حرب أكتوبر . أنها المحضر الكامل لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة في أكتوبر ١٩٧٢ ، الذي أعلن فيه السادات لقواد الجيوش أن قرار الحرب مصري ولا رجعة فيه .. وكان بعض القادة يرى أن إسرائيل ستنتصر وستدمر مصر .

أما الفصل الثالث من الجزء الأول ، فهو وثائق تاريخية أخرى .. أنها نصوص رسائل الرئيس السادات قبل الحرب الى زعماء وقادة العالم التي يحذر فيها من اشتعال الحرب وتفجر الموقف .. ولكن أحدا لم يصدق !

واخترت أن يكون الجزء الثاني من هذا الكتاب ، خاصا بالجانب السياسي محليا وعربيا ودوليا .. حتى اتخذ أنور السادات قرار الحرب . وأنتى أعرض فيه فكر أنور السادات منذ هزيمة ٦٧ . فقد أتبع لى أن أسجل آراءه التي لم تنشر ، في مذكراتي الخاصة ، بعد كل لقاء معه في تلك الأيام . وبعد أن قامت مظاهرات الطلبة . ثم أعرض لكل القضايا التي واجهها بعد رئاسة الجمهورية .. معتمدا أساسا ، على أحاديث الرئيس الخاصة ، وفي الجلسات المغلقة التي كان يدعو اليها عددا من الكتاب ، وفي الاجتماعات المغلقة للقيادات السياسية .

واخترت أن يكون الجزء الثالث من هذا الكتاب ، خاصا بالمعركة العسكرية على الجبهة الصرية . واعتذر بأن ظروف عملى لم تسمح لى أن أسافر الى الجبهة السورية ، للكتابة عن معاركها الرائعة . وقد اعتمدت في هذا الجزء ، على أحاديث خاصة بهذا الكتاب للمشير أحمد اسماعيل معى . وعلى لقائى بقيادة المعارك الرئيسية في القتال ، وزياراتى للجبهة . وقد ركزت على معارك الجيش الثانى ، ثم ملحمة السويس ، وقصة الثورة .. وأرجو أن تتاح لى الفرصة في مؤلف آخر أن أسجل معارك الجيش الثالث ، وحرب القوات البحرية .

.....

ولا أستطيع أن ادعى أن هذا الكتاب ، يغنى عن مؤلفات عديدة صدرت عن حرب أكتوبر ، ومؤلفات عديدة يجب أن تصدر . هذا الكتاب لا يغنى ، لأن جوانب حرب أكتوبر السياسية والعسكرية ، وآثارها المحلية والعربية والدولية ، سوف يزداد وضوحها يوما بعد يوم . وعاما بعد عام ، لأنها متشعبة وعميقة وشاملة ، وستظل مؤثرة على المسرح العربى والدولى لأكثر من خمسة وعشرين سنة ، مقبلة .

ولكننى أردت فقط .. أن يكون لى حظ ، كتابة بعض السطور القليلة ، في تاريخ أكتوبر .. الضخم ، المجيد .

موسى صبرى

الجزء الاول

الفصل الأول

السادات قال لي ..

... « هذا حديث خاص للرئيس أنور السادات استمر ثلاث ساعات اختص به المؤلف . شرح الرئيس لأول مرة سر التغيرات في المناصب العسكرية التي أمر بها الرئيس في ديسمبر ١٩٧٢ . ماذا دار في اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذي تقرر بعده عزل صديق صديق ما هي الخطة الدفاعية ٢٠٠ التي وضعها القادة وناقشها عبد الناصر والسادات معهم ؟ ثم استكملها السادات عندما تولى المسؤولية . ما هو التكليف العسكري الذي لم ينفذه صادق في ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ ، رغم أنه أعطى الرئيس « تمام » بتنفيذه التكليف . . وأن كل شيء سيكون جاهزا في أول نوفمبر . . الشهر الحرج الذي كان يمكن لليهود فيه أن يوجهوا ضربة قاصمة لقواتنا المسلحة . كيف اتخذ السادات قرار ٦ أكتوبر . سر الكشكول الذي كتبه الفريق الجسسي بخط يده من نسخة واحدة وقدمه الى الرئيس . لماذا لم يبدأ الحرب في مايو ، رغم استعدادنا . ماذا دار في اجتماع مجلس الأمن القومي في الرابع من رمضان ، ثم في المجلس الأعلى للقوات المسلحة في العاشر من رمضان . اليوم الأول في غرفة العمليات . قصر المطاهرة تحول الى غرفة عمليات بديلة تحت الأرض . . أول طلب من السوفييت لوقف النار . أول لقاء مع كيسنجر » .

أسرار عسكرية خطيرة يكشفها أنور السادات

قلت للرئيس أنور السادات :

— أعتقد أن الاعداد الفعال للمعركة ، بدأ بعد اعفاء الفريق صادق من وزارة الحربية والقيادة العامة .. وقد تسربت الى الجماهير في ذلك الحين ، قصص كثيرة عن ظروف هذا الاعفاء ، وسيادتك اكتفيت حينئذ بتصريح واحد قلت فيه أنه لم ينفذ تكليفات معينة أصدرتها اليه بوصفك القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وربما كانت ظروف الكتمان العسكى لا تسمح في ذلك الوقت ، بالتصريح عن حقائق الموقف .. ولكن ها قد قامت الحرب .. وحققنا الانتصار .. فهل يمكن أن نسجل هذه الحقائق للتاريخ ؟ ..

قال الرئيس :

— ان محضر جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة التي قررت بعدها اعفاء الفريق صادق موجود .. وكل مناقشات الاجتماع واضحة وتحدد تماما كل المواقف .. ولكننى أعود بك الى ما قبل ذلك ، عندما أصدرت قرار انهاء خدمات الخبراء السوفيت .. وبعد أن أصدرت هذا القرار الذى كان فعلا أول الخطوات العملية ، لدخول الحرب .. ولم يفهم أحد ذلك ، لأنه لم يكن من الطبيعى أن أدخل الحرب وعلى أرضى خبراء عسكريين سوفيت .. كما أننى أسقطت حجة إسرائيل التي كانت تضل بها ، وهى أنها ستواجه الحرب مع السوفيت لا مع المصريين ..

بعدها أصدرت هذا القرار .. استدعيت أربعة أشخاص .. حافظ اسماعيل بوصفه المستشار لشئون الأمن القومى .. والمهندس سيد مرعى

بوصفه أمين أول الاتحاد الاشتراكي • والفريق صادق بوصفه وزير الحربية وممدوح سالم بوصفه الوزير المسئول عن الدفاع المدني • • • وطلبت من كل منهم تكاليف معينة للاعداد للقتال •

قلت لهم أن قرارات انهاء خدمات السوفيت ، سوف تكون لا قيمة لها في نوفمبر المقبل • • اذا جاء نوفمبر وهو شهر الانتخابات الأمريكية • • ستبدأ الادارة الأمريكية الجديدة • • ويجب أن نكون مستعدين سياسيا وعسكريا • • وقد اطمأنت القوى الكبرى الى حالة وقف النار • • ولا بد أن نثبت وجودنا • والاتصال السياسي لا جدوى منه إلا اذا اعتمد على استعداد عسكري جاد • فماذا يطلب منى وأنا ضعيف • • الاب الاستسلام ؟ • •

بالنسبة لحافظ اسماعيل • • قلت له • • جهاز نفسك • أمريكا لو تقدمت بشيء بعد الانتخابات فلن تتقدم الا بالحل الجزئى ، وسيحاولون استغلال مبادرتى • ويجب أن نكون جاهزين للرد •

بالنسبة للفريق صادق • • قلت له أن القوات المسلحة يجب أن تكون جاهزة في ١٥ نوفمبر لأننا اذا لم نكن جاهزين عسكريا لاثبات ارادتنا فسيبقى الشرق والغرب • • يتفرجوا علينا • الانتخابات الأمريكية ستنتهى في ٧ نوفمبر • • ولا فائدة في رأى في أى اتصال سياسى ، بدون أن يتغير موقفنا العسكرى • وهذه هى نقطة حوارى وخلافى مع الزعماء السوفيت في رحلاتى الأربعة الى موسكو •

وطلبت من الفريق صادق أن ينفذ قرارى مع القيادات العسكرية • •

وبعد يومين • • وكنت في الاسكندرية • • أبلغنى صادق بالتمام • •

وفي لقائى مع سيد مرعى أعطيته الخلفية السياسية والعسكرية ، كما أوضحتها لحافظ اسماعيل • • وصديق • • وقلت له • • نبقى جاهزين في الداخل لمواجهة هذه العملية • •

وكان هذا تبليغى أيضا لممدوح سالم بوصفه مسئولا عن الدفاع المدني كله ، ولا يزال مسئولا حتى الآن • •

ونسيت أن أقول أن الفريق صادق أبلغنى أن التمام فى أول نوفمبر ..
أى قبل الموعد الذى حددته بـ ١٥ يوما . ولكننى قلت له .. خذ وقتك
حتى يوم ١٥ نوفمبر .

وفى ٢٤ أكتوبر عقدت المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، لأراجع مع القيادات
استعدادهم .. وأستمع منهم إلى ما أخجروه ..

وفوجئت فى هذا الاجتماع ، بأن الفريق صادق لم يبلغ تكليفى الى
المجلس الأعلى !

وفوجئت بمن يتحدث عن نقص فى نوع معين من السلاح . ويعلق
التجهيز العسكرى على وجود هذا السلاح .. وهل اذا لم نحصل على
هذا السلاح نقف .. ونستسلم ؟؟ ..

قلت لهم وجهة نظرى ، وهى التى طبقناها فى حرب أكتوبر .. المهم أن
نعد أنفسنا للقتال ، بما نملكه من سلاح فعلا .. فى حدود امكانياتنا فقط
.. ونكمل النقص بالتخطيط السليم الدقيق العلمى .. وبقدرة المقاتل
المصرى على القتال . السلاح شرط واجب طبعا . ولكن اذا لم يتيسر لنا
كل أنواع السلاح .. هل نقف ؟ .. لا بد أن نفكر ونخطط ونعوض هذا
النقص .

وفوجئت أيضا بأن على عبد الحبير قائد المنطقة المركزية .. يتحدث
بنفس الأسلوب .. وهو بعد ذلك تأمر .. وحوكم ..

وفوجئت أيضا بالفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية . بنفس
المنطق . وهذا معناه بكل بساطة ، أن نستسلم .

ولكن الأخطر من هذا كله ، أن قرارى بالاعداد لعملية عسكرية الذى
أبلغنى صادق فى أغسطس أنه تمام .. وأن الاعداد سيكون فى أول نوفمبر
بدلا من ١٥ .. هذا القرار لم يعرف به القادة العسكريون .. ووجدت أحد
القادة وهو المسئول عن الشؤون الإدارية فى الجيش كله .. يرفع يده فى
الاجتماع ، ويسأل : هو القرار كان ايه ؟ !

يعنى أنه لم يجر أى استعداد وتجهيز • لأنه كيف يمكن أن يتحرك جيش بغير أن تكون الشؤون الادارية على علم كامل ، وأن تهيب له كل المتطلبات الادارية للجيش •

واذا بأحد أعضاء المجلس الأعلى — اللواء عبد المنعم واصل — يقول فى الاجتماع : كل اللى سيادتكم عاوزه تنفذه اذا كان الأمر ندخل الحرب •• ندخل •• وننفذ الأوامر • بس أحب أقول اننا مكشوفين أمام العدو • خطة الدفاع مكشوفة • هوه شايفنا واحنا شايفينه • وأية خطة ستنفذ ستعطى اليهود فرصة لضربنا ونحن مكشوفين •

ثم قال الرئيس :

وقد أذهلنى هذا الكلام فعلا •• لأننا كنا دائماً ، متقدمين على الاسرائيليين فى ستر الجبهة • اذا طلّعوا اليهود متر •• نطلع احنا متر ونصف • وكان هذا من عمل الفريق محمد فوزى • ولهذا أنا أفرجت عنه بعد الحرب ، تقديراً للدور الذى ساهم به فى الاعداد العسكرى • وهنا أذيع لك سرا عسكرياً لم يذع من قبل •

منذ وقت جمال عبد الناصر ، كانت لدينا خطة عسكرية دفاعية ، أطلقنا عليها اسم « الخطة ٢٠٠ » • وقد عقد جمال عبد الناصر اجتماعاً سرياً استمر ٦ ساعات مع القيادات العسكرية حينئذ ، ولم يحضره الا أنا مع عبد الناصر • حضرنا ، وسمعنا تقارير القادة ، وناقشنا جزئيات عديدة • وكانت الخطة كاملة منستكملة • والجميع كان مقتنعاً بها مائة فى المائة •

وبعد أن توليت رئاسة الجمهورية ، كررت الاجتماع السابق ، فى القيادة العامة للقوات المسلحة •• اجتمعت بقيادة القوات المسلحة •• وتسلمت منهم خطة الدفاع كاملة •• وهى الخطة ٢٠٠ •

واتضح لى مما جرى فى اجتماع المجلس الأعلى مع الفريق صادق وباقى القيادات أن « الخطة ٢٠٠ » قد انهارت • وأن اليهود تفوقوا علينا • وأصبحنا مكشوفين !

رأيت أننى أمام وضع خطير •

وزير الحربية والقائد العام لا ينفذ تكليفاتى العسكرية !

الخطة المعتمدة من جمال عبد الناصر •• ثم منى بعد أن توليت •• قد
انهارت •

بعض القادة العسكريين يضع شروطا جديدة • للدخول فى الحرب ••
ويطلب أسلحة ليس فى طاقتنا أن نحصل عليها ••

وكان لابد أن أتحرك بسرعة • والموقف أخطر مما يتصور أحد • ان هذا
يعنى أن القوات الاسرائيلية لو هاجمت فى ذلك الوقت •• صيف ٧٢ ••
وقبل أن يتسلم أحمد اسماعيل القيادة •• كانت من الممكن أن تنفذ ما تريد
وتعود •• كما تفعل فى لبنان •

وانتشرت خزعبلات عن الاستعدادات الاسرائيلية وراء الساتر
الترابى ، صدقها البعض •• وقيل وقتها أن اليهود لديهم أجهزة الكترونية
•• وخلافه وراء السواتر تستطيع أن تفعل كذا وكذا •• مما كان له أثر
طبعاً على الروح المعنوية ••

كان الموقف يحتاج الى علاج حاسم جدا •• وسريع جدا ••

ولا يستطيع انسان أن يتصور كيف أمضيت هذه الأيام ••

كان تكليفى الأول للفريق أحمد اسماعيل تغطية خطة الدفاع •• ٢٠٠ •

وقد أبلغنى أنه تمت تغطيتها فى ٣٠ نوفمبر •

وأقول أننى لم أنم ليلة واحدة •• منذ ٢٨ أكتوبر ، عندما أعفيت صادق
وعينت أحمد اسماعيل •• حتى ٣٠ نوفمبر عندما أبلغنى بتغطية الخطة ،
وأنها استكملت تماما ، وعدنا الى التفوق على العدو •

نعم •• لم أنم •

فلم أكن لأقبل أبدا ، أن يضرب اليهود ضربة مسرحية .. وهم يهودون
هذا النوع من الحرب الدعائية .. للتأثير على نفسية الجماهير ..

بدأت أشعر بالراحة في ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ •

قلت : وكيف جرى الاعداد العسكري بعد ذلك .. كيف تطورت الخطة
٢٠٠ الى خطة الشرارة ..

قال الرئيس : هذه حكاية طويلة .. وليس من الممكن أن يذاع كل
ما فيها ..

قلت : أطمع في أن أعرف أكثر ما يمكن أن يذاع ..

قال الرئيس : بدأنا على الفور التطوير الهجومي للخطة • بدأنا تطعيم
الخطة الدفاعية بخطوات الهجوم .. وكان أولها انشاء المصاطب الترابية
الضخمة على امتداد الشاطئ .. لقد سخر منها الاسرائيليون وقالوا أن
المصريين دائما من هواة بناء الاهرامات .. ولكن هذه المصاطب كانت
خطوة أساسية ، لكشف العدو ولاستخدامات عسكرية بالغة الأهمية ، لم
يفطن اليها العدو .. كان تكليفى للفريق أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا
ابتداء من أول يناير ١٩٧٣ • وعلى مدى ثلاثة أشهر تم انشاء هذه
المصاطب بعد دراسة عسكرية دقيقة .. وتكلفت وحدها عشرين مليوناً
من الجنيهات • وأصبحت سيطرتنا كاملة على الضفة الشرقية بهذه
المصاطب • وقد أمكن الانتهاء منها في أواخر فبراير ..

وهنا يبتسم الرئيس السادات في سخرية • وهو يحاول أن يشعل
« البايب » ثم يدعها على المنضدة .. ويأخذ رشفة شاي من كوب صغير ..
ويرفع قليلا كم الجلباب الريفى الأبيض الذى يرتديه .. وقد نسيت أن
أقول أن الجلسة كانت في منزله بقرية ميت أبو الكوم •

يبتسم الرئيس ساخرا ، وهو يقول مسترجعا ذكريات عديدة ..

— فى أثناء هذه الفترة ، وأنا أحترق لاستكمال الاعداد العسكرية ،
والتطوير الى خطة الهجوم ، واسترجاع تفوقنا ، وضمان سيطرتنا على

العدو في الضفة الشرقية .. في هذه الأثناء وقعت حوادث الطلبة .. ووزالة بعض المثقفين .. والفتنة الطائفية ! ..

ولكننى تركت كل هذا على جنب .. وأعطيت كل وقتى وجهدى لمواجهة العدو .. وكان عملا شاقا قام به رجالنا على أروع صورة .. واستطاعوا به أن يقدموا نظريات عسكرية قلبت الاستراتيجيات العالمية .. لقد أثبت أبناءنا أن المشاة يستطيعون قهر المدرعات .. كان هذا الكلام مضحكا اذا قيل أمام خبير عسكري عالمي .. وجاءت حرب أكتوبر لتحقيق هذه النظرية الجديدة عمليا .. انقلاب في العالم العسكري .. وجاء هذا نتيجة الدراسة .. ثم التدريب الشاق العنيف ليل نهار .. وقبل ذلك الايمان .. روح المقاتل المصرى ، التى أسقطوها من حساباتهم ..

قلت : ولكننى سمعت يا سيادة الرئيس أنه حتى ٥ أكتوبر كانت ترد لنا أسلحة .. فكيف دخلنا الحرب .. ولا تزال الأسلحة ناقصة .. ؟

قال الرئيس : اذا كان على وصول الأسلحة .. فقد كانت تصل في الأيام السابقة على القتال .. وخلال المعركة وبعدها .. ومن دول كثيرة .. وكانت تنفيذا لتعاقدات ..

ولكننا وضعنا خطتنا ونفذنا ، على أساس ما كان في أيدينا فعلا من سلاح .. ولكننى كما قلت لك لم أغفل أبدا ، عنصر المقاتل المصرى .. قدرة الانسان المصرى الذى حقق أرقاما قياسية في حرب أكتوبر .. كل صاروخ بدبابة ! ..

نعم .. لقد دخلنا الحرب أمام تفوق اسرائيلى تكنولوجى .. ولكن من استرجاعى لشريط الحرب في ٦٨ .. كان قرارى .. قد يكون لديهم التفوق التكنولوجى .. ولكن حسن استخدام السلاح ، وروح العسكرية في الانسان المصرى .. وايمانه بتطهير أرضه .. قادرة على التغلب ..

ولماذا نذهب بعيدا ؟

أسطورة سلاح الطيران الاسرائيلى .. لقد كانت لهم السيادة لا التفوق ولكن ماذا حدث لهذه الأسطورة ؟ .. لقد فقد سلاح الطيران الاسرائيلى

في الأيام الثلاثة الأولى — على الجبهة المصرية — زبدة طياريه •• وأكبر عدد من الطائرات •• ان الكفاءة فوق العالية •• نعم •• فوق العالية ، لأطقمنا في حائط الصواريخ ، حققت هذه النتيجة التي تحدث السيادة لا التفوق •

وهنا تعود الى وجه الرئيس ابتسامة السخرية الممتزجة بشعور بالارتياح الكامل ، يظهر على قسماات وجهه •• وعيناه تبرقان بالثقة •• ثم يقول بعد أن استعاد في يده « الباب » الخالية من الدخان •• يقول وهو ينظفها :

— والطريف ، أنه في ذلك الوقت ، تسرب تقرير الى اسرائيل ، يقول أن خروج الخبراء السوفيت ، جعل الصواريخ المصرية لا قيمة لها •• ولعلمهم اعتمدوا على هذا التقرير ••

قلت : سيادة الرئيس •• ألم نضع في حساباتنا أن تضرب اسرائيل في العمق ؟ •

قال الرئيس : طبعاً •• كان هذا محسوبا •• وكنا مستعدين للرد في عمق اسرائيل أيضا •

وأعلنت هذا بعد ذلك في خطابي أمام مجلس الشعب أثناء القتال ••

قلت : ولكنني أعرف أن الخلاف على هذا النوع من أسلحة العمق ، بيننا وبين السوفيت كان يستغرق حله وقتا طويلا ••

قال الرئيس : هذا صحيح • المشكلة أن أصدقائنا السوفيت يبدأون بالرفض عندما نطلب سلاحا جديدا • وبعد الإصلاح ، والأزمات ، والخلافات ، واستمراري في الضغط •• يوافقون • ثم يقدموا لنا الكميات التي يقدرونها • وفي المدى الذي يحدده •• مع اشتراطهم فترة تدريب طويلة جدا • وكان أبنائنا يستوعبون دائما السلاح الحديث في ربع المدة التي يحددها الخبراء الروس •• وأحيانا كثيرة في أقل من هذا الوقت ••

قلت : وقد أعلنت سيادتك أننا نملك الصاروخ الظافر الطويل المدى ..

قال الرئيس : هذا صحيح • وكانت صواريخنا موجهة الى ثلاث مدن رئيسية في اسرائيل ، استعدادا للضرب الفوري في العمق •• اذا هم لجأوا الى حرب العمق •

قلت : قال الاسرائيليون أنهم أسقطوا صاروخا عابرا طويل المدى في أول أيام الحرب قبل أن ينفجر ••

قال الرئيس : هذا غير صحيح ••

قلت : تردد أننا أطلقنا سلاحا جديدا •

قال الرئيس : هذا صحيح • وكان يوم ٢٢ أكتوبر قبل وقف النار ، وهو سلاح له قوة تدميرية فظيعة • ولكن الصواريخ فقط لم تلعب الدور الأول • أن المدفعية المصرية الرهيبة لعبت أخطر الأدوار • ان قائد المدفعية في الميدان اللواء الماسحي الذي يعمل معي الآن كبيرا للياوران رجل رهيب فعلا مثل مدفعيته •• انه هادىء صامت يتحدث في همس •• وقد تلقى منى التعليمات بضرب العمق في اسرائيل اذا بدأت اسرائيل • وكانت تعليمات تفصيلية حاسمة • ولكنه رجل رهيب فعلا •• كنا في غرفة العمليات •• وكنت أصدر اليه الأمر بضرب المواقع المحددة بآلاف الأطنان من القذائف •• ويتلقى الأمر في هدوء •• ويعود لى بعد دقائق •• وفي هدوء هامس يتقدم بورقة صغيرة •• ويقول بصوت غير مسموع : تم التنفيذ •• وينصرف ، وكأنه لم يفعل شيئا ! •• وكأنه لم يقلب مواقع الاسرائيليين رأسا على عقب ••

وردا على سؤالك الأول عن الضرب في العمق •• أقول أننا استطعنا فعلا تحييد ضرب العمق •• بالتخطيط الذى وضعناه • وقد أفلح •

قلت : حتى الآن لا تزال قصة القرار غير واضحة •• لقد نشرت عن اتخاذ القرار أخبار متفرقة •• ولكنها ليست متصلة الحلقات •• وهذه مناسبة أن تعرف الجماهير القصة الكاملة لاتخاذك أخطر قرار في تاريخ مصر •• وتاريخ الأرض العربية ••

قال الرئيس : طلبت من أحمد اسماعيل أن يكون جاهزا كما قلت لك في أول يناير ٧٣ • الخطة • تجهيزات الهجوم • كل شيء • وعالم العسكرية يتطور تطورا سريعا • التكنولوجيا في العلم العسكري أصبحت شيئا خرافيا • • ولذلك فأننى في شهر فبراير طلبت بحثا عن أنسب الأيام لساعة الصفر من واقع التكنولوجيا الحديثة • وقد قام بعمل هذا البحث اللواء الجسمى رئيس العمليات حينئذ • وكتبه بخط اليد ، التزاما بالسرية وقدمه لى فى كشكول صغير • البحث عن جميع الأيام ابتداء من فبراير الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ ، طوال الليل والنهار • كل الظواهر الطبيعية ، والمناسبات ، والتقلبات الجوية ، وحركة الكواكب • • والتكنولوجيا فى هذا متاحة من ٥ أو ٦ علوم عسكرية • فعلا كان هذا البحث على أعلى مستوى تكتيكى فنى علمى •

ووضح من البحث أن هناك ٣ مجاميع أيام • • تعتبر أنسب الأيام للهجوم •

المجموعة الأولى • • فى النصف الثانى من مايو •

المجموعة الثانية • • فى شهر سبتمبر •

المجموعة الثالثة • • فى شهر أكتوبر •

وقاطعت الرئيس : أذكر يا سيدى أننى سمعت أخبار الحرب فى أبريل ٧٣ • • واتصلت بسيادتك فى ذلك الوقت • • وأنا أخشى أن القرار فيه تعجل • • وأذكر أن سيادتك قلت لى • • ما لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فلن ندخلها أبدا •

قال : أذكر هذا • • وفعلنا • • أعددنا العدة لى تكون ساعة الصفر فى مايو • • وقد أطلعت الرئيس حافظ الأسد على هذا البحث الذى يحدد ساعة الصفر • • وكان منهورا فعلا بدقة البحث • • وكنت أنوى فعلا بدء العمليات فى مايو • • وكان السوفيت قد حددوا موعد مؤتمر القمة الثانى مع نيكسون فى واشنطن فى شهر مايو • • ولظروف سياسية ، لا داعى للكشف عنها الآن ، قررت تأجيل الموعد الى المجموعة الثانية فى سبتمبر أو المجموعة

الثالثة في أكتوبر .. وخلال ذلك كان الأسد قد سافر في رحلة سرية الى موسكو .. وعاد من هناك .. وحصلنا على صفقة سلاح جديد ، كان السوفيت يرفضون اعطاءه لنا ، وكان أحمد اسماعيل قد اتفق على صفقات مع السوفيت في فبراير ٧٣ ، وأرسلوا جزءا منها ، وتكأوا في الباقي .. ولكن جاءت لنا صفقة جديدة بعد ذلك .

ولعلك تذكر في ذلك الوقت .. تصريحات الاسرائيليين باحتمال الهجوم المصري لأنهم لا شك يعلمون أن النصف الثاني من مايو مناسب للهجوم . أنهم أيضا يدرسون ويتحركون ، على أساس التكنولوجيا ..

بعد ذلك عقد اجتماع المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية في أغسطس في الاسكندرية .. ودار النقاش فيه بين القادة حول تحديد المعركة .. وخلال ذلك كنت قد سافرت في رحلة الى السعودية وسوريا وقطر .. واجتمعت بالرئيس الأسد في دمشق وطلبت أحمد اسماعيل .. وطلّاس وزير الدفاع السوري ..

وانتهيت في القرار مع الرئيس الأسد، أن تكون ساعة الصفر في ٦ أكتوبر وتركت دمشق مستريح النفس والضمير .

ومضى أغسطس في الاستعداد اليومي ، ومواجهة أي مشكلة في الاعداد العسكري .. وكان أحمد اسماعيل على اتصال مستمر بي .. حتى اقتربنا من ساعة الصفر .. فقررت أن أدعو مجلس الأمن القومي للاجتماع .. لكي أستفيد بآراء أعضاء المجلس .

وتم الاجتماع في ٤ رمضان . حضره نائباً رئيس الجمهورية .. والمستشارون .. ونواب رئيس الوزراء .. ومدير المخابرات .. وعدد من الوزراء المختصين في الاعداد للحرب .

وكان سؤالى لهم عند بدء الاجتماع .. ما رأيكم في الموقف الآن .. وكيف الخلاص ؟ ..

وتحدث في الاجتماع الدكتور محمود فوزى وحسين الشافعى وعزيز

صدقى وحافظ اسماعيل وغيرهم .. وكان موضوع كلماتهم .. حرب
أو لا حرب .. وكيف ! ..

.. ولم يشأ الرئيس هنا ، أن يعرض ماذا دار في هذا الاجتماع من
مناقشات ، ولكننى سألته : وماذا كانت آراء من تكلموا في هذا الاجتماع ؟

وقال الرئيس : آراء مختلفة .

فقلت : لقد سمعت أن وزير التموين أعطى صورة للوضع التموينى ،
ونقص بعض المواد ، مما يتعذر معه الدخول في معركة ..

قال الرئيس : الحرب ليست مجازفة قدرية ، لابد أن يكون كل شيء محسوبا .
ولكن هناك ما يسمى بالمخاطرة المحسوبة . ولو حسبنا بأسلوب أننا
سندخل حربا مكسوبة مائة في المائة .. من كل شيء .. لما دخلنا
الحرب . ولما دخل أحد الحرب أبدا . هناك موازين ، وحسابات ،
وتعويضات ، واحلالات ، وابدالات .. قرار الحرب يعتمد على صورة
عامة محسوبة . لقد كنت أقول دائما ، عبارة في شكل نكتة .. هي
« والسبب رقم ١٧ — كما يقول المثل التركى القديم — أنه حتى نهاية
١٩٧٣ لن تكون لدينا عملة صعبة لشراء القمح » .. هذا السبب وحده
كان كافيا لقرار عدم الحرب .. ولكن يقابل ذلك ، أن التغيير في الأوضاع
العالمية الذى ستحدثه الحرب يمكننا من مواجهة نواقص كثيرة بعد الحرب
.. وهكذا فحسابات الحرب لها طبيعة خاصة . لقد كانت أمامى عشرات
الأسباب التى يمكن أن أتعال بها لتأجيل الحرب ، حتى تنتهى مدة رئاستى .
كان من الممكن أن أناور وأتفادى احتمال خسارة الحرب ، .. ولكننى كنت
أعتبر نفسى خائنا لو فعلت ذلك . لقد اخترت قدرى ..

قلت : هذا صحيح . وقد سمعنا منك نص هذه الكلمات في جلسة مغلقة
قبل الحرب بأشهر . ولكننى أريد أن أسأل .. ماذا كانت نتيجة اجتماع
مجلس الأمن القومى ..

قال الرئيس : لقد ختمت الاجتماع بأن شكرتهم على الآراء التى
أبدت .

قلت : ألم تبلغ مجلس الأمن بقرار ساعة الصفر بعد يومين ..

قال الرئيس : لا .. السرية كانت تقتضى الكتمان • وكنا قد بدأنا فعلا تنفيذ العمليات • وكانت القوات البحرية قد تحركت في هدوء الى المواقع التى حددتها الخطة قبل هذا الاجتماع بأربعة أيام • وكانت العجلة قد دارت بحيث لا يمكن أن تعود •

قلت : ماذا كان شعورك في هذه الساعات الفاصلة .. ؟

قال الرئيس : عادى جدا • كنت صايم رمضان ••

قلت : هل كنت تنام الليل ••

قال الرئيس : كنت أنام الليل ملء جفونى • كنت مستريح النفس • أنهت فترة اللا سلم واللا حرب • تحدد الموقف بالحرب فاسترحت ••

قلت : أذكر أنك قاسيت من الأرق والتفكير •• قبل اتخاذك قرار الخبراء الروس ••

قال الرئيس : هذا صحيح •• وبمجرد أن أتخذت القرار •• استرحت واستغرقت في النوم •• وقد حدثتك اليوم عن فترة لم أنم فيها ، عندما اكتشفت أن صادق لم ينفذ التكليف •• وأن التفوق أصبح للاسرائيليين •• ولم أسترح الا عندما قدم لى أحمد اسماعيل التمام ••

قلت : ولكن اتخاذ قرار الحرب •• وتحديد ساعة الصفر ، لا يمنع يا سيدى من التفكير في احتمالات الخسارة •• ألم يكن هناك احتمال ١٠٪ أن تفشل الخطة ••

قال الرئيس : كان هناك احتمال ٣٠٪ •• أو أكثر •• ولكن الموقف هو أننا قد بذلنا كل جهدنا ، ولم نضيع دقيقة من الوقت في الاعداد الجاد •• واذا حدث لا قدر الله •• أننا لم ننتصر ، فأننا نكون قد أدينا واجبنا الوطنى والقومى بذمة وأمانة وشرف •• ويتسلم الأمانة جيل بعدنا ، يثق أننا أدينا واجبنا ولم نفرط •• كنت سأقاتل وأسقط في ميدان القتال •• كنا سنكبد الاسرائيليين خسائر فادحة •• كنا سندافع عن

شرفنا وعرضنا وترابنا المقدس • وليكن بعد ذلك ما يكون • أما استمرار الخنوع والمذلة •• فكان هذا هو المستحيل • وقد كان أشرف لى ألف مرة أن أموت فى هذه المعركة ، وأصاب بهزيمة بعد أن أقاتل وأسبب للعدو خسائر قاصمة •• من أن أبقى حيا ، فى موقف مشين لا هو حرب ولا هو سلم •• والعالم كله مقتنع بأننا أصبحنا جثة غير قادرة على الحركة ••

ولكنها كما قلت لك •• لم تكن مجرد مغامرة •• ليست قمارا أو مجازفة غير محسوبة •• كانت استراتيجية قائمة على أربع نقاط :

١ — أن تحارب اسرائيل على جبهتين •

٢ — أن تصاب اسرائيل بخسائر لا قبل لها باحتمالها ••

٣ — أن تستمر اسرائيل تحت التعبئة لأطول مدة ممكنة لا تقوى عليها •

٤ — أن يتحقق التضامن العربى •• وتستخدم الأسلحة العربية الاقتصادية والعسكرية ••

وكان عندى يقين أن هذا كله سوف يتحقق •• وقد تحقق بإرادة الله •

قلت : عرفت من المشير أحمد اسماعيل أن سيادتكم عقدت اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر (الخامس من رمضان) •• وكان اجتماعا حاسما استمر ١٠ ساعات •• ما هى مشاعرك عن هذا الاجتماع ••

قال الرئيس : روعة ••

ثم كررها الرئيس : بصوته العميق وهو يضغط على كل حرف : نعم •• روعة •• روعة •• يجب أن نفخر بهؤلاء الرجال • لقد حضر هذا الاجتماع حوالى ٢٠ ضابطا من قيادات القوات المسلحة • وعرض كل واحد فيهم الخطة النهائية التى سينفذها فى موقعه •• ولم تخرج كلمة

واحدة عن هذا الاجتماع الخطير .. رجال مرتفعون الى أعلى قمم
المسئولية .. أبطال .. وفي هذا الاجتماع باركتهم ، وقلت لهم أننى أتحمّل
المسئولية أمام التاريخ .. وصيّدت على الخطة ، كتابة ، بالتاريخ
١٠ رمضان .. خطة الشرارة ..

— وشربت القهوة الرابعة وأنا أتأمل أعماق أنور السادات ، وهو
يتحدث عن القرار الخطير .. كان اتخاذ القرار .. البطولة الأولى ..
اتخاذ من أرض مسئولية لا من أرض مزايده أو مغامرة .. ان أعماق
هذا الزعيم تحتاج الى دراسة متوغلّة .

عندما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، كان يسبح فى ترعة القرية ..
وتعرض للغرق .. وسأله أصدقاء القرية بعد أن أنقذوه ، كما اعتادوا
دائماً أن يسألوا كل من يواجه محنة الغرق .. ماذا رأيت وأنت تغرق ..
فقال .. لم أر شيئاً ! ..

فسألوه ألم تفكر فى شيء وأنت تغرق .. وقال الشاب الصغير : نعم ..
فكرت فى أن مصر ستخسر أنور السادات !

ولم تكن هذه الاجابة معبرة عن غرور .. فهو أبعد الناس عن ذلك ..
ولم يكن رفاق القرية يعرفون عنه إلا التواضع ونكران الذات .. كانت
الاجابة تعبر فعلاً عن حبه لمصر .. كان سيفقدها لو غرق .. وكانت
ستفقد ..

تأملت وجه أنور السادات ، وأنا الذى أعرف عشرات القصص عن
حياته وطفولته وشبابه .. وأعدت سؤالاً سابقاً ، بتعبير آخر ..

قلت للرئيس : ولكن .. ليلة ٦ أكتوبر بالذات .. أين أمضيته ..
وكيف ؟ ..

وابتسم وهو مدرك للهدف من سؤالى : لم أنم فى بيتى .. كنت
قد اخترت قصر الطاهرة لاقامتى وقت المعركة .. وأعددتنا به غرفة
عمليات كاملة تحت الأرض بديلة لغرفة العمليات القرية من قصر
الطاهرة .. ومنها نتابع العمليات دقيقة بدقيقة مثل الغرفة الأضلية تماماً ..

وكننت أعرف أن الموقف سوف يقتضى لقاءات سياسية دولية .. ولذلك
اخترت هذا المكان القريب لمباشرة عملى السياسى .. وفى الوقت نفسه
لم يكن أحد يدرى أنه يشكل مركز قيادة عسكرية .. وأذكر فى تلك الليلة
أننى آويت الى فراشى فى موعدى المعتاد .. وكننت قد أمضيت يوم
الجمعة عادى جدا .. وصليت الجمعة فى كوبرى القبة فى الزاوية التى
تعلمت فيها الصلاة منذ خمسين عاما ! .. وعدت الى قصر الطاهرة ..
وأعطيت تعليمات يوم ٥ .. واتصل بى الفريق أحمد اسماعيل ، وسألنى
متى سأحضر فى الصباح الى غرفة العمليات ، فطلبت منه أن يمر على فى
اليوم التالى الساعة الواحدة والرابع بعد الظهر .. أى قبل ساعة الصفر
بـ ٤٥ دقيقة .. ونمت ملء جفونى .. واستيقظت فى الصباح كعادتى ..

قلت : الساعة كام ! ..

قال الرئيس : الساعة ٨ صباحا .. أنا لا أنام بعد هذه الساعة ..
وبدأت بقراءة الصحف كالمعتاد .. ولعبت بعض التمرينات السويدى ..
وأخذت حمامى .. ثم ارتديت ملابسى ..

قلت : العسكرية ..

قال الرئيس : نعم .. ثم باشرت عملى كالمعتاد .. وتمر على الفريق
أحمد اسماعيل فى الساعة الواحدة والرابع تماما .. وبعد ١٠ دقائق كنت
فى غرفة العمليات .. فالمسافة قريبة ..

الساعة ١٣٠٠ صدر البيان الخاص باعتداء اليهود علينا ..

وهنا حدث شىء لطيف .. أنا كنت عاطى أوامر لأولادى فى القوات
المسلحة أنهم يفطروا .. كثير من الأولاد الشياطين دول ماسمعوش
الكلام ودخلوا المعركة صايمين .. أنا فى القيادة مش واخذ بالى .. مش
شايف واحد فيهم بيدخن .. متخرجين لأننى لم أدخن أو أطلب أى شىء ..
رحت طلبت فنجان شاي .. وجابولى « البايب » من العربية .. وبدأوا
بعد كده كلهم يدخنوا ..

قلت : وما هو أول بلاغ تلقيته عن القتال ؟ ..

قال الرئيس : أول بلاغ .. كان الساعة ٢ بالدقيقة .. أبلغت جميع قوات الخط على مسافة ١٧٥ كيلو مترا من بور سعيد الى السويس بعبور الطيران . وقد كان من أقوى حوافز العبور أن ترى القوات ٢٤٠ طائرة تمر فوقها في موجات وعلى ارتفاع منخفض ، مثل الوحوش المنقضة .. هل تعلم أن كثيرين لم ينتظروا أمر العبور .. وبدأوا بمجرد رؤية الطيران ..

بعد ضربة الطيران .. جاء بلاغ الخسائر .. لم يذكروا لى أن أخى أستشهد .. لقد كان واحدا من الطيارين الذين حققوا الضربة الأولى . والحقيقة لو قالوا لى .. ما كنتش الأمر يختلف .. أنه ابن مصر .. مثل كل زملائه أبناء مصر .. قبل أن يكون أخى .. والحقيقة أن نتائج الضربة كانت رائدة .. وأكثر مما توقعنا بشكل خارق .. استمرت الطلعة ٢٠ دقيقة .. وبعد ١٥ دقيقة طلبت تكرار الضربة مرة أخرى . أربعة آلاف موجة انطلقت ترمجر وتدمر .

وبدأ النمل يدخل ..

استدركت : النمل ؟ ..

قال الرئيس : ولادى .. كانوا زى النمل .. آلاف .. وراء آلاف .. وجاءت أول بيانات عن غرس العلم المصرى على الضفة الشرقية .. اللواء السابع كان أول من أبلغ على ما أذكر .. الكل كان منفعلا .. توالت البيانات .. والمدفعية الرهية اشتغلت ..

والحقيقة أنه بعد ٤ ساعات .. من ضربتى الطيران .. وضرب المدفعية كان واضحا أن اسرائيل فقدت توازنها كاملا .. وبعد ٦ ساعات تأكد أنها تعاني هزيمة منكرة . لم تكن المدرعات قد عبرت .. المشاة والقوات الخاصة بالصاروخ المضاد للدبابات ، قدموا أشجع معركة في تاريخ الحروب .. وهم يتصدون للواءات مدرعة كاملة من العدو .. ويبيدونها .. فرقة لواء ١٩٠ الاسرائيلى أبيدت في ٢٠ دقيقة .. لواء يعنى ١٢٠ دبابة ..

قلت : ولذلك سمعتك تقول يا سيدى ، عند زيارتك للفرقة الثانية فى الجبهة ، أنه عليهم أن يحافظوا على هذه الأرقام القياسية .. تدمير اللواء المدرع فى ٢٠ دقيقة .

قال الرئيس منشراحا : فعلا .. أولادى .. سجلوا أرقاما قياسية عالمية .. وفى الساعة الثامنة مساء ، أبلغت بأن السفير السوفيتى يطلب مقابلتى .. وكانت الخطة ماثية كما خطط لها وأروع .. المشاة جميعهم عبروا .. بدأ عبور المدرعات .. فيما عدا كبرى الجيش الثالث .. كل نى كان رائعا .. ذهبت الى قصر الطاهرة .. وجاء السفير السوفيتى ليقول لى أن سوريا تطلب وقف النار غدا ! .. الى آخر القصة المعروفة التى انتهت برفضنا لوقف النار ..

« ثم تناول الحديث مع الرئيس السادات القصة الكاملة ، لوقف النار .. حتى اتفاق فصل القوات .. وصول كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى مصر .. طلبه وقف النار .. رفض الرئيس ذلك الى أن تتحقق أهداف الخطة عسكريا .. واليوم الثانى لكوسيجين فى القاهرة ، لم يقابله السادات ، وكان كوسيجين على اتصال مستمر بموسكو طوال اليوم .. ثم مجيء مبعوث الرئيس تيتو لنفس الهدف .. ثم رسالة رئيس وزراء بريطانيا هيث الى الرئيس ..

قلت للرئيس : متى قابلت السفير البريطانى .. وماذا كان يحمل لك ؟

قال الرئيس : طلب السفير البريطانى لقائى عند الفجر ! .. كان يحمل رسالة عاجلة جدا من رئيس وزراء بريطانيا عن وقف النار ، وانسحاب اسرائيل ، وفك حصار باب المنجب .. لقد اتصل كيسنجر بمستر هيث رئيس الحكومة البريطانية ، وقال له أن السوفيت أبلغوه أن مصر قبلت وقف النار .. وطلب كيسنجر من هيث أن يتصل بى ، لأن علاقاتنا مع أمريكا مقطوعة .. وقال له أن أمريكا أقنعت اسرائيل بوقف النار على الخطوط الحالية للقوات عن الجانبين .. وكانت اسرائيل تطالب من قبل بعودة القوات الى أوضاعها السابقة .. والحقيقة أننى لم أبلغ السوفيت بالموافقة .. وكان جوابى على هيث أننا لن نوقف إطلاق النار الا بالانسحاب الاسرائيلى ، وعندما نستكمل خطتنا .. وأبلغته أيضا أن سوريا ردت على بأنها لم تطلب وقف النار ..

وسألت الرئيس : وجاء كيسنجر الى القاهرة ، وبدأ الاتفاق على وقف النار يأخذ طريقة العملى .. كيف كان لقاءك الأول مع كيسنجر ؟ ..

وأجاب الرئيس : لقد بدأ كلانا اللقاء بتحفظ فى الحوار .. ولكن بعد الساعة الأولى من حديثنا استطعت أن أقتنع بأن كيسنجر رجل يوثق به .. كان يتكلم بمنطق ، ورؤية واضحة ، وعلى أساس استراتيجية محددة المعالم . كان يتكلم عن واقع جديد لسياسة أمريكا ..

وكانت الساعتان التاليتان لجلستنا ، تعبران عن اتفاق كامل فى وجهات النظر .. وكان حوارنا ، ماقشة تحليلية على مستوى الرؤية الشاملة ، والاستراتيجية ، أكثر من الدخول فى التفاصيل .. وقد كنا — نحن الاثنان — سعداء حقاً بهذه المناقشة .. وانتهينا الى النقاط الست ، والى البند الثانى منها الذى نص على فض الاشتباك ..

قلت : سمعت أنه قال لك أمام اسماعيل فهمى وزير الخارجية ، أنك أول من غلبه فى الاستراتيجية ..

وقال الرئيس : لا داعى لنشر هذا الكلام .. أنا لا أحب أن أتحدث عما يدور فى الاجتماعات الخاصة ، وليس له طابع عام ..

قلت : سمعت أنه روى لك ما جرى فى الأيام الأربعة الأولى للحرب .. فى واشنطن وفى إسرائيل .. وكيف تصور أننا سنحترق فى القناة خلال ٤٨ ساعة .. ثم كيف طلبت إسرائيل النجدة فى اليوم الثالث ..

قال الرئيس : لا أريد أن أخوض فيما قاله لى كيسنجر . هذا حقه اذا أراد التحدث عنه ..



وانتهى هذا الحديث التاريخى الشامل مع الرئيس السادات بعد ثلاثة ساعات وكان يمكن ألا ينتهى فى عشرات الساعات ، فأسرار أكتوبر تحتل حديثاً لا يتوقف أبداً .

وقد أفاض الرئيس في الحديث عن الموقف الرائع للرئيس هواري بومدين .. والموقف الرائع لجلالة الملك فيصل والموقف الرائع للرئيس تيتو .. مما أفردت له فصلا خاصا في هذا الكتاب ، عندما استعرض الموقف العربى قبل وبعد حرب أكتوبر .

ولعلنى لا أستطيع أن أنسى أننى خرجت من لقاء الرئيس .. وقبل أن أسطر هذا الحديث التاريخى .. وذهنى يغلى باسترجاع بعض ما كشف عنه الرئيس ..

كانت أحداث الطلبة .. « ورزالة » بعض المثقفين كما وصفها الرئيس .. وأحداث الفتنة الطائفية .. وكلها ضرب لجبهة الداخل ، وكان الرجل فى هذه الأيام القاسية لا ينام الليل ، لأن تهاون القيادة العسكرية فى ذلك الوقت جعل الجبهة المصرية مكشوفة امام اسرائيل .. وكان يمكن للعدو أن يقوم بضربة تحطم كل شىء .. وترك السادات كل طعنات الداخل ، وتفرغ بكل جهده ، لاستعادة التفوق العسكرى على الجبهة المصرية ، ولضمان السيطرة المصرية على الضفة الشرقية حيث يربض العدو ..

خرجت من لقاء الرئيس .. وأنا أسترجع فى ذهنى أسرار « الخطة ٢٠٠ » الدفاعية التى لا يعرف أحد عنها أى شىء حتى الآن .. وكيف أعدت فى حياة عبد الناصر .. وكيف استكملها أنور السادات بمجرد تولية المسئولية .. وكيف طورها الى خطة هجوم .. ثم اكتشف فجأة أن التكاليفات التى أعطاها للقائد العام للتنفيذ .. لم ينفذ منها شىء !



ولكنه استطاع بعد ذلك أن ينام الليل ملء جفونه .. مطمئنا .. مستريح البال ومتى ؟ .. فى ليلة ٦ أكتوبر ! فى الليلة التى سيتقرر فى صباحها ، مصير مصر كلها .. ومصير الأمة العربية .. ومصير أنور السادات ! ..

المحضر السري لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

... « ان اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ الذي انعقد في مكتب الرئيس بالجيزة في الساعة التاسعة من المساء ، واستمر ثلاث ساعات وربع الساعة .. يعتبر أخطر اجتماع تاريخي ، اذا أردنا ان نقيم الوثائق العسكرية لحرب أكتوبر .

لقد حدد الرئيس السادات في هذا الاجتماع ، الموقف بحسم ، نون ان يسمح بأي تراجع او تشكيك . الموقف هو الحرب . تحريك القضية عسكريا . وأعلن للقادة في هذا الاجتماع ، انه ليس الرجل الذي يناور لكي يحتفظ بكرسي الرئاسة .. وأعلن انه لن يستسلم وأن الموت في سبيل الأرض ، أشرف من هذه الحياة المهينة . وقال لأعضاء المجلس الأعلى انه يستدعيهم ، ليلفهم هذا القرار المصري . لا مناقشة في قرار الحرب . ولكن يجب الاستعداد بالتخطيط والدراسة ، والاعتماد على ما نملك من تسليح .. وعلمنا ان نعوض التفوق الاسرائيلي بروح العسكرية المصرية .. بروح المقاتل المصري .. بشجاعة الانسان المصري .

وفي هذا الاجتماع اتضح ان بعض القادة لا يريدون الحرب . وقد كونوا تفكيرهم على ان اسرائيل ستنتصر ، وتضرب في الاعماق ، وستكون النتيجة خرابا .. وذلك بسبب موقف الاتخاذ السوفيتي من ناحية التسليح .

وغضب أنور السادات في هذا الاجتماع . وأصر على قرار الحرب ، وأعلن أنه مؤمن بالعسكرية المصرية . وإذا كانت إسرائيل متفوقة في الجو . . فلن تتفوق أبدا على الأرض . وأنه علينا أن نواجه قدرنا ومسيرنا بشجاعة . . ان الاتحاد السوفيتي لن يحارب من أجلنا ونحن نرفض أن يحارب أحد من أجلنا . هذه معركتنا . اما أن نكون أو لا نكون هذا قدرنا التاريخي . ويجب أن نواجهه .

كانت جلسة عاصفة . .

ولكن غالبية أعضاء المجلس الأعلى ، أعلنوا أنهم مصرون على المعركة . . ومستعدون للتضحية .

وبعد هذه الجلسة . . صدرت قرارات الرئيس بإعفاء الفريق صادق . . واللواء عبد القادر حسن مساعد وزير الحربية . . واللواء محمود علي فهمي قائد البحرية . . الذي كان قد تدخل في المناقشة الصنيعة لتهنئة الجو . . ولكن كلماته صدرت وكأنها مؤيدة لقرار عدم الحرب .

قال السادات لهؤلاء : لو أخذت بمنطقكم . . انشاء الله نقعد ٥٠ سنة في هذا الموت . . لقد سمعت هذا الكلام كثيرا . . والرجولة . . والوطنية تفرض علينا أن نحرر الأرض . . ونواجه امتحان التاريخ .

وليعذرني القارئ أنني اضطررت لحذف فقرات قليلة من هذه الجلسة التاريخية ، حفاظا على أسرار عسكرية ، عندما ناقش الرئيس القادة في الاستعدادات العسكرية . .

أخطر اجتماع تاريخي

فيما يلي النص الكامل لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات في مكتبه بالجيزة مساء ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ :

الرئيس : في سلسلة الاجتماعات اللى بأعملها علشان الموقف النهاردة .. الحقيقة .. كان لابد أن أجمع بيبكم .. لأننى أعتقد أن المرحلة تحتم أن نقعد ونستعرض الظروف والموقف بالكامل .. وخصوصا وان السنة الماضية منذ اجتماعنا فى أكتوبر الماضى لغاية اليوم حصلت تطورات كثيرة جدا تؤثر على الموقف . وتكاد ترسم خط السير الذى لا مناص منه .. فى أكتوبر الماضى (١٩٧١) لما جمعتمكم فى الواقع كان بعد زيارتى للاتحاد السوفيتى وكان فيه لو تذكروا وقفة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى طول صيف ٧١ .. وانتهت بأن احنا اتفقنا على النقاط فى موسكو ١١ و ١٢ أكتوبر .. وبعد اجتماعى فى موسكو جمعتمكم وقعدنا اتكلمنا وشرحنا الموقف كله .. ولم أكن سعيدا فى ذلك الوقت . هذه هى الحقيقة . ولكن كما قلت لكم كان فيه نقطة خلاف أساسية مع السوفيت منذ رحلتى الأولى فى مارس ١٩٧١ الى موسكو . ولو عدنا الى محاضر اجتماعات ١ و ٢ مارس مع الزعماء السوفيت ، نجد اننا لم نتحرك فى نقطة الخلاف الأساسية . كانت النقطة الأساسية فى الخلاف .. كما قلت لهم : أنتم حاطينى وراء اسرائيل بخطوتين . ومع أنه المفروض أن أكون متفوقا على اسرائيل .. فأننى لا أطلب هذا . أطلب أن أكون متساويا معها .

وساعة ما بنيجى للنقطة دى .. دائما بنقع فى خلاف ، وبيجى جريتشكو ويطلع النوتة ويقول : عندكم كذا دبابة وكام طيارة .. الكلام اللى بيلجأوا ليه دائما .. وندخل برضه فى مناقشات وعلى خصائص الطيارات اللى عندنا . يعنى دائما كنا نيجى فى النقطة الأساسية دى ويطلعوا كشف السلاح .. زى ما قلت لكم فى ١ ، ٢ مارس ١٩٧١ واضح تماما فى المحضر نحن مختلفون .. قلت لهم مش معنى اننا بكتب كده فى

المحضر انتى هارجع مصر وهاأقول أنا مختلف مع الاتحاد السوفيتى ..
لأ قلت لهم ان احنا أصدقاء .. وممكن نختلف وممكن بعد فترة نتفق
سوا المهم ان كل واحد منا يفهم موقف الثانى .. وجيت فعلا أنا بعد
الرحلة دى بتاعة ١ ، ٢ مارس جمعت اللجنة التنفيذية العليا فى ذلك
الوقت وبعديها اجتمعت ببيكم .. وكان معايا منهم محمد فوزى وشعراوى
جمعة .. كانوا معايا فى الوفد .. حضروا المباحثات كلها .. وقلت لهم
اللى جرى بصراحة .. وقلت لهم " ولكن ليس معنى هذا ان احنا بنقطع
.. أو انه الخلاف نطلعوا على السطح .. دلوقتى لأ .. ماجاش أبدا
هذا الألوان .. ومش مصلحتنا .. ومش مصلحة لا شعبنا ولا قواتنا
المسلحة ان احنا نطلع الخلاف على السطح النهاردة .. لأن ده خلاف
يكفى ان احنا بنحطه قدامنا فى اتصالاتنا الجارية مرة واثنين وثلاثة ..
يا اما بنعدى هذا الخلاف يا اما .. ولكن أنا باعتبار انه بالحاجات
اللى أعطوها لنا فى ذلك الوقت فى ١ ، ٢ مارس انه من الممكن نخش
جولة أخرى وجولة أخرى لصالح المعركة ولصالح البلد .. فى أكتوبر
كانت أحداث السودان وقعت فى الصيف زى ما أنتم فاكرين .. وكان فيه
وقفة تماما بيننا وبين الاتحاد السوفيتى .. وبعدين اختلفنا فى أكتوبر
وواضح فى المحضر .

ولكن جه بريجنيف وقال انه حوالى ٨٠٪ من الصفقة يسلم قبل
نهاية ٧١ .. وأنا قلت لكم فى ذلك الوقت على الحاجات اللى وافقوا
عليها والحاجات اللى هاتجيلنا قبل نهاية ٧١ والحاجات اللى هاتجيلنا
فى ٧٢ وقلت لكم (exactly) (بالضبط) جهزوا أنفسكم علشان
زى ما أنا كنت بنادى ان ٧١ لابد نحسم فيها .. وكانت محل مناقشة
معاهم برضه فى اجتماع أكتوبر وفى اجتماع مارس أيضا .. ويقول لهم
منطقى .. ان شعبنا لا يستطيع الانتظار .. ولا شعبنا أكثر من كده ..
والنتيجة وخيمة عليكم وعلينا .. كانوا بياخدوا الحاجات دى بشيء
من الاستخفاف شوية .. يعنى هما متصورين كانوا انه ممكن الأمور
تمشى بالطريقة اللى هم بيفكروا بيها ..

فات أكتوبر ونوفمبر ودخلنا فى ديسمبر .. وجات وقعت معركة الهند
وكان واضح لى يوم ما حصلت معركة الهند يوم ٨ أو ٩ ديسمبر ٧١ كان
واضح لى تماما انه مش ممكن نقدر نعمل أى عملية فى سنة ٧١ خاصة

وان الصفقة اللي اتفقنا انها جاية لنا .. هتيجي قبل نهاية ٧١ وكنا
ساعتها في ٩ ديسمبر . وحتى التعاقد لم يتم عليها .. أنا تصورت انه
مش هايستتوا التعاقد زى ما حصل في سنة ٦٧ .. هاييغتوا على طول
وبعدين نبقى نتعاقد .. فكان و اضح في ديسمبر وساعة ما ابتدت
معركة الهند كان واضح ان الموقف مش ممكن هانقدر نواجهه .. وهو
انه هايحصل حاجة قبل نهاية ٧١ .. فيوم ١٠ ديسمبر مباشرة استدعيت
السفير السوفيتي عندي وقلت له واضح تماما أن ٧١ انتهى خلاص ..
احنا النهاردة ١٠ ديسمبر . ابتدأت امبارح معركة الهند عمليا انتهى ٧١
.. طيب وبعدين ؟ .. أرسلت للقادة السوفيت .. كل ده وأنا في حسابي
بأحسب أنه احنا أصدقاء .. وممكن أن نختلف ولكن الخلاف ممكن أن
احنا نحصره بقدر الامكان ونكمل المشوار .. فقلت له ابعت للقادة
السوفيت وقلهم أنا عايز أجى لكم موسكو قبل نهاية ٧١ .. ليه ؟ علشان
نحاول نعالج الموقف في بيان نطلعه . في اجراء نتخذه علشان نعدى سنة
٧١ لأننى ارتبطت بذلك .. وأنا كنت عندكم في موسكو مرتين .. بل
في أكتوبر السنة دي وبأعلن وأنتم سامعين كلامى واتفقنا في هذا
ان ٧١ حسم ومحصلش حسم .. افترضت بقيام معركة الهند مافيش
حسم .. مش هاقدر أعمل حاجة في ٧١ وأنتم داخلين فيها طرف ..
قل لهم قبل نهاية ديسمبر سنة ٧١ أنا عايز التقى بهم في موسكو وماكنش
عندي خرج أبدا أنى أسافر لثالث مرة موسكو مع أنى كنت قبلها في
أكتوبر .. جانى الرد من هناك في آخر ديسمبر .. أواخر ديسمبر أن
الاجتماع في ١ ، ٢ فبراير ٧٢ .. لأنه جدول مواعيد القادة السوفيت
من هنا لغاية ١ ، ٢ فبراير وكذا وجاب لى جدول المواعيد و ... و
... الخ .. الكلام ده كان في أواخر ديسمبر .. الحقيقة أنا كدت
في أواخر ديسمبر أن أصدر القرارات اللي طلعتها في ٨ يوليو .. كدت
في أواخر ديسمبر أنى أقول للسفير طيب شكرا وأعلنه بالقرارات ..
لكن يعنى الواقع زى ما قلت لكم .. أنا حريص على المعركة من ناحية
.. وحريص على صداقة الاتحاد السوفيتي من ناحية ثانية .. لسه فيه
أمل يعنى ماقطعتش الأمل .. الحقيقة .. ليه ؟ .. أنا في تفكيرى قلت
الناس دول مستتين اجتماع موسكو بتاع عشرين مايو ٧٢ .. وأنا عارف
أسلوبهم في هذا .. وأنا طول الخمس سنين اللي بعد العدوان .. من
٦٧ بأتعامل أنا شخصا معاهم في قضيتنا .. اكن في أثناء وجود
عبد الناصر .. كنت أنا متولى المسألة بالكامل وماكنتش بتخرج عنا احنا

الاثنين .. بس .. فأنا عارف أسلوبهم يعنى لعلمكم برضه عشان تكونوا على بينة .. لما عملت المبادرة أنا فى فبراير ٧١ • عملت المبادرة الحقيقية أساسا .. لعدة عوامل .. العامل الأول فيها كان أنى عارف أن الاتحاد السوفيتى مش هيسعبنى .. مش هايدبنى فى الوقت الكافى .. وكان أيامها احنا بنتكلم على وقف اطلاق النار من عدمه فى فبراير .. وكان مؤتمر الحزب الشيوعى بتاع موسكو سينعقد فى ٣١ مارس ٧١ فأنا عارف ببساطة وبحساب عارفه بقالى أربع خمس سنين معاهم أن قبل انعقاد هذا المؤتمر مش هيدبنى حتى من اللى احنا متفقين عليه .. وكان فى ذلك الوقت القسم الرئيسى من الاتفاقات هى بطاريات الصواريخ عشان الصعيد .. ومش ممكن ابتدى أكسر وقف اطلاق النار وسدود الصعيد .. ماجاتش لسه بطاريات الصواريخ عشان أدافع عنها ومعروف عمقنا فى الصعيد • ؟

فوزى جاني يوم وقال لى خلاص يافندم .. الروس بعثوا لنا • قالوا ان المركبين اللى جاين بالبطاريات واحدة فى ١٨ فبراير وواحدة فى ٢٢ فبراير .. قلت له « لا » .. آسف يا فوزى مش هايجى قبل مؤتمر الحزب الشيوعى اللى هايعقد فى ٣١ مارس وقبل ماينتهى المؤتمر فى ابريل .. بعد ذلك تيجى البطاريات .. قبل كده مفيش حاجة أبدا .. » قال لى يا أفندم ده أخطر ونى رسميا بميعاد ١٨ و ٢٢ فبراير • قلت له « ولا حاجة جاية .. وده أسلوبهم أنا عارف • وهذه طريقة تعاملهم » .. فالحقيقة كانت مبادرتى أساسا تهدف الى أنه .. طيب أنا أيه اللى تابعنى ؟ .. أنا اللى تابعنى أن أنا مش عايز خسائر فى العبور .. وعشان كده عملت المبادرة • أنه اذا اسرائيل انسحبت مرحلة أولى بتعبر قواتنا .. بنفتح قناة السويس • بندى ٦ شهور وقف اطلاق النار رسمى .. بعد الـ ٦ أشهر اذا اسرائيل مانتتهش الى حل معانا • قواتنا الى عبرت تقاتل وتكمل واجبها .. اللى أنا بأقصده من هذا ، انه كارت ناجح مع أوروبا الغربية وللعالم كله بالنسبة لفتح قناة السويس .. الحاجة الثانية انه أنا عايز أخلص من عملية السيف اللى محطوط على رقبتى .. فى العبور .. وأرى أننا سنتعرض لخسائر ضخمة اذا كان لابد أنى أعبر قبل الروس مايدونى الحاجات اللى أنا عايزها .. وقلت يعنى يمكن تانى الأمريكان يسعوا و ... و ... و ... لولا أنهم بعد ذلك ضحكوا عليهم اليهود وأنا بعت لنيكسون هذا الكلام .. وقلت له ضحكوا عليك

اليهود لأنهم قالوا للأمريكان ان المبادرة ليست الا بدء التنازلات المصرية
•• استنوا عليهم هاكملوا باقى التنازلات •• قلت لنيكسون أنا بعت
لك قلت لك ان المبادرة ارتباط كلام وما صدقتنيش وعليه النهاردة أنا
مش مستعد أبدا أتكلم فى هذا الموضوع •• الحقيقة أنا أيامها عملت
هذه المبادرة علشان فى العبور أتجنب الخسائر الضخمة اللى لازم تحدث
نتيجة عدم امدادى بما أريد •• الشئ الثانى كان •• أو السبب الثانى
للمبادرة الحقيقة •• انه ضاق الوقت •• أنا عارف أنه زى ما قلت لكم
أنه فى ٣١ مارس كان مؤتمر الحزب الشيوعى •• قبل هذا التاريخ مفيش
حاجة حتى من اللى اتفقنا عليها هاتيجى •• وبطاريات الصعيد وغير
بطاريات الصعيد •• حتى أى قطع غيار أو أى حاجة مش هاتيجى قبل
ما ينتهى المؤتمر بتاعهم فى ابريل •• وده اللى حصل فعلا •• البطاريات
ماجتش الا فى ابريل أظن ••

أحد الأعضاء : ابريل ••

الرئيس : آه ماجاتش الا فى ابريل •• مع أنه زى ما قلت لكم أخطروا
فوزى بأن مركبين واحدة فى ١٨ وواحدة ٢٢ فبراير فأنا قلت باكسب
وقت شوية •• برضه •• منها بتغير الصورة السياسية للقضية كلها واسرائيل
بتقول انه مفيش حد فى العرب يقبل اتفاق سلام Peace agreement
حقيقى يعنى لو قالت Peace treaty لو قالت معاهدة سلام
كانت تبقى خطر •• لكن لما تقول اتفاق سلام •• طيب ما هو اتفاق
الهدنة بتاع ٤٩ لما تقروه تلاقوه اتفاق سلام •• ولذلك أنا قلت اتفاق
سلام مفيش مانع ••

قلت أيضا أكسب الوقت برضه مجاملة لصديقنا الاتحاد السوفيتى
أنه ياخذ وقته معلىش •• أنا عارف ساعة الحزب الشيوعى ما يعمل
مؤتمره فى ٣١ مارس وياخذ راحته هو وأقرص عليهم شوية •• معلىش
فرعت المشكلة شوية •• وأهيه ماشية وفعلا المبادرة مشيت وغيرت شكل
القضية السياسية بره فى العالم و •• و •• الخ •• وحركت
شوية و •• و •• لكن كان تأثيرها على الروس عكسى •• أروح
لهم يقولوا ما فى حل الا حل سلمى •• ولازم تتصل بالامريكان •• طيب
ما أحنا عرضنا المبادرة وبناء على مبادرتى الأمريكان هم اللى جم وأنا
مارحتلهمش •• بعنوا لى روجرز •• الأولاد المتأمرين اللى كانوا هنا:

في اللجنة العليا راحوا للاتحاد السوفيتي وقالوا لهم أنور السادات
باع البلد للأمريكان خلاص واتفق معاهم وصفى القضية و... و...
و... والناس دول بيفكروا بطريقة غريبة ..

أنا لم أطلب من الأمريكان .. دول همه اللي جم وقالوا وزير خارجيتنا
يجيك .. قلت لهم ييجي ما عندي مانع أبدا .. يعنى بس ييجي يقول
عايز ايه .. هايجيننا ليه أو هايعمل ايه .. فضلنا بعد المبادرة في الموقف
اللى برضه المايح الى أن حصلت أحداث السودان في صيف ٧١ .. وقلت
لكم في زيارة أكتوبر بعد كده برجع لحديثي الأصلي .. الحقيقة كدت
في أواخر ديسمبر ٧١ لما جالى السفير السوفيتي يقول على الموعد
في ٢٠ ١ فبراير كدت آخذ موقف معاهم .. لكن في الحقيقة ماكنتش أنا في هذا
الوقت جاهز لأي حاجة .. ليه لأن مقدرش آخذ المسائل لا بعاطفة
ولا بانفعال ولا بغضب ولا حاجة أبدا لأنها مسائل مصيرية .. وأنا الى
ذلك الوقت زى ما حكيت لكم عارض أنى أروح موسكو لثالث مرة في
ديسمبر مع أنى كنت لسه في أكتوبر عندهم .. أنا اللي عارض .. وقلت
للسفير قلهم أنا عايز أدرس الأمر على طول علشان نقدر نطلع حاجة
نغطى بيها الموقف بتاع ٧١ .. ونخش على ٧٢ لأن واضح بعد معركة
الهند مفيش حاجة .. حتى ده مش قادرين يفهموه ان احنا لازم نغطى
موقفنا .. وأنا بغطى موقفهم هم .. لأن أنا ممكن زى ما حصل ، وقلت
باطلع وباحكى القصة كلها .. وبأقول أن الناس دول اتفقوا معايا على
أنه يدونى صفقة قبل نهاية ٧١ على أساس أنا كنت عايز أخطط وأشتغل
ما أدوينش .. مضطر أقف مش عايزه مناقشة .. ولكن محبتش ألقى
اللوم عليهم ولا حاجة في ذلك الوقت وقلت لهم عليها كأصدقاء وأنا عارف
ماذا سيحدث في موسكو بينهم وبين نيكسون .. هم عايزين يهدئوا كل
شئ وهم .. الشئ المؤسف اللي أتصوروه ان احنا جماعة مجانيين أو
ناس ما بنفكرش .. متصورين أنه يوم ما أن نحصل على الأسلحة التى
نريدها نروح راكين راسنا ونقول أضرب يا جدع ! .. مش قادرين
بفهموا .. أو يعنى متخاذلين .. بيقولك لا .. طريقة تفكيرهم عنا ..
حقيقة لغاية النهاردة مانيش عارف أوصل لها كويس .. انما فيه شئ
واحد لازم نعرفه انه ده قوة كبرى وله سياسته كقوة كبرى وله مصالحه
وله أوضاعه .. بي فكر على هذا الأساس .. صبرت على مضض حتى
اجتماع ٢٠ ١ فبراير وسافرت .. وقامت الدنيا كلها خلال هذا .. الطلبة

قاموا .. الجماعة الحاقدين كلهم اتحركوا .. وفاهمين انه دى فرصة
وزى مانتم شفتم .. أنا تركت الطلبة ٧ أيام ..

واجهت البلد كلها وواجهت العرب كلهم • ودافعت عن الاتحاد
السوفيتى .. على أمل ان احنا هنتقابل فى فبراير .. فعلا .. فى فبراير
اتقابلنا • وشرحت لهم صورتهم وحالتهم وقلت لهم أن الوضع خطر
عليكم دلوقتى فى المنطقة وعلى العرب كمان يعنى أحسبوا معايا ..
طيب أمتى الحاجات دى ستنفذ .. طبعا حاسين البلد كانت بتغلى ازاي
.. وكان فيها ايه .. قلت لهم ده كله نتيجة لكل التصرفات اللى فاتت
واللى حكيت لكم عنها واللى قلت لكم عنها من مارس ٧١ .. فى محضر
مارس ٧١ تلاقوا الكلام ده كله .. وقلت لهم لا يمكن شعوبنا تستنى
ولا يمكن المنطقة تستنى .. مش ممكن بالأسلوب ده وبالشكل ده هانمشى
الأمر .. ردوا على بكلام عن الرجعية واليسار .. قلت برضه هانرجع
للكلام .. الرجعية واليسار .. مفيش عندى لا يسار ولا يمين فى البلد
بالنسبة لتحرير الأرض أبدا .. مفيش خلاف اطلاقا .. ويسار ايه ويمين
ايه النهارده .. سيبوا الكلام ده كله احنا فى معركة مجروحين كل انسان
يميني يسارى رجعى تقدمى كل واحد مجروح عشان الأرض اللى
محتلة .. ما نفرعش المسائل ونفسرها غير تفسيرها الحقيقى ..

جيت من اجتماع فبراير فات مارس ، ابريل ، أواخر ابريل لقيتهم
جاين .. جاء السفير فى أواخر ابريل وقال القادة السوفيت بيلحوا
ويترجوك أنك تسافر لهم .. بس ما أنا كنت عندكم فى فبراير ..
أنا الثلاث مرات السابقة .. مارس — أكتوبر — فبراير أنا اللى طلبت
.. ابريل أنا مطلبتش .. ليه يعنى ما أنا كنت عندهم فى فبراير وانتهينا
واتفقنا حتى فى فبراير ان احنا مستنين نتيجة اجتماع موسكو فى ٢٠ مايو
.. وانهم يخطرونى بنتيجة الاجتماع ونتصرف على أساس النتيجة بعد
ذلك .. جانى فى أواخر فبراير وقالى بأى ثمن .. يا خبر .. أنا كنت
عندهم ثلاث مرات فى أقل من سنة .. بيترجوك .. مش ممكن فى ٤٨
ساعة • كانوا محددين ومجهزين لأنهم هم اللى علوزين • والطيارة
تحت أمرى وكذا وكذا .. ورحت فى أواخر ابريل .. عيدنا الكلام كله
من الأول .. هم كانوا تعبانين جدا من الوضع فى المنطقة والوضع فى
بلدنا بالذات .. طيب ما أنا من مارس ٧١ من سنة وشوية وأنا بقول.

لكم هذا الكلام ها يحصل .. طيب هاتكلم فى حل .. الحل مفيش حل ..
الحل أنكم تدونا اللى احنا عايزينه .. بس .. واللى أنا طالبه منكم من
مارس ٧١ .. وكان الكلام بيننا أنه احنا عايزين نتساوى مع اسرائيل ..
ماتخلوناش .. ورا اسرائيل النهارده يمضى وقت من سنة ٧١ لغاية
النهارده .. اسرائيل بدل ما أبقي وراها بخطوتين بقيت وراها بعشرة
دلوقتي .. طيب ليه ؟ .. ده شعر به شعبنا وحسه الناس .. طيب
ايه هو سبب اللى بيجرى ده .. قالوا التحرك اليميني .. يا ناس
مفيش لا يمين ولا يسار عندنا فى تحرير الأرض .. ومع ذلك قلت لهم
والله أنا مستنى اجتماع موسكو .. فى الشهر الجاي مايو .. واتكلمت
مع بريجنيف فى الجلسة دى بالذات بتاعة ابريل ٧٢ عن الخط
الاستراتيجى .. قلت له حصل حاجتين : حصل معركة الهند فى ديسمبر
٧١ وحصل الهجوم الكبير بتاع فيتنام وكان ابتداء منذ شهر تقريبا ..
قلت له معلوماتى عن الهجوم بتاع فيتنام انه بيتجهز له قبلها بست
أشهر .. بدليل انه بتقولوا حصار هايفونج وتلغيم الميناء و .. و .. و ..
قلت له أنا قعدت أضحك لما قرأت هذا الكلام لأن بتلغموا الميناء عشان
اللى جاى ؟ طيب ما هى المعركة متجهزة من قبلها بست أشهر وكل شىء
متشون جوه .. والهجوم الكبير لم يبدأ فى فيتنام الا بعد تشوين كامل
لكل حاجة .. و .. فيه أطقم سوفيتية على الصواريخ وعلى مدفعية ..
وأطقم سوفيتية أخرى على باقى الأسلحة .. قلت له طيب ما ناخذ درس فى
هذه العملية ونطلع بالخلاصة الآتية :

أولا : هل تعتقدوا أنتم أن القضية تتحرك سياسيا ما لم تتحرك
عسكريا .. قالوا لا .. قلت لهم مثلا عندنا فيتنام .. نيكسون جاى لكم
الشهر الجاي .. قلت له نيكسون جاى لكم بعد عشرين يوم .. وأنتم
عاملين هجوم كبير عليه وسايجون مهددة ٦٠ ألف عسكرى .. حتى أيامها
طلع خبر ان فيه ٦٠ ألف عسكرى أمريكى مهددين أنهم يتمسكوا فى
سايجون .. ومع ذلك نيكسون جاى لكم .. برغم هذا كله نيكسون
جاى لكم لغاية موسكو .. ليه .. لأن القضية اتحركت عسكريا فسياسيا
بيحصل استجابة على طول .. ما لم نحرك قضيتنا عسكريا مش ها يحصل
استجابة بريجنيف قال ١٠٠٪ موافقك على هذا التحليل ..

قلت له طيب معاك .. طيب ناخذ درس من فتنام زى ما شونتم

قبلها بست أشهر للهجوم الكبير • بعد اجتماعكم في عشرين مايو اللي
جاي •• والى ٣١ أكتوبر قبل انتخابات الرئاسة بخمس ست أيام
هايكون باقى خمس أشهر • قلت لهم مش صعب اتنا نتكهن بنتيجة
اجتماعكم في موسكو بالنسبة لقضية الشرق الأوسط •• بالنسبة للأمن
الأوروبى ما بيهمنيش كثير وما بيعنيش وجايز توصلوا فيه لحلول مع
بعضكم •• بالنسبة لقضيتنا في الشرق الأوسط •• قلت له •• لن يحصل
تقدم كثير ومن دلوقتى وأنا قاعد معاكم في ابريل أهوه ممكن أقول ايه
الى هاتسفر عنه المباحثات لماذا ؟ •• لأنه بحساب سياسى بسيط •
السنة دى سنة انتخابات في أمريكا سنة ٧٢ •• أمريكا ان ماكانش موقفها
هايكون للأسوأ هايفضل سىء زى ما هوه لأن دى سنة انتخابات سنة
المزايدات بين الحزبين الاثنين •• وهى (already) من الأول أمريكا
متورطة متعهدة لاسرائيل •• طيب يبقى لن يتغير الموقف بالنسبة لنا •
يعنى أحسن موقف هايكون هو السيء الى احنا فيه النهاردة •• ده
الخوف أنه يروح للأسوأ •• ليه ؟ لأنه اسرائيل قاعدة مستنيهم بعد
اجتماعكم هاتحاسبهم •• ايه الى عمله نيكسون عشان تؤيده أو
متأيدوش •• وهوه واخذ في حسابه هذا •• وقلت لهم مش صعب
التكهن بنتيجة اجتماعكم الشهر الجاي مع نيكسون •• فقالوا نشغل
باستراتيجية بعقل شوية •• والخمس أشهر اللي باقية بعد اجتماع
موسكو تنتهى في ٣١ أكتوبر تشوفوا لى فيها الحاجات بتاعتى الى أنا

عايزها للمعركة زى ما حصل في فيتنام بالضبط •• بحيث أنتم عارفين
نيكسون وعاملين حسابه •• وأنتم طالبين ان احنا من هنا لغاية نوفمبر
٧ نوفمبر وانتخابات نيكسون مانعملش حاجة •• أنا معاكم •• قلت
لهم أنا موافق •• لأن احنا من مصلحتنا أيضا أن نيكسون يعاد انتخابه
بدل ما ييجى واحد ديمقراطى جديد •• ونيكسون هايبقى له أربع
سنين بس •• ومافيش تجديد ثانى فيمكن يعمل حاجة •• مانعملش هايكون
أقل سوء من أى رئيس تانى •• أنا معاكم •• مقرر أننا مانتحركش
ما نعملش حاجة أبدا قبل الانتخابات •• وقلت لهم عمليا من مصلحتى
هذا •• ليه ؟ •• لأن أنا لسه لازم أحصل على العمليات اللي أنا عايزها ••
الدعم كله اللي أنا طالبه لازم يوصل لى •• وتعالوا نعمل زى فيتنام ••
ناخد الخمس شهر من بعد اجتماع موسكو ٣١ أكتوبر لسه خمس أشهر
كل كام يوم مركب بتجيني بتجيب كل الحاجات المطلوبة للمعركة بتشون
وبنستنى الانتخابات الأمريكية بينتهى الكلام ده كله في ٣١ أكتوبر ••

الانتخابات الأمريكية في ٧ نوفمبر بنيجي بعد ٧ نوفمبر • اسرائيل
وأمرىكا هايعرفوا ايه اللي وصلنا لأنه ماعدش حاجة بتتدارى •• اللي
عندنا واللى عند اسرائيل • كل واحد عارف ايه اللي عند الثانى •
سيعرفوا ان احنا داخلين داخلين الجولة الثانية ، اللي أنتم بتقولوا
عليها بعد الانتخابات من أرض صلبة في الحل السياسى •• فيه سؤال
هل ممكن يكون فيه حل سياسى من غير اليهود والأمريكان ما يحسوا ان
احنا واقفين على أرض صلبة ؟ قالوا لا مش ممكن •

خلاص يبقى اتفقنا •• يبقى اذن من هنا لحد ٣١ أكتوبر نخلي الأرض
صلبة بأنه يجينا امدادكم •• خلاص •• خلاص • ده الكلام اللي اتفقنا
عليه في ابريل •• واجتماع ابريل ٧٢ •• في مايو قبل الاجتماع بأيام
بسيطة جاه جريتشكو هنا وجابوا الطائرة اللي كانت عندنا M 500 .
والكلام ده كله وجايب معاه بيان من اللجنة المركزية من موسكو بشأن
زيارته عشان اذاعته •• طبعا واضح ان البيان مكتوب مخصوص علشان
عملية سياسية لانجاح زيارتهم هناك •• مع نيكسون يعنى •• ويكونوا
في موقف قوة •• قلت لا مانع من نشر نص البيان ومتعدلووش ولا كلمة ••
يطلع البيان •• وجريتشكو كمان بياخد نياشين هو والناس اللي معاه ••
مش مشكلة • سياسيا أصدقاءنا وعازيزين يقفوا وعازيزين يتكلموا من
مركز قوة أنا من مصلحتي يتكلموا من مركز قوة في عشرين مايو •• بس
لما خلصت مع جريتشكو •• وكان عندي في البيت هنا وقلت له يعنى
يمكن أنت حضرت معايا الكلام مع بريجنيف على التجهيز في الخمس
أشهر التالية •• خد بقى منى ••• مش التجهيز مجرد كلام بقى ••
لأ •• خد ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ •• ابتداء بالميج ٢٣
أو الـ M 500 اللي كانت هنا دي اللي هى الطائرة القاذفة الجديدة
•• فيه عقد بالموتورات أيضا وعرضت عليهم مبلغ بالعملة الصعبة كمان
علشان ييقوا بسرعة يجيولى العدد والآلات ونلحق نخلص الموتورات
عندنا بتاعة الطائرات كلها •• بقيت الحاجات للحرب الالكترونية اللي
ناقصانا •• بقيت الحاجات اتلى ناقصة في فروع كثيرة من القوات
المسلحة •• حاجات من هذا القبيل •• حاجات عشان البحرية عشان
معدات وغيره •• وانتهت بالبند نمرة ٦ « القيادة والسيطرة » •• وقلت
في هذا البند •• أنا لا أسمح مستقبلا ولا في المعركة أن يكون فيه وحدات
سوفيتية هنا ليست تحت القيادة المصرية •• كده صريح •• هذه رسالتى

مع جريتشكو في أوائل مايو ٧٢ ٠٠ قال لي حاضراً هابلغ كل هذا لبريجنيف
وكان سعيد جداً أن زيارته نجحت وأدت الغرض الذي مطلوب منه من
موسكو • والبيان بتأه أذيع وخذ نياشين وعلماً له ده كله وكان سعيد
وراح •• جه عشرين مايو الزيارة •• زي ما حكيت لكم هنا واضح ان أنا
ابتداء من انتهاء زيارتهم في ٢٥ مايو •• كل يوم بحسبه لأنه خمس
أشهر عصرية •• يدوبك زي أنا ما بعث لهم على الطائرة الجديدة يدوبك
الخمس أشهر يكونوا على قد الطيارين ما يتدربوا •• بقيت الحاجة
الالكترونية •• مثلاً •• عمرة الموتورات و •• و •• كل الحاجات
التفصيلية اللي أنا بعثتها في البنود المحددة يدوبك الخمس أشهر لـ ٣١
أكتوبر بالعافية هاتكفي وهانزق العملية قوى •• فأنا بعد ما أنتهى
اجتماعهم في ٢٥ مايو •• الحقيقة قعدت مستنى يجينى التحليل بتاعهم
زي ما احنا متفقين •• واللى بناء عليه سوف ألقى التواريخ • ابتداء
من كذا هاتجيك الحاجات اللي أنت طلبتها بالشكل الفلانى لغاية ٣١
أكتوبر آخر مركب تقوم من عندى •• وحتى ضربت لهم على سبيل
المثال قلت مثلاً من ناحية موضوع زي الذخيرة ما نصفى المشكلة ونخلص
وتبعثوا خمس ست مراكب عشر مراكب مرة واحدة يفضوا المشكلة ••
بس مرة واحدة •• وتنتهى مشكلة الذخيرة نهائياً •• قعدت بعد ٢٥ مايو
مستنى يجى لي التحليل •• زي ما حكيت لكم وأنا بتكلم مع بريجنيف
في أبريل ومتكلم مع جريتشكو وبعث رسالة لبريجنيف في مايو محددة
بنقاط محددة •• وقاعد مستنى عشان يحددوا لي التواريخ •• ونحط
احنا برامجنا هنا على أننا نكمل نفسنا بحيث ٣١ أكتوبر نبقى جاهزين
•• فات ٢٥ مايو وفات مايو كله وفات يونيه •• دخلنا في يونيه ••
يوم ٦ يونيه جالى التحليل رسالة منه •• طيب •• ٦ يونيو •• بعد
التحليلات بتاعة الرجعية والاستعمار والكلام ده كله و •• و •• في
الآخر ظل موقف أمريكا كما هو تماماً •• طيب ما هو ده اللي أنا قلته
في أبريل قبل الاجتماع مش هايحصل حاجة •• مش هايحصل تغيير
في الموقف الأمريكى •• ولو أنهم ضغطوا وقالوا احنا ضغطنا وقرار ٢٤٢
ومهمة يارنج •• ده كله كلام شكلى •• لأن ما احنا عارفين مين اللي
واقف في القرار ٢٤٢ والا في مهمة يارنج والا في اجتماعات الأربعة
الكبار •• مين اللي واقف ؟ ما هي أمريكا •• مش مشكله •• المهم لما
أرانى السفير الرسالة قعد ويايا في الجلسة دي يوم ٦ يونيو أربع ساعات
الا ربع وكان حافظ اسماعيل موجود •• قال لي يعنى هل فيه رد على

الرسالة .. قلت له الصبر .. لأن انتم تأخرتم على .. دحنا النهارده دخلنا يونيه مع ان يونيه ده شهر من الشهور اللي كان من أوله لازم نبدأ عملية التشوين وكان لازم يجيني الكلام ده في أواخر مايو مباشرة بعد الاجتماع .. أنما — دلوقتي نبحت .. قلت له طبعاً فيه رد مني .. التحليل بتاعكم ده أنا موافق عليه في كذا وكذا وكذا .. يفضل بقه اطلع من نتيجة تحليلكم ووجهات نظرنا احنا الاثنين وكلامنا في أبريل اللي قناه بالآتي وحكيّت القصة اللي قتلها لكم دلوقتي عن ان القضية لن تتحرك سياسياً .. ما لم نكون جاهزين عسكرياً .. وان ده اتفاقمنا احنا الاثنين انه بناخد درس من حرب فيتنام .. والقادة السوفيت وبرجنيف على رأسهم كان متحمس أكثر مني أنه لابد نعمل عملية استراتيجية .. نعملها بأن نشوف كل حاجة محتاجينها .. بعد الانتخابات الأمريكية بندخل من أرض صلبة .. كررت اللي أنا حكيت لكم هنا ده كله لأنه لازم التكرار .. وبعدين رسالة محددة من سبع نقط اللي اديتها لجريتشكو .. ثاني قلت له بأكّد رسالتى لجريتشكو .. وبابعتها لك محدد .. ١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦ — ٧ — وهذه مسائل لازم ننتهي فيها قبل ٣١ أكتوبر فردوا على ، وقولوا لى المواعيد ايه ؟ وها تنتفذ ازاي ؟ راحت الرسالة في ٦ يونيو .. انا متصور انهم مثلاً أربع خمس أيام ونتيجة انهم اتأخروا على في التحليل ودخلنا في يونيو هایلحقوا بسرعة يردوا .. لأن الكلام ده زى ما حكيت لكم كده متفق عليه مع برجنيف .. من أبريل متفقين أنه فعلاً لازم نخش من أرض صلبة .. وأرض صلبة يعنى معناها كل حاجة بقدر الامكان يعنى مش ١٠٠٪ لكن على الأقل الحاجات الأساسية لازم تكون عندنا قبل ٣١ أكتوبر بحيث تتم الانتخابات الأمريكية .. جولة ثانية حل سلمى .. ونخش كلنا .. لكن نخش من أرض صلبة .. فات ١٠ يونيو .. فات ٢٠ يونيو جاه ٢٥ يونيو مش تمام .. في الوقت ده كنت في مرسى مطروح وكان مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات منعقد هناك .. اما جيه ٢٥ يونيو الحقيقة .. معناها ان يونيو فات خلاص راح .. ولسه ما جاش رد والمفروض أنه كان يجيني رد يقولولى .. ده انا مستنى تواريخ المراكب والـ Items (البنود) .. وآيه الحكاية ؟ .. مفيش رد خالص .. وأنا في مرسى مطروح قلت لعزیز صدقى أول ما ينزل مصر .. هات السفير السوفيتى وقول له ليه الرد السوفيتى ماجاش وعملين آيه .. فنزل عزيز وجاب السفير السوفيتى فعلاً .. وقال السفير ما جانيش رد من القادة السوفيت لسه .. وأنا

بعث استعجل و .. و .. و .. بعدها بأربع خمس أيام .. انا مستعجل
 بعدها لما رجعت أنا هذا القاهرة .. ندهت مراد غالب وزير الخارجية :
 قلت له اطلب السفير السوفيتي وعنفه .. جاب مراد غالب السفير واتكلم
 وياه .. حاضر .. حاضر .. انا باعت استعجال لموسكو .. و .. و ..
 دخلنا على يوليو .. فات الخمس أيام الأولى من يوليو وضح تماما ان
 العملية مش ماشية .. انا الحقيقة حاطط في ذهني زي ما قلت لكم من
 نهاية ٧١ أنه موقف الفصل بيني وبينهم هو اجتماع موسكو مع نيكسون
 .. أنا عارف انهم بيجهزوا له ويهدثوا الدنيا كلها .. ومتصورين ان
 احنا مجانين ما عاقلين مانا عارف .. بيفكروا ازاي أو هم خايفين .. أى
 سبب .. على أى حال هم بيهدثوا الموقف .. قلت فليكن .. انا كصديق
 بأديهم لغاية اجتماع مايو ولهم على هذا الحق .. لكن بعد ذلك لازم
 يكون موقف .. اما جه ٥ يوليو .. المسألة ما كانتش جديدة بالنسبة
 لى .. المسألة زي ما قلت لكم من نهاية ٧١ وهى بتتفاعل جوه .. العملية
 كانت في رأسى الحقيقة .. جاهزة زي ما قلت لكم مش أواخر ٧١ لكن
 شكل القرارات ما كنتش انتهيت اليه لسه .. يمكن الجسمى ادانى مفتاح
 في مايو .. لما كان عندي في القناطر وما كانتش فيه المجلس .. كان جزء
 منكم وذكرت في الاجتماع ده موضوع « القيادة والسيطرة » .. كان في
 مايو عندي في القناطر .. كان شكل القرارات لسه .. في العقل الباطن
 عندي .. في ٥ يوليو كنت جاهز بالقرارات بشكلها الكامل ومعرفش ..
 فات ٥ يوليو هايجولى امتى .. الحقيقة انا جهزت بقية وقلت خلاص
 ده موقف وبانتهى منه وخصوصا زي ما حكيت لكم « القيادة والسيطرة »
 .. في رسالتي لبريجنيف مع جريتشكو في مايو وفي رسالتي أيضا في
 ٦ يوليو وفي بند محدد .. واشترت لها في رسالة ٣١ أغسطس الأخيرة
 اللي بعثتها لبرجنيف قلت له احب أنك تراجع رسالة ٦ يونيو تلاقى فيها
 « القيادة والسيطرة » مش جديدة .. الكلام ده مش جديد .. دنا قايل
 لهم عليه من رسالة ٦ يونيو .. ده مبدأ أساسى لأنى لن أسمح بوجود
 قوات سوفيتية هنا .. ولا تكون تحت القيادة المصرية .. لا يمكن ..
 في ٥ يولييه أنا كنت جاهز بالقرارات وعارف الرد اللي هييجينى بعد
 المطوحة دي كلها .. الرد اللي هايجينى ايه .. اصبح عادى عندي جدا
 لأن زي ما حكيت لكم انا با ستنتج خطواتهم زي ما حصل واستنتجت
 خطواتهم بالنسبة لبطاريات الصواريخ بتاعة الصعيد .. وغيره في أول
 ما دخلنا في يونيو قلت خلاص يونيو معناها يولييه وأغسطس وسبتمبر

شهور القرم عند القادة السوفيت .. ودول دائما بياخدوهم احتياطي كل سنة .. القادة السوفيت في القرم ويرحك لاكتوبر .. تقوم تيجي لأكتوبر تتكلم معاهم بيتقى فاضل على السنة شهرين تعدى السنة .. خلاص .. عايز يدخلني في ٧٣ .. بنفس الصورة والوضع اللي احنا فيه .. وبغض النظر بقية عن الكلام اللي احنا اتكلمناه .. فقلت يعنى هو ده الرد اللي هايجيني .. وقدامه انا بكون جاهز بقراراتي كذا وكذا وكذا .. وماقلتش لحد .. ما تكلمت مع حد الحقيقة .. يوم ٦ يوليو كان يوم خميس قالوا السفير السوفيتي جاب رسالة وطالب ميعاد اقباله .. مرضتش اقباله في هذا اليوم الحقيقة .. قلت اجلوه للسبت .. (٨) .. الحقيقة كنت مشدود جدا وعصبى جدا جدا .. ومنفعل جدا .. أنا رسييت على القرارات ولكن اللي تاغبني كان هذا الاهمال .. وعدم الاهتمام يصل الى هذا الحد .. أخذت الخميس والجمعة راحة .. علشان أكون أحسن شوية ما كتش عصبى .. يعنى انا كنت في شدة الانفعال من الاهمال وعدم الاكتراث اللي واضح تماما يعنى .. يوم الجمعة .. الكلام دم الخميس . (٧) يوليو ندهت لصديق عندي .. وقلت له يا صادق بكره انا هاشوف السفير السوفيتي وقراراتي هي كذا .. مش عايز حد من القوات المسلحة يحس بهذه القرارات الا اثنين قائد الطيران وقائد الدفاع الجوي . ليه لأن دول اللي عندهم مشكلة .. قائد الطيران .. الطيارين الـ ٦٤ طيار اللي موجودين عندنا في بنى سويف وفي جاناكليس وفي غيرها اللي كانوا بيساعدوا في الدفاع الجوي .. ولكن ما يحصلش فراغ .. وبتاع الصواريخ علشان استلام المواقع .. بحيث أيضا ما يحصلش فراغ أو فجوة يدخل منها لينا .. الاثنين دول اللي في القوات المسلحة اللي يعرفوا ولأن بكره ٨ يوليو هاقول للسفير وأبلغه .. لن أعلنها الا بعد ان ينفذ في ١٧ يوليو .. وعليه مش عايز القوات المسلحة تعرف بيها .. وقلت له حتى تقول لقائد الطيران والصواريخ أنه مش عايز كلام اطلاقا في هذا الموضوع الى ان أعلنه في ١٧ بعد الانتهاء .. يوم السبت ٨ يوليو شفت السفير السوفيتي .. سمعت الرسالة زى ما قلت لكم ما كنتش جديدة على حتى لدرجة لما الرسالة خلصت أنا كنت قاعد بأسمعها .. أما الرسالة خلصت اندهشت حتى ماجبوش سيرة رسالة ٦ يونيو اللي انا باعتها ورسالة جريتشكو اللي فيها ٧ نقط محددة .. الاتفاق اللي احنا عملناه على الاستراتيجية .. ماكتش فيه حاجة أبدا .. كلام عام وعارف انا طريقتهم وان الهدف ان احنا نخش في عملية الصيف

لغاية ما يخلص سبتمبر ونخس على أكتوبر ونوفمبر وديسمبر خلصت الرسالة .. وأنا ذهلت وسألت السفير • الرسالة خلصت .. قال لى آه .. هي كده قال لى آه .. قلت له مرفوضة شكلا وموضوعا بالكامل .. وأسلوبكم مرفوض وانتم .. وما خليتلوش وفى النهاية قلت له قراراتى هي كذا .. المستشارين والخبراء .. من يوم ١٧ انتهت مهمتهم .. وكنا فى ٨ كنت مديهم لغاية الاثنين .. الوحدات السوفيتية اللي هنا تحت القيادة المصرية من يوم ١٧ أو تتفضل تروح .. املاك الحكومة السوفيتية اللي هنا .. ياتبيعوا لنا اللي عايزين تبيعوه .. اللي مش عايزين تبيعوه اتفضلوا اسحبوه .. انما كله ينتهى يوم ١٧ الصبح .. النقطة الثالثة قلت له بناء على معاهدة التحالف .. معاهدة الصداقة اللي بيننا يحصل جولة مفاوضات جاية بقة لأنه عايزين نشوف المرحلة اللي جاية فيها ايه .. فالراجل افكر ان القرارات بتاعة المستشارين والخبراء تخضع للمفاوضات • قلت له لا • دى قرارات للتنفيذ صباح ١٧ كله ينتهى يوم ١٧ الصبح • ووزير الحربية ها أخطره بيها للتنفيذ • بكره ان شاء الله .. اما جولة المباحثات اللي جاية بناء على المعاهدة واللى أنا طلبتها فى البند نمرة ٣ بتاع قراراتى فمى للمستقبل فى المرحلة اللي جاية هانعمل ايه فى المرحلة اللي جاية .. لكن دى قرارات انتهى أمرها يوم ١٧ ووقعوا فى ذهول وحيص بيص .. وحاجات • قلت لعزيز يا عزيز مفيش مانع روح لهم .. وقول لهم بدل ماندى فرصة لتأويلات نطلع بيان سوا قبل ما أعلن أنا يوم ١٨ فى اللجنة المركزية .. نطلع بيان سوا ونقول كلمة فيه أن بمناسبة انتهاء مهمة المستشارين والخبراء فحكومة جمهورية مصر تشكر الاتحاد السوفيتى .. شىء من هذا القبيل .. يفهم منه العالم ان العملية متفق عليها ونعطى موقفهم وأنا لغاية اللحظة دى برضه عايز أعطى موقفهم .. اللي احنا عايزين نعمله عملناه .. انتهت خلاص .. يعنى ماخناش عاجزين .. بنعمل اللي احنا عايزين نعمله .. مافيش داعى للقطع .. راح لهم عزيز ماقدروش يفهموا — بطريقة تفكيرهم رفضوا قالوا لأ دى قرارات مانقدرش نطلعها احنا الاثنين دى تصدر من جانب واحد .. خلاص .. عزيز قال لهم والله دى نهاية الكلام اللي عندى السلام عليكم • ورجع لى .. وقال لى مارضيوش • خلاص .. قلت له خلاص انتهى .. صادق بلغته قلت له يوم الأحد .. هي كانت القرارات تنفذ يوم الاثنين قلت له يوم الأحد يا صادق تعلن كبير الخبراء وفى الوقت نفسه تكون جامع القادة علشان ياخدوا

للتنفيذ صباح الاثنين .. وقلت لعزیز یا عزیز برضه ادى خبر للسفير
السوفيتى أن وزير الحربية هايكم كبير الخبراء يوم الحد بالليل ،
للتنفيذ صباح الاثنين وهايكم القادة المصريين .. الى هذا التاريخ
يظهر كانوا فاهمين انها تهويش .. ويظهر السفير السوفيتى هنا بعث
لهم وقال لهم دى عملية يظهر للضغط — والقرارات مش هتتفد ويعنى
طمنهم شويا فى موسكو .. ولما راح لهم الخبر من عزیز ان صادق
هيتكلم مع الخبراء يوم الحد بالليل وبعدها هايكم القادة .. جم هم
يوم الحد الظهر وعملوها منهم وبعثوا .. بعثوا لكم أظن فى الوحدات ..
المستشارين كلهم بلغوا القادة ان مهمتهم انتهت يوم الحد الظهر قبل
صادق ما يشوف السفير .. حتى صادق حب يغطيها يعنى .. لأن يوم
ما أنت سافرت المحلة يا محمد ..

الفريق صادق : — ايوه ..

الرئيس :

حب يغطيها .. ولكنه لقي ان المستشارين راحوا بلغوا القادة .. فضلوا
فى ذهول تام بعد ذلك .. الحقيقة أنا يعنى بصدور هذه القرارات أكملت
حسبتي .. زى ما قلت فى اللجنة المركزية لأول مرة الحقيقة فى الخمس
سنين بعد عدوان ٦٧ حسيت أنى با أنتفس بسهولة .. حقيقى يعنى ..
ليه .. الصورة عندى فى يونيو ويوليو قبل ما يجينى ردهم كانت الآتى ..
أحنا واقفين فى رمال ناعمة من اللى بتشفط .. وايدينا متكفنه ..
والمعسكرين الاثنين الكبار الروس والأمريكان الاثنين الروس يقولوا
دول خلاص فى جيينا الأمريكان يقولوا لا دول فى جيب الروس خلاص
وانتهت .. والروس ولى أمرهم ..

بالنسبة لنا احنا واقفين متكفين والرملة الناعمة تشفط فينا واحنا
مش عارفين نتحرك .. طيب صورتنا ايه بعد انتخابات أمريكا اللى جايه
.. بالوضع الى احنا فيه .. الروس هيفضلوا برضه يؤجلونى كمان على
طريقتهم لغاية أكتوبر وتيجى لأكتوبر يقولوا طيب بس يعنى الانتخابات
الأمريكية يتفقوا على صفقة زى بتاعة ٧١ اللى حصلت فى أكتوبر ..
ويقولوا هاتوصلك بعد ١٥ يوم ولا عشرين يوم ولا شهر .. ولا توصل
ولا حاجة ويستتوا الانتخابات الأمريكية وتعدى السنه برضه .. نفس
الحكاية .. مؤكد هانقف الموقف ده غرقانين فيه .. وفى نفس الوقت اللى
أحنا موقفنا كده إسرائيل تتلقى بالكامل امداد من أمريكا بتعربد فى

المنطقة .. والتعبير أنا استعملته من قبل اسرائيل ما تعربد بسنة .. وقتلته للروس قلت لهم اسرائيل هاتعربد وده غيه اهانة لنا ليه .. ليه تسمحووا بهذا .. ليه تحطوني في هذا الوضع المريع ؟ .. حتى في مارس ٧١ قلت لهم انا أفهم ان الأمريكان عايزين يعملوا لنا اذلال .. طيب انتم ليه ؟ .. ليه عايزين تذلوونا زى الأمريكان ؟ .. قالوا .. ازاي أحنا أبدا ؟ .. قلت لهم لا الواقع يقول هذا .. العدو يقدر يدخل عمقى في أى حته وأنا مابطولوش طيب ما أنا حتى الردع .. أنا ما بقلش أمحو اسرائيل .. أشيلها وأوديتها البحر أنا عارف أنكم انتم معترفين بيها والأمريكان معترفين بيها .. لكن ليه حاطينا في موقف الدفاع . انضرب . أتلقى الضربات وما أقدرش أرد عليها .. ليه ؟ .. فقلت لهم أنا الكلام ده أنا مستنيه من زمان .. وقايل لكم من سنة ان اسرائيل هاتعربد وتقول مفيش في المنطقة غيرى ولا حد ما يرفع رأسه .. وده لا نقبله ولا يقبله أحدا أبدا ..

وهكذا كانت الصورة في يوليو كده زى ما حكيت لكم صورة كئيبة .. المعسكرين .. الأمريكان خلاص .. داخلين على مراحل الانتخابات بتاعتهم .. وراحوا اتفقوا في موسكو مع الروس .. الروس على طريقتهم تخدير وتهدة و .. و .. و .. لغاية ما يعدى الصيف كله ونخش على أواخر ٧٢ ونعدى على ٧٣ .. بنفس الأسلوب اللي اتبعوه معايا في ٧١ .. في نفس الوقت أمريكا طلعت من اجتماع موسكو بتقول للعالم وبعثوا لى أنا شخصيا أنه ريج نفسك .. الحل عندنا احنا .. ده بعد اجتماع موسكو .. الدعاية الأمريكى عمالة تترن .. وبعدين الصفقة والكلام اللي احنا اتكلمناه عن الاستراتيجية السليمة توصلنا في ٣١ أكتوبر لموقف أو أرض صلبة ننطلق منها ؟ .. مفيش .. مردوش علينا خالص .. ومش جاى بحسابى انا بقى وزى ماظهرلكم وزى ماشفتكم مش جايه خالص .. ده انا مؤجل الى بعد الانتخابات والى انتهاء ٧٢ .. وده الكلام عن ٧٣ كله .. ده كمان غير انه وضح ان سياسة الحرب الباردة اللي موجودة بين الكتلتين اللي هم أمريكا وروسيا دخلوا في سياسة وفاق .. مش منافسه حتى .. ليه .. زى ما جانى من موسكو أخيرا من قلب اللجنة المركزية بتاعة الحزب الشيوعى ثبت ان الزراعة السوفيتية بعد ٥٥ سنة فاشلة مفيش حبوب من الاتحاد السوفيتى .. السنة دى واخدين حبوبهم كلها من أمريكا .. ميادين كثيرة في التكنولوجيا اتفقوا

عليها حيخدوها من الأمريكان .. صحيح هم سابقين الأمريكان في بعض
الميادين .. وطلعوا القمر زى الأمريكان وودوا لونهاود فوق في القمر ..
وغيره .. ميادين سابقين لكن فيه ميادين كثيرة اتفقوا انهم يتعاونوا
هم والأمريكان سوا لأنه زى ما قال مدير معهد في ليننجراد لوأحد كان
بيزورهم أنا أعرفه .. قالوا احنا سابقين في ميادين لكن فيه
ميادين ما فتحناش فيها خالص واتفقنا معاهم الدور ده ان احنا هناخد
الحاجة دى منهم وسياسة الوفاق دى لمدة ٢٠ أو ٢٥ سنة مقبلة .. انتهت
الحرب الباردة نهائيا بين الكتلتين .. ودخلوا في سياسة وفاق طيب والله
لو دخلوا في سياسة وفاق الصغيرين اللي زيننا احنا تحت الرجلين
هانندهس ..

كل دى كانت الصورة أمامى في يونيه ويوليو وده السبب انى اتخذت
القرارات عشان ناخذ حرية حركة كاملة .. بالنسبة ليهم .. وقد كان
مباشرة بعد قراراتى هم ولو انهم في حالة ذهول الا أنهم بيحاولوا بكل
الطرق كى يتصلوا بى وقلت انا واخذ أغسطس (قمر) عملت (قمر)
زيهم مرة .. قلت أنا في القمر ما بردش على حد وفعلا مردتش الا في
٣١ .. الأمريكان ما ضيعوش الوقت اتصلوا بى فوراً .. الانجليز
اتصلوا فوراً .. الفرنسيون اتصلوا فوراً .. الطليان اتصلوا فوراً ..
حركنا القضية .. طلعنا من الرمال اللي بتشغطنا ووقفنا على أرض سليمة
والناس كلها بتتكلم معنا .. وبيتكلموا معنا بالمفهوم السليم ان احنا
أولياء أمر نفسنا محدش ولى أمرنا .. واتحركت القضية .. يعنى لغاية
هذه اللحظة القضية بتتحرك .. سواء بالنسبة لهم هم في زيارة عزيز
صدقى الأخيرة .. سواء بالنسبة للأمريكان وطالبين يتكلموا .. وآخر
كلام للأمريكان بيعرضوا المبادرة بتاعتى بس بوجه آخر عايزين يعملوها
حل جزئى .. لكن اذا كان ده اللي بيبتدوا بيه كويس .. كابتداء أنا
مستعد اتكلم معاهم ولكن بالشروط اللي انتم عارفينها وبالأوضاع بتاعتنا
.. مش مستعد اتنازل عن حاجة .. الانجليز حسنوا موقفهم وحاولوا
وعمالين بيشوفوا الأسلوب اللي بيستطيعوا بيه يعاونونا ازاي .. ولسه
الاسبوع الماضى كان عندى ناس من عندهم وفي الصيف .. وفي
أغسطس بالذات بعث لى هيث رسالة وبعث مع الرسالة وكيل وزارة
الانتاج الحربى بتاعه عشان يناقش معايا المواضيع كلها .. الدنيا
اتحركت .. القضية مشيت .. جه برجنيف في ٣١ يوليو بعث لى رسالة

تجاهلتها تمام التجاهل • لأنه يعنى اذا كنت عايز اقطع معاهم كان ممكن احطها محل نقاش وأقطع لأنها تساوى انى اقطعها •• انما اعتبرت انهم لسه بيفكروا بعقلية ما قبل ٨ يوليو وعلى ذلك قلت لأ •• انا بتجاهل دى ما بردش عليها خالص •• وجيت فى ٣١ أغسطس بيعت بعدها بشهر كامل زى ما هو عمل شهر بالضبط جيت فى ٣١ أغسطس وبعث له رد •• بيعت له جواب شخصى منى لبرجنيف شخصيا •• ومن عشر نقط حظيت له فيه الموقف كاملا وراعت فيه ان ده يبقى وثيقة للمستقبل •• بنحط كل شىء بوضوح ومن غير لا عصبية ولا حاجة ابدا •• يعنى •• يعنى قد كده يظهر كان الخطاب عنيف عليهم •• أنه ما قدروش يردوا عليه أبدا • واشتكوا لحافظ الأسد •• واشتكوا لكل الناس اللى راحوا لهم ان ده ما يقردهش عليه الجواب فى الحقيقة •• بعد ذلك زى ما قلت لكم يعنى أنا لغاية ما بلغتهم بالقرارات فى ٨ يوليو •• وبعث لهم عزيز صدقى عشان نعطى العملية وانا عايز اغطيهم برضه •• ووقفه مع صديق •• فعلا وقفه مش أكثر •• الا اذا هم حبوا يقطعوا •• اما جات لى الرسالة اللى قلت لكم عليها فى ٣١ يوليو اهملتها على أساس انه أنا مش عايز اقطع •• لأن دى رسالة ممكن يعنى اذا كنت عايز اقطع اتخذ منها سبيل • مجرد ان اعلنها بس وأقول جات لى الرسالة دى كافية ان نقطع وننتهى •• المهم تجاهلتها وبعث رسالتى فى ٣١ أغسطس رسالة شخصية منى لبرجنيف •• وقلت له انت راجل مشاعرك كويسه وعشان كده انا ببعث لك انت شخصيا هذه الرسالة عشان تعمل على وقف هذا الكلام كله •• وأدى عشر نقط وضحت له فيها بمنتهى الهدوء والشرح والبساطة •• وضحت له الموقف كاملا •• مش ممكن نتراجع عن الرسالة •• فلبأوا لحافظ الأسد •• عشان يخش فى النص • جانى حافظ الأسد •• طلب انه يجى •• يوم قالوا لى إشارة جاية من موسكو ان الأسد ها يوصل والاشارة جاية من موسكو •• حتى لما حافظ اسماعيل بلغنى فى بيتى •• انا ما كنتش اعرف أنه فى موسكو •• ولا قلش حافظ الاسد •• انذ افكرت ان الرسالة جاية عن طريق موسكو لأنى فى مرة حاولت اتكلم بالتليفون مع سوريا ما أمكنش الا عن طريق موسكو •• فكانت الخطوط مش تمام وعن طريق موسكو اتكلمت •• انا افكرت ان الاشارة جاية عن طريق موسكو وحافظ جاى من سوريا •• فحافظ اسماعيل قال لى لأ •• ده الرئيس حافظ بيعت الاشارة وهو فى موسكو فى زيارة خاصة غير معلنه •• وجاى هنا على طول بكره الصبح •• قلت له مفيش مانع

يعنى .. وجه الراجل وحكى لى القصة .. وانا رسالة ٣١ أغسطس اللى
قلت لكم عليها انى بعثتها لبريجنيف تانى يوم أو ثالث يوم كنت باعت صورتها
لحافظ الأسد .. فحافظ على علم بالعملية كلها وماشى يتابع الموقف ..
وحافظ له ظرف بيدولوا معونات ومساعدات ورحلته الأخيرة خد فيها
٧٠٠ مليون دولار وكذا .. يعنى له ظروف .. وانا حتى لما كلمنى
هنا لأنه جانى بعد عملية أكتوبر يوم ٩ بعد انا ما اديت قراراتى لهم يوم
٨ فجانى وقال لى طيب موقفى هيكون ايه ؟ .. قلت له ولا حاجة انت
بتاخذ منهم ٧٠٠ مليون دولار وواقفين وياك وماله .. مافيهاش حاجة
يعنى .. استمر فى علاقتك معاهم ولكن .. قلت له خد بالك من لعبة
سوريا العراق كبديل لمصر يعنى .. مش هاتنفع قلت له حتى يعنى اذا
تمت مش هاتنفع بديل لمصر .. فقال لنا .. بالنسبة لى مش ممكن
هايحصل محور ومش ممكن هاعمل معاهدة معاهم اطلاقا .. قال انا رفضت
هذا الكلام .. احنا هاجمنا معاهدة العراق وجم يطلبوا منى معاهدة بعد
ذلك انا رفضت بالكامل وده موقفى الأساسى مبدئى لنا .. وما لم
يتفاهموا هنا مع مصر انا مش مستعد يعنى اخش معاهم فى أى حاجة ..
وسافر على هذا الأساس وكان بيتابع الموقف .. يظهر أنهم لقوا ان الحل
الوحيد يوسطوا حافظ الأسد اتفقوا معاه على الزيارة .. وهو قال
لى ان المبادرة جات منه هو شخصيا .. وان هوو اللى طلب يسافر
موسكو .. المهم راح واتفقوا وجالى وحددوا ١٦ للعرض على أنا ..
وجالى واتكلم معايا قلت ما عنديش مانع .. لأنه أصله يوم أنا ما عملت
قرارات ٨ يوليو .. بناء على المعاهدة اللى موجودة بيننا بيحصل تفاهم
ومفاوضات على المرحلة اللى جايه .. انا معنديش مانع أبدا .. قلت
له بس أوعه يكون عندهم شبهه .. سألت حافظ الأسد .. قلت له اوعى
يكون عندهم شبهه بالنسبة للقرارات أو بالنسبة للمستشارين والخبراء
قال لى لا .. لا .. اطلاقا .. ده انتة حتى لو طلبت خبراء ومستشارين
ها يقولوا لك لا .. كفاية اللى فات انما هو الكلام بالنسبة للمرحلة اللى
جايه .. قلت له لا معنديش مانع اطلاقا يعنى .. ده موجود فى البند
نمرة ٣ وأنا معنديش مانع أبدا واتفقت مع عزيز على الكلام ده كله ..
واتفقت مع عزيز صدقى وقلت لعزيز تروح الدور ده مانيش عايز كلام
لا فى سلاح ولا غيره احنا بنتكلم فى مبادئ .. هل انتم مستعدين نتقفوا
معانا وتعادلوا اللى بتاخذة اسرائيل .. بالنسبة لنا والا لا .. ده نمرة

واحد .. نمرة اثنين هل انتم على التحليل اللي عملناه في ابريل اللي فات لازلت معانا في أنه ما لم نكون على أرض صلبة يعنى نكون جاهزين عسكريا .. مش ها يحصل أى تطور سياسى والا لأ .. فراح عزيز .. واتكلم وياهم دخلوا في مناقشات عنيفه .. فالسؤال الملح اللي كانوا بييسألوه .. ليه الشكل (form) اللي تمت بيه العملية .. العملية في ذاتها أمر يخصصنا .. سيادتكم وانتم احرار تتخذوا القرارات اللي انتم عايزنها .. لكن الشكل (form) الاخراج اللي اخرجت بيه ليه .. فرد عليهم عزيز قال لهم .. طيب ويعنى والشكل الى انتم عملتوه لما بيعت لكم وتوكلوه وتسيبوه شهر وهو قاعد يحسب باليوم وبعدين حتى الرد بعد شهر ما يذكرش فيه شىء عن الرسالة اللي بعثها لكم .. والنقط اللي طلبها وانتم بتكلموه في الموقف .. هل ده (form) كمان يعنى .. فمردوش في هذه النقط يعنى .. هو ده اللي مزعلهم كله (form) هم حريصين اشد الحرص .. زى ما قال لى حافظ الاسد .. أن يحافظوا على علاقتهم بمصر لأنه .. ثبت لهم أنه ضياع مصر مش مصر بس .. ضياع مصر معناها المنطقة كلها ولا بديل لمصر .. لا سوريا والعراق .. حتى لو تمت المعاهدة .. و .. و .. ولا أى شىء تانى ممكن يكون بديل .. وخصوصا وأنه حصل حاجة عمرهم ما حسبوها أبدا .. لأول مرة في التاريخ من أيام القياصرة تحصل روسيا على اعتراف من أمريكا في اجتماع عشرين مايو بوجودها ومصالحها في الشرق الأوسط .. بدل ما كانت سياسة الاحتواء والحصار لحلف جنوب شرق آسيا والاطلنطى .. الرابطة اللي عملها دالاس زمان عشان يكتف الاتحاد السوفيتى لأ .. نيكسون وهو هناك رسميا .. الكلام ده رسمى مش تكهنات اعترف للاتحاد السوفيتى بوجود مصالح له في منطقة الشرق الأوسط .. واتفقوا أكثر .. انه كل منهم يحترم وجود الآخر .. طيب .. الحلم ما تمش الا في اليومين دول وخذوا هذا .. أقوم أنا آجى اروح قايل لهم لأ لا وجود ولا مصالح لكم في الشرق الأوسط .. فدى تعبهم جدا .. بس مش قادرين يتكلموها .. مش قادرين يقولوها .. من هنا حرصهم الشديد على الرد أو على ابقاء العلاقات مع مصر .. وقالوا لعزيز بصراحه سياستنا لم تتغير .. سياستنا هي المساندة الكاملة لمصر .. القرارات لم تغير من موقفنا بالنسبة لمصر .. احنا حريصين على مصر .. كل هذه التأكيدات قالوها وسجلوها على أنفسهم .. وبالأسلوب الجديد اللي احنا علوزينه .. وهو انه زى ما قلت لكم أنا كان دائما في الأربع مرات اللي

قلت لكم غيهم وزى ما اعلنت فى اللجنة المركزية واعلنت فى كل مكان انه فى الأربع مرات الى رحت غيهم كنت زى ما بقول لكم فيه مبدأين .. ارجوا ان احنا ما ننساهمش .. أنا مش عايز عسكرى سوفيتى نمرة ١ يحارب لى فى معركتى ولن يحاربها غير العسكرى المصرى بتاعى .. الحاجة الثانية احنا لا نسعى لمواجهة بين الكتلتين لأن اللى يسعى الى هذا مجنون بلا شك .. مش عايزين مواجهة بينهم وبين الأمريكان .. فعلى أساس المبدأين دول .. علاقاتنا قائمة .. همه ما كانتش الصورة واضحة فى ذهنهم شوية .. واحنا من جانبنا كان حصل أنه خيلناهم تجاوزوا الحد اثنى لازم يقفوا عنده .. نتيجة الفترة السابقة ما بعد ٦٧ .. ونتيجة التصرفات أو الفهم اللى كان موجود فى ذلك الوقت الحقيقة من ناحية القوات المسلحة انها محتاجة لخبراء ومستشارين ومعاونة وكذا وكذا .. وحجم الهزيمة وحجم النكسة .. كل هذه كانت عوامل هى اللى ادت الى تواجد الخبراء والمستشارين لغاية المستويات اللى تواجدوا فيها .. وبعد ذلك حدث تجاوز أيضا فى مهمة المستشارين والخبراء وكان التجاوز بيتتم حته بحته .. على فترات طويلة الى ان وصلنا للوضع اللى احنا فيه .. النهارده خلاص .. خالصنا من الكلام ده كله .. وهم داخلى المرحلة اللى جايه معنا وواضح تماما لأن عزيز كان حريص فى المحضر .. وانا قرأت المحضر كله بالكامل .. كان حريص ان يقول لهم فضونا بقة من الكلام فى اليمين واليسار .. وكل حاجة نعملها تقولوا اليمين واليسار وتقدمية ورجعية .. واستعمار .. والحاجات دى احنا عندنا معركة وتحرير أرض بس .. معندناش لا يمين ولا يسار ولا أى حد خالص اطلاقا .. ولا فى داعى .. واحنا كده بوضعنا اشتراكيين مش عشان خاطرهم احنا اشتراكييتنا عملناها لأن ده لصالح بلادنا ولصالح شعبنا وحل حتمى لظروفنا اللى احنا فيها .. كنا بنحارب الاستعمار من قبل ما نعرفكم يوم ما قامت ثورة ٢٣ يوليو فى ٥٢ .. كنا بنحارب الاستعمار من قبل ما يكون لنا صلة بالاتحاد السوفيتى .. يوم ما ضربنا حلف بغداد ٥٤ ، ٥٥ كنا لسه ما عملناش صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتى ولا دخلنا فى تعامل ولا نعرفه ولا يعرفنا .. وهدينا حلف بغداد .. شرح لهم كل هذا الكلام وقال لهم لا احنا مستعدين للكلام فى اشتراكييتنا ولا كلام فى وضعنا ولا نظامنا ولا حاجة .. عايزين تساعدونا على كده أصدقاء أهلا وسهلا .. مش عايزين انتم احرار .. معاكم واصدقاء .. و .. و .. وفى تقديرى انا ان النقطتين الايجابيتين اللى طلوعوا من

زيارة عزيز همه النقطتين الأثنتين النقطة الأولى هي : الاتحاد السوفيتي دخلناه الفورمة والقلب اللي احنا عايزينه • وهو انه تعاون أصدقاء على قدم المساواة • اللي بيعجبنا بنقول آه • واللي ما بيعجبناش بنقول له • لأ • وعملية الاوضاع السابقة الى كانت موجودة بالنسبة لقواتنا المسلحة أو بالنسبة حتى للداخل هنا كل ده انتهى بالقرارات بتاعة ٨ يوليو والى غير رجعة • وفهم الاتحاد السوفيتي هذا • وسعيد ان احنا بنقبل انه يخش معنا على أساس من هذا الفهم للمرحلة دي • دي النقطة الايجابية الأولى • الحقيقة • النقطة الايجابية الثانية انه عشان يثبت انه فعلا متجاوب دخل في تعاقدات في المرحلة اللي جايه بناء على هذا الكلام • بقى انا قلت لعزيز أنه لاثبات حسن النية اذا كان صحيح حريصين انهم يثبتوا حسن النية للمرحلة اللي جايه • احنا ما بنتكلمش عن القديم لأنه زى ما قلت لكم عزيز ما كانش رايح عشان يناقش القديم أبدا • حتى ابتدى جلسة المفاوضات معاهم قال لهم مفيش داعى نتكلم على القديم • نتكلم عن المرحلة الجديدة • نشوف هاتمر على ايه • فقلت انه لاثبات حسن النية والله الكلام اللي طلبناه قبل كده وبالحاح ولا جاشى رد عليه عايزين رد عليه • اذا كان صحيح يثبت انكم ناس عايزين تتعاونوا معنا بالنسبة للمرحلة اللي جايه • فبالتحديد الميج (••••) اللي هي القاذفة يعنى •• و •• وسرعة التوريد والتدريب هنا في مصر لأن خلاص مش مستعد تانى اخش في عمليات مجهلة بالنسبة للتدريب هناك اتأخر •• فحلفوا اغلظ الايمان أنه الطياره لسه فيها اخطاء وكذا •• ولسه ما هيش جاهزة •• و •• وسيبدأ الانتاج في مايو اللي جاي •• وانهم في الربع الثالث من ٧٣ الربع الأخير مش الثالث •• مش كده •

عضو - الثالث ••

الرئيس :

الثالث •• يعنى سبتمبر •• الربع الثالث من ٧٣ بيدوا سرب وسرب وأنا كنت قايل لمبارك •• فمبارك معطاشى كلمة عن حاجة •• لأنه قال لهم

ابعتوا الى المواصفات بتاعتها قبل ما نتكلم فى أى حاجة فيها .. لازم تيجى المواصفات كاملة ونشوف الطائرة وكان هذا موقف حافظ الاسد لأنهم عرضوها عليه وحافظ برضه تراجع الحقيقة ما استعجلش فى هذا الكلام معاهم على أساس أنه قال لهم لازم اشفوها الأول .. لأنه هو طيار حافظ .. قال لهم نشوفها الأول لأننا مش مستعدين نخش فى حاجة لسه ماشفناهاش .. فى الربع الثالث سرب قام عزيز قال لهم طيب سربين .. قالوا طيب يعنى ده أول كلام بس لأنهم كانوا بيتكلموا من الورقة زى العادة المكتوبة فى المكتب السياسى .. يعنى سرب من سربين الحكاية مش مشكلة .. انما التحديد .. الربع الثالث .. من ٧٣ على ان الطيارين يسافروا فى مايو ٧٢ عشان يخلصوا تدريب ويجيبوا الطائرات ويجوا .. ليه لأن التدريب فى مصر زى ما طلب عزيز قالوا له مستحيل لأن مفيش ميادين تدريب ولا فيش تجهيزات تدريب ولا حاجة لازم فى الاتحاد السوفيتى .. ومايو بالذات ليه لأنه طائرة التدريب مش هاتكون جاهزة عندهم قبل مايو .. نفى مايو يقوم الطيارين بتوعنا يتدربوا هناك ويجيبوا الطائرات ويجوا .. حاجة تانية قالوها .. احنا كنا وعدنا بصاروخ (أرض - أرض) وكنا قلنا ان الصاروخ الأرض - أرض بنعمل عليه تجارب .. والتجارب دى خدت وقت .. التجارب خلصت ونجحت واحنا جاهزين وفى أوائل سنة ٧٣ هانخطركم بمواعيد استلام صاروخ (أرض - أرض) .. طيب .. نلاحظ هنا بقى ايه .. زى ما قلت لكم النقطتين الايجابيتين فى الزيارة كانت نمره ١ دخل الاتحاد السوفيتى الفورمه اللى احنا عايزينها بالكامل بالشروط اللى احنا عايزينها .. النقطة الثانية دخل فى تعاقد جديد .. ما بيهمنيش التواريخ دى كلها لأن ما عولتس كثير عليها .. انا بيهمنى بس الشكل انه قبل ان يدخل فى تعهد جديد اثباتا لحسن نيته انه عايز يتعاون معانا .. ليه لأن انا كنت محدد ٣١ أكتوبر فى رسالتى لبريجنيف اللى راحت فى ٣١ أغسطس قلت له .. بالتحديد وبالنص .. قلت له فى ٣١ أكتوبر موقف فاصل بيننا .. فهل بيتفادى هذا الموقف الفاصل عشان .. لأن كانوا فاهمين هم كويس ان المعاهدة والتسهيلات وكل ما هو باقى لهم .. يعنى لا هانخش فى سياسة القطع .. هايبقى المعاهدة والتسهيلات تخلص وينتهى وخلاص .. فهم مش عايزين هذا .. اللى بيهمنى بقول الشكل أنه دخل فى تعهد جديد لكن المضمون وهى التواريخ .. طبيعى

الأمر ببساطة كده لما نحله .. نلاقى انهم برضه بياخد الاسراع في ايديه مرة أخرى .. أنه لسه في أول ٧٣ يقولك امتى هايديك الصاروخ ويمكن يقولك على الربع الثالث أو الرابع ولو أنه بيقول ان الصاروخ خلص مابيقولوش ان الطائرة خلصت .. بيقول ان الصاروخ انتهى خلاص وكامل وجاهز .. اما مواعيد التوريد اديها لكم في أول .. برضه بيحتفظ في ايده بالاسراع سواء بالنسبة للصاروخ أو بالنسبة للطيارة .. وأنا ما كنتش باعت عزيز علشان يتفق لى على سرب أو سربين مش دى النقطة الجوهرية .. النقطة الجوهرية اللى هى محل نقاش بينى وبينهم هتكون في المرحلة اللى جايه .. قبل اجتماعى ببرجنيف هتكون انه أنا ما بعنث عزيز علشان سرب أو سربين .. كويس انك تعهدت بسرب أو سربين كويس .. انا ما أرفضشى هذا .. وهى مش مشكلة يعنى .. لكن لا التاريخ يناسبنى ولا هو ده اللى بطلبه .. دنا عايز اعرف هل انت مستعد لتقف معايا وتخلينى .. كل سلاح بيحى عند اللى قدامى بيجبلى زيه .. مثلا الصاروخ بتاع الطيارات اللى هو (شرايك) .. جه الشرايك .. بكره الصبح فوجئت بسلاح جديد .. هل انت جاهز انك تقف معايا وكل ما تيجى حاجه قدامى جديدة بتقف معايا فيها وتعوضنى أو نوجد لها حل ولا لأ .. بس هو ده الأساس اللى انا عايز اتكلم معاهم فيه .. انما انا بأعتبر ان زيارة عزيز نجحت للنقطتين الاجابيتين دول .. ولشئ أساسى متفرع عن النقطتين الاجابيتين .. انه الـ (flow) الامداد .. معدش مقطوع لأن انا كنت بأجهز نفسى على ٣١ أكتوبر ان أواجه بظرف ان الامداد الـ (flow) العادى بتاع القوات المسلحة العادى يقف .. ليه نتيجة المقاطعة .. نتيجة للنقطتين الاجابيتين .. انا بأعتبر الشئ الأساسى اللى انا حصلت عليه هو الـ (flow) العادى بتاعكم ماشى وماشى بقه بطريقة غير بتاعة زمان اظن انتم لمستوها هناك يا مبارك ..

قائد القوات الجوية : أيوه ..

الرئيس : ماشى غير طريقة زمان .. لأنه دلوقتى خايف جدا انه يتعهد بشئ ومايبعتوشى في وقته أقوم أعلنها أنا زى ما حصل وكشفت الموقف .. ومقدروش لغاية النهاردة ينفوها أمام العالم ولا أمام أى حد .. لأن الوعود والتعهدات كلها التى أعطوها لى ..

هم ان كان بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين معاهم .. لم تنفذ ..
آدى نتيجة زيارة عزيز .. نيجى بقة للموقف النهاردة اللى أنا جامعكم
علشانہ .. وأنا اتكلمت ويا صادق .. وكلامى مع الفريق صادق كان انه
ما أقدرشى أخش أبدا الجولة التالية اللى هى المضادة بعد الانتخابات
الأمريكية .. ما أقدرشى أخش أبدا الجولة اللى جايه واحنا فى الموقف
اللى احنا فيه .. بدون تحريك الموقف عسكريا ..

طيب ليه ؟ .. ببساطة وأنا داخل الجولة التالية لازم أكسبها .. ليه
السر فى أمريكا فعلا روجرز راح للزيات وزير خارجيتنا وهو هناك ..
وقعد معاه .. وكاد يرتقى فى أحضانہ .. انه موافق على كلام السادات
احنا مابنقولشى حاجة .. كلامه مهتمين بيه جدا .. وكل ما قاله بتننفذه
بالحرف .. يبقى ايه اعتراضكم بقى .. لكن ده مجرد كلام زى ما حكيت
لكم المبادرة .. أمريكا بتلويها علشان بتعمل منها حل جزئى .. مش
زى ما أنا ما قلتها .. أنا بأقول المبادرة لما عرضتها .. وبأقولها
وقلتها وتمسك بيها .. انه انسحاب مرحلة أولى — ٦ أشهر ايقاف
اطلاق نار رسمى يعلن من جانبنا .. عبور قواتنا بلا قيد ولا شرط ..
فى نهاية ٦ أشهر .. اذا لم يتم الحل النهائى يبقى على قواتنا ان تكمل
واجبها لتحرير الأرض واحنا لا يبقى لنا أى وقف اطلاق نار .. وكمان
القناة تتفتح .. والكلام ده كله .. يبقى الكلام بتاعنا ..

كلام أمريكا ايه النهارده اللى ابتدأت بيه ؟ .. كلام أمريكا .. المبادرة
احنا جهزناها .. فتح قناة السويس .. عبور قواتكم .. واسرائيل
جاهزة لعبور قواتكم .. بس ييجى بقة يقول ايه ؟ .. وقف اطلاق النار
وتحديده .. طيب ما دام حنخش فى جو السلام .. والاسرائيليين
داخلين مسافة كبيرة جوه سيناء — وده الاغراء — وحتفتحوا قناة
السويس .. طيب ما يعنى نخلى العملية بتاعة الحل النهائى لمفاوضات
فى المرحلة الثانية .. اللى هى ممكن تقعه سنين و ١٠ سنين و ١٥ سنة
و ٢٠ سنة .. ونبقى فقدنا فلسطين وفتحنا قناة السويس وراحت
القضية على طول .. يقلبوا المبادرة علشان يعملوها حل جزئى ..
والكلام ده حيلاقى اذن صاغية فى أوروبا الغربية .. ليه ؟ .. لما
يقولوا لأوروبا الغربية .. فتح قناة السويس .. وعبور القوات

المصرية .. أوروبا الغربية حتقول انت مش موافق ليه .. ولو عبرنا فعلا وفتحنا قناة السويس فعلا .. ووقفنا في نص سيناء فعلا .. يبقى انتهى نص سيناء التانى .. والقضية ماتت .. وفي الراى العام العالمى خلاص فقدت أهميتها نهائى .. وتيجى تتكلم .. يقولوا لك انت بتتكلم في ايه ؟ ما أنتم خلاص ابتديتم في العملية مع بعض . خلاص . يعنى مشوا خلاص وتفقده أهميتها .. ده التحايل الجديد اللى داخله بيه أمريكا وده اللى أنا تنبأت به في أغسطس الماضى حتى حافظ وهو عندى : قلت له يا حافظ الأمريكان حثيروا المبادرة بتاعتى بعد التطورات الأخيرة . نكون صاحيين وجاهزين لهذا الكلام . لأنهم عايزين يقلبوها .. أنا الحقيقة في أغسطس اتكلمت مع الفريق صادق وقلت له ما أقدرش أخش في نوفمبر اللى جاى الجولة التالية اللى بيتقال عنها ديه . يعنى نكون واضحين مع نفسنا .. ونكون صرحاء مع نفسنا .. مافيش حاجة اسمها حل .. ده احنا بس علشان عايزين نكسب وقت نستنى لما تيجى الفرصة . وكمان عايزين ضغط عالمى .

ولكن من بكره من بعده من النهاردة في كل وقت .. مافيش حاجة اسمها حل سلمى والحل السلمى معناه .. الاستسلام على طول . ليه .. لأن الشئ المؤسف اللى لازم تعرفوه انه بعد سياسة الوفاق اللى تمت وانتهت ومعروفة في العالم .. انتهاء الحرب الباردة وسياسة الوفاق بين الكتلتين مين اللى في ايده مفتاح القضية ؟ الكتلتين .. أمريكا هي اللى بتدى اسرائيل كل حاجة .. وهي اللى متعهدة بكل بشئ .. وهي اللى واقفة .. وهي اللى تحتل .. وهي اللى بتحل .. الاتحاد السوفيتى لا دور له في هذه العملية .. عملية اجتماع موسكو اللى حصل في ٢٠ مايو .. المصيبة كبيرة .. ان الحلول اللى هاتيجى من أمريكا بعد الوفاق حتكون بمباركة الاتحاد السوفيتى . ويستنى لما نقبل احنا .. وعلى ذلك أنا قلت للفريق صادق في أغسطس الماضى .. القرارات ما تكملش الا بأننا في الجولة اللى جاية بعد الانتخابات الأمريكية .. ماندخلش أبدا من موقف السكون اللى احنا فيه ده لأنه موقف الضعف . لابد أن تتحرك القضية عسكريا .. الصورة ايه ؟ بما نستطيع .. بما نمك بالمناورة اللى نستطيع نعملها بما لدينا . أنا قلت هذا الكلام وأنا في يقينى التام في ذلك الوقت ان الاتحاد السوفيتى أنا هأقطع معاه في ٣١ أكتوبر .. وما كنتش متصور انه حيلقظ ويفهم

أن مصر معناها المنطقة مش مصر لوحدها • لكن لقط وفهم •• ووفر
على أو على الأقل حظ نفسه في الوضع اللي أستطيع أنا النهاردة ان
أبلغه فيه أكثر ما بلغته في المرة اللي فاتت • انه ما يقدرش يقطع الامداد
عنى •• دلوقت فيه تعهد جديد •• وداخل في تعهد جديد غير (flow)
العادى بتاعنا • برغم انى أنا ماكتتش متوقع هذا من الاتحاد السوفيتى
وأنا بأتكلم مع الفريق صادق في نقطة البدء الا أن كماله القرارات •
طيب عملت أنا القرارات وخلصنا من المستشارين والخبراء •• وأخذنا
حريتنا في كل شىء وأنتهى و •• و •• لكن ماذا بعد •• وضعنا اللي
أحنا فيه • طب ما هو أمريكا حتعرض عليك المبادرة •• زى ما حكيت
لكم كده بالشروط اللي هيه بتقولها دى •• وتلاقى اذن صاغية في العالم •
نقطة ضعف • ازاي ما أنتوش قابلين والعالم يقول واضح ان القوات
عبرت • واضح ما بتقبلش ليه •• والعملية مفاوضات •• ومناقشات
بينكم بقه •• و •• والكلام ده كله •• وبعدين طيب ما أقدرتش ••
طيب نحى مهمة يارنج •• طب ٧٣ فاتت •• ٧٤ تقوت •• المهم ان كل
هذا سيتم لأنى أنا ماحركتش شىء •• وقاعد • طيب وهو يتحرك ليه ••
الأمريكان والاسرائيل ياخدوا في بالهم • طيب خلاص ما قبلتش عنك
ما قبلت • خلاص •• أهى تفضل رايحة جاية في كلام •• والاتحاد
السوفيتى اللي هو واقف معنا •• موقف الصديق زى ما قلتكم يهमे
جدا ان هذه القضية تنتهى بحل سلمى •• لأن دى استراتيجيته لكن
يس ما عندوش الشجاعة علشان يقولها • حتى ولو بتنازلات من جانبنا
•• ليه •• لأنه والله بدل وجع الراس •• لأنه ما يعرفش حنورطه في
ايه على حسب تفكيرهم • وهو عمل سياسة وفاق الاخلاص ده في فيتنام
اتفق •• في الأمن الأوربى اتفق •• في الأسلحة الاستراتيجية اتفق ••
في كل شىء اتفق •• وعمل سياسة وفاق •• وحبوب أخذ •• واستثمارات
لسيريا أخذ كله خلاص • ورتب نفسه لعشرين سنة جايه مع أمريكا
•• طيب وجع الراس بيحى له مننا ليه • أدى خطورة المرحلة دى اللي
أحنا داخلين فيها •

من هنا زى ما قلت لكم •• في تصورى الكامل •• والأحداث تثبت
هذا الكلام •• كماله هذا ان احنا مانخشش الجولة الثانية اللي جاية
من موقف السكون اللي احنا فيه • ماخشش هذا الأمر أنا بأعرضه
أو بأقوله علشان أخذ رأيكم فيه • ده أمر حتمى لمصير هذا البلد خلاص

•• ماعدش أمامنا فكاك — وادى أنتم شايقين النهاردة •• العربدة اللي بتعملها إسرائيل فى المنطقة •• بهدف حملة نفسية شرسة علشان تقول إياسوا يا عرب لا فائدة منكم فى شىء نحن متفوقون الى الأبد •• ونستطيع أن نضرب أينما نشاء •• وقتما نشاء •• ولا تستطيعوا أن تعملوا شىء لنا أبدا •• واحنا قاعدين كأن إسرائيل دى طلسم أمامنا •• ومافيش حركة أبدا •• وإذا قبلنا هذا الوضع يبقى ما فيش ما يدعو للتكاليف اللي احنا بنتكدها ونختصر الطريق •• ويعنى نلم نفسنا ونقبل حل أمريكى •• ومبادرة •• وبحل مقلوب وحل معوج ونروح نمر مدن القناة •• ونفتح القناة ونخش سيناء وتعبر قواتنا وندخل زى ما بعض السياسيين العرب ما بيدجلوا • أنا لا ألجأ لهذا الأسلوب •

ان جيتوا للصراحة •• نحن اليوم أمام امتحان كقوات مسلحة •• فى الفترة الماضية أنا عملت كل ما أستطيع •• صبرت على الاتحاد السوفيتى بالكامل •• وغطيت موقفهم • وفى يناير وفبراير ومارس من ٧٢ اللي احنا فيها دى النهارده لما كانت البلد كلها •• المنطقة كلها قائمة — كنت أنا واقف فى ١٤ مايو فى البرلمان تذكروا •• ١٤ مايو وبأدافع عن الاتحاد السوفيتى بشراسة •• وكنت مستعد أخش معركة كمان مع اللي عايز يخش علشان أعطيه أملا فى أن احنا كنا عاملين استراتيجية اللي حكيت لكم عنها بتاعة ٥ أشهر • وحنيجى ونجهز نفسنا ونقف •

ده ما حصلش • وضع تانى •• قلت له لا •• زى ما دافعت عنه بشراسة •• ووقفت معاه لآخر الشوط • قلت له قف مكانك مهما كان • الموقف مع الأمريكان • خدت ٧١ كلها • شفت روجرز قابله هنا وانتقال عليه من المتأمرين أنى بأبيع القضية وبأبيع البلد للأمريكان •• ماهيش مشكلة يعنى •• الهدف كله هو المصلحة •• مصلحة هذا البلد قبل كل شىء مجردة من أى حاجة • وأنا عملت مع الأمريكان كل ما يمكن عمله • وقدمت المبادرة بتاعتى وأنا كنت مخلصا فيها • هم يتصلون بى الآن •• قلت لهم أنا معتمد على حاجة اسمها سياسة الباب المفتوح •• اللي عنده حاجة يفضل •• لو كان عند الروس حاجة بييجوا •• الأمريكان عندهم حاجة تعالوا قولوا لى •• الأنجليز عندكم حاجة اتفضلوا قولوا • وأنا أول ما ألقى أنه ممكن بالنسبة لى وبلدنا ولشرفنا بأقبله • اللي ما هوش

مناسب ما بأقبلوش .. فأنا معتمد على سياسة الباب المفتوح .. لكن تذكروا في هذه القاعة .. وفي القيادة في كوبرى القبة لما كنت بقعد معاكم .. تذكروا كويس أنى أنا كنت كل مرة بأجتمع فيها مع القادة السوفيت بأقرأ في عينهم تساؤل ؟ بيقلوا أمتى حتاربوا .. أمتى حتبقوا رجالة بس مش قادرين يقولوا لى • الدور ده قالوا بصراحة لعزيز صدقى • عزيز صدقى سأل سؤال لكسيجين وبودجورنى فى الجلسة أمام الوفدين .. فى المناقشة وهى محتدمة .. طيب لو فيه حته عندكم محتلة زى سينا ما هى عندنا محتلة تعملوا ايه ؟ .. قالوا نحارب ولو بالبندقية • هو عايز يقول أكثر من هذا • لأنى أنا عارف الكلام اللى بودجورنى شتمنا بيه كعسكريين فى تركيا نتيجة الهزيمة بتاعة ه يونية بأبعادها المؤلة اللى احنا كلنا عارفينها كعسكريين ماهياش تايهة عنا •

النتيجة ان العسكريين شرقا وغربا صديقنا وعدونا الاثنين لا ثقة لهم فينا ان احنا نقدر نتحرك .. أو نعمل عمل اطلاقا .. أو نتقبل توضحيات .. أو نناضل علشان نحرر أرضنا .. وناخذ حقنا • علشان كده بأقول لكم مافيش حاجة اسمها حل سلمى الا اذا كنا عايزين نستسلم .. كل العروض اللى جاية مبنية من منطق واحد .. هو انك خلاص ألقيت السلاح .. وعليه فاستعد أنك تقبل أى حاجة • لأنك ألقيت السلاح ومافيش معركة ثانية • هذه الحقيقة عند الاثنين عند الامريكان وغرب أوروبا كله .. وعند أصدقاءنا الروس .. عبر عنها الروس وقالوا : — العرب مافيش فائدة منهم .. مهما أديتهم سلاح مش حيحاربوا دول مش بتوع حرب .. وقالوا ما هو أكثر من هذا فينا وده يمكن من الأسباب التى خلتنى عجلت الآن ..

لعلمكم برضه كان لا يمكن نبتدى نعمل أى حاجة والمستشارين السوفيت السوفيت فى وسطنا .. فى وسط قواتنا .. أبدا ده مستحيل .. ده كان مبدأ أساسى عندى •

من ضمن الحاجات اللى خلتنى الحقيقة أتخذت قرارى وأنا سعيد .. أن معركتنا نعملها احنا • ونتقبل كل ما هو مقدر علينا .. لأن هذه هى الحقيقة والفشل والنجاح علينا احنا مش على حد تانى اطلاقا • يعنى

نحط الأوضاع السلمية في محلها .. ونقف في الخندق السليم بتاعنا
احنا بنحارب معركتنا .. بس ..

النهاردة زى ما قلت لكم .. نتيجة هذا .. نتيجة الموقف اللي احنا
وصلنا اليه .. اسرائيل تعربد في المنطقة كما تشاء .. وبلا أى رادع
من أى جهة كانت .. النهاردة اعتدت على لبنان وبتكسر حاجز الصوت
فوق المدن اللبنانية كلها .. بتكسر لهم القزاز .. قبلها كانت في سوريا ..
منتهى الوقاحة .. برضه الروس سألوا الأسد وهو عندهم ؟ طب لما
ضربوك اليهود في ٧ أماكن في سوريا .. مصر لماذا لم ترد ؟ الأسد قال
لهم حترد فين ؟ توصل لعمق اسرائيل ازاي ؟ هو أنتم اديتوهم اللي
يوصلوا بيه عمق اسرائيل والناس أتأخروا ؟ يعنى اتضح لى أننا نوضع
اليوم أمام مسئوليتنا وأمام الامتحان .

زى ما قلت لكم أنا غير مستعد أنى أقبل حلول الاستسلام . مش
أنا اللي أقبلها أبدا . ولا أتكلم فيها مع أى فرد من الأفراد .. لأن
الجلوس على طاولة مع اسرائيل معناه وأنا في هذا الوضع المهين معناه
أنى بأسلم . ماذا يبقى أمامنا ؟ .. يجب أن نثبت للعدو والصديق
أننا نستطيع أن نناضل وأن نتقبل التضحيات .. ونحرك الموقف .
بالتخطيط مش بنرفزة ولا بعصبية ولا انفعال .. لا .. بالتخطيط تمام .

وده ميعادنا .. حتى في كلامي مع الروس في المرحلة اللي جاية ..
أو كلامي مع الأمريكان في المرحلة اللي جاية .. أو كلامي مع العرب
في المرحلة اللي جاية .. أو كلامي مع الشعب هنا في المرحلة اللي جاية ..
لن يكون له قيمة مع أى جهة من الجهات دي واحنا قاعدين في السكون
الى احنا قاعدين فيه . الكلام انتهى وقته ووصلنا الى نقطة التشبع .
بما لدينا يجب أن نحكم أمرنا نخطط .. لغاية ما نحرك القضية . بمعنى
نولع حريقة .. عندئذ الكلام له معناه الكامل وله قيمة وسيظل الموقف
العربي كما هو واقع الآن تماما . طالما ان احنا زى ما حنا في موقف
السكون . لن يتحرك بل سيسوء أكثر مع العرب .. مع الأمريكان ..
مع الروس .. مع شعبنا .. أو في تقديري أن القضية بتنتهى الى
السكون والموت .. انتهت .. انتهت .

أنا قلت مرارا وحأقول أنه لا أمريكا ولا روسيا ولا أى حد يحارب
لنا معركتنا • أو حيدينا اللى احنا عايزينه •• أبدا احنا اللى لازم نحرك
لازم نحرك الروس علشان يدوا ولازم نحرك الأمريكان علشان يحلوا •
احنا قوة الدفع • وصلنا الى المرحلة اللى القضية فيها مهددة •

لقد اتخذت القرارات •• وقلت للفريق صادق على الجولة اللى
جاية • ماتدخلنيش الجولة اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه
•• والا القضية تنتهى • واذا القضية انتهت على جبهتنا ، فانها تنتهى
على الأمة العربية كلها •• وعلى الجبهات كلها •• لأنه مافيش هنا جبهة
لها قيمة عسكرية غيرنا احنا • اسرائيل عارفة اذا صممت جبهتنا انتهت
القضية •• وانتهت الثقة اللى فى شعبنا بالتدريج حتنتهى •• النهارده
بنينا وضع وثقة •• وبنينا أوضاع •• كل ده حينتهى كله بالتدريج ••
للتاريخ •• أنا باعتبار ان هذه جلسة تاريخ •• لازم نفكر أيضا فى
المستقبل •• واحنا بنفكر فى الحاضر •• والتجارب لازم نتحضر ••
المعركة تنتهى على أى وضع •• وبارادة الله وبارادة هذا الشعب ••
ان نخسر •• ولن يكون الوضع أسوأ من ذلك أبدا على أى وضع ••
وعلى أى ظروف كانت •• أبدا •• ستنتهى المعركة •• طب ماهو الحل
بالنسبة للمستقبل •• أنا بيهمنى •• فى قيادة القوات المسلحة بتاعتنا ••
أنا جامعكم النهاردة •• لأنه مثل ما بيشغلنا المستقبل دائما •• بيهمنا
الحاضر كمان • ونشتغل بقى بتخطيط وبعقل مانشغلش زى زمان زى
ما حصل فى معركة ٥٦ •• وطلعنا من معركة ٥٦ وقلنا انتصرنا صحيح
انتصرنا سياسيا •• عبد الناصر قلب الهزيمة العسكرية الى نصر سياسى •
بس ماكانش لازم نقوله لقواتنا المسلحة • ولا احنا فى تخطيطنا يجرى
لنا اللى جرى ونسيب العملية مثل ما حدث بعد ٥٦ بالشكل اللى جرى •
لأنه اللى حصل بعد ٥٦ •• انتصرنا •• انتصرنا • وقيادة القوات
المسلحة صدقت اننا انتصرنا عسكريا فى ٥٦ وناموا وسابوا العدو ••
فى نفس الوقت اللى اليهود قعدوا يحضروا من أول ٥٧ عشر سنين
بالكامل العدو لغى وغير كل تكتيكاته •• وغير كل شىء •• والنص جنزير
وراح فينتام وطور وجدد واشتغل ليل نهار •

واحنا هنا مافيش مابنعملش أى حاجة •• الا أن صدقى محمود الله
يكرمه •• كل نوفمبر يقول •• أكبر قوة جوية فى الشرق الأوسط ••

وقعدنا عايشين على التهريج ده .. لازم نفكر بأسلوب علمى للمرحلة الجاية . بالنسبة للمستقبل .. علشان تكونوا أمناء على هذه الرسالة .. للتاريخ .. لازم يكون لنا استراتيجية ونستطيع ان احنا نعمل على ٤ أسس : بالنسبة للجو وهو الأساسى .. ليه .. صحيح ليس هو الحاسم فى المعركة .. لأنه زى ما احنا عارفين كلنا وعلمنا على عامر الله يرحمه فى الكلية الحربية .. أنه فى النهاية المشاة (ضحك) والدبابة علشانك (ضحك) .. لكن وضح من الاستراتيجية اللي قدامنا .. ما احنا كمان لازم نتعلم .. هى كل المشكلة اللي احنا فيها النهاردة ايه .. ان أمريكا عاملة من اسرائيل حاملة طيران .. بعيدة المدى .. وكمال جايبة لها طائرات من التى تمون من الجو علشان تدى مدى كمان فوق ٢٠٠٠ كيلو وهو مدى الطائرة .. كمان ألفين زيادة .. علشان توصل زى ما بتقول لآبار البترول ولا جنوب السودان ولا لطرابلس وتونس يعنى يوصل لأى حته .. أدى المشكلة بالنسبة للجو عندنا .. معمول من اسرائيل حاملة طائرات فى المنطقة .. وده مصدر التهديد الوحيد النهارده .. هو التفوق الوحيد .. أنا ما بأعترفش لاسرائيل بأى تفوق على الأرض .. أنتم أكثر ناس تقدرنا تقررنا على الأرض . العسكرى الاسرائيلى شكله ايه .. واجهتم .. كثير منكم واجهوا هذا الكلام .. لكن التفوق الوحيد هو فى الجو يبقى بالنسبة للمستقبل فى المرحلة اللي جاية .. القاذفة المقاتلة والهليكوبتر . تصنيع وليس شراء . كفاية بقى .. لأن اسرائيل بتعمر .. (الفوجا) ماشية اللي بتشتغل من ٢٠ سنة بتشغلها اسرائيل لغاية النهاردة .. لأنها بتعمر .. بتعمل كل شىء جوه عندها فى اسرائيل .. ووقت اللزوم .. هنا بعد ما ضربوا طيرانا فى ٦٧ لو تذكرنا .. دخلت الفوجا ماشية فوق القاهرة .. كانت الفوجا ماشية .. بس تدريب .. ما هو مافيش حاجة .. دخلت فوق القاهرة . ما لم بكن لنا صناعة عسكرية .. مافيش .. يبقى بنحتر فى البحر .. وما نكرش غلطة ٥٦ . قاذفة مقاتلة .. وهليكوبتر .. ده بالنسبة للجو . بالنسبة للبحر .. بندور نشوف محمود فهمى بيعمل ايه .. استراتيجية العالم بعد ضرب ايلات كلها أتغيرت .. محمود فهمى بيعمل زورق يعطيه قوة نيران مدمرة بالكامل . العالم كله بيتجه لهذا مافيش داعى للقطع الكبيرة الضخمة دى اللي بتضرب وعليها أطقم كذا .. وكذا . فيه زورق عنده (عملت فيه تجديلات عسكرية فنية) .. زورق .. ده بالأسلوب اللي ماشى فى العالم كله .. ونتيجة الخبرة والدراسة ونتيجة

معركة احنا عملناها .. معركة ايلات .. تغيرت استراتيجية البحرية
في العالم الآن •

ده بالنسبة للبحر .. وبالنسبة للجو •

بالنسبة للأرض .. الجزير والنصف جزير لابد يصنع هنا .. لازم
.. مايقاش مسرح العمليات عندي في الشرق .. صحراء في الجنوب ..
صحراء .. في الغرب صحراء وفي الشمال بحر .. كله صحراء .. واشتغل
بالكاوتش .. كان نوع من السفه الحقيقة مش عارف سره أنا مش
فاهم — ماكنتش عايزه ذكاء .. في الفترة الماضية — وكانت بعد الحرب
الثانية كان النص جزير في أوروبا معروف مرمي بتراب الفلوس —
بالتراب مرمي — وخذته اسرائيل — واحنا ماخذناش اشترينا الكاوتش
علشان الصحراء ! ..

ويبقى البند الرابع وهو الحرب الالكترونية اللي هي سمة العصر
الجديد اللي احنا فيه .. وبدخولنا الحرب جهات كثير ممكن تعاوننا في
هذا .. مش الاتحاد السوفيتي .. يعني انجلترا جايز تعاوننا فيه فرنسا
جايز تعاوننا فيه ..

باعتقد أنه اذا غطينا الأربع بنود دول كاستراتيجية لنا في البر والبحر
والجو والحرب الالكترونية نستطيع ان احنا نقف في بلدنا على رجلين
ثابتة — وعلى أرض ثابتة — ونواجه أي حاجة — وبعد ذلك بنتطور مع
العالم في كل ما يتطور ومش حنقف أبدا .. ده بالنسبة للحاضر •
وبالنسبة للمستقبل .. ودي كل الصورة اللي حبيت أقولها لكم .. واذا
احتجتم الى أسئلة أنا مستعد لكم •

اللواء الجمسى : ما هو موقف سوريا بالنسبة للمعركة ؟

الرئيس : موقف سوريا أولا باعتبارها مواجهة ويانا موقف سوريا —
كان عندي حافظ الأسد في اجتماع مجلس الرئاسة .. واتكلمت مع
الفريق حافظ الأسد .. حافظ الأسد كل يوم بيزيد اقتناع عن اليوم

اللى قبله أنه لابد أن تتحد الجبهتان وتصدر الأوامر من هنا بأى عمل ..
وعن قناعة أنه أى وضع حنرك فيه العمل .. سيكون أحسن من الوضع
اللى احنا فيه النهاردة مهما كانت التضحيات اللى حناخدھا .. واضحة
جدا فى ذهنه علشان كده أنا كلفت الوزير صادق علشان يسافر
ان شاء الله .. وينسق فى هذه الناحية .. وهما جاهزين .. لسبب
بسيط .. مصيره كله متعلق بالعملية دي .. ولا يستطيع أن مصر تتحرك
وهو يقف يتفرج وبعدين هو يعلم انه لوحدہ يتاكل .. لكن مع مصر
ممکن يكون فيه حاجة .. سوريا متمسكة أنه لازم يتم التنسيق مع هنا
بالكامل وفورا .. وحتى كان الأسد بيلج عليا ان الفريق صادق يسافر
له مباشرة بعد الاجتماع .. وأنا وعدته بس لما جت رحلة عزيز صدقى ..
أنا قلت أحسن استنى برضه لغاية ما ييجى عزيز من موسكو وأتكلم مع
الفريق صادق .. وبعدين يسافر لهم ان شاء الله .. ده بالنسبة لسوريا
.. الخلاصة فى كلمتين .. يعنى مرد الوضع فى سوريا الينا ..

بالنسبة لليبيا .. ليبيا عندها النهاردة طائرات .. رئيس الأركان هناك
أبو بكر قال لى أنه عمل خطة علشان فى ٦ ساعات تكون الطائرات عندنا
هنا فى مطار من مطاراتنا .. فى قاعدة من قواعدنا ..

اللواء الجمسى : بس عايزينها بطيارين ليبيين يا فندم ؟

الرئيس : ما عرفش أنا مدخلتش فى التفاصيل ..

اللواء الجمسى : أبو بكر يونس قال لى أن على أن تعمل بطيارين ليبيين
.. انما فكرة القوات الجوية بتاعتنا .. ان الطيارين الليبيين مستواهم
منخفض ..

الرئيس : والله أنا لا أبحث هذا هنا .. أنا كل ما عندي الآن أن
أبو بكر يونس جه قال لى أن فى مدى ٦ ساعات عاملين خطة فى ٦ ساعات
تكون فى قاعدة مصرية .. ده بيبحت بالتفصيل بقى .. ده أمر عايز بقه
المختصين يقعدوا بالتفصيل ويحطوه على الورق وواحد + واحد = ٢
اللى أنا عايز أقوله حاجة .. يوم ما يتحرك الموقف مافيش حد
حيأخر عنا .. كل شىء عند أى حد من اخوانا .. مش حيتأخروا اطلاقا

لكن حالة السكون اللى احنا فيها بيتضعفنا داخليا .. بيتضعفنا عربيا
يتضعفنا أمام الصديق وأمام العدو .. أمام العالم كله .. بتدى عدم
ثقة .. حتى الليبيين فى وقت من الأوقات ماكانوش مصدقين ان احنا
ناويين نعمل معركة ونحرر أرضنا أبدا .. دول فاهمين ان احنا ماشيين
فى عملية الحل السلمى .. حنخش فى الدوامه اياها ومافيش جدية ..
لغاية قريب كانوا فاهمين هذا الكلام ..

اللواء حسنى مبارك : يا أفندم أقول حاجة عن موقف طرابلس أضيف عليها
يعنى احنا سبق واتفقنا والفريق صادق موجود ان احنا حنشتك فى
المعركة وحتكون مصيرية .. وعملنا دراسة عن هذا الموضوع .. وبعتنا
لهم .. هنا لما جم مصر آخر مرة وكان أبو بكر موجود قلنا له فيه أسرار
لا تذاع .. قال لا العقيد قال ما فيش حاجة اسمها سر المعركة .. الأخبار
كلها معلنة الناس اللى مسئولين موجودين هناك اللى هما بيشرفوا على
التدريب هناك ماجوش على الإشارة الأخيرة .. حتى بعت إشارة للفريق
أول صادق عن الموضوع .. يعنى أنا ما أعرفش دلوقت أندع الطيارين
اللى هناك حتى لو كانوا طيارين مصريين ! ..

الرئيس : يا حسنى ده مش شغل المجلس بتاعنا واحنا فيه حقيقة
واضحة قدامنا .. اذا كانوا ممتنعين .. اذا كانوا بيناوروا .. بيزايدوا
ده وضع آخر .. ده بيقى وضع سياسى .. اذا كان فيه هرجلة .. المفروض
نوقف الهرجلة دى .. ما فيش حاجة حناخذها بالساهل أبدا .. ما فيش
شئ جاهز حنلاقه جاي قدامنا وحنأخده ..

ايه يا اخوانا أخبار الجيوش ..

اللواء سعد مأمون : أخبار الجيوش من انهى ناحية ؟

الرئيس : من كل ناحية ..

اللواء سعد مأمون : ماشى التدريب حسب السياسة الموضوعة والحمد لله كويسة .. كان فيه تخفيض بالنسبة حتى لعمليات كنا مجهزينها .. وكانت هيئة العمليات درستها •

اللواء عبد المنعم واصل : من الناحية التدريبية .. التدريب ماشى تمام الروح المعنوية تمام .. اذا كنا حنخش المعركة بالتسليح اللي موجود فى أيدينا .. يجب أن احنا نقبل أى كمية خسائر .. لأن زى ما سيادتكم النهاردة عارف .. وضع الساتر الترابى وارتفاعه ١٨ر٢٠ متر .. وعمل مصطبة متصلة أمام واجهة الجيش على كامل مواجهته .. لضرب الهجمات عليها بحيث تضرب أى قوات تعمل على العبور .. ده هيجصل خسائر كبيرة بيها ..

اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين : هو فيه خطة موضوعة ١٩

الرئيس : الدفاع الجوى •

اللواء محمد على فهمى : (تحدث عن أسرار عسكرية لا يجوز نشرها عن بطاريات الصواريخ) •

الرئيس : نسيت أقول لكم ان عزيز اتفق معاهم على أن فيه وفد عسكرى هايجى من ١٠ الى ١٥ نوفمبر ..

— (ثم دارت المناقشة بين الرئيس وقائد القوات البحرية حول تفاصيل عن المدمرات والفواصات والصواريخ ، وكلها أسرار عسكرية لا يجوز نشرها) •

ثم أثار اللواء سعد مأمون موقف الاتحاد السوفيتى وسأل الرئيس :

— أنا لا أناقش سيادتكم عن واقع المعركة .. ان تحريك القضية عسكريا أمر حتمى .. لا أناقشه .. الموضوع بتاعنا من الناحية العسكرية بنعمل ايه ونناقش ايه والموقف ايه وشكله ايه .. لا أناقشه .. بس أنا عاوز أستوضح حته من الناحية السياسية من ناحية الاتحاد السوفيتى

•• فهمت من سياق الحديث اللي سيادتك شرحته لنا كلنا واضح •• بس عاوز أستوضح نقطة •• رأى الاتحاد السوفيتى فى تحريك القضية عسكريا بعد الانتخابات الأمريكية ايه ؟ •• ومتفرع منه سؤال آخر •• هم قالوا ووجهوا الكلام للرئيس حافظ الأسد •• لينقل لنا •• لما سوريا انضربت فى سبع مواقع ولبنان •• مصر عملت ايه •• ما سألوش سوريا ما ضربتش عمق اسرائيل اللي جنبها ليه ؟ •• الحته دى •• أنا قمت بزيارة مع سيادة الفريق أول صادق فى يونية سنة ٧٢ للاتحاد السوفيتى •• كان الكلام لما كنا بنقول ان فيه أسلحة هجومية مطلوبة للقوات المسلحة كانوا بيعتبرونا برجوازيين وكانوا بيعتبرونا ان احنا — جبنا — وكانوا بيعتبرونا ان احنا •• مهرجين •• ولأول مرة فى المباحثات الرسمية مع جريتشكو •• ثم مع أنه فى الحديث اللي دار بين بريجنيف والفريق أول صادق أنهم اعترفوا لأول مرة أن القوات المسلحة المصرية أسلحتها دفاعية ومن الآن حنظر فى موضوع الطلبات الخاص بالخطط الهجومية للقوات المسلحة •• وأن السياسة الواضحة أنهم عازين الأمور تمشى ٧٢ ويمكن ٧٣ النهاردة فيما يختص بالقرار بعد زيارة سيادة رئيس الوزراء للاتحاد السوفيتى •• هل الاتحاد السوفيتى يبارك تحريك القضية عسكريا أم لا ؟

الرئيس : هو بالنسبة للحته بتاعة حافظ الأسد هو الفريق حافظ أنا اللي سألته •• قلت له أنت خسرت الثلاثة ليه •• طيب مادخلتش جوه ليه وضربت عمق اسرائيل والثلاثة السوخوى خسرتهم •• خسرتهم •• وكنت خسرتهم أحسن جوة فى عمق اسرائيل زى ما دخلوا فى عمقك •• اللي أنا عارفه بقة ان حافظ كان طول هذه الفترة قاعد فى غرفة العمليات •• فى قاعدة •• وطنى حافظ أى والله •• قال لى أنا اللي رجعت الطيارين •• أنا اللي خليت الطيارين ضربوا على الجولان ورجعوا •• ليه ؟ •• قال لى قدامى على شاشة الرادار لقيت ناموس •• أسراب ناموس مش طيارات طالعين مستتين •• قال لى قلت للأولاد الضباط ارموا فى الجولان وارجعوا •• أما لقي أسراب ناموس ومع ذلك ضربوا ٣ طيارات سوخوى ••

لما نيجى للنقطة الأساسية وهى السؤال بتاع الاتحاد السوفيتى •• الاتحاد السوفيتى لن يغير موقفه الا اذا أرغمناه وأخرجناه ••

بمعنى الاتحاد السوفيتى لا يريد أى حركة عسكرية ..
وممكن أن يقف بس ما بيصرحش انما اللي فى قلبه أنه .. شوية تنازلات
ونفض المشكل وبلاش هوسة .. ده سياسة الاتحاد السوفيتى الثابتة
المقررة .. طيب أنا سعيد بزيارة عزيز صدقى ليه .. مش عشان تعاقدات
جديدة زى ما قلت لكم أبدا اطلاقا .. تعاقدات جديدة ده لسه وضع أنا
هأبحثه بقى مع بريجنيف ولما هانشوفه وقبل ما شوفه لسه هأخذ
كلام طويل .. هو العملية بتنتهى بسرب أو سربين .. العملية مش
سرب والا سربين العملية مبدأ .. ايه موقفهم معانا .. بالنسبة
للتطور اللي بيحصل فى المعركة .. اللي سعدت به أنا الـ (flow)
رجع •

استراتيجية الاتحاد السوفيتى لعلكم .. هي .. هي لن تتغير ..
ولكنها ستتغير اذا احنا اتحركنا وأجبرناهم وحطيناهم فى الوضع الحاسم
لن يتغير .. واذا لم يتم شىء فى موقفنا .. نرجع نلف .. نلف .. نلف ..
مع الاتحاد السوفيتى .. زى مع أمريكا زى مع العرب .. زى مع
أوروبا الغربية زى مع الكل .. أثبت وجودك .. أثبت أنك موجود يعترف
الكل وغصب عنهم .. مثبتش وجودك فى اليوم اللي احنا فيه محدش
هايعترف بك .. وهاتبقى زى مانت .. دلوقتى خلاص مفيش معركة
ثانى انتهى .. زى الصورة اللي فى ذهنهم .. ان المعركة فى الشرق
الأوسط انتهت .. ودى مهابة .. والكلام اللي بيسمعه ده مهابة بس
من العرب لحفظ ماء الوجه ولكن مفيش حاجة تانى والعرب ليسوا أهل
حرب ولا كفاح ولا توضحيات ولا حاجة أبدا ..

الفريق سعد الشاذلى — هل سيادتكم ستقوم بتحرك عربى لحشد
القوى العربية أو أن المعركة ستكون قاصرة على دول الاتحاد ؟ ..

الرئيس : حدد كلمة حشد القوى العربية •

الفريق سعد الشاذلى — التحرك العربى على ضوء المناقشات القديمة
الى سيادتكم عارفها وموقف الجزائر وموقف الدول الأخرى ..

الرئيس — لا .. أنا مش شايف موقف عربى ولا حاجة .. زى ما قلت لك مفتاح الموقف يا سعد ان ماحدثش واخذ مجال للرد لا فى العرب ولا فى غير العرب اطلاقا ..

(ثم تحدث الرئيس عن تصريحات غير صحيحة لأحد الرؤساء العرب)
.. ثم قال :

ماحصلش كلام من ده أبدا اطلاقا .. مش بس احنا بنواجه موقف متفكك فى العرب وغير جاد .. احنا بنواجه مزایدات وكلام عارفينه ..

ثم أعرب الرئيس عن وجهة نظره فيما عرضته الجزائر من أنها ترسل سلاحا وقوات قبل بدء المعركة بثلاثة أشهر • وقال ان هذا غير عملى ، ولا يمكن أن يحدث فى الحروب •



ثم قال الرئيس : أنا قدامى اسرائيل ضاربة سوريا وضاربة لبنان وممكن قوى تضرب فى مصر وتعاقب زى ما هى عايزة فى المنطقة وتفرض علينا معاهدة •

وحسنى مبارك كان فى الجزائر بناء على طلب الرئيس بومدين •
أنت كنت هناك أمتى يا حسنى •

اللواء حسنى مبارك : ما بقاليش شهر •

الرئيس : الشهر اللى فات •

الفريق سعد الشاذلى : على اعتبار ان المعركة لسه لم تتحدد يعنى انما لو سيادتكم تكلم الرئيس بومدين على أن المعركة خلاص بدأت والتحضير لها وحتكون فى هذه الحدود •

ثم قال الرئيس : مغزى كلامى لكم كله النهاردة نحملش بقه مشكلتنا على حد • اللى نقدر نعمله نخطط بعقل ونعمله .. ونتحرك نولع حريقة

للـكل •• للعرب للصديق للعدو ولإسرائيل •• لكـله •• ونقف في موقفنا
السليم •• وزى ما قلت لعزير صدقى وهو مسافر موسكو •• حيكون
موقفنا ايه يعنى •• أسوأ من اللى احنا فيه النهارده •• مش حيكون ••
في أى وضع من الأوضاع مهما واجهنا من تضحيات مش حيكون أسوأ
من اللى احنا فيه النهاردة لأنه هنقدم تضحيات وحنحط في إسرائيل
تضحيات •• هي ما تستحملش •• احنا نستحمل •• مش حنكون أسوأ
مما نحن فيه •• وأشرف لنا نموت واحنا واقفين على رجلينا أحسن
ما نكون بفرتعش أو بنسلم •• بس مش هنموت •• مش الشعوب ••
الشعوب ما بتموتش أبدا •• أبدا ••

عضو : أنا في تقديري للموقف بأقول ان حتى بالفرض الأمريكان
إذا كانوا حيفكروا في حل سلمى أو ناويين يحلوا همه وإسرائيل فالأمريكان
من مصلحتهم وإسرائيل مش حاقول حد تانى •• أحسن بقى يمكن اتهم
بالمغالة •• كلهم لهم مصلحة في تدمير مصر أو القوات المسلحة المصرية
اللى هي خطر مخيف اللى إسرائيل بتعمل حسابه في المنطقة •• حتى
لو حصل أنه فيه حل سلمى يكونوا في وضع همه مستريحين فيه احنا
نكون فيه تعبانيين وياخدوا فترة بتاع عشر سنين راحة زى ما عملوا سنة
٥٦ وزى ما عملوا سنة ٤٨ وخلافه اللى هي الفترات •• اللى هو استريح
فيها من وجود قوة كبيرة موجودة على حدوده الطويلة ولذلك لازم نفكر
كويس جدا انه يصح أنه هو قبل احنا ما نبدأ أى حاجة أنه هو يقوم
بأى تلكك •• أنا جمعت اخوانى أيام ما ضربنا الطائرة بعد ما رجعت
من بره ويذكروا هذا الكلام أنا قلته لهم •• قلت لهم فيه احتمال كبير
جدا ولازم نحطه ان احنا نفاجأ بأن إسرائيل تبدأ هي علينا ضربة
وحيمارس هذا الموضوع الأمريكان •• مش عايز أقول ناس ثانيين كمان •
لأن الكل مصلحته حيثترك في تدمير القوات المسلحة المصرية •• في هذه
الفترة • من قبل المفاوضات وقبل يعنى ما نتكلم من مصدر قوة • يعنى
لازم برضه نحط في اعتبارنا ان احنا لازم نخوض قريبا معركة دفاعية
عنيفة جدا ستستخدم فيها إسرائيل سلاحها الرئيسى اللى هو سلاح
الجو لأن أنا ما أعتقدش من الناحية العسكرية انها تقدم على عملية
عبور برية أبدا • واللازم نكون حذرين جدا من ضربة جوية مفاجئة
أو من تركيز عنيف على مواقعنا أو على مواقع داخل أراضينا في عمق
أراضينا فجائى •

مش لازم يعنى مانقعدش بقه فاهمين ان احنا نحصر الوقت المناسب
بتاعنا والحنة المناسبة بتاعتنا والكلام اللي احنا بنفكر فيه دلوقتى
بس ؟ *

الرئيس : أنا قلت هذا الاحتمال من زمان .. دا أنا بأحكيه لكم
وأقولكم يعنى من فترة .. من الصيف وأنا متهيأ لى أنه قبل الانتخابات
يعنى لو أنا محلهم هناك قبل الانتخابات لازم أضرب * ليه ؟ .. لأن
اسرائيل النهاردة من بعد قرارات الروس وخروجهم من المنطقة بدأت
تطنش مع أمريكا شوية .. تحليلهم هكذا على المدى الطويل الأمريكان
وغرب أوروبا ... الاثنى اللي كانوا بيشتغلوا عليه وهو أن الاتحاد
السوفيتى هنا وهمه قاعدين عشان يقاوموه وعشان كده بيسحبوا من
أمريكا ومن غرب أوروبا ومن كله تأييد .. خلاص .. خلاص * تحليل من
داخل اسرائيل جانى أنه بيقولوا .. على المدى الطويل ان احنا حنكسب
أمريكا وغرب أوروبا الاثنين وعليه يعنى العملية اللي عملوها فى لبنان
وكسروا القزاز وعملية لبنان و .. و .. و .. كل ده بيعملوه ولا هامهم
ولا هم سائلين .. ليه .. يعنى لو يفكروا صح لازم قبل الانتخابات
عشان يخطوا أمريكا والكل فى Corner أنه يبقى الكلام .. الحل
بيجى على اللي جرى فى الضربة دي مش بتاع يونيو ٦٧ .. ينقلوا
الكلام بدل ما نتكلم على حل القضية .. لا .. على اللي جرى فى الفترة
الأخيرة ويوقفوا اطلاق النار .. عدونا خبيث .. بيشتغلوا بمخطط
واسع كبير قوى قوى وقاعدين يحسبوا براحتهم .. عندهم كل
اللى همه عايزينه وبراحة *

اللواء على عبد الخبير : اذا كان سيادتكم تسمح أسأل .. يعنى نقطة
أستوضحها .. سيادتكم بتحدد ميعاد اجراء الانتخابات الأمريكية كموعّد
محتمل سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحيتنا فى جمهورية مصر *

الرئيس : بعد الانتخابات بالنسبة لنا *

اللواء على عبد الخبير : بالنسبة لنا بعد الانتخابات .. وهذا الموعديجوز
بالنسبة لاسرائيل .. فى الوقت نفسه الموقف بالنسبة لروسيا لم يتغير
من ناحية التسليح .. بيتهيأ لى خلال السنتين الأخيرتين لا يوجد أى

نوع من التغيير اطلاقا • أو أى نوع من الزيادة • فيه تأثير نتيجة استهلاك بعض المعدات واستهلاك الذخيرة أو أى استهلاك خلال الفترة • • نواحى النقص الأساسية اللى هى موجودة وقائمة بيننا وبين اسرائيل فى نواحى الطيران لم يتعدل الموقف فيها حتى الآن • فى خلال المدة دى • الاتفاقية اللى تمت وكلها هتم فى خلال ٧٣ وما بعدها ولن تؤثر على الموقف الحالى • • هل ده ما يكونش له تأثير على موقف القوات المسلحة فى حالة دخولها ، مع حساب موقف الطيران الاسرائيلى ، وموقف قواتنا وما يترتب عليه من خسائر •

الرئيس : برضه ما فهمتش التحليل الأولانى يا على أما نيجى أمام قدر • • يعنى لو أنا خدت بهذا التحليل فى ٨ يوليو وحسبت على هذا النمط ما كانش لازم آخذ قرارات ٨ يوليو خالص • • بتيجى لحظات عليك أن تواجه قدرك فيها • • اذا خدنا بتحليك ولا سنة ٨٠ هنتحرك • • بيعوض هذا الكلام اللى أنت بتقوله تخطيط سليم لسد الفجوات اللى عندنا بيعوضه أن نفهم طبيعة المعركة اللى احنا بنواجهها ونفهم الناس اللى حتخس المعركة طبيعة المعركة وانه الروح • • روح القتال وروح الجندى وروح الاستبسال والتشبث بالأرض و • • وكل ده أسلحة لازم نستخدمها علشان نعوض النقص اللى عندنا لازم • • كقائد سياسى أنا النهاردة وبأواجه الظروف اللى احنا فيه • • فى سنة ٧١ أنا أدبت براح كبير وأمام الوضع اللى أنا فيه خدت وقت واتكلمت مع الأمريكان • • واتكلمت مع الروس وطولت • وزرت روسيا ٤ مرات وتحركت فى كل الاتجاهات وبذلت كل ما يمكن بذله • • تلخص الموقف فى الآخر انه هل أنت موجود ولا مش موجود • • كشعب وكقوات مسلحة • • ده اللى أنا بأواجهه النهاردة • •

العضو — أنا من سنة ٦٧ وأنا أعلم أن الروس موقفهم لم يتغير • • من يوم ما عملنا اتفاقية معاهم •

الرئيس : بس أنا مش معاك فى أنى أحمل الروس المسئولية يا على •

العضو — لا أنا ما أحملهمش المسئولية •

الرئيس : عايز ايه أكثر من واحد سلاح لك جيشين سلاح لك جيشين
بس بالسلاح اللي هو عايز يديه لك .. لكن سلاح لك جيشين حقيقة واقعة
ولا لا ؟؟؟

العضو — الروس بيقرروا سياسة لهم وبينفذوها واحنا عاطفين من
بعض النواحي فبنطلب منهم أكثر من السياسة بتاعتهم ما بيستجيبوش •

الرئيس : طيب ايه دخل ده في انك أنت تكون أو لا تكون • ايه
يعنى .. ؟ همه الروس اللي بيخلونى أكون أو لا أكون •

العضو — لا احنا على أساس نكون أو لا نكون هو ده (الوضع) •
انما علشان نكون لازم يكون كل شيء من أجل أن نكون •

الرئيس — لا كل شيء بقه أنا مش معاك مفيش قائد عسكري ابتداء
معركته بكل شيء قدامه •

العضو — لا مش كل شيء معايا يا فندم .. بأقول كل شيء في الدولة
.. كل فرد زى أى دولة تدخل الحرب وتجند كل امكانياتها في سبيل
المعركة ..

الرئيس — ملكش دعوة بالدولة .. ده شغلى أنا .. الدولة بتطلع
من بقها لقمة العيش والدولة يوم ما تتحرك أنت .. أنا بأقولك مش على
موقف العربى ومش للروس ومش للأمريكان .. لشعبنا قبل دول كلهم
.. يوم ما تثبت انك موجود ان شالله تقلعهم الهدوم هايقلعوها
ويدوها لك • لكن شعبك شأنه شأن أى حد تانى النهاردة • فيه معركة
ولا مفيش • التساؤل ده موجود عند ناس طيبين .. مش عند الجاقدين
.. لا .. فيه معركة ولا مفيش .. عاملين ايه .. احنا بنواجه القدر
وساعة الانسان ما بيواجه ظروف وقد يبقى فيه خطر محسوب ..
نخش .. بنقبل الخطر ونخش المحسوب .. اذا ترددنا .. بنقبل ..
ما بنقبلش .. الحال هيبقى على ما هو عليه بل أسوأ بتاكل الوضع
عندى في الداخل قبل ما أكون بأتكلم على العرب ولا على الروس ولا على
الأمريكان •

العضو - نقبل الخطر المحسوب ..

الرئيس : آه طبعاً ..

العضو - مفيش بدل .. انما نعمل على تلافى الخطر .. يعنى ..

الرئيس : آمال بأقول تخطيط يغطى الفجوات ليه ؟ ما عايش أماننا من سبيل يعنى حاولنا .. وعملنا كل ما يمكن عمله وأمامى لحظة من لحظات القدر النهارده • هل احنا موجودين ولا مش موجودين بس •

الفريق عبد القادر حسن : (نائب وزير الحربية) - الحقيقة يعنى احنا من وقف اطلاق النار واحنا أماننا جميعا ان كان يستمر الوضع • أحسن وضع وصلنا له كان هو الوضع بتاع يوليو سنة ٧٠ هل المطلوب • أو التركيز .. من الكلام اللي سيادتك قلته - ان احنا نقوم بعمليات نشطة ومحدودة أو بمهمة تحرير الأرض • هنا فيه فرق • الهدف الأول المحدود هو للتنشيط عسكريا وليكون فيه أساس سياسى أو قاعدة نتحرك فيها • طبعاً مختلفة عما اذا كان التخطيط أو الهدف هو تحرير الأرض •

الرئيس : فى أغسطس ادितه للوزير .. وهو .. كسر وقف اطلاق النار .. كسر وقف اطلاق النار •

الفريق عبد القادر حسن : هو بس فيه نقطة .. انه عملية الدخول فى الأرض .. تحرير الأرض فيه .. موضوع الاستهلاك المستمرة .. والاستهلاكات المستمرة لازم يكون الاحتياطات الموجودة كافية باعتبار أن اعتمادنا على الصديق أحياناً فيه بعض احتياجات استراتيجية مش هايدينا •

انما اذا كان بالغرض اللي سيادتك حددته .. يبقى شىء آخر •

الرئيس : محددة من أغسطس •

حسن عبد القادر : المعركة حتى لو أردنا أن تكون محدودة قد لا تكون محدودة •

الرئيس : طبعا مفيش شك •• ده طبيعى ••

الفريق عبد القدر حسن : انما هى قد تبدأ من هجوم منا طبعا • وطبعا سيادة الوزير يظهر عنده خطة •• انما احنا مش حنمتلك انها تكون محدودة أو فى مكان أو فى مدة محددة • بمعنى أنى أنا فى تخيلى للعمليات أن على قدر الامكانيات الموجودة عندنا تقدر نبدأ عملية محدودة لكن حتقلب العملية بشراسة من اسرائيل • وحتقلب نهايتنا الى معركة دفاعية • حنخوض معركة دفاعية مع تعديل فى بعض القوات الموجودة فى سيناء • فى بعض المواقع الللى هى كسبناها باذن الله • لكن حتقلب الى وضع دفاعى واسرائيل حتستمر فيها لأنها ما زالت عندها التفوق الجوى •• الورقة الللى بتلعب بيها ••

هنتعرض لموقف أن العمق بالذات هو الكلام بتاع محمد على فهمى الللى قاله ليس جميع أهدافنا الحيوية تدخل ضمن خطة الدفاع بالصواريخ • وطبعا حتى الأهداف الللى فى خطة الدفاع بالصواريخ معرضة أنها لو ركز عليها حتصاب •• ففيه احتمالات كثيرة أن أهداف كبيرة من عندنا فى العمق هتتدمر •• سواء كانت قناطر أو مصانع كبيرة •• هو ده التأثير بالنسبة للعمق ••

بالنسبة لوضعنا فى نهاية المعركة الدفاعية طبعا فى نهاية المعركة الدفاعية لازم العدو هيتحرك وحيوقف المعركة الدفاعية وهنشوف بفه وضعنا احنا حيبقى ايه ووضع اسرائيل ايه ؟ • النقطة بس الوحيدة •• ان اسرائيل حتصل فى معركتها الدفاعية الللى حتتوقف بعد كده الى أنها أصبحت صاحبة حق فى كل ما تملكه من بقاء جزئى فى سيناء فى ايديها • وحتعتبر ان هذا هو الواقع الاسمى الللى نتمناه — يعنى مثلا الخطة الللى احنا بنفكر فيها أو بنحضر لها •• لا تشتمل •• على (كذا) •• وقد تصل الى أقصى ما نتمناه الى (كذا) وحتحتفظ اسرائيل (بكذا) أو كذا على الأقل •• هتعتبر هذا حق اكتسبته بعد معركة أخرى ثانية بعد ٦٧ •• احنا ما هيكونش عندنا الطاقة ان احنا نستغل نجاح قواتنا الللى عبرت

عشان نكمل في تحرير الأرض لأن امكانياتنا فعلا غير (موجودة) • يقابل هذا أن إسرائيل هتتمسك وممكن بقة تبقى بعد كده عشرة ١٥ ، عشرين سنة في وضع هي تتمناه أو بتتمنى النهارده جزء منه •• أنا نفسي يتبع العملية ايذاء بإسرائيل انى أنا أضرب عمقها بعنف وبقسوة سواء كان من سوريا أو بواسطة أى حاجات أنا حاجيها • اذا لم يكن هذا يتبع العملية بتاعتنا •• يبقى إسرائيل في الواقع هينتهى بيها المطاف انها في وضع أحسن مما هو الآن •• هتخسر بس خسائر •• انما هتمتلك جزء من سيناء كبير والوضع كما هو وما يبقاش فيه مجال بعد كده انها تتفاوض حتى ويانا ولا أية حاجة •• اذا كنا عندنا مقدرة في أى وقت نطردها من سيناء بالكامل تقدر في الواقع مهما كانت العملية محدودة لا بد أن تكون ••

الرئيس : اذا تصورنا انه في هذه العملية المحدودة مش هنضرب عمق إسرائيل نبقى واهمين ويبقى مفيش فعالية في هذا ••

الفريق عبد القادر حسن : تماما

الرئيس : وبعدين انا كان دايمالى رأى مع عبد الناصر الله يرحمه •• انا كنت بأقول عشرة سنتى جوه سيناء •• عشان أعمل ثغرة لى جوه سيناء •• وأشرف ألف مرة أن القضية تقعد عشر سنين ولا أطلع ولادى من القاعدة يشتغلوا طول الليل ويرجعوا لى الفجر •• من موقف السكون اللى احنا فيه اللى القضية بتنتهى فيه نهائيا مش بقة نص سيناء • لا • ده كل سيناء •• واحنا وجونا كوجود انتهى •• فبالنسبة للنقطة الأولى ما حدش بيشك فيها أبدا واذا كنا احنا مش بانين على هذا نبقى واهمين • ممكن أن نضرب عمق إسرائيل وبعنف •

الفريق عبد القادر حسن : ضرب عمق إسرائيل بقة يستوجب حاجات الحقيقة مبدئية لازم احنا نأخذها من الاتحاد السوفيتى أو سوريا تأخذها يعنى أرض سوريا لا يمكنها أن تضرب إسرائيل اذا لم تؤمن سوريا بخطة صواريخ و دفاع جوى كامل •• هم ماشين فيها وأنا بأقول لسيادتك أنا مطمئن لهذا وصحيح فيه أكثر من ظيران بيشتغل من سوريا وهو ده اللى هيقدر يضرب عمق إسرائيل من السوزيين •

الرئيس : كل الصعوبات اللى بتقولها وهتقولوها بقالى سنتين من يوم ما توليت .. بقالى خمس سنين من يوم ٦٧ وأنا عايشها ووصلت فى الآخر ان احنا بنواجه لحظة قدر .. يبقى تكملوا لى كل الفجوات بالتخطيط السليم .. يتبعه تجميع وتركيز لكل امكانيات ممكنة .. وتبدأوا فى التنفيذ ونتوكل على الله .

الفريق عبد القادر حسن : طيب نقطة ثانية يا فندم بالنسبة لسوريا برضه .. التوقيت بتاع نوفمبر ده أو بعد الانتخابات لما نبص للاوضاع فى سوريا تملى همه يبقى عندهم Excuse انهم مش حيقدرُوا يتحركوا .

الرئيس : مش شغلى أنا .. ده مش شغلى ده شغل القائد العام بتاع الجبهتين .

الفريق عبد القادر حسن : فيه نقطة ثانية يا أفندم مع احترامى برضه لسيادتك طبعا .. ان فى حالة ضرب العمق أو أى بهدلة فى العمق عندنا .. احنا مش عايزين نصل الى موقف يضطرننا أن نقول للاتحاد السوفيتى ولى .. مرة ثانية ..

الرئيس (بلهجة حادة) : يا عبد القادر دى تانى مرة انت بتغلط فيها قدامى .

الفريق عبد القادر حسن : لا يا فندم بس ..

الرئيس (أكثر احتدادا وغضبا) : دى تانى مرة انت بتغلط فيها قدامى وأنا لا أسمح بهذا .. مش انت الحريص على استقلال البلد دى .. انت اللى خدت القرارات ؟

الفريق عبد القادر حسن : لا يا فندم .

الرئيس : انت اللى جيتنى اقنعتنى بيها ؟ أنا لا أسمح بهذا أبدا أنا مسئول عن استقلال البلد وأنا عارف أنا باعمل ايه وما احبش تتدخل فى شغل غير شغلك .. دى تانى مرة تغلط فيها . الثالثة ها أقولك

روح .. أنا عارف أنا بأعمل ايه .. وأنا وقفت للاتحاد السوفيتي لأحاسبه
لغاية ما أكمل المعركة .. انما أنا مش محتاج انك تتبهنى لشغلى
يا عبد القادر أبدا .. لأن فى مرة انت غلطت .. الغلطة الأولانية كانت
فى الطائرة .. وأنا يومها أنا فكرت أشيلك .. عيب الزم حدودك ..
أنا ما عندى حد يتخطى حد .. أبدا ..

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف قوى .

الرئيس : انت شغلك عسكرى بس .. مش سياسى .. والدعم ..
عايز تتبهنى لواجبى دعم ايه .. بتتكلم عن ايه ؟

الفريق عبد القادر حسن : أنا آسف خلاص .

الرئيس : للأسف .. يعنى فترة فانت كل واحد تصور فيها انه
يتخطى حده .. لا .. أنا اذا كنت سمحت فى الفترة اللى فانت فى
الوقفه انه يحصل غلط .. المرة دى مش مستعد اسمح أبدا ان انسان
يجاوز حده أبدا .. مهما كان .. يكون ده واضح (فترة صمت طويلة)

أى اسئلة .

اللواء محمود فهمى قائد البحرية : هو قطعاً كل واحد فينا بيتمنى أن
القضية ما تتحلش سلمياً وتتحل عسكرياً لكرامة الضابط والعسكري
المصرى .. وكل واحد مستعد يبذل كل جهده يعنى وحياته .. فى سبيل
المعركة المصرية بتاعت مصر وتحرير الأرض .. انما لو فيه أى سؤال
فهو برضه من الحرص على مصر ومصلحة مصر ..

الرئيس : أيوه .

اللواء محمود فهمى : ده بس .. يعنى كنت سيادتك زعقت شوية
يعنى احنا كلنا بنحرص قطعاً ان احنا ..

الرئيس : انت بتدافع عن عبد القادر حسن .

اللواء محمود فهمى : لا أبدا ..

الرئيس : آمال ايه يعنى معنى كلامك .. دى وجهة نظرك ؟

اللواء محمود فهمى : لا

الرئيس : آمال ايه يعنى ما معنى الكلام ده يا محمود .

اللواء محمود فهمى : أنا بأقول ان كل واحد فينا مستعد انه يقدم حياته للقضية المصرية .

الرئيس : فى حدود شغلك مش فى حدود شغل حد تانى .. يعنى فى حدود البحرية عندك اعمل . ما عندى مانع أبدا . وبأديكم كل الصلاحيات ومديكم كل الصلاحيات . وفى البلد .. مدى لكل واحد فى مكانه كل الصلاحيات .. رئيس الوزراء بيشتغل رئيس وزراء .. مجلس الأمة بيشتغل مجلس الأمة .. كل حته بتشتغل ومدى صلاحيات كاملة بس كل واحد ما يتجاوز القدر بتاعه .. ومش عايز حد يفهمنى واجبى .. أو يخرج عن حده أو يعمل بطل ..

اللواء محمود فهمى : تمام .. وكل واحد فينا بيذل كل جهده فى التدريب عشان اليوم بتاع المعركة .

(صمت طويل)

الرئيس : اذا كان فيه أى حاجة .. ان شاء الله ربنا يوفقكم .. زى ما قلت لكم بأعيد كلامى لحظات قدر واتحطينا أمام التحدى .. صعب .. فيه توضيحات وآلام ودم . ولكن يعلم الله أنه مفيش أماننا حل غيره . يعنى عملت بكل ما أستطيع فى السنتين اللى أنا أتوليت فيهم عشان أحاول أخففها ما أمكنش .. وواجهنا الظرف .. والنهارة زى ما قلت لكم احنا أمام اختبار قدر .. هل احنا موجودين ولا مش

موجودين .. بعد كل الى عملناه الى بنينا ووقفنا فيه .. هل احنا
موجودين ولا مش موجودين •

بالنسبة لشعبنا .. بالنسبة للعرب .. بالنسبة لأمريكا .. بالنسبة
لروسيا صديقتنا .. بالنسبة لغرب أوروبا بالنسبة للعالم كله ..

هل احنا موجودين ولا مش موجودين ؟

وكفاية سمعنا كلام كثير .. وتجريح كثير .. ولحظة لازم نواجهها ..
محكوم علينا من الكل ان احنا ناس لا قدرة لنا • خلاص مشلولين ..
بنقبل هذا بنفضل مشلولين .. بنقبل هذا بنفضل مشلولين وهيتحول
الشلل الى عجز مطلق .. نهائي .. ما بنقبلوش .. بنقبل قدرنا ونخش
ونشتغل على احسن ما يمكن أن يعطينا العقل الى ربنا اداه لنا ..
والتخطيط السليم .. واستخدام الامكانيات أمثل استخدام • وفي
الحدود الى نستطيع ان احنا نعمل فيها بعد ذلك .. يفعل الله ما يشاء ..
عملنا كل الى علينا .. وبعد ذلك نواجه قدرنا .. معنديش لكم حاجة
أقولها النهاردة غير هذا اطلاقا .. مفيش .. ياريت كان قدامى شيء ..
أنا قلت في وقت من الأوقات أنا مستعد أروح لآخر الدنيا عشان عسكرى
مش ضابط .. عسكرى واحد ما يتعورش ولا زلت لحد النهاردة مستعد
لآخر الدنيا أروح مستعد أروح موسكو تانى ويعلم الله أننى لا أريد ..
لقد فاض من كل قلبى مش عشان عبد القادر حسن وحماسه وبطولته ..
يعلم الله أنا مستعد أدوس على كل شيء آخر وأخشها برضه بس لما
أعرف انى حأعمل لكم حاجة .. مفيش .. النهاردة مفيش .. لكن
واحنا أمام امتحان .. نخش الامتحان الى بأرجوه بالنسبة
لكم وبالنسبة لكل الأولاد الى معاكم .. لازم يكونوا عارفين
ان احنا بنعوض نقص كثير بايماننا بقوتنا .. من استبسالنا
من استمانتنا بنعوض كثير .. ودى حىكون لها قيمتها
ان شاء الله .. ولن يخذلنا الله سبحانه وتعالى أبدا ما دمنا مؤمنين
وعلى حق مش حنخذل أبدا أبدا .. وزى ما قلت لكم مش حىكون أسوأ
من الى احنا فيه ده .. انتوا مش حاسين بيه .. لا .. أنا قاعد

أحسب احنا في وضع سيء مصيره ابتداء من العام القادم الى لا شيء ..
نهسائي ..

أنا اللي يهمنى في المقام الأول هو بلدى .. احنا في وضع سيء ..
وبعدين أنا قلت للفريق صادق وهو عندى وممكن يعنى اذا كان المسألة
ميثوس منها • والله خلاص • معروض على حل جزئى .. معروض فعلا
على حل جزئى .. بس أنا مش حاقبله .. وييجى حد غيرى
يقبله • أنا بتكوينى وبطبيعتى ما أقبلش حل جزئى ولا زلت مؤمن بالعسكرى
المصرى .. ومؤمن بأننا نستطيع نعمل حاجة .. وانه أشرف لنا ان
احنا نموت واحنا واقفين وراسنا في سابع سماء .. من اننا نتخاذل
ونقبل أى حاجة .. وخاصة بعد ما بذلنا كل ما نستطيع وبإخلاص ..
وبليالى طويلة « ما بينامش الانسان » اطلاقا .. الناس كلها مسافرة
برة في الصيف .. وأنا قاعد في العمورة ..

وبالليل كنت أقول لابنى طلعتى يا ابنى برة العمورة اشم هوا •
وأنا أرجع مانامش .. بيانات طويلة .. الشعب طيب .. وأصيل ..
وأداك اللي عنده .. لحظة ثمنها غالى .. ثمن كبير .. ممكن الواحد
ينام طويلا خلاص واذا كانت العملية على الكرسي نقبل أى حاجة وندخل
في عقول الناس أى تهريج وأى مزايدات وخلاص • أنا ما أعملش هذا
أبدا .. ولا قيمة للكرسي عندى اذا ماكانش فيه كرامه .. أبدا ..

كان عندى ناس ديك النهار بتكلمنى وقلت والله القرارات .. قرارات
٨ يوليو ما تساوى أى شيء • القرار بأكتبه من ثلاثة أسطر لرئيس
مجلس الشعب .. يوم ما أحس انى مش كفاء أو يوم ما أحس ان احنا
مش قادرين أقول لهم .. دوروا على حد تانى يمشى • لأننى أنا غير كفاء
انى امشى في هذه المهمة • ما بيساوى عندى شيء • ولا بيزود
ولا بينقص عليه حاجة .. احنا أمام امتحان قدام شعبنا في المقام
الأول قدام رجولتنا • تاريخنا كله • قدام أجيالنا اللي جاية • هل احنا
موجودين ولا مش موجودين •

ربنا يوفقكم وشكرا ..

وانتهى هذا الاجتماع التاريخى بعد منتصف الليل بربع ساعة ..

وهنا يجب أن ننحنى تقديرا لموقف الرئيس السادات القائد الأعلى ..
أن أهم القيادات العسكرية أمامه كانت تخشى من الحرب • كان تقديرها
أننا سنتحول الى موقف دفاعى ، وأن اسرائيل ستضرب فينا كما تشاء •
هذه القيادات التى تدافع عن هذا الرأى هى المحيطة بالفريق صادق
وزير الحربية • نائبه الفريق عبد القادر حسن • اللواء على
عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية ..

ثم يسمع القائد الأعلى من اللواء عبد المنعم واصل ، ان اسرائيل
متقدمة عنا فى السواتر الترابية .. وأننا مكشوفون ، وأننا سنواجه
خسائر فادحة .. وهذا يعنى أن الخطة الدفاعية ٢٠٠ لا تنفذ !

ثم يسمع القائد الأعلى — اللواء نوال سعيد رئيس الامداد والتموين،
الذى لا يمكن أن يتحرك أى جيش الا اذا كان ملما بكل تفاصيل
الخطة .. يسمع القائد الأعلى منه ، تساؤلا : هل توجد خطة ؟ .. معنى
ذلك انه لم يخطر بأى شيء ..

ويصمت وزير الحربية فى هذا الاجتماع ، ولا يتكلم .. والرئيس يعرف
رأيه • ويعرف ما كان يتحدث به الى قيادات الجيش ، بأن الحرب
مستحيلة ، بالأسلحة السوفيتية التى نملكها ..

كل هذا • • ويقف أنور السادات كالعملاق • • ويؤكد قرار الحرب •
ويؤكد ثقته فى المقاتل المصرى والعسكرية المصرية • • ويعلم عن ايمانه
بأن الموقف هو أن نكون أو لا نكون • •

ويسرع على الفور فى اجراء تعديلات فى القيادة • • ويعين وزير
الحربية الجديد • • ويبدأ الاعداد الجاد للقتال •

هذا هو موقف التاريخ ، الذى لن ينسى لأنور السادات • •

بطولة اتخاذ القرار •

كان من الممكن أن يستند الى آراء هؤلاء القادة •

كان من الممكن أن يجد العذر ولا يتخذ القرار •

ولكنه قرار زعيم مسئول عن شعبه •• لا قرار رئيس جمهورية يتمسك
بالمقعد •

قرار التاريخ لأجيال الأمة العربية كلها ••

قرار لا يتخذه الا زعيم بطل •

الفصل الثالث

رسائل السادات الى قادة العالم

... « كان التحرك السياسى لمصر قبل حرب أكتوبر ، مستهرا ، وففعالا على نطاق المسرح العالمى الكبير شرقا وغربا ، وكان مواكبا للاستعداد العسكرى . لم يتوقف أيهما انتظارا للآخر . ولعل النشاط الكبير الذى وضع فى تحركنا السياسى ، اقنع الكثيرين ، أن احتمالات دخولنا الحرب ضعيفة ، بل مستحيلة . . والا فلماذا نبذل هذا الجهد المكثف فى السعى السياسى والدبلوماسى .

وكانت وجهة نظر الرئيس السادات ، أنه يضع زعماء العالم أمام مسئولياتهم ، وأنه يضمن بذلك التأييد السياسى العالمى لقرار الحرب .

ونرى فى رسائل السادات الى قادة العالم خطين متوازيين . أنه يستحث بكل الاصرار على جهود تؤدى الى سلام عادل مشرف . . وهو فى الوقت نفسه يحذر من أن مصر ستضطر الى استخلاص حقوقها بوسائل اخرى . . مؤكدا أن الموقف متفجر .

فنقرأ فى رسالته الى السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند فى ٥ مارس ١٩٧٣ — أى قبل الحرب بسبعة أشهر — نقرأ قول الرئيس لها : « لقد جاوز الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس سنوات ، وهذا موقف كما ولاشك تقدرين ، لايمكن السكوت عليه أو استمرار تحميله بكل ما يلقيه من اعباء نفسية ومادية على شعبنا » . ويشرح

لها مراوغات اسرائيل لقتل جهود السلام ثم يقول
« . . . ومما سبق يتضح بجلاء أن سياسة اسرائيل
تقوم على اغلاق جميع المنافذ والأبواب أمامنا ،
عدا باب واحد وهو باب الاستسلام لطالبها
والجلوس معها لفرض محدد وهو تحديد حجم
الغنيمة التي تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ،
ولكى تملئ علينا الشروط التي تقبل بها تعديل
خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو مالا نقبله ونعلن
أمام العالم رفضه ، وأن مسئولية ما يترتب عليه
يجب أن تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما أننا
واثقون من قدرتنا — بمساعدة جميع الدول
الصديقة والتي تؤمن بعدالة قضيتنا — على إزالة
العدوان الاسرائيلي بكافة آثاره » .

ويؤكد السادات مرة أخرى في ختام رسالته الى
أنديرا غاندي . . . « أننا نرجو مخلصين بأن يتحقق
هذا السلام وبالوسائل السلمية ، ونرجو مخلصين
ألا تضطر الى اللجوء الى وسائل أخرى أمام
الغطرسة الاسرائيلية من أجل استعادة حقوقنا
الأساسية المشروعة » . . .

وفي رسالة السادات الى موبوتو رئيس زائري
في ٢٢ مارس ١٩٧٣ ، يستحث الرئيس التضامن
الأفريقي ويطالب « بضرورة تضامر جهودنا واتخاذنا
المواقف الحاسمة من أجل إرغام اسرائيل على
أن تكف عن سياستها الفاشية » .

والرئيس السادات يحذر في رسالته الى هيث
رئيس وزراء بريطانيا في ٣١ يوليو ١٩٧٣ ، من
خطورة التعتن الأمريكي في المساندة الكاملة
لاسرائيل على السلام . . . « لقد أصبح واضحا
أن الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة ، هو تحد
لارادة المجتمع الدولي يسد الطريق أمام الجهود
للتوصل الى تسوية سلمية ، ويعرض السلام
والأمن الدوليين لمخاطر شديدة في منطقتنا » .

ثم نقرا في رسالة الرئيس السادات الى قداسة
بابا روما في مارس ١٩٧٣ ، موقفا مصريا يسجله
الرئيس ، وهو أننا « بالرغم من المجهودات
المضاعفة التي نبذلها في سبيل الحصول على
السلام فإننا نقاسي ظلم العدوان والطغيان » .

... وفي فصل مقبل من هذا الكتاب ، سيجد
القارئ قولاً للرئيس السادات يحدد فلسفته ..
« ان المعركة العسكرية يجب أن تكون في خدمة
المعركة السياسية .. كما أن المعركة السياسية
يجب أن تكون في خدمة المعركة العسكرية » ..

ورسائل السادات السياسية الى زعماء العالم،
كانت خدمة فعلاً لتهيئة الرأي العام العالمى
للمعركة العسكرية ..

وفي الصفحات المقبلة نصوص من بعض رسائل
الرئيس الى زعماء العالم ...

**رسالة الرئيس
الى أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند
فى ٥ مارس ١٩٧٣**

عزيزتى السيدة أنديرا غاندى
رئيسة وزراء الهند

لقد كنت آمل أن تتحقق رغبتى فى لقاءك أثر لقائى مع صديقنا وزميلنا العزيز الماريشال تيتو ، ولكن مشاكل ملحة طرأت وألقت بكامل ثقلها على الموقف فحرمتمنى مما كنت أرغب فيه ، بل وأتطلع اليه من تبادل الرأى معك والتشاور سويا بشأن الموقف العصيب الذى تمر به مصر والبلاد العربية . والواقع أننى كنت آمل أن أشرح لك شخصيا الأبعاد المختلفة لهذا الموقف لنفكر سويا فى الوسائل المتاحة لمعالجته بكل ما يستحق ذلك من جدية وحسم وعلى أساس المبادئ التى آمننا ومازلنا نؤمن وبأصرار بأنها يجب أن تكون أساس العلاقات الدولية .

سيدتى العزيزة :

لقد جاوز ، الاحتلال الاسرائيلى لبلادنا خمس سنوات وهذا موقف كما ولا شك تقدرين . لا يمكن السكوت عليه أو استمرار تحميله بكل ما يلقيه من أعباء نفسية ومادية على شعبنا ، فلقد أصبحت ميزانية الدولة تنوء بأعباء الدفاع الثقيلة التى تتزايد يوما بعد يوم وتعطل بذلك والى حد كبير جهودنا التى نحرص على ادائها كاملة من أجل التنمية ، كما اضطررنا الى أن نبقى فى ميدان القتال مئات الألوف من الشبان طوال هذه السنوات بكل ما يستتبعه ذلك من آثار نفسية واجتماعية واستنزاف لجهود هذه النخبة الممتازة من ابناء مصر وبغير طائل . ولقد تبادت اسرائيل فى صلفها فأخذت تخطط وتعمل لتغيير واقع أراضينا ومعالمها لتجابه العالم بما تسميه الحقائق البديلة . وأننى واثق أنك تتفقين معى فى الرأى على أن هذه الأوضاع هى بطبيعتها مما لا يمكن السكوت عليها أو تركها سنوات أثر سنوات بغير علاج فعال أو رد حاسم تجند له كافة الطاقات والامكانيات من سياسية واقتصادية وعسكرية .

سيدتى العزيزة :

لقد تعددت جهودنا من أجل السلام سواء عندما قبلنا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ أو عندما تعاوننا مع سكرتير عام الأمم المتحدة ومع مثله الخاص أو عندما عرضنا عليه اقتراحاتنا الخاصة بجدول زمنى يتم على أساسه تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وكذلك عندما قبلنا وشجعنا مباحثات الدول الأربع الدائمة العضوية فى مجلس الأمن ولم نتردد فى مساعدتنا هذه فى الاستماع والاستجابة لأى جهة كان لديها ما تقترحه فى سبيل التوصل الى تسوية شريفة . فلقد استمعنا الى فرنسا عندما اقترحت المباحثات الرباعية والى الولايات المتحدة عندما تحدثت عن احترام الحدود الدولية وتقبلنا بل وشجعنا زعماء افريقيا عندما نهضوا لصيانة العدالة الدولية الى جانب صيانتهم للحرية والكرامة الافريقية ، كما أعلننا قبولنا لمبادرة السفير يارنج فى فبراير ١٩٧١ ، الا أن كل هذه الجهود والخطوات من جانبنا قوبلت ، وكما كنا نتوقع ، برفض قاطع وعناد وصلف من جانب اسرائيل بل وبكل أسف بتردد وتراجع من جانب الولايات المتحدة التى أصرت فى نفس الوقت على مساندة المعتدين .

وأنى أود أنؤكد لك يا سيدتى العزيزة أننا اتخذنا هذه المواقف كلها حرصا منا فى المقام الأول على أن يلمس العالم ايماننا بالسلام ورغبتنا الأمنية فى أن نعيش فى ظل المجتمع الدولى وشرائعه .

ومما سبق يتضح بجللاء أن سياسة اسرائيل تقوم على اخلاق جميع المنافذ والأبواب أمامنا ، عدا باب واحد هو باب الاستسلام لمطالبها والجلوس معها لغرض محدد وهو تحديد حجم الغنيمة التى تحصل عليها ثمرة لعدوانها علينا ولكى تملئ علينا الشروط التى تقبل بها تعديل خطوط احتلالها لبلادنا ، وهو ما لا نقبله ونعلن أمام العالم رفضه وأن مسئولية ما يترتب عليه يجب أن تتحملها اسرائيل ومن يساندها ، كما أننا واثقون من قدرتنا بمساعدة جميع الدول الصديقة والتى تؤمن بعدالة قضيتنا على ازالة العدوان الاسرائيلى بكافة آثاره .

وازاء تعنت اسرائيل ورفضها الاستجابة لأحكام النظام الدولى فاننا نعتقد أن على دول عدم الانحياز عدم الاكتفاء بشجب موقف اسرائيل واستنكاره ، فمجموعة عدم الانحياز أخذت فى أكثر من مناسبة مبادرات

ايجابية وفعالة لحماية السلام العالمى وكان دائما لسياسة دول عدم الانحياز تأثير مباشر على مسرح السياسة الدولية كلما تعرض السلم والأمن الدولى لأخطار الحروب • ولا شك أن العالم اليوم يتعرض لتهديد مباشر وشديد بسبب الموقف المتوتر المشحون بالأخطار فى الشرق الأوسط • ولذلك فأننى آمل أن تتمكن دول عدم الانحياز من مباشرة دور قيادى وتقوم بنشاط مكثف بين مختلف الدول لتأكيد مسئولية المجتمع الدولى نحو ازالة آثار العدوان الاسرائيلى والعمل على اقرار السلام العادل فى الشرق الأوسط •

وفى ختام خطابى هذا أود أن أؤكد أننا نرحب دائما بكافة الجهود الأمينة من أجل التوصل الى حل سلمى عادل ومشرف ينتهى بانسحاب اسرائيل من كافة الأراضى العربية التى احتلتها أثر عدوانها فى يونيو ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وأننا نؤمن بأن أقرار السلام العادل هو مسئولية المجتمع الدولى وان هذا واضح من تصرفاتنا بما لا يدع مجالا لأى شك واننا نرجو مخلصين بان يتحقق هذا السلام وبالوسائل السلمية ونرجو مخلصين ألا نضطر الى الالتجاء الى وسائل أخرى أمام الفطسة الاسرائيلية من أجل استعادة حقوقنا الأساسية المشروعة •

سيدتى العزيزة :

أننى اذ أبعث اليك خطابى هذا مع السيد وزير الخارجية الدكتور محمد حسن الزيات لكى يضع امامك كافة حقائق الموقف الراهن وتفصيلاته ويوضح تفكيرنا ازاءه من أنك شخصيا والحكومة الهندية والشعب الهندى الصديق سوف تبذلون كما عودتمونا دائما أخلص الجهود وأقواها لمساندة قضيتنا العادلة فى هذ الموقف الدقيق الراهن •

القاهرة فى ٥ مارس ١٩٧٣

محمد أنور السادات

رسالة الرئيس
الى موبوتو . . رئيس زائير
في ٢٢ مارس ١٩٧٣

عزيزى الرئيس موبوتو سيسى سيكو
رئيس جمهورية زائير

أبعث اليكم بخالص تحياتى مقرونة بأطيب تمنياتى لكم بالصحة
والسعادة والهناء والتوفيق ولشعب زائير الصديق بمزيد من التقدم
والازدهار تحت قيادتكم الرشيدة .

لقد تابعنا بأهتمام ردود فعل الدول الافريقية الشقيقة ، كما لاحظنا
بصفة خاصة ، بالتقدير موقفكم العادل والمشرق من حادث العدوان
الاسرائيلى الاجرامى ضد الطائفة المدنية الليبية وهو عدوان يمثل حلقة
جديدة من استخفاف اسرائيل بكل المبادئ الانسانية والقانونية التى
تتمسك بها شعوبنا فى سعيها لبناء عالم أفضل . كما أن هذا الحادث يؤكد
اقتناعنا جميعا بضرورة تضافر جهودنا واتخاذنا المواقف الحاسمة من
أجل اргام اسرائيل على أن تكف عن سياستها الغاشمة وتستجيب لأحكام
القوانين الدولية بأن تنسحب من جميع الأراضى العربية التى احتلتها
غدرا وعدوانا . وأن تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى السياسية
والانسانية .

ان موقف الدول الافريقية الشقيقة التى قررت قطع علاقاتها
الدبلوماسية باسرائيل لخطوة هامة لاسماع صوت قارتنا عاليا وابرار
تصميمها على التضامن فى وجه العدوان الاسرائيلى والاطماع الصهيونية
التوسعية .

ان هذا القرار يعد تعبيرا عن الادراك العميق لافريقيا بأن التضامن
الفعال بين شعوبها هو وحده الكفيل بتحقيق النصر لها .

مع وافر تحياتى واحترامى . .

القاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٧٣

أخوكم
(محمد أنور السادات)

رسالة الرئيس
الى هيئ رئيس وزراء بريطانيا
في ٣١ يوليو ١٩٧٣

عزيزى المستر أدوارد هيئ
رئيس وزراء المملكة المتحدة

لقد رأيت أن أكتب اليكم — بعد انتهاء اجتماعات مجلس الأمن بناء على طلب مصر لبحث مشكلة الشرق الأوسط ، لأعبر لكم عن خالص الشكر والتقدير للموقف الذى اتخذته بلادكم خلال مناقشات المجلس وما اظهره مندوبكم فى المجلس من تعاون مع وزير خارجيتنا ، وما أبداه من تأييد واضح وصريح لمشروع القرار الذى يؤكد ضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ بالمخالفة لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ، ويؤكد ضرورة احترام حقوق وآمال الشعب الفلسطينى .

ولقد كان هذا الموقف — فوق أنه يعكس علاقات الصداقة بين بلدينا وتأييد أوروبا لموقفنا — تعبيراً عن المبادئ السامية التى تؤمن بها جميع الشعوب والدول المحبة للحرية ، والعدل والسلام .

ولقد أصبح واضحاً أن الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية لتحويل دون صدور القرار الذى صوتت لصالحه ١٣ دولة — هو تحد لارادة المجتمع الدولى يسد الطريق أمام الجهود للتوصل الى تسوية سلمية — ويعرض السلام والأمن الدوليين لمخاطر شديدة فى منطقتنا التى تتطلع الى تحرير أراضيتها وأسترداد حقوقها وبناء سلام عادل تستطيع فى ظله الاسهام بطريقة ايجابية وبناءة فى تحقيق الأمن والرخاء فى العالم .

وليس من شك فى أن المجتمع الدولى فى مواجهته هذا الموقف الأمريكى المعوق والذى يتناقض مع مسئوليات دولة كبرى عليها مسئولية خاصة تجاه السلم والأمن الدوليين — سوف يواصل — داخل الأمم المتحدة وخارجها — دعم جهودنا من أجل حقوقنا التى تقرها الغالبية الساحقة من دول العالم .

وانى اذ أبعث بأطيب تمنياتى بالصحة والسعادة لشخصكم ، أرجو للشعب البريطانى اطراد التقدم والنجاح والازدهار .

محمد أنور السادات

القاهرة فى ٣١/٧/١٩٧٣

رسالة الرئيس
الى بابا روما
في ١٩ مارس ١٩٧٣

قداسة البابا

تسلمت بكل تقدير واعزاز رسالتكم التي وجهتموها بمناسبة يوم
السلام العالمى في شهر يناير عام ١٩٧٣ ، وقد وقعت من أنفسنا موقعا
حسنا لأننا نشارك قداستكم ولاعكم واخلاصكم لقضية السلام اذ أننا
في هذه المنطقة من العالم نواجه عدوا يبدى اصرارا على الغزو والعنف
واراقة الدماء ، عدوا لا يعرف الالغة الحرب •

ونحن نعلم جيدا من خبرتنا المرة خلال الخمس سنوات الأخيرة أن
استتباب السلام ليس بالأمر الهين ، فبالرغم من المجهودات المضاعفة
التي نبذلها في سبيل الحصول على السلام فاننا نقاسى ظلم العدوان
والطغيان •

اننا نشارك الآمال التي تحدد قداستكم نحو مستقبل أفضل للأمم
المتحدة ، مستقبل تكون فيه المنظمة الدولية أداة لاقرار النظام وتتركز
عليها آمال الشعوب نحو عالم يسوده العدل والحق حتى تصبح المنظمة
في حد ذاتها قانون سلام يحكم العلاقات الدولية • وقد أبدينا من قبل
ثقتنا بالمنظمة كمؤسسة تعبر عن أمل الانسان في البقاء وقد توجهنا اليها
ننشدد معونتها في جميع مراحل أزمة الشرق الأوسط والتزامنا بجميع
قراراتها منذ انشائها •

ونحن نعتقد أن السلام يجب أن يقوم على العدل والمساواة وأن
يحتوى الانسانية جمعاء بغض النظر عن العقيدة واللون والجنس أما
التمييز والتعصب السياسى الذى تمارسه بعض الدول فهو من أهم
أسباب الحرب والصراع •

ودعائنا الى الله أن يلهمنا جميعا للعمل من أجل أن يكون هراع
الانسان في سبيل العدل والتفاهم الذى بدونه لا يمكن اقرار السلام •

القاهرة في ١٩/٣/١٩٧٣

محمد أنور السادات

الجزء الثاني

الوثائق السياسية

الفصل الأول

ثلاث مساء من أبريل ١٩٧٣

●●● « في مايو تمت آخر تجربة كاملة للعبور . اتخذ القرار الخطير . السادات يوفد وزراء في مهمات سرية . أسرة الرئيس ترفض تغيير المنزل مع أنه هدف معروف للاعداء . نصائح الرئيس بالعدول عن الحرب نهائياً، وإعلان المفاوضات المباشرة مع إسرائيل . الرئيس يؤكد في حديث خاص - للمؤلف - أننا إذا لم ندخل قبل نهاية ١٩٧٣ ، فانتنا لن ندخلها أبدا . حسابات دقيقة عن قوة إسرائيل . بورقيبة يائس . القذافي يؤكد أننا لن ندخل حرباً . وفجأة بدأت الحرب » ●●●

ذات مساء من أبريل عام ١٩٧٣ .. وجدت من واجبي أن أتحدث الى الرئيس أنور السادات ، بكل ما يؤرق نفسى .. وبكل الوضوح •

لقد أمضيت أكثر من ليلة عاجزا عن النوم حتى يشرق النور • كان قد تأكد لى من أكثر من مصدر ، أننا مقبلون على الحرب فعلا ، وخلال وقت قصير جدا • لقد تصورت حينئذ .. ربما أسبوعين أو أقل •

وعرفت أن الرئيس استدعى أحد الوزراء ، وكلفه بمهمة سرية سافر اليها الوزير ، خاصة بتوفير مادة استراتيجية هامة من مواد الحرب •

وقال الرئيس للوزير :

سأبلغك بساعة الصفر قبلها بوقت كاف ، لكى ترتب نفسك •

وأذكر أننى أثرت هذا الموضوع ، فى اجتماع لمجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم ، وطالبت باستكمال كل استعدادات الدفاع المدنى وكنت أؤكد أننى أشم بأنفى الصحفية أن المعركة تقترب جدا •

وزاد يقينى ما سمعته من مصدر ثقة عن هذا الحوار الهام الذى دار — حينذاك — بين الرئيس أنور السادات والسيدة جيهان قريفته ..

قال لها الرئيس :

— عليكم من الآن أن تبحثوا عن منزل غير هذا المنزل • ان المعركة ممكن أن تبدأ فى أية لحظة • ولا شك أن منزلنا مطمع محدد لطائرات العدو • وموقعه معروف • وأنا لن أكون معكم • • مكانى سيكون فى قيادة القوات المسلحة وأماكن أخرى ليل نهار • •

ولكن السيدة جيهان اجابته • • بأنها ستبقى فى المنزل ، وما يحدث ، سوف يحدث ، وهى تفضل أن تعيش أيام الحرب كأية أسرة مصرية • •

وقد سعد الرئيس السادات بهذه الاجابة ، وهذا الاصرار .. وقال لها
أنه كان متأكدا تماما ، من أن هذا سيكون موقفها .. ومع ذلك فقد أراد أن
يعطيها الخيار .

عندئذ قلت لنفسي .. اذا كان الرئيس يتحدث هكذا مع السيدة قرينته
.. فلا شك أن القرار قد اتخذ تماما . ولم يبق الا التوقيت .. ولا شك
أيضا أنه قريب جدا !

وكان الرئيس قد أدلى بحديث الى « بورجريف » كبير محرري
النيوزويك ، أكد فيه بصراحة كاملة ، أن الحرب على الأبواب .. وخلال
وقت قصير ، وتحدث في اجابته لمحرر النيوزويك — بقوله .. انتظروا
وسترون أن هذا سيحدث وفي وقت أقرب مما تتصورون .

وأذكر أنني اتصلت بالدكتور أشرف مروان المستشار الصحفي
لرئيس ، وقلت له أن لهجة الحديث عنيفة جدا .. وأحسست منه بأسلوبه
الدبلوماسي أن يؤيدني ..

وكان « بور جريف » قد اتصل بي أكثر من مرة ، قبل أن يقابل
الرئيس أنور السادات وتناقشنا في الموقف طويلا . وهو صحفي عالمي
على أوثق الصلات بأكبر الساسة في دولهم .. وله صداقة مقربة بالدكتور
كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية . وهو الصحفي الأمريكي الوحيد
الذي كان له لقاء خاص معه عندما حضر كيسنجر الى القاهرة لأول مرة .
.. وكان « بورجريف » يرى أن دخولنا الحرب مسألة خاسرة علينا
ألا نفكر فيها ...

وقال لي :

— لو كنت الرئيس أنور السادات .. لأستطعت أن أقضى على
جولدا مائير باعلان سياسي واحد ..

قلت :

— كيف ؟ ..

قال :

— لقد أخرج الرئيس الخبراء الروس • والخطوة التالية هي أن يعلن الغاء المعاهدة مع السوفيت •• وأن يعلن للعالم كله ، أنه لن يدخل الحرب ، وأنه يعرض مفاوضات مباشرة مع جولدا مائير من أجل السلام •

قلت :

— وماذا بعد ؟ ••

قال :

— عندئذ يكسب الرئيس السادات العالم في صفه •• وتتهار كل حجج مائير •• فهم يقنعون العالم الآن بأن أمن اسرائيل معرض للخطر ، لأن السادات لا يريد السلام •• ودليلهم أنه يرفض المفاوضات المباشرة وكل مشكلات العالم الآن تحل بالمفاوضات المباشرة ••

وقلت لبورجريف :

— أن ما يقوله مجرد خيال • أولا لأنه ليس من صالحنا أولا أن نتخلى عن صداقة الاتحاد السوفيتي •• وقرار اخراج الخبراء السوفيت ، هو قرار وطني مائة في المائة ، قد اتخذ بعد أن استنفذ الخبراء مهمتهم •• وأصبح وجودهم ، وكأنه اتهام لنا بأننا سوف نحارب بقوات روسية •• وقد جاء الخبراء بناء على طلبنا في عهد عبد الناصر •• ومن ناحية أخرى ، ليست هناك جدوى على الإطلاق ، من المفاوضات المباشرة مع اسرائيل •• فما معنى المفاوضة وأنا عاجز ؟ •• وبالعكس سوف يكون ما تتصوره أنت قاضيا على جولدا مائير وكل الصقور •• مدعاة لمضاعفة غرورهم •• وستقشل المفاوضات طبعاً لأننا لن نحرر شبرا واحدا من أرضنا •• ونعود مرة أخرى مائة سنة الى الوراء ••

وقال بورجريف :

— اذا أفشلت اسرائيل مفاوضات السلام ، فهذه ورقة في يدكم أمام العالم •• وهذا أيضا يضعف القوى السياسية الأمريكية المدعمة

للصهيونية ، بحجة أنكم لا تريدون مفاوضات السلام .. ويمكن أن
تتصرفوا الى مشكلاتكم الداخلية الاقتصادية والاجتماعية ..

قلت :

— اذا كنت مخلصا لمصر فأنت تعيش في أوهام .. ولا طريق أمامنا
الا الحرب • ولن ترعوى اسرائيل الا اذا ذقت مرارة الحرب ..

قال :

— وما فائدة الحرب اذا لم تنته بانتصاركم ..

قلت :

— لا أريد أن أقول أننا سوف ننتصر • ولكننا لن نهزم • سوف نلحق
باسرائيل خسائر فادحة في الأرواح والعتاد .. وسوف تلحق بنا
اسرائيل أيضا خسائر فادحة .. ولكننا نحتمل الخسائر ونستطيع أن
نستوعبها • أما اسرائيل فلن تقدر ..

وبدا « بورجريف » أنه غير مقتنع • لقد زار اسرائيل أكثر من مرة •
ويعرف قادتها واحدا واحدا • ويعرف مدى قوة اسرائيل العسكرية •
وهو هناك ليس شخصية محبوبة من مائير • وقد أخرجته مرة مائير في
مؤتمر صحفي ، وعتبت عليه ، أنه لا يقدر معنى أمن اسرائيل الذي
يواجه الأخطار •

فقلت لورجريف :

— لاتنس يا بورجريف أن الحرب ليست مواجهة عسكرية بين جيشين
فقط • هناك أساليب أخرى عديدة ، سوف نلجأ اليها •

قال : ماذا تقصد ؟ •

قلت :

— لا أعرف كيف يمكن أن تحدث ، ولكنى واثق أنها لا بد أن تكون في تخطيطنا .. وليس أمامنا إلا أن نخرب جميع المصالح الاقتصادية الأمريكية في المنطقة العربية من أقصاها الى أقصاها ..

قال :

— كيف ؟ ..

قلت :

— لا أعرف كيف .. ولكنى أعرف أن الدول الصغيرة قادرة على إلحاق أخطر الأضرار بالدول الكبرى التى تملك الصواريخ الذرية ..

ولم يقتنع بوجريف .. وكان مصرا على رأيه أن دعوة السلام من السادات ، ونبذ فكرة الحرب .. هى الطريق الوحيد أمام الرئيس •

واستقبله الرئيس السادات • وأجرى معه ذلك الحديث المثير ، الذى أكد فيه أن الحرب على الأبواب • وقد وصف أحد وزراء المانيا الاتحادية الذين جاءوا الى مصر — بعد قطع البترول العربى — هذا الحديث بقوله : لقد قرأنا كلمات السادات فى النيوزويك فى أبريل • • ولكننا لم نفهمها الا فى ٦ أكتوبر !

وأذكر أن النيوزويك ، نشرت فى نفس العدد مع الحديث ، تحليلا سياسيا ، مؤداه ان مصر عاجزة • كما نشرت قصة خبرية ، تقول أن طائرة هيلوكبتر اسرائيلية هبطت فى موقع مصرى على الضفة الغربية ، وأسرت عددا من الجنود والضباط المصريين ، وعادت بهم .. دون أن تتعرض لطلقة واحدة مصرية ..

وأنزعجت من هذا الخبر •

واتصلت بالدكتور محمد حافظ غانم أمين أول اللجنة المركزية • وكان حديثا فى منصبه — وأبلغته بما نشرته النيوزويك .. وقلت له أنه يحتاج

الى توضيح .. واذا كان حقيقيا .. فلماذا لا تكتب الحقائق .. وليس
من العيب أن تتسرب طائفة للعدو • هذا يحدث كثيرا • وبعد دقائق ..
عاود الدكتور غانم الاتصال بى ، وقال لى أنه تحدث مع الفريق أحمد
اسماعيل وزير الحربية فى هذا الخبر .. فأكد الوزير أنه كذب .. وأنه
جزء من الحرب النفسية .. بل قال فى لهجة الواثق :

— لو أخذوا منى جنديا واحدا .. لأخذت منهم بدله على الفور عشرين •



وكان صدى حديث الرئيس السادات الى النيوزويك .. مختلف
الاتجاهات فى أمريكا .. ولم يصدق أحد ..

فى اسرائيل .. خرجت التعليقات كالعادة على كل تصريح للرئيس
بأنه حاكم يفتقد الى الشعبية والتأييد .. وأن هذه الكلمات للاستهلاك
المحلى .. وللدرد على الأحداث التى تطالب بالاستعداد الحقيقى للحرب •

فى أوروبا .. لم يغير من الموقف شيئا •

أما فى الداخل ، فقد اختلفت الآراء ..

المؤيدون للسادات الذين يرون أن الرجل تسلم تركة مثقلة ، لا ذنب
له فيها ، يجدون أن من حقه أن يناور ، وأن يلعب بكل الأوراق التى بين
يديه .. وماذا يمكن أن يفعل ؟ .. ان أمامه مشكلة لا حل لها الا بالحرب
.. فاذا كان غير قادر عليها ، فليس خطأه ..

المتحفزون لتأليب المشاعر ضد السادات ، وهم قلة لها نوعية خاصة ،
وهذا موقفها منذ ١٥ مايو .. يرون أن السادات لن يحارب •

الواثقون من صلابة أنور السادات ، وقدراته ، ووطنيته ، ومصريته •
فى قلق كبير عليه • بل يخشون أنه يتعجل قرار الحرب ، وأن نفاذ الصبر
ربما كا له تأثير على القرار .. ولذلك فانهم يضعون أيديهم على قلوبهم

غلقنا على رجل سيمنع لمصر الكثير .. لو أنقذه الله من محنة احتلال الأرض .

غلة لا يعرفها الناس واثقة من القرار ، وتنفيذ القرار .. وهؤلاء هم قيادات القوات المسلحة . ولكنهم كانوا يعملون في صمت كامل .

وكننت من القلقين .. لعدة أسباب ..

كننت مقتنعا بأن من حق أنور السادات أن يأخذ الوقت الكافي في الاستعداد .. عاما آخر أو عامين أو ثلاثة أعوام . فمشكلات حصولنا على السلاح الكافي ليست بالهينة .

كننت مقتنعا بأن الحملة ضد أنور السادات من هذه « النوعيات » في مصر وبعض البلاد العربية ، هدفها دفع السادات الى حرب سريعة خاسرة .. ومن ثم يمكن أن تكون أمامهم الفرصة لتحقيق أطماعهم السياسية في الحكم .

لقد كنت مؤمنا ، تماما ، بأن الحرب هي سبيلنا الوحيد . ودعوت الى هذا في كل ما كتبت . ولكنني لم أكن أتعجل القرار أبدا .

ولذلك أمضيت ليالى عديدة ، يهدنى الأرق .. وأنا أفكر .. بعد أن تجمعت لدى المعلومات ، بأن الحرب على الأبواب .. ووجدت من الأمانة أن أعبر عن أفكاري بصدق ، للرئيس ..

وتحدثت اليه ..

وقد بادرني الرئيس بتوجيهه أن الأقلام يجب أن تتجه كلها الى قوعية الناس بالمعركة .. ويجب أن نركز تماما على أنها حرب توضيحية وأننا ستكون حربا شرسة .. وأنها ستصل الى كل موقع ..

ومن هنا وجدت فرصة النقاش ..

قلت للرئيس :

— الشعب معك .. والشعب يثق في كل قرار تتخذه سيادتك • ولكن أحدا لا يتعجل القرار • فليكن بعد عام .. بعد عامين .. لنا قدرة على الاحتمال .. ولكن يجب أن نأخذ وقتنا الكافي في الاستعداد الكامل ..

قال الرئيس :

— أننى لا أتخذ أى قرار تحت أى ضغط • هذه طبيعتى • وهذا مصير بلد • وليس أمامنا الا القتال .. وإذا لم نقاتل هذا العام ، فلن نقاتل أبدا ..

قلت :

— أنى يا سيادة الرئيس ، لا أحشر أنفى فيما ليس لى فيه .. ولكننى فقط أريد أن أؤكد لك ، أن الشعب بثقته فيك ، يمكن أن ينتصر .. المهم أن نأخذ وقتنا لنكسب المعركة ..

قال الرئيس :

— كل الحسابات الدقيقة عملت ، من جميع النواحي .. حتى فى أصغر التفاصيل النى لا تخطر على بال .. وأنا واثق أن الله معنا .. وكل الحسابات تؤدى الى أنه لا مفر أمامنا من القتال قبل نهاية ٧٣ .. بعد هذا قد يتغير الموقف العسكرى فى غير صالحنا • ولدينا معلومات دقيقة ، عما تملكه اسرائيل الآن .. وعما يمكن أن يكون بين يديها فى العام المقبل ..

قلت :

— ولكن .. هل من العدل أن نتحمل أعباء المعركة وحدنا ..

قال :

— هذا قدرنا ..

قلت :

— أليس من الأوفق أن نضمن مشاركة عربية ..

قال :

— عندما يبدأ القتال .. ستشارك الدول العربية ..

قلت :

— أننى أشك فى هذا تماما يا سيادة الرئيس .. وكل ما اتوقعه
بضع مظاهرات شعبية ..

قال :

— لا .. تأكد أن الطلقة الأولى ، ستغير الموقف العربى كله ..

قلت :

— على بركة الله يا سيادة الرئيس .. وكلنا معك حتى آخر قطرة
من دم .. وأسأل الله أن يعطيك الصحة .. يا أمل مصر ..

* * *

وقد تأكد لى بعد ذلك ، أن القرار النهائى قد اتخذ فى ابريل فعلا ، ولم
يكن باقيا الا التوقيت النهائى ، واللحظات الأخيرة ، فى استكمال بعض
أنواع السلاح الناقص .. وبعض معدات العبور .. فقد أجريت آخر
تجربة عسكرية للعبور فى شهر مايو ، واتفقت كل الآراء العسكرية ، على
أننا أصبحنا قادرين فعلا على نجاح العبور .. ولكن كانت تنقصنا حينئذ
بعض المعدات العسكرية ..

وقد صرح لى بذلك الفريق سعد الشاذلى .. فى نوفمبر الماضى ..

* * *

وخلال شهر أغسطس .. كان كل شيء معدا تماما ..

عقدت القيادات العسكرية المصرية والسورية ، الاجتماع السرى -
الذى أصبح مشهورا - فى العاشر من أغسطس ، وفى مدينة الاسكندرية
وتتم الاتفاق على حالة الاستعداد الكامل لخوض القتال ..

وكانت القيادات العسكرية السورية قد حضرت الى الاسكندرية ،
بطريق البحر .

وبعد الاجتماع ، اتفق على أن يكون تحريك القيادات العسكرية ،
بين مصر وسوريا ، بالأسلوب الفردى لا الجماعى .. وقد نبه رئيس
الأركان السورى الى ذلك ، بقوله .. ان وجود القيادة كلها فى طائرة
واحدة .. أمر بالغ الخطورة .

وعاد القواد السوريون .. الى دمشق متفرقين .



وأضى الرئيس أنور السادات بعض الوقت فى استراحة « برج
العرب » قريبا من الاسكندرية . وتصور الرأى العام ، أن الرئيس
منشغل باجراء تعديل وزارى . والحقيقة أنه كان معطيا كل وقته للاعداد
العسكرى والداخلى للقتال . ودعا فى برج العرب ، الى أكثر من اجتماع
سرى ، لم يعلن عنها . ومنها اجتماع مع المحافظين وامناء المحافظات
نبه ثيه بشدة الى ضرورة اليقظة الكاملة ، والاشراف الدقيق من الآن
على المرافق العامة ، ومتابعة الاكتمال فى أجهزة الدفاع المدنى والشعبى
.. وحذر المحافظين من امكانية وقوع أى تسلل اسرائيلى من قواتهم
الخاصة (الكوماندوز) .. وقال الرئيس : انه لن يغفر أبدا هذا ..
ولا أتبل أن يجرى فى مصر ، ما جرى فى لبنان .. من تسلل الاسرائيليين
وارتكابهم جرائم داخل بيروت . ثم هربهم .

وكن الرئيس لم يحدد للمحافظين توقيتا .. ولم يتحدث بوضوح
كامل .. وخرجوا جميعا من اللقاء ، وهم يستشعرون ان القتال أصبح
قريبا . والغيت جميع اجازات المحافظين .

وفي اجتماع الرئيس مع اتحادات الطلبة في برج العرب أيضا ، استطاع بعضهم أن يستنتج من بعض تلميحات الرئيس اليهم أننا اقتربنا من المرحلة القتالية .. ولكنهم لم يفهموا تماما ما قصد اليه الرئيس ، الا بعد ٦ أكتوبر .. وأخذوا يسترجعون كلماته في لقاءه معهم .. كما قال لي أحدهم •



وخلال شهر يوليو وقع حادث غريب في الوسط الصحفي ..

كان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير « الأهرام » في رحلة صحفية الى الخارج • وفي باريس اجتمع بعدد من الصحفيين الفرنسيين الذين سألوهم عن رأيه في المسيرة الليبية التي دبرها العقيد معمر القذافي ، لتطالب بالوحدة الفورية باسم ما يطلقون عليه الثورة الشعبية .. وقد كان موقف مصر حكومة وشعبا ضد هذا التهريج السياسي لعدة أسباب •

١ — ان الوحدة لا تتحقق بتدبير مظاهرات أو مسيرات •

٢ — أن الوحدة ليست مجرد شكل أو شعار .. ولكنها تخطيط علمي ، يحقق أهدافها اقتصادا وتعلما وتشريعا .. وأنها يجب أن تتم على خطوات راسخة • فالوحدة لا خلاف عليها ، ولن يكون هناك خلاف عليها • ودور أنور السادات في هذا ، لا يمكن النيل منه •

٣ — أن العقيد القذافي أتيحت له الفرصة الكاملة في مصر ، لاجراء مناقشات حرة موضوعية في مجلس الوزراء وفي دور الصحف ، وفي مجلس الشعب ومع التنظيم النسائي في الاتحاد الاشتراكي العربي • وقد لمس أن الرأي العام في مصر ، يؤيد الوحدة بكل الاقتناع ، ولكنه لا يتقبل الاندماج الفوري ، بدون اعداد حقيقي ، كما لا يتقبل التجارب الداخلية في ليبيا ، لتطبق في مصر ، لأننا تجاوزنا هذه المرحلة تماما •

٤ — في مرحلة الاعداد للقتال ، لا يجوز أن نشتغل الآن باجراءات وحدة فورية ، ولا بد من توجيه كل الجهود للحرب •

٥ - وكان القذافي يفتح مدافعه الكلامية ، على المملكة السعودية ، ويطالب باسقاط الحكم فيها ، ويريد من مصر أن تشارك في الهجوم على الملك فيصل .. ودول الخليج والكويت .. ويصرح بأنه لابد من تصدير الثورة الى هذه الدول .. ورفضت مصر هذا المنطق تماما .. فالاعداد للمعركة يحتاج الى توحيد كل القوى العربية .. وقد فشلت تماما سياسة التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية .. واتضح بعد ذلك ، أن الرئيس السادات كان على اتفاق كامل مع الملك فيصل على خطوات المعركة .

و لكن محمد حسنين هيكل تحدث الى الصحفيين الفرنسيين في باريس ، بما يؤيد المسيرة الليبية ، واعترض على وقفها ، وقال أنها كان يجب أن تستقبل بالأحضان ، وأيد كل تخطيط القذافي . ونشرت الصحف هذه الأحاديث .

وكان من قبل ، قد اختار خطأ واحدا في كل ما يكتبه ، وهو أن انتصارنا وحدنا في الحرب هو المستحيل .. وكانت مقالاته مثيرة لمشاعر الجنود والضباط الذين أمضوا في خنادق الجبهة ٦ سنوات .. يستعدون للحظة الحاسمة . وأذكر أنني تصديت لهذه المقالات التي رأيتها - تساند بأسلوب غير مباشر - حملة الحرب النفسية ضدنا .. وتعمق الفكرة .

انسأدة أننا عاجزون عن الحرب ..

وثارت بلبلة كبيرة بين صفوف الرأي العام .. رئيس الدولة ، يؤكد في كل ما يقول على حتمية المعركة .. وكاتب كبير مسئول ، يظهر في كتاباته أنه يلتقى بالرئيس وأنه عليم ببواطن الأمور .. يؤكد حتمية الهزيمة بايماءات عديدة واضحة وغير واضحة ..

والتقى الرئيس السادات في أغسطس بمحمد حسنين هيكل .. وخيره عملاً بين ثلاثة مواقف :

١ - اذا كان غير مؤمن بخط المعركة .. فيمكن أن يستقيل ، ولا يكتب غير ما يقتنع به ..

٢ - إذا كان راغبا في الخدمة العامة ، فيمكن أن يفيد الدولة بخبراته وآرائه ولكن في منصب رسمي •

٣ - إذا كان مصرا على الاستمرار ، في التشكيك من جدوى القتال •• فهو يعرض نفسه للعزل من مسؤوليته كرئيس تحرير ••

وأكد محمد حسنين هيكل للرئيس ، أنه ملتزم تماما بخط المعركة •• وأن ما نشر في الصحف الفرنسية محرف وغير صحيح •• وأنه لا يقر بحال أسلوب القذافي •• وقال رأيا في هذا ، يتنافى مع كل ما كتبه عن القذافي •• وبكى مؤكدا صدقه •

وتقبل أنور السادات هذا الالتزام من محمد حسنين هيكل •• وكان معروفا أن الرئيس كان قد قرر فعلا أسناد مسؤولية أخرى له •• تقبل أنور السادات هذا الالتزام ، مع أن نصوص كل مانشره هيكل في صحف فرنسا بين يديه •• ولم يكن يهم الرئيس الا التزام كل مصرى ، بالاستعداد للحرب •• حلا حتميا لتحرير الأرض ، وتحريك القضية العربية دوليا ••

ولم يصدر قرار بنقل هيكل من « الأهرام » ••

وكان ذلك موضع تعليقات مندهشة في كل الوسط الصحفى •

وبعد ٦ أكتوبر •• عرف الصحفيون السر •• كان الرئيس حريصا على تجميع كل الطاقات من أجل المعركة • وكان لا يهمه الا التزام كل المواقع المسؤولة بهذا الاتجاه التاريخي الذى لا عدول عنه ، لرفع الكرامة المصرية •• وظهر ذلك في قراره بعودة الصحفيين المبعدين من الاتحاد الاشتراكي وبالإغراج عن الطلبة •• حتى تدخل مصر كلها المعركة •• بلا أى فجوة داخلية • لقد كان أنور السادات يتصرف •• فى ظل تهيئة كل الأجواء ، لليوم الحاسم • ولم يكن أحد يعرف أن الأيام تقترب بسرعة من ساعة الصفر •

وأذكر أن شخصية سياسية قريبة الصلة بالرئيس أنور السادات •• اعتادت دائما أن تصارحه بكل رأى تراه بلا حرج • وهذه الشخصية

مؤمنة تماما بقيادة الرئيس السادات .. ولكن عندما بدأ حديث الحرب يرتفع .. وخاصة بعد تصريحات الرئيس لمجلة « النيوزويك » .. بدأ صاحبنا يسمع الكثير في اتصالاته وجولاته السياسية .. وشعر بأن الحرب النفسية للاعداء ، توحى للناس ، أن اليوم الأول للحرب ، يعنى أن إسرائيل ستدمر القاهرة وكل المدن الكبرى .. وأن أمريكا سوف تشترك بكل قوتها العسكرية لتخريب كل المرافق .. حتى يقع النظام .. وكانت الحرب النفسية تروج الاشاعات عن عدم استكمال استعدادنا العسكرى .. مما كان له بعض الأثر فى النفوس ..

وقد أسرع صاحبى وطلب لقاء مع الرئيس .. ونقل اليه الصورة كما سمعها من بعض الناس ..

وقد التقيت بهذا الصديق — وهو الأستاذ محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب — بعد اجتماع الرئيس به .. وسألته عن النتيجة ..

فقال لى :

— أن أنور السادات شخصية غريبة .. كثيرا ما أذهب اليه ، وأنا مقتنع تماما بالرأى المخالف .. وأناقشه بكل حرية وصدق وبدون أى حرج فى أبداء رأى .. ولكننى أخرج من لقاءه دائما مقتنعا تمام الاقتناع ، بوجهة نظره .. لقد ذهبت اليه هذه المرة ، مهتز الوجدان .. وخرجت من عنده ، وكأننى أحمل بندقية .. وكأننى مستعد للقتال فى التو واللحظة .. وبكل الثقة فى الانتصار ..

* * *

وانتهى شهر أغسطس .. وأنا اتابع انباء الاستعداد للقتال .. والتقيت بالدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء .. وبعد حوار طويل استمر أكثر من ساعتين .. وجدته يعد بكل هدوء الاعصاب ، لخطة الاعلامية عندما تبدأ المعركة .. وهذا يفسر أن الاعلام خلال فترة الحرب ، كان هادئا وناجحا ، واستطاع أن يكسب ثقة العالم .. لأن كل شئ كان مخططا له من قبل ، وفى فسحة من الوقت ..

والتقيت بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء .. ووجدته ممثلاً بفكرة القتال ، مطمئناً تماماً الى امكانيات الدفاع الشعبي والدفاع المدنى .. واثقا من الانتصار .

وكنفت مدعوا للسفر الى تونس في العشرين من أغسطس لعشرة أيام .

وشددت الرحال الى هذا البلد الجميل ..

وكان لقائى مع الرئيس بورقيبة . الذى لم يتقبل منى أبدا ، أن مصر مستعدة للحرب بل قال لى ، وكرر عبارته أكثر من عشر مرات : انا متشائم .. انا متشائم .. انا متشائم .

بل انه ذكر لى أنه نصح الرئيس أنور السادات عندما كان فى زيارة تونس ، أن يتخلى عن شرم الشيخ .. ولا داعى لاستمرار هذه الأزمة الطاحنة ، اذا كانت قطعة أرض صغيرة ترضى اسرائيل !!

وكانت وجهة نظر الرئيس بورقيبة تتمثل كما يلى ، على لسانه :

قال :

● أننى أرى ان النفوذ السوفيتى يتدعم ويتسع فى مختلف بقاع العالم . والحرب بين أمريكا والاتحاد السوفيتى مستحيلة .. والاتحاد السوفيتى الآن يريد أن يستفيد من التقدم التكنولوجى الأمريكى ، لكى يدعم كيانه فى الداخل ، ويوسع نفوذه خارج أرضه . والنفوذ السوفيتى قائم الآن فى الشرق الأوسط . وأن العون السوفيتى العسكرى لمصر لن يحقق كل ما تريده مصر للقتال .

● والموقف الأمريكى واضح فى المساندة الكاملة لاسرائيل . وأصبح معروفا أن الاتحاد السوفيتى لا يؤيد نشوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط . ومصر لم تحصل على ما تريده من أسلحة ، والميزان العسكرى لا يزال فى صالح اسرائيل ، وقد أصبحت اسرائيل الآن تشكل خطرا على الواقع العربى كله . وسوف تحقق حلمها من النيل الى الفرات .

● السياسة الناجحة هي التهيب والترغيب •• بمعنى أن تكون لدينا
القوة لضرب اسرائيل ضربة جزئية • وبعدها يكون الترغيب •• بالتفاوض
ولكن •• بكل أسف •• ليست لدينا القدرة على التهيب ، لأن المقاومة
الفلسطينية غير قادرة على مباشرة نشاطها ، بسبب ما فرض عليها من
قيود خوفا من رد الفعل الاسرائيلي • كما أن مصر لا تستطيع أن تبدأ
حرب استنزاف ، لأنها ستتحول الى حرب شاملة ، والميزان العسكري
في صالح اسرائيل •

● الواقع العربي مؤلم ومؤسف • خلافت • اصطدامات • تناحر •
صراعات حزبية ومذهبية • تقسيمات للدول العربية بأن هذه رجعية
، هذه تقدمية وهذه ثورية • والأمة العربية تغط في نوم التخلف •

وليس من السهل استخدام سلاح البترول العربي • وأمريكا سوف
تتخذ تهديدها بالاستيلاء بالقوة العسكرية على منابع البترول ، اذا حرمت
من حاجتها اليه •

● لقد أعدت اسرائيل نفسها عسكريا واقتصاديا ، بحيث تستطيع
التمرد على أمريكا ، اذا اضطرت أمريكا الى مباشرة ضغط على اسرائيل
لصالح العرب اذا هم استخدموا سلاح البترول (وهذا غير وارد) ••
ان اسرائيل لن تستسلم لأي ضغط أمريكي ، وأصبح لديها من قوتها
الذاتية في التصنيع الحربي ما يكفيها ، وستصل الى ما هو أقوى •

حتى اننى قلت للرئيس بورقيبة :

— اننى أرى أنك تقفل كل الأبواب • أليس هناك من أمل ••

— لا أمل عندي على الاطلاق ••

— والحل •

— أن تتصرف الجهود وبسرعة لمقاومة التخلف ••

* * *

كان هذا رأى الحبيب بورقيبة .. ولم يختلف معه فى هذا الرأى وزير خارجيته حينئذ محمد المصمودى • لقد دعانى الى غداء ، جرى خلاله حوار طويل •• كان يقول أنه ليس متشائما مثل الرئيس بورقيبة ، لأن المشكلة تعقدت الى درجة لا بد من أن تصل فيها الى حل • ولكن الحل ليس هو الحرب •• لأننا غير قادرين عليها ••

— وماذا ترى ؟ ••

قال :

— ان الرئيس السادات أجرى تحولا جذريا فى أسلوب الحكم الداخلى • وأصبحت مصر تشعر فعلا بالديموقراطية • أننى أرى أن الطريق الوحيد أمامه ، هو أن يعلن نبذه لفكرة الحرب تماما ، ويترك الوضع على ما هو عليه ، ويتجه الى البناء الاقتصادى • عندئذ ستساعده كل الدول ••

وحتى تقوى مصر •• وتقاوم التخلف •• تستطيع اذن أن تحارب وتحرر الأرض •

وحاولت عبثا أن أقنع المصمودى بأن الحرب هى الحل الأوحى ••

اما الرئيس الليبى معمر القذافى فكان قد أعلن عن رأيه فى خطابات علنية •

قال أنه مختلف تماما مع الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الأسد • فى الاستراتيجية التى اتفقا عليها • وأنه يرى أنها استراتيجية فاشلة فى قهر العدو الصهيونى ، ولكنه سجل أنه يقدم كل امكانيات تطلب منه (ونفذ ذلك بعد الحرب ، جزئيا) •

وقد كان القذافى يرى بعد حادث نسف الاسرائيليين للطائرة المدنية الليبية ، أن تجرى ضربة انتقامية داخل اسرائيل • ثلاث طائرات تنطلق من دمشق الى اسرائيل ، وتضرب ، وتعود الى القاهرة • أو العكس •

ولم تقر القاهرة .. ولم تقر دمشق .. وجهة نظر القذافي • لأن الحرب هي الحرب الشاملة • ولن نبدأ الا عندما نكون قادرين على المواجهة الشاملة فعلا • وأى جهد جزئى • هو شىء ضائع ••

وأعلم أن القذافي طلب بعد ذلك ، أن تضرب البحرية المصرية باخرة كبيرة للركاب ، هي الباخرة البريطانية « كوين اليزابيث » التى كانت تنقل سائحين من أصحاب الملايين الى اسرائيل • وقد رفض أيضا هذا الطلب ، لأن الحرب، ليست ضرب مدنيين سائحين ••

وأخطأ القذافي فى تحليل الوضع الداخلى فى مصر ••

كان يتصور أن النظام على شفا هاوية •• ولذلك دعا الى ما أسماه الثورة الشعبية داخل ليبيا •• وطالب بتطبيق هذه الدعوة فى مصر ، متصورا ، انها تثير الطبقة العاملة وتحقق اضطرابا داخليا ، وتأييدا له كصاحب الدعوة •• ثم دعا الى ما أسماه النظرية الثالثة •• ولم تجد هذه الدعوة أيضا أى صدى فى مصر ••

وعلى كل ليس هذا مجال تفنيد كل ذلك •

ولكن المهم أن القذافي كان معارضا للتخطيط المصرى للمعركة •• ثم أنه أيضا شكك فى هذا التخطيط فى حديث صحفى نشر فى بيروت ، قال فيه ما معناه أن الرئيس السادات يتحدث عن المعركة •• والحقيقة أنه لا توجد معركة •• وعندما بدأ القتال فى ٦ أكتوبر •• أعرب القذافي أيضا ، عن معارضته ، وقال أنه لا يتوقع النجاح ، وأنه لم يغير رأيه السابق ، وأن مصر لم تبلغه بساعة الصفر •• وأنه « برى » من هذه الحرب • يقصد « برى » ••

وقام القذافي بعد ذلك بجولة فى أوروبا •• ودعا الى مؤتمر صحفى فى باريس ، وصف فيه انتصار ٦ أكتوبر ، بأنه هزيمة ، وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر بترول •• وقال أيضا ان الأمة العربية تفتقد الى الرجل والقائد الشجاع الذى يعترف بالحقيقة •• وقال ان جمال عبد الناصر كان هو ذلك القائد الشجاع الذى اعترف بالهزيمة فى عام ١٩٦٧ •• ولكن

جمال عبد الناصر غير موجود الآن .. وأن الثغرة التي قيل انها من
٧ دبابات .. تحولت الى ٧ ألوية ..

وكان المؤلم أن يصرح رئيس عربى بذلك فى عاصمة أوربية .. فى وقت
كان أى مسئول اسرائيلى لا يجرؤ على ادعاء الانتصار ..

وأسجل أن شخصية مصرية كبيرة – ليست الرئيس السادات –
التقت بالقذافى عندما حضر الى القاهرة لتكريم أبطال القوات المسلحة فى
مجلس الشعب .. وقالت هذه الشخصية المصرية للقذافى : أنك قدمت
أكبر خدمة لاسرائيل *

ولا أريد الاستطراد فى تقديم صورة للدوقف العربى ، قبل ٦ أكتوبر ،
فمستجىء هذه الصورة فى الصفحات المقبلة ..

ولكننى أردت أن أقول .. ان الصورة الظاهرة لم تكن تدعو الى أى
تفاؤل ، عن امكان القيام بعمل حربى موحد .. أو ان الامكانيات
العسكرية العربية كلها يمكن استخدامها فى القتال .. أو أن سلاح البترول
سيكون له وجود بعد اشتعال القتال ..

* * *

وعدت من تونس فى أول سبتمبر ..

ثم بدأت الاشاعات تنتشر عن اعلان حالة الطوارئ فى القوات
المسلحة المصرية ..

وأذكر أننى كنت فى زيارة مسئول كبير يوم الخامس من أكتوبر *
وقلت له : ان أخبار حالة اعلان الطوارئ فى الجيش .. على كل
لسان ..

وابتسم وقال ممعنا فى تضليلى : وما الغريب فى هذا يجب أن تتحرك
مشاعر الجماهير .. ان الحرب ممكنة فى أى لحظة * واسرائيل يمكن
أن تهاجم .. فلماذا لا نجرب حالات الاستعداد * ثم أخذ هذا المسئول

الكبير — الذى كان يعرف ساعة الصفر — يحدثنى عن مشكلات التموين والمجمعات الاستهلاكية !

وفى صباح ٦ أكتوبر نقلت وكالات الانباء ، وتل أبيب ، أن اسرائيل تستدعى الاحتياطى .. وأنها اعلنت التعبئة الكاملة ..

واتصلت بأحد الوزراء وأعطيته صورة عن الموقف فى اسرائيل كما نقلته وكالات الأنباء ..

✽ ✽

فقال لى :

— فى نطاق مسئوليتى كوزير .. لقد طلب الى أن اتخذ كل الاحتياطات الممكنة منذ أيام .. ولكننى لا أعرف حقيقة ما يجرى الآن •

* * *

ثم صدر أول بلاغ عسكرى مصرى عن القتال •

وكانت الحرب !

* * *

ولكن كيف كان الموقف منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. وكيف كان أنور السادات يفكر منذ ذلك الحين ؟ ..

حديث خاص لأنور السادات فى نوفمبر ١٩٦٧ ، يلقي الأضواء على فكر الرجل الذى كان يعده القدر لمستقبل لم يكن أحد ليتخيله ..

وهذا ما تقرؤه فى الفصل المقبل •

الفصل الثاني

حديث لم ينشر

●●● « في نوفمبر ١٩٦٧ جمعتني مع أنور السادات رئيس مجلس الأمة جلسة خاصة استمرت ثلاث ساعات ، تحدث خلالها الرجل عن تقييمه للموقف بعد الهزيمة ، وعن طريق البداية لمواجهة كل آثار الهزيمة . سجلت هذا الحديث في حينه ولم يكن للنشر .

ان قراءة كلمات أنور السادات بعد الهزيمة في ١٩٦٧ . تؤكد ان الطريق الذي بدأه بعد ١٥ مايو ١٩٧٤ لم يكن فكرا جديدا طارئا عليه . في هذا الحديث يؤكد أنور السادات ان أمريكا لن تغير من موقفها المنحاز لاسرائيل الا اذا — أجبرناها على ذلك » ●●●

« عد بنا يا سيدى الى ثلاثة وعشرين عاما خلت من العمر • أنت اليوزباشى أنور السادات المطرود من الجيش ، والمعتقل بأمر السلطات البريطانية •• وأنا الشاب الذى لم يجاوز حينئذ التسعة عشر عاما ، المتخرج لتوه من كلية الحقوق ، ونزيل المعتقل معك • لم يكن بيننا حجاب فى رأى أو تعبير أو وجهة نظر ••

اليوم يا سيدى تجمعنا ساعات محنة بالغة القسوة والمرارة • كلنا اليوم فى ساحة معركة واحدة • رئيس مجلس الأمة والوزير والصحنى والقاضى والعامل والمهندس والفلاح وطالب الجامعة •• كلنا نعانى أيام المصير » ••



هكذا بادرت أنور السادات رئيس مجلس الأمة •• فى جلسة خاصة دعانى إليها فى مكتبه بعد هزيمة يونيو •• وبالتحديد فى صباح العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٧ • لم يكن الحديث للنشر •• ولكنه كان كعادته بين الحين والحين •• يدعو صديقا كاتباً أو صحفياً •• ليتبادل معه الكلمة •• يستشف منها اتجاهات رأى العام المختلفة ••

وانتهزت الفرصة لكى أفرغ له كل ما فى صدرى من قساوة ومرارة •• وسجلت المناقشة — التى استمرت ٣ ساعات — فى حينها •• واحتفظت بها فى أوراقى الخاصة •• ودعوة التاريخ تطالبنى اليوم بنشر هذه المناقشة بكل كلمة فيها •• وبعد أن أصبح أنور السادات هو الرجل الأول •• وبعد انتصارات ٦ أكتوبر •• فاننا نرى أن الطريق الذى سار فيه أنور السادات رئيس الجمهورية حتى اتخذ قرار ساعة الصفر •• كان ممتدا فى أعماق فكره منذ زمن طويل ••

لقد كان واضعاً يده تماماً على كل أوجه القصور ••

وكان مقدراً للدور العدائى الذى ستقوم به أمريكا ••

وكان عارفاً أن الانتصار سينطلق أولاً من قاعدة ديمقراطية في الجبهة الداخلية ..

وكان مدركاً ، أن الجهد السياسي الدبلوماسي .. لا يتنافى ابداً مع الاعداد للقتال ..

قلت له وهو يجلس على المتعد الهزاز بجوار شرفة تتسلسل منها شعاعات شمس دافئة .. سارحاً يفكر في دخان سيجارته ..

— ليست عندي لك أيها الأخ العزيز كلمة نفاق .. وأرجو ألا أجد عندك لي يا رئيس مجلس الأمة إلا كلمة الحقيقة ..

قال أنور السادات والارهاق يثقل عينيه وكل قسمات وجهه :

— وكيف يمكن أن نخطط وسط هذه الغيوم المتلبدة ، ومشكلات المصير تحاصرنا .. كيف يمكن أن نقترح الغد الخطير ، بغير الكلمة الأمنية ، بغير صحفي يعيش بالصدق ، ومسئول لا يخفى ولا يخدع ، ومواطن يعطي ثقته عن حرية واقتناع ..

قلت :

— ان فلنبداً النقاش في حرية كاملة .. ولو كان النقد موجهاً اليك .. كيف يمكن أن يتأخر اجتماع مجلس الأمة منذ ١٠ يونيو حتى اليوم ؟ .. كيف تعيش الأمة أخطر أزماتها ، بغير مجلس يقول كلمة الأمة ؟ ..

أنور السادات :

— أنا مسئول عن ذلك .. أنا المسئول عن ذلك .. أنا المسئول عن عدم التقاء المجلس ..

قلت :

— كان يجب أن يجتمع المجلس . ألم تصل اليك أصوات الجماهير تنتقد هذا الوضع ؟ .. ألم تسمع الناس يقولون في شبه اجماع .. كيف يؤلف

مجلس الأمة لجنة تتقصى الحقائق في مصنع السيارات ومستشفى قصر
العينى .. ثم يقفل المجلس فمه ويصم أذنيه ويغمض عينيه • والأمة
كلها تعاني من أزمة قاصمة ؟ ..

أنور السادات :

ـ طبعا سمعت هذا الكلام .. واحترمت وجهته .. وأنت تعرف أننى
لا أزال ابن الشارع • لم أنفصل عنه ولن أنفصل • ولكن يجب أن تستمع
الى وجهة نظرى • ولنعد معا الى ليلة وصبا ح ١٠ يونيو • لقد سجل
التاريخ هبة الشعب الكبرى .. صوت الملايين .. اجماع المواطنين كل
المواطنين .. صرخة الشارع .. نداء الضمير القومى • سجل التاريخ
احمعا لم يشهده من قبل على أرض الوطن .. شعب يطالب القائد فى
صوت واحد أن يبقى .. يطالب الرمز الا يسمح للأعداء بأن يسقط
الرمز .. يقول لعبد الناصر .. ابق فى مكانك •

وأرجو أن تعلم ان جمال عبد الناصر فى مساء ٩ يونيو ، قد أعلن
قراره بالتتحى عن تصميم قاطع .. فشلت كل القوى التى تحيط
به والقادرة على التأثير عليه أن ترحزحه قيد شعرة عن التتحى وكان
منطقه غير القابل للمناقشة .. اذا كان الاستعمار يلحق — بسبب
وجودى — اضرارا لبلادى لا أستطيع دفعها .. فلأذهب أنا .. ولتبق
بلادى •

واجتمع مجلس الأمة فى صباح ١٠ يونيو محاطا بكتل الجماهير
الصاخبة • واتخذ المجلس قراره بتحويل جمال عبد الناصر سلطات المجلس
فى اعادة البناء العسكرى والسياسى للبلاد •

وهنا أقف لحظة لأقول لك أن جمال عبد الناصر اتصل بى تليفونيا بعد
الجلسة مباشرة .. ولم يكن يعرف من قبل شيئاً عن هذا القرار .. وسألنى ..
ما هذا القرار • وتلوته عليه .. وسألنى ولماذا اتخذتموه دون استشارتى
فقلت له .. الموقف خطير جدا وبالحظ الخطورة .. واذا لم يطمئن الشعب
اليوم الى أنك ستقوده فى هذه المرحلة .. فلا أحد يدري ماذا يمكن ان

يحل بالبلاد من فوزى وخراب .. وابلغت الرئيس بالعرائض التى تلقيتها من مختلف طوائف الشعب تطالبه بتحمل المسؤولية ..

خلاصة الموقف .. ان غضبة الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو كانت تعبر عن حقيقة واحدة ، وهى الثقة برمز واحد هو جمال عبد الناصر .. كان اعلان هذه الثقة بجمال عبد الناصر ، يحمل فى طياته اقتراحا بعدم الثقة فى كل شىء آخر أدى الى الفشل .. كانت صورة الهزيمة هى الصورة الحقيقية الجامعة لكل جوانب الموقف .. وكان الأمل فى القائد ان يحول هذا الفشل الى نجاح .

ولذلك اتخذنا قرارنا بتحويل جمال عبد الناصر سلطات مجلس الأمة فى اعادة البناء العسكرى والبناء السياسى للبلاد ..

قلت :

— هل تسمح لى أن أتوقف قليلا باستطرادك ..

قال :

— تفضل ..

قلت :

— كانت تلك لحظات عاطفة ساخنة .. وكان هذا القرار يحمل معنى يماثل المعنى الذى عبرت عنه مظاهرات ٩ ، ١٠ يونيو .. جميل جدا . ولكن ماذا يمنع المجلس من الاجتماع لمناقشة أسباب النكسة .. لدراسة عميقة فى كيفية اعادة البناء .. لنظرات مدققة الى داخل أنفسنا .. لكاشفة حقيقية لما لنا وما علينا ..

قال :

— لقد تم هذا فى الاجتماعات التى عقدناها للمجموعات الاقليمية .. بل أن بعض الأعضاء فى هذه الاجتماعات تجاوز حدود الدراسة والمناقشة .. ولكن هل ننسى الدور الايجابى الذى أداه الشعب .. هل ننسى مناقشات.

الشعب في كل مكان .. لقد كانت هي التعبير الصادق عن الجماهير ..
هي صوتها الأمين .. ان مرحلة نقد النفس التي واجهناها هي الدليل
الساطع أمام التاريخ ، على أن هذا الشعب .. طيب .. أصيل .. ان
كل ما تردد من مناقشات ليل نهار بين كل الفئات .. حتى النكت التي
رددتها الالسنه بكل سخريتها اللاذعة .. كل ذلك يؤكد أنه شعب واع ..
لا يفوت حقه أبدا في المحاسبة عن الخطأ .. وفي الوقت نفسه لا ينسى
أمام الكوارث والنكبات ، أن الحفاظ على نظامه ومكاسبه هي أول واجباته
في التصدي للعدو .. كان يمكن لو ألمت هذه النكسة بشعب آخر أن
تشيع فيه الفوضى ، وأن تتسلسل اليه النوازع الخبيثة .. ولكن الشعب
حافظ على تماسكه الرائع .. وقدم الدليل على أنه الشعب الأصيل الطيب
المنتظم الى الخير ..

هذه واحدة ..

أما ما كنت سأستطرد اليه ، وقاطعتني ملاحظتك ، هو أن المهمة
الشاقة الجسيمة الأولى بعد النكسة كانت إعادة البناء العسكري ..
لقد كان الشروع الفوري في إعادة البناء السياسي مستحيلا ، والعدو
في أرضنا منتفخا في ساعات نصره الاجرامى الانتقامى وقواتنا تعاني من
انسحاب تم في ظروف بالغة السوء يعلمها الجميع . وقسوة الاحزان
والآلام تهزقنا وأمامنا قوات الطيران تتبدد في ساعات .. ومدركاتنا
وأسلحتنا الرائعة .. تتحول الى سلائب للعدو في أيام .. أننى لا أتحدث
الآن عن الاخطاء العسكرية ، ولكنى أصور الوضع العسكرى بعد
النكسة .. الذى كان لابد من انقاذه بكل القوى ومهما كان الثمن .

وأؤكد لك أننا كنا نتصور إعادة البناء العسكرى للبلاد ، وكأنه الحلم
بمعجزة مستحيلة .

وكان العدو يعرف ذلك ، وقد بنى خطته السياسية بعد القتال ،
على أن الحكم الثورى في مصر لن يستمر بضعة أيام ..

ولذلك فأننى أقول ان قرار مجلس الأمة بتحويل جمال عبد الناصر
كل السلطات لاعادة البناء العسكرى ، صدر في توقيته السليم . وفي
موضعه الصحيح .

ليس من الحكمة أن نخوض في التفاصيل .. ولكننى أقول مستريح
الضمير ان مقارنة الوضع العسكرى اليوم ، بالوضع العسكرى فى أيام
النكسة .. تؤكد لنا أن القيادة باشرت مسئوليتها على أكمل وجه ..

بقى الموضوع الخطير الثانى .. والموضوع الأول مستمر بطبيعة
الحال .. فحالة الحرب قائمة .. والقتال متوقع والمعركة طويلة تحكمها
المفاجآت .

الموضوع الثانى هو اعادة البناء السياسى .. وها نحن قد بدأنا
بدعوة المجلس الى الانعتاد لياشر مسئوليته ..

قلت :

— المسألة تتحمل مزيدا من الجدل .. ولا أريد أن أضيع من وقتك
الآن بعد ان تقرر اجتماع مجلس الأمة ولكن قبل أن نتطرق الى موضوع
اعادة البناء السياسى .. أريد أن أسألك عن الحلول السياسية التى تجرى
الآن فى الأمم المتحدة ..

أنور السادات :

— لا بأس .. وأريد أن أعلن بوضوح كامل ، أننى لا أعتقد على الإطلاق
أن أمريكا ستعدل عن موقفها فى المساندة الكاملة لاسرائيل .. الا اذا
استطعنا اجبارها على ذلك .

الذى يبدو الآن جليا ، أن أمريكا لا تساند اسرائيل بهذا الأسلوب
المفوضوح الذى لا يتفق مع مكانتها كدولة كبرى ، ليس لأنها أخلص
حلفاء اسرائيل كما قال موسى ديان منذ أيام .. ولكن لأن أمريكا تريد
فعلا أن تصفى حسابها مع ثورة ٢٣ يوليو .. وقائدها جمال عبد الناصر

لم يعد الموقف الآن فى الأمم المتحدة بيننا وبين أمريكا .. نحن نطلب
السلام والحق ونلتزم بتطبيق ميثاق الأمم المتحدة وأمريكا تريد لنا أن

نحرم من السلام .. وأن نقبل الباطل راكعين .. وان نؤمن بأن أمريكا
هى حاكم العالم .. هى المعز المذل هى القوة التى يجب أن تطاع
وأمرىكا أرادت هذه المعركة وصممت عليها ، ولا تزال مصر فى عناد
غريب •

هى التى طلبت منا ألا نهاجم .. حتى تباغتتنا إسرائيل بالهجوم ..
وهى التى عرضت أن يحضر همفرى نائب الرئيس جونسون الى القاهرة
للتباحث مع عبد الناصر .. وبعد سفر رسولها بأيام .. وفى الموعد
المحدد لسفر زكريا محيى الدين الى واشنطن .. وقع الهجوم الاسرائيلى
وهى التى أرادت بعد النكسة أن تظهر براعتها من اتهام تدبير الهجوم
والمشاركة فيه .. فأظهرت استعدادا للتدخل بشأن حل سياسى يحترم
حقوقنا وفجأة غيرت موقفها .. وتمادت فى العناد والصلافة والاصرار !

كانت أمريكا تتصور أن هذا النظام سينهار .. وأن الحكم الثورى
لا يمكن أن يستمر .. وكانت ترقب الموقف وخاصة الأحداث المرتبطة
بمؤامرة أغسطس الماضى التى قام بها عدد من ضباط الجيش ولذلك أبدت
جانبا من المرونة .. ثم تحولت فجأة عن هذه المرونة .. وكان خطاب
الرئيس جونسون الى الرئيس اليوغوسلافى جوزيف بروز تيتو الذى
تلقاه فى اليوم السابق على مجيئه الى القاهرة ، مؤكدا أن أمريكا تبنت
شرا للحكم الثورى •

ثم عادت الى المرونة بعض الشيء .. وتبنت مشروع دول أمريكا
اللاتينية .. ولكنها أخيرا أصبحت تقول ان هذا المشروع يعتبر فى خبر
كان .. وان الموقف قد تبدل .. وأنه لا يصلح أساسا للعمل السلمى !

المسألة اذن .. ليست هى مساندة الرئيس جونسون لاسرائيل
بسبب الانتخابات المقبلة .. ولكنه موقف محدد للحكومة الأمريكية من
نظام الحكم فى بلادنا .. حتى ولو كان على حساب سمعة الولايات
المتحدة الأمريكية الدولية .. حتى ولو كان على حساب صداقة سبعين
مليون عربى فى الشرق الأوسط .. وتلاشت المبادئ الخمسة التى
أعلنها جونسون كأساس لحل الأزمة ..

واذا ضربنا المدمرة « ايلات » بعد استقزاز استمر يومين .. فتقرر أمريكا على الفور امداد اسرائيل بخمسين طائرة مقاتلة .. ويقرر الكونجرس مقاطعة القطن المصرى والقطن السودانى • وعندما تضرب اسرائيل مواقع البترول والمناطق المدنية فى محاولة همجية لتخريب الاقتصاد المصرى .. فان أمريكا لا تنطق بحرف واحد !! .. ولعلها سكنت ، بل قاومت أن يصدر مجلس الأمن قرارا بأدانة اسرائيل فى هذا الانتهاك .. الحل السياسى الذى تريده أمريكا ، هو الاستسلام ..

ولن نستسلم .. ولن نستسلم .. ولن نستسلم •

قلت :

— اذن .. انت ترى أن الحل السياسى قد أصبح خارجا الآن عن الحساب والتقدير ..

أنور السادات :

— لا .. ولكننا لن نقبل الاستسلام .. ؟ .. وحتى لو فرض وأصدر مجلس الأمن قرارا نرتضيه .. فمن سينفذ هذا القرار ؟ .. هل تتصور ان اسرائيل ستمثل لقرار من الأمم المتحدة ، وهى ترى أمريكا تحرضها على التمرد ، وعلى تحدى دول العالم .. وتحميتها من أى عقوبات دولية ..

واذا كان هذا الموقف من أمريكا كما أسلفت ، هو موقف ضدنا نحن مباشرة • موقف مرصود مقصود ، فهل نتصور أن أى قرار يصدر من مجلس الأمن أو الجمعية العامة فى صالحنا .. هل نتصور أن أمريكا ستساعد على تنفيذه ؟ • الجواب طبعاً بالنفى • والجواب أعلنته أمريكا نفسها وهى تباشر ضغوطها العنيفة على الدول الأعضاء .. لقد قال جولد بروج أن أمريكا لن تتعهد بتنفيذ أى قرار الا اذا كان القرار الأمريكى ..

الحق القتل يريدون له أن يرضى بدمه المسفوك .. والغيلان القاتلة
لا تريد له أن يمسخ جراحه .. أنها أبشع صور التسلط .. ان أمريكا
تريد لجلسات الأمم المتحدة ان تكون مأدبة لمص الدماء .. لا يا أمريكا
.. لن يكون فينا غير الرجل الحر الذي يدافع عن دمه بدمه .. وسيجيء
الوقت الذي تعرف فيه أمريكا ، أنها تسير في غير طريق الصواب .
وستعرف أمريكا يوما أن الاعتماد على اسرائيل ضد العرب لن يجدى ..

قلت :

— ألا ترى أن القوى الاشتراكية ستكون مسئولة عن هذا الطغيان
الأمريكي .. اذا لم تتخذ موقفا متحديا له ..

أنور السادات :

— هذا أمر واضح .. فالمعركة الآن تجرى على ميدان عالمي واسع ..
تفجر فيها أمريكا صواريخها في موقعين .. فيتنام والشرق الأوسط ..
ولذلك فان شعوب العالم المكافحة على ثقة من أن القوى الاشتراكية
المتحررة لابد أن تتحرك خطوات جديدة ، حتى لا يؤثر هذا الاختلال في
التوازن العالمي ..

قلت :

— هل تقصد الموقف الدولي ؟

أنور السادات :

— أقصد أن مجال العمل الدبلوماسي على نطاق القوى الكبرى لا يزال
متسعا لكثير من الخطوات التي تحمي حركات التحرر في الشرق الأوسط
وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية من أن تقتك بها الضغوط السياسية
أو العسكرية أو الاقتصادية التي تباشرها قوى التسلط العالمي ..

ان القضية فعلا .. ليست قضية مصر فقط أو البلاد العربية .. أنها
قضية القوى المتحررة في العالم ..

ولذلك كان طبيعيا ان يجتمع زعماء الدول الاشتراكية في أوروبا أكثر
من مرة .. لمناقشة أزمة الشرق الأوسط ..

قلت :

— ولكن هذا لا يعنى ان نتراخى وأن نحمل الصديق فوق ما يطيق
.. ماذا فعلنا نحن في أرضنا حتى نغير ما بأنفسنا ؟ ..

قال :

— هذا يعود بنا الى اعادة البناء السياسى .. دعم الجبهة الداخلية ..

قلت :

— نعم .. وهذا هو السؤال الكبير الذى لم تصدر عنه اجابة كبيرة
حتى الآن ..

قال :

— كان لايمكن ان نشرع في اعاد البناء السياسى بحلول جذرية .. قبل
ان نجتاز مرحلة التقاط الأنفاس .. وأعتقد أننا اجتزنا اليوم تلك المرحلة
.. وعلينا أن نفكر جميعا بصوت مسموع .. أريد أن أسمع رأيك ..

قلت :

— اذا كان الناس قد انتقدوا عدم اجتماع مجلس الأمة .. فهذا لايعنى
رضاءهم عن مجلس الأمة بشكله الراهن .. وأعتقد أن من الحلول
الجذرية أن تجرى انتخابات حرة جديدة ..

قال :

— ماذا تقصد بشكله الراهن ..

قلت :

— أقصد بأعضائه الحاليين .. فقد مرت مناسبات قومية عديدة .. ولم تر الجماهير أن أعضاء مجلس الأمة قد ارتفعوا الى مستوى تلك المناسبات .. وليس مفهوما ان يكون رئيس مجلس ادارة الشركة عضوا في مجلس الأمة .. ان المجلس رقيب على هذه الشركة .. فكيف يراقب العضو نفسه .. والناس تتحدث عن امتيازات الشقق وسيارات نصر لأعضاء المجلس .. والناس تتحدث عن رحلة أعضاء المجلس الى غزة .. كانت للدراسة فتحولت الى شراء الملابس والكماليات وأطعم الصينى ..

* * *

وتوقفت عن الكلام .. ولم يعلق أنور السادات .. كان يستمع بكل مشاعره .. ثم قال :

انا لا أريد أن أقيد حريتك في التعبير عن الرأي .. ولكننى أقول لك أن هناك عناصر صالحة في مجلس الأمة .. وأن المجالس النيابية في كل انحاء العالم يعتمد نشاطها على عدد محدود من البرلمانيين .. ولكننى أوافقك على أن الحلول الجذرية تتطلب بدايات جديدة من الاعماق .. ان أعضاء المجلس الحالى لا يغضبون لو قلنا لهم أن المرحلة الخطيرة التى تمر بها البلاد تحتاج الى استفتاء شعبى جديد .. أى الى إجراء انتخابات جديدة ، يختار فيها الشعب من يمثله ليتحمل مسئولية البناء الجديد .. والكفاح الجديد .. فهذا أسلوب ديمقراطى ، لا ياباه أعضاء مجلس الأمة .. ولا تأباه التقاليد البرلمانية .. هذا صحيح .. ولكن هل تعتقد ان الوقت الآن مناسب لاجراء انتخابات ؟

قلت :

— ولماذا لا يكون مناسباً ؟ ..

قال :

، أنا لا أفرض رأيي .. ولكن لنقلب الأمر معا • العدو على الابواب .. ولا بد أن نتوقع منه اجراءا غادرا في أى وقت .. والجبهة الأمريكية الخارجية التى تناصبنا العداء جبهة قوية ولها امكانياتها الضخمة وتحتاج منا الى يقظة مستمرة وحذر لا يغفل أو ينام .. والحماسة من أجل الانتخابات قد تخرج المرشحين عن مواقف اليقظة والحذر .. ألا ترى أن انتخابات مجلس جديد ، وان كانت واجبا ديمقراطيا ، فهو واجب يتقبل منا أن نمهله الى حينه ..

قلت :

—الوضع ياسيدى لا ينطبق على مجلس الأمة فقط .. انه ينطبق أيضا على تنظيمات الاتحاد الاشتراكى واستكمالها .. وقد أعلننا أنها ستجرى من القاع الى القمة بالانتخاب الحر وسيلة مثلى للتعبير عن رأى الجماهير ..ولا أعتقد أننا سنجرى تغييرا جذريا فى البناء السياسى بغير صوت الجماهير ..

قال :

— الواقع أن هناك مشكلات عديدة فى الوسائل الجذرية لاعادة البناء السياسى ويعترضها دائما السؤال السياسى .. من أين نبدأ ؟ وكيف ؟ .. وهذا هو موضوع البحث المستمر منذ وقوع النكسة حتى يومنا هذا .. الكلمة متفقة على أن اعادة النظر فى الجسم السياسى ، وفى وظائف أعضائه .. وفى حسن اختيار الأعضاء لوظائفها الديمقراطية .. كلها

من واجبات دعم الجبهة الداخلية .. ولكن المناقشة مستمرة في كيف ؟
ومتى ؟ .. ان الهدف من المناقشات هو • كيف نسير في الطريق الذي
يكون المواطن الصالح الحر .. المواطن الذي يقدم رأيه الأمين متجردا من
النفاق والخوف ومسايرة السلطة ..

قلت :

— هناك تعبير سياسى يقول .. سياسة جديدة تعنى وجوها جديدة ..

قال :

— لقد كان يقينى دائما ولن يتغير .. ان الوجوه التى يختارها الشعب
بملاء ارادته وحريته هى التى ترسم وجه المجتمع فى صدق .. وفى
مراحل التحولات التاريخية فى حياة الشعوب ، فان القائمين على مسئولية
هذه التحولات ، ومواجهة مشكلاتها وأزماتها ومفاجأتها ، لن يقدرُوا فعلا
على اداء دورهم الا اذا كانوا معبرين عملا وقولا عن ارادة الجماهير ..

ونحن فعلا نواجه اليوم مشكلات التطبيق الديمقراطى ، فى قيام
الاتحاد الاشتراكى العربى بوظائفه كتنظيم شعبى .. وفى قيام مجلس
الأمة بدوره التشريعى والرقابى .. ان المزيد من الديمقراطية السليمة
التي نشارك فى البناء ، وتتصدى للتحدى ، وتدعم وحدة الجبهة الداخلية
وتماسكها .. هو الشعار الذى نرفعه الآن ويجب أن نسعى الى تنفيذه •

قلت :

— ان ذلك يتطلب أولا تمهيد الأرض الصالحة ..

قال :

— ماذا تقصد ؟ ..

قلت :

— أقصد القضاء الكامل على الامتيازات التي أصابت البلاد بوضع طبقى
ممجوج .. هدد ثقة الجماهير بشعار تكافؤ الفرص ..

قال :

— ان كل وطنى مخلص يتحمس مع الجماهير في ندائها بالقضاء الكامل
على الامتيازات .. وقد بدأت اجراءات ذلك فعلا في تخفيف بدلات
التمثيل وغيرها ..

قلت :

— بدأنا بالقليل .. ولكن بقى الكثير ..

قال :

— أنت تقصد امتيازات شقق الحراسة وشركات التأمين .. أنت تقصد
امتيازات الوظائف في بعض الوزارات .. وفي بعض المؤسسات والشركات
.. هذا حق .. وسعينا في هذه المرحلة ، أن يكون وضع الرجل المناسب
في المكان المناسب .. حقيقة واقعة يلمسها الجميع .. لا مجرد شعار
نرفعه بالكلام ونمزقه بالتطبيق ..

قلت :

— والقدرة الحسنة من القيادات .. الجماهير تسمع عن قصور تسكن
.. وأثاثات تستورد من الخارج ..

قال :

خذ في هذا كلمتى الواضحة .. أننا مقبلون على أيام التضحيات ..
أيام أبسط ما تحتاجه منا لمواجهة أن تكون الجبهة الداخلية كبنية واحدة

•• جسم واحد •• روح واحدة •• وهذا الشعب الأصيل الطيب ، يتقبل
التضحية في سبيل الهدف بكل التجاوب والرضا والاقناع •• ولكنه يأبى
أن تقع التضحية على فريق دون فريق •• ان الشعب مستعد أن يحرم
نفسه من أية مادة تموينية مهما كانت أساسية بالنسبة له •• ولكن بشرط
أن يرى أنور السادات ووزير التموين ورئيس المؤسسة يشاركه هذا
الحرمان •

ونحن الذين عشنا أمر أيام الكفاح قبل الثورة وبعد الثورة • مستعدون
أن نقدم أعلى التضحيات •• لقمة الخبز الأسود تكفى معدة أنور
السادات ••

قلت :

— الجماهير تريد أن ترى اجراءات الغاء الاهتيازات تنفذ بأقصى السرعة
قال :

— سيحدث •• سيحدث •• ولا بد ان يحدث ••

قلت :

— ولماذا لا نعيش الان حالة الحرب ؟ ••

قال :

— نحن نعيشها بكل أعصابنا ••

قلت :

— ولكن مظاهر حياتنا تتنافى مع حالة الحرب •• أن المجمعات
الاستهلاكية بعد محنة النكسة وحتى الآن عامرة بألوان الطعام التي لم تكن
موجودة بها من قبل •• وعندما خربت اسرائيل مستودعات البترول ••
لم نتخذ أى اجراء للاقتصاد في استخدام البترول باستثناء اجراء
الكيروسين •• وهذا ما لا يمكن أن تتحمله دولة ولو كان لدينا مخزون
كبير ••

قال :

— انت تجرني الى حديث عن الوضع الاقتصادي ..

قلت :

— صدقتي • لا •• أن وضعنا الاقتصادي ليس سرا في بطون الملفات •• والعيب أن نتمهل في اجراءات تتناسب وظروف الحاضر •• وتحميننا من احتمالات المستقبل •• الشعوب المحاربة عاشت على بيضة واحدة في الأسبوع وعشر قطع من السكر وترقيع الملابس •• واذا اتجه دعم البناء السياسي الى تأمين المواطن على حريته وعمله ، واشراكه في تقرير مصيره بأسلوب ديمقراطي سليم •• واذا رأى قياداته تقدم له القدوة الطيبة •• فان شعبنا الأصل يتقبل بكل الرضا والحماسة ميزانية الحرب وتكشف الحرب ونضال الحرب ••

قال :

— هذا يعيدنا الى الحديث عن دعم الجبهة •• أننى لا أستطيع أن أخفف من احتمالات المستقبل •• بل من الحكمة أن نفرض كل ما يمكن أن يأتي به الغد •• بل يجب أن نغالى فيما نفرض •• ولا شك أن الأحداث هي التي ستتحكم في فرض الطريق الذي يتجمع موكبنا للسير فيه •• ولا أشك لحظة أن هذا الشعب الوفي الكريم الذي ضرب مثلا تاريخيا أذهل شعوب العالم في تماسكه وترابطه •• •• هذا الشعب لن يبخل على أرضه بأي تضحية •• أننا مستعدون دائما أن نبدأ من الصفر •• أن نحمل السلاح من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت •• فلم نكن يوما الا من نبض هذا الشارع •• واذا كنا وقعنا في اخطاء •• واذا كانت المرارة قد جسمت هذه الاخطاء في نفوس البعض •• فللقلوب الحزينة كل الحق أن تقسو في النقد •• لأنها تشعر أنها تنقد نفسها أولا •• أن قيمة أى منصب في هذا البلد لا تسمو الا بأحترام الكيان لا عبادة المنصب •• مناصبنا الأولى هي أننا مواطنون فدائيون •• مناصبنا الأعلى والاكرم ، هي أننا وطنيون لا محترفون •• كل ما على السطح هو الزيف الذي يبطل وكل ما في الجوهر هو النبض الذي لا يذبل •• وجوهرنا هو مزيج الدم بقراب هذه الأرض •

قلت :

— مرحبا بانتقضة تعبر عن روح ٢٣ يوليو ..

قال :

— بل مرحبا بالشعب كله من اقصاه الى اقصاه .. ينتقض في صلابه روح ٢٣ يوليو .. ونحن خلفه .. ان الشعب هو المعلم القائد .. ولقد علمنا الشعب كيف نعتبر من دروس النكسة .. ربما فرضت علينا الظروف يا أخى بعض مظاهر الانعزال عن الشعب ولكن تأكد أن الجوهر لم ينقطع أبدا . أنا لا ازعم أنني فوجئت ببعض اخطاء النكسة .. ان الكثير من هذه الاخطاء كان يؤرقنى .. ولكن العمل السياسى الذى يحرص دائما على عدم التصدع .. كان يؤجل المواجهة الجذرية للأخطاء .. ولكن ما جرى قد جرى .. ولنبدأ من جديد بداية حازمة .. ولتكن رؤوسنا متجهة الى الأمام .. ولتكن النظرة الى الوراء للاستفادة من كل ثغرة .. وليؤد كل مواطن فى المواقع الكبيرة والصغيرة دوره بلا خوف .. بلا شك .. بلا تردد .. ولن يضيع حق نسعى اليه بالعرق الحلال .



الذى قاله لى أنور السادات حاول أن يقنع به الشباب المتمرد على الهزيمة فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . لقد عقد مع قياداتهم الغاضبة الرافضة لكل شىء اجتماعا خاصا فى قاعة مجلس الشيوخ .. أذيع الآن كل ما جرى فيه لأول مرة .

وهذا هو موضوع الفصل الثالث ..

سقطت جميع اللافئات

●●● « ماذا قال أنور السادات للطلبة عن
المعركة في مظاهرات فبراير ١٩٦٨ . كيف كان
يتصور الخلاص ؟ .. كيف أراد إعادة البناء
الداخلي ؟ .. كيف تحدث عن الحرية والأعداد
العسكرية لحرب الانتصار ؟ » ●●●

اليوم الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٦٨ •• كان يوما عصيبا •

محاكمات شمس بدران وزير الحربية وزملائه المتهمون بتدبير الانقلاب مع عبد الحكيم عامر •• مستمرة • ما ينشر منها يعطى صورة مؤلمة عن فضائح فساد الحكم •

كانت قد صدرت أحكام ضباط الطيران •• وكانت الجماهير معبأة بأن قيادة الطيران سبب الهزيمة •• فبدأت مظاهرات من أحد مصانع حلوان •• ثم بدأت مظاهرات الطلبة •• احتكاك بالشرطة • اطلاق رصاص • المظاهرات اتجهت الى جريدة الأهرام •• الهتافات ضد محمد حسنين هيكل •• « هيكل •• هيكل يا خدام •• يا مزيف الأحلام » •• « بتقول بصراحة •• وتكتب بوقاحة » •• « يا جمال للصبر حدود •• عشرة يونيو مش حتعود » • وهتافات عديدة أخرى تنادى بسقوط حكم الفرد وتطالب بالحريات •

وانتهى الأمر باعتصام عدد من الطلبة في كلية الهندسة جامعة القاهرة •• واستمر اعتصامهم أياما •• حتى جاء يوم ٢٨ • واتفق على ان يجتمعوا بأنور السادات رئيس مجلس الأمة في قاعة مجلس الشيوخ في المساء ••

وحضرت هذا الاجتماع الصاخب العنيف ، الذى لم ينشر منه كلمة واحدة حتى الآن •• وسجلت كل حرف دار فيه •

لقد واجه أنور السادات في هذا الاجتماع شبابا في قمة الغضب ، بعد اعتصام استمر أياما •• وبعد ان انتشرت بينهم انباء القبض على بعض زملائهم •• وكانوا يطالبون بتغيير أسلوب الحكم وكانت كلمة الحرية هي هتافهم المستمر ••

قاعة مجلس الشيوخ صغيرة •• والزحام على أشده •• عدد كبير من النواب حضر هذا الاجتماع •• وجلس الى المائدة أنور السادات وحوله بعض الوزراء •• في مقدمتهم شعراوى جمعة وزير الداخلية ، والمتهم من الطلبة أنه اطلق الرصاص عليهم •

وتكلم أنور السادات ليشرح الموقف للشباب الغاضب • وقد أردت ان أسجل كلماته في هذا الكتاب عن ٦ أكتوبر •• لأنها تعطي صورة لمنطلق تفكير أنور السادات منذ الهزيمة •• وتؤكد أن قرار ٦ أكتوبر ، لم يكن وليد تجربته كرئيس للجمهورية • ان هذه التجربة تستمد جذورها من فكر أنور السادات الضابط الشاب المفصول من الجيش في عام ١٩٤٢ والمعتقل بالزيتون بأمر السلطات البريطانية ، لأنه قرر ان يخرب على القوات البريطانية وجودها في مصر ، وهي تحارب معارك الحرب العالمية الثانية •• ثم أنور السادات المتهم بتدبير مقتل أمين عثمان وزير المالية الوفدى ، الذى كان يفاخر بعمالته للانجليز •• وأنور السادات القاسم المشترك ، في كل محاولات التخلص من عملاء الاستعمار في مصر •• ثم أنور السادات احد قادة ثورة ٢٣ يوليو ••

لقد جاءت هزيمة يونيو ٦٧ •• وأعلن جمال عبد الناصر تحمل مسئوليتها كاملة ••

وشارك أنور السادات مشاركة ايجابية ، في كل المحاولات السياسية التى بذلت •• لخلق بداية جديدة •• لتثبيت النظام لكى يواجه آثار الهزيمة ، ويحاول الانطلاق الى طريق التصدى لها ••

ثم جاءت •• هذه المظاهرات التى كان يمكن ان تهدد القاهرة بحريق جديد •• وكان — الشعب يتجاوب مع نداءات الطلبة •• وهتافهم الباكى « بلادى •• بلادى •• لك حبى وفؤادى » •• وهتافاتهم الأخرى الملهبة بسقوط حكم المعتقلات • ثم الهتاف الخطير « ٩ يونيو أيدناك •• والنهارة عارضناك » ••

والسبب المباشر لكل هذه المشاعر فى رأى ، ان تغييرا أساسيا فى نظام الحكم الداخلى لم يحدث منذ الهزيمة •• واستمرت الاوضاع على ما هى عليه •• وكان من المستحيل ان يتقبل أحد هذا الاستمرار ••

ولكن كلمات السادات الى الطلبة فى تلك الليلة •• تلقى الأضواء على فكره •• وتفسر كثيرا من القرارات الجذرية الداخلية ، التى اتخذها بعد ان تولى مسئولية رئيس الجمهورية •• وبعد أن قرر أن يدخل المعركة بالسلاح لا بالكلمات ••

قال أنور السادات في تلك الليلة التاريخية :

بعد هزيمة يونيو سقطت اللافئات كلها .. كل أجهزة النظام بما فيها مجلس الأمة • وقد اختار الرئيس جمال عبد الناصر أن يبدأ بإعادة البناء العسكري .. لماذا ؟ .. لأن العدو على بعد ١٠٠ كيلو متر من العاصمة • وكان لابد أن نحرر ارادتنا أولاً من أن تكون أسيرة للعدو .. يضرب ويملى علينا الشروط • ولم ينته البناء العسكري بالشكل الذي يطمئن على بلدنا دفاعياً الا في شهر ديسمبر • وقفنا على أقدامنا • حمينا ارادتنا من الخوف ..

ما هو الموقف الآن ؟ .. انتم بتصرخوا وتشتكوا .. كثير من أبناء الشعب يشاركم نفس الشعور • الكل يسأل .. ايه اللي بيجرى في الاتحاد الاشتراكي .. في الحكومة .. ايه اللي بيجرى في المؤسسات .. وأنى أسلم بكل هذا تماماً • ولكننى أقول ان البناء العسكري كان له الأولوية .. كان من المستحيل ان اترك نفسى لضربات اسرائيل .. وأنا عاجز عن الدفاع •

تبقى الخطوة التالية .. هي إعادة البناء السياسى • الحكومة • الاتحاد الاشتراكي • مجلس الأمة • وسائل الاعلام • المؤسسات .. الحكم المحلى • مجموع هذا كله هو البناء السياسى ..

أريد منكم أن تتصوروا معى .. معنى إعادة بناء جيش من لا شيء • إعادة بناء قوات مسلحة انتهت في ٩ يونيو • لقد تم هذا في ٦ أشهر على صورة معجزة بدون شك .. اقتضت ٢٤ ساعة من العمل المستمر ليل نهار •

وبعدين كلنا بنصرخ .. لماذا لم يتم البناء السياسى اللى فيه كل الحاجات التى تطالبون بها .. كما تم البناء العسكرى ؟ .. هل يمكن إعادة البناء السياسى، بنفس طريقة البناء العسكرى • هل يمكن ؟ .. البناء العسكرى يعتمد على استمرار أسلحة وتدريب .. وعمل يمكن ان يتم بالأوامر ولكن فى البناء السياسى الأمر مختلف ..

ضعوا أنفسكم فى المسئولية وانتم تحاسبوننا ..

القطاع العام .. فيه لخبطة .. آه .. صح .. ولكن هل ممكن نقول
في يوم واحد .. جميع رؤساء المؤسسات .. بره ؟ .. جميع المديرين
.. بره ؟ .. البناء السياسى عملية متكاملة .. كل مكان يتأثر بالمكان
الآخر . الجبهة الداخلية كلها نافذة على بعضها .. أى لخبطة فى الحكم
بتأثر على الانتاج . وده يؤثر على العمالة . الى آخره . اذن لابد
من خطة تستوعب ابعاد العملية كلها .. الجهاز الحكومى .. أقول على
مسئوليتى أنه خرب يحتاج الى إصلاح ضخم .. القطاع العام .. متهم
.. فيه اخطاء . قطاع عام بهذا الحجم الكبير لابد أن تحدث فيه اخطاء .

طيب .. الراجل اللى كلفتوه بهذا .. جمال عبد الناصر .. كل مجهوده
انصرف للبناء العسكرى .. طيب علشان يعيد البناء السياسى ، مش
على الأقل يفكر فى المدخل لهذا .. ويضع الخطة لهذا .. فى الشهر
الماضى عقدنا اجتماعات متتالية .. وكان أمامنا نقطتان أساسيتان للبحث:

النقطة الأولى .. تقييم ما وصلنا اليه الآن .. ومن المسئول . لأنه
ثبت أن الطريقة اللى كنا ماشيين عليها خطأ من أساسها . لابد من طريقة
جديدة . وهذا يتفق مع ما تطالبون به . ولكن لابد من التقييم أولا .

النقطة الثانية .. هى دراسة الوضع الاقتصادى .. لماذا ؟ .. لأن
الاقتصاد هو الصمود .. هو أساس معركتى . لا أستطيع أن أقول
للشعب .. جوع .. وكافح .. واصبر . انتم ما نقدرش نقول لكم بعد
ما تخلصوا جامعة ، اطلعوا عاطلين و ١٠٠ ألف عامل لازم نشغلهم
سنويا .

اننا لم ننته بالعدوان .. لقد خسرنا معارك .. أمريكا خسرت معارك
فى الحرب العالمية ثم انتصرت .. ولابد أن نستعد .. وأن نعيد البناء .
وأن ننتصر ..

أصوات الطلبة : احنا عارفين الحاجات دى ..

السادات :

يجب أن تتكلموا من مستوى المسئولية .. من دلوقت ورايح انا
حاطكم فى المسئولية وعلى أعلى المستويات .

بعد كده بتقولوا الحريات .. بتقولوا الصحافة ..

أصوات :

آه ..

السادات :

اقول لكم على اعلى مستوى .. عاوزة اعادة تنظيم .. لا بد من بناء
ديمقراطية .. ولا بد من صحافة تعبر عن آمال الشعب ..

طالب :

سمعتنا فى الخارج شوهتها الصحافة ..

السادات :

الكلام اللي بيقوله الأخ .. بينقلنا الى حاجة أساسية .. شرط أساسى
وشروط الالتزام أن يكون المواطن على علم بما يجرى .. مش ترديد
كلام .. ان يكون عارفا بالحقائق عن اقتناع .. اننى أشعر فعلا .. وخاصة
بعد أن قابلت بعضا منكم .. أنكم لا تعرفون حقائق ما يجرى ..

أصوات :

الصحافة .. الصحافة ..

السادات :

يعنى هيه المشكلة اللي احنا فيها .. رسييت على الصحافة بس ؟ ..

أصوات :

لا .. لا ...

طالب :

الحرية هي البند الأول .. وكل شيء بعد ذلك يليها .. ومنه الصحافة .. لكي نعرف الحقائق .. لابد ان تكون هناك صحافة حرة ..

السادات :

الحرية .. هل هي حرية مطلقة ؟ .. علشان ننظمها تبقى من خلال آيه ؟ ..

أصوات :

دستور ..

السادات :

النصوص وحدها لا تكفي .. لابد من بناء سياسي متكامل • لو كان لدينا هذا البناء ، ماكنتوش وصلتكم الى هذه المشاعر .. البناء السياسي ضعيف .. وليس لي اعتراض أبدا أن تعبروا عن كل آرائكم .. ولكن داخل الجامعات وبنظام ..

أصوات :

فيه مخبرات .. مش قادرين نتكلم ..

السادات :

أنا أضمن لكم انه لن يمس طالب بسوء .. لكم الحق أن تعبروا عن رأيكم • كل ما أطلبه الا يخرج التعبير عن حيز الفهم والادراك للحالة التي نجتازها • نقول رأينا بكل صراحة في كل شيء .. الى أن تتم خطوات البناء السياسي .. انتم ما عشتوش اللي احنا عشناه قبل

١٩٥٣ • المسألة الآن •• أننا كلنا كشعب نجتاز فترة من أصعب فترات حياتنا ••

أصوات

أحنا صوت الشعب ••

السادات :

انتم شجعتم بالمظاهرات •• عناصر كانت انتهت •• كانت دخلت الشقوق • النهاردة الظهر ، عربية كانت بتلف على المدارس في مصر الجديدة علشان يضربوا •• واتمسكت العربية ، واللى فيها من أولاد الاقطاعيين بتتوع زمان •

أصوات

وزير الداخلية هو اللي اقطاعي ••

السادات :

عاوز أخلص كلامي لأنكم تعبتوني يا أولاد • أرجو كمواطن مثلكم ، أن نضع في ذهننا وفي تقديرنا الظروف التي تمر بها البلاد • وقد يكون هذا مدعاة للضغط على أعصابنا ونفوسنا •• الى ان نحقق الانتصار • انها معركة مصيرية •• العدو كل تركيزه اليوم على الجبهة الداخلية •• في ديسمبر لم تكن لدينا عملة صعبة • الآن بعد مؤتمر الخرطوم الوضع تحسن • بعد الهزيمة كان العدو يتصور ان النظام سيقرب من الداخل • لم يحدث • اجتزنا مرحلة الضغط الاقتصادي • العدو لا يزال يريد تكسير الجبهة الداخلية • أريد القول بصراحة ، وبكل الهدوء •• أن موقفنا اليوم لا يدعو الى التفاؤل فقط •• ولكننا واثق أننا في طريقنا الى تحقيق النصر بإذن الله •• قواتنا العسكرية تتقدم في الاستعداد والتدريب • الوقت في صالحنا وصالح المعركة •• ولكن المعركة تحتاج الى نفس طويل يعتمد

على جبهة صلبة لا ينالها أى خدش • عليكم أن تحافظوا على صلابة الجبهة فى كل تصرف من تصرفاتكم • وفى كل ما يعرض لكم •

وأنا جاهز للأسئلة ••

وأجاب السادات على أسئلة الطلبة الذين حاصروا شعراوى جمعة وزير الداخلية فى موضوع الصدام بين البوليس والطلبة •• ثم أراد الطلبة تلاوة بيان باسم الاتحاد العام لطلاب الجمهورية وطالبوا بنشره كاملا فى الصحف ••

وهنا قال السادات :

أنا أرفض هذا البيان شكلا وموضوعا • كان عندى بالليل وقرأته •• مش هوه البيان بتاع الحرية تؤخذ وتغتصب •• انا بقولكم •• لا •• لا •• لأن هذا البيان بنى على عملية انفعالية •• ولم يبين على الموقف اللى احنا فيه النهاردة بعد هذه المناقشات الديمقراطية •• والمسألة ليست مزایدات • اننا نخوض معركة واحدة • وأمامنا مسئولية واحدة •

ودارت مناقشة حول البيان اشترك فيها عدد من أعضاء المجلس • وكان أحد الطلبة قد قال قبل أن تبدأ أية مناقشات : انا نشترط ان تنشر مناقشاتنا على الشعب فى الصحف •• اتفقنا أو لم نتفق • ورفض السادات وقال فى أصرار • اذا كانت المسألة فيها املاء شروط •• انا مش بتاع شروط لا أقبل هذا أبدا • وكرامة هذا المكان لا تسمح باملاء شروط • نحن هنا جالسون على قدم المساواة والمسئولية •• نتناقش ونقتنع •• والصحافة موجوده فى الشرفه •



سجلت هذه المناقشة •• وهى خلاصة اعتقد انها وافية •• لأنها تعبر عن فكر أنور السادات •

كان يريد الاستمرار فى الاستعداد العسكرى واعطائه الأولوية دائما

كان يريد اعادة البناء السياسى ..

كان يريد مواجهة كل الاخطاء الداخلية ..

كان يرفض الضغوط .. وأهم من هذا كله : انه كان يعرف الحقائق .. ولكنه لم يتخلف أبدا عن ارتباطه الكامل ، بالدفاع عن النظام الذى أوجدته ثورة ٢٣ يوليو ..

وكان يعرف الداء الأكبر .. فى المحيطين بالقيادة .. وعندما أثار الطلبة هذا الموضوع فى المناقشات ، تجاوزه أنور السادات فى الرد عليهم . وهذا هو أنور السادات السياسى . الذى قال للطلبة فى تلك الليلة .. « لا اعتقد أن فيه مراكز قوى ! »

بل أنه عندما عقدت جلسة مجلس الأمة فى مساء ٢٨ فبراير ١٩٦٨ لمناقشة موضوع مظاهرات الطلبة ، غضب غضبا شديدا من النائب علوى حافظ ، لأنه هاجم على صبرى هجوفا قاسيا .. ووجه كلمته مباشرة الى جمال عبد الناصر ، وقال بأعلى صوت : وأنى أقول للرئيس جمال عبد الناصر .. ابدأ بمن حولك !

ولا أشك لحظة أن أنور السادات لا كان يقر كل كلمة قالها علوى حافظ .. ولكنه رأى ان — انطلاقها تحت قبة مجلس الأمة ، ومن علوى حافظ القريب الى أنور السادات .. تعنى أن رئيس المجلس على اتفاق مسبق معه على هذه الاتهامات . وهذا ما حرص أنور السادات ان يتجنبه بعقلية السياسى الذى يعرف ، متى يتحرك . ومتى يجب ان يقف موقف الترقب والانتظار . وماذا يجوز ان يناقش علنا ، وماذا يجب أن يعالج بالأسلوب السياسى على مسرحه الحقيقى .

ولم يتحرك أنور السادات للقضاء على مراكز القوى الا بعد أن تولى مسئولية رئاسة الجمهورية ، بسبعة أشهر ! .. بل وبعد أن أمسك بالدليل قلو الدليل على مؤامرة !

وللتاريخ .. انشر اليوم فقرات من كلمة علوى حافظ ، التى لم تنتشر أبدا بسبب الرقابة على الصحف .

قال علوى حافظ فى جلسة ٢٨ فبراير ١٩٦٨ :

— هى ليست نكسة فقط .. انها نكسة ونكبة •

— يجب ان نعترف ان النكسة هى نتيجة اخطاء فى الجبهة الداخلية والعمل السياسى وقيادة الشباب •

— اننا نواجه أزمة اخلاقية سببها الابتعاد عن الدين والوطنية وهما ركيزتان لأى تقدم وانتصار •

— يجب أن نعرف ان الولاء الصحيح هو الولاء للشعب .. الشعب كله .. وليس الولاء للأفراد •

— لقد سقطت دولة المخابرات .. ويجب ان تسقط كل دولة داخل الدولة •

— المعاهد الاشتراكية للشباب .. يشرف عليها ويوجهها اليسار المتطرف الذى يريد أن يقضى على مصر الأزهر .. مصر الكنيسة .. مصر الانسان الطيب البعيد عن الحقد الدموى •

— اشتراكيتنا ليست اشتراكية ماركس وانجلز ولينين •

— الشعب .. يجب أن يحكم مصر .. ولا يمكن ان نسلم مصر لدكتاتورية طبقة •

— يجب ان نضع حدا للامتيازات التى حصل عليها البعض بدون وجه حق .. وأنا أقول لجمال عبد الناصر « أبدأ بمن حولك .. أبدأ بالقيادة .. بالتصديرين للعمل السياسى • القيادات السياسية اذا لم تمثل القدوة الصالحة النظيفة .. فنحن سائرون الى الهاوية » •

— يجب ان يقدم الوزراء كشف حساب بما يملكون .. ومن أين ملكوه •

— ومن المؤسف ان بين القيادات حول جمال عبد الناصر ، من أسس قصرا بسبعين ألفا من الجنيهات .. وكأننا فى عصر المماليك .. وهو فى الوقت نفسه يتصدر القافلة الاشتراكية !

— التكافؤ في التصحية مبدأ يجب أن يطبق على الجميع •

— أين النقاء الثورى ؟ •• أين الطهارة الثورية ؟ •• فى كل مكان
شال •• قطيع غريب • محاسب • قرايب • يسار متطرف • ناس لفظتهم
القوات المسلحة • هذه الصورة هى التى تصنع السخط وتثير القلق •
ما معنى ان يبقى وزير فى الحكم ١٥ سنة !! يجب ان يخرج قبل ان
يحكم الوزارة بشلة •

الفصل الرابع

المحاضر السري للاجتماع الرؤساء العرب قبيل وفاة عبد الناصر

●●● « الفصول السابقة عرضت للوضع الداخلي بعد الهزيمة وقبل ان يتولى انور السادات مسئولية الرئاسة . ولكن ماذا كان عليه الوضع العربى ؟ .. كيف كانت العلاقات بين الدول العربية ؟ .. ان آخر الأحداث قبيل وفاة عبد الناصر ، كانت مذبة الفدائيين فى الأردن . وخلالها اجتمع الملوك والرؤساء العرب فى القاهرة .. ان المحاضر السرية لهذا الاجتماع تكشف حقائق الوضع العربى المتناحر عندما أصبح السادات رئيسا للجمهورية » ●●●

بعد أيام من الهزيمة القاسمة في يونيو ١٩٦٧ .. أذكر أن أنور السادات رئيس مجلس الأمة ، دعا عددا من الكتاب الى مكتبه ، لمناقشة مقفولة ، حول أسباب الهزيمة وسبيل البداية الجديدة بعدها . حضر الاجتماع يوسف السباعي واحسان عبد القدوس ومحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين وفتحي غانم وأحمد حمروش .. وكاتب هذه السطور .

طلب منا أنور السادات أن نتحدث بمنتهى الحرية والوضوح .

وأذكر من الآراء التي قيلت ما قاله أحمد بهاء الدين ، عن ضرورة أن تقوم المشاركة في الرأي . لابد من شعور المواطنين بأنهم يشاركون فعلا في اتخاذ القرار .

وأذكر أن أحمد حمروش ركز في كل كلماته على الدور الذي يجب أن يؤديه الاتحاد الاشتراكي ، لكي يكون تنظيميا سياسيا مؤثرا ..

وأذكر أنني طالبت بالديمقراطية .

وسافرنا مع أنور السادات بعد ذلك الى السويس .. حيث تفقد آثار ضرب مصانع الزيتية .. واجتمع بالقيادات الشعبية هناك ، لكي يحثها على استمرار المقاومة ، ويشجع عناصرها التي أثبتت وطنية وشجاعة ..

وكان قد زار من قبل بور فؤاد ، واجتمع بالضباط والجنود الذين قاتلوا في موقعة رأس العش بعد الهزيمة ، وأعادوا الثقة بجدارة المقاتل المصري وشجاعته .

وكان بعد كل زيارة يقول بلهجته البسيطة المصرية : « أولادنا زي الورد .. شيء يفرح القلب .. لا يمكن أن تستمر الهزيمة وفي مصر هذا الشباب » .

وكنيت أحس أن أنور السادات رئيس مجلس الأمة ، كان يرى الحقائق

أمامه واضحة .. وكان يدرك تماما الأسباب الحقيقية للهزيمة .. وكان يرى أن المحيطين بجمال عبد الناصر ليسوا أبدا على مستوى المسؤولية ..

وعندما تولى أنور السادات مسؤولية الاتحاد الاشتراكي العربى ، بعد تنحية على صبرى ، بسبب « البضاعة » التى أتى بها من موسكو ، وأعدت لاستقبالها سيارتان لورى فى مطار القاهرة .. لجأ أنور السادات الى أسلوب « السامر » .. فتح القاعة الكبرى فى مبنى الاتحاد ، لكى تدعى اليها الجماهير مرة كل أسبوع .. وتجرى المناقشات وكأننا فى « دوار » العمدة بالقرية .. وكانت مشاعر الناس ساخنة .. لجان المعركة لا تؤدى شيئا .. استعدادات الدفاع المدنى والشعبى .. تشكو القصور الكامل .. وكانت الشكوى عامة من أن الاتحاد الاشتراكي عاجز ..

وكان أنور السادات يركز فى هذه الاجتماعات على حقيقتين ..

✱ الأولى .. أنه لا مهرب من المعركة .

✱ الثانية .. أن المعركة ستخلق قيادات جديدة هى الجديرة بتولى المسؤوليات فى مواقعها بعد الانتصار .

وكنت أتابع هذه الاجتماعات ..

وكنت ألمس مدى الجهد الذى يبذله أنور السادات ، فى اطفاء هذه الحرائق المنتشرة فى كل مكان .. وكان هدفه الأول ، أن تتجمع الجبهة الداخلية فى وحدة وطنية حقيقية .. فبغير هذا .. لا معركة .. ولا انتصار .

كانت مصر تواجه تفسخا حقيقيا بعد الهزيمة .

مؤامرة عبد الحكيم عامر الفاشلة .

محاولته الانتحار فى منزل جمال عبد الناصر .

ثم انتحاره بعد ذلك ، فى البيت الذى تعددت فيه أقامته .

قضية المؤامرة وما ظهر فيها من فضائح الذهب والفساد .

قضية صلاح نصر رئيس المخابرات العامة .. وما انتشر حولها
من قصص التعذيب واستغلال النفوذ •

قضية قائد الطيران .. الذي اختير كبش فداء هو وعدد من ضباط
الجيش ..

وكان جمال عبد الناصر قد اختار حسين الشافعي ليرأس محكمة
المؤامرة .. ثم اعتذر حسين الشافعي ، فغضب عبد الناصر ، وطلب
اليه أن يعطى كل أوراق القضية الى أنور السادات ليرأس المحكمة ..
وكان أنور السادات مستعدا لذلك ، واشترط أن يجريها في مجلس
الأمة .. وعلى مشهد من الجماهير ..

ثم عدل حسين الشافعي عن اعتذاره ..

وجاءت بعد ذلك اقالة زكريا محيي الدين •

خلاصة القول أن البلاد كانت تمر بفترة حالكة السواد .. وقد
كشفت حقائق مؤامرة مايو في عهد أنور السادات ، أن جمال عبد الناصر
كان يقاسى آلام المرض الشديد .. وكان في معظم أيامه لا يغادر
فراش المرض .. وكان يحكم مصر من خلاله لجنة من سامي شرف
وشعراوي جمعة ومحمد حسنين هيكل .. وكان يحضر بعض اجتماعاتها
أمين هويدى والفريق محمد فوزى .. كل هذا وأنور السادات ، لم
يفقد الأمل لحظة واحدة ، بأن الغد سيحمل معه بشائر الخير ..

وتقدمت أمريكا بمشروع روجرز • وسافر عبد الناصر الى موسكو •
ولم تكن مباحثاته ناجحة مع الزعماء السوفيت .. ولذلك قرر قبول
المشروع • وكان أنور السادات قد أعلن رفضه للمشروع في اجتماع
سياسي بالاتحاد الاشتراكي أثناء وجود عبد الناصر في الاتحاد
السوفيتي •

وكان أنور السادات قد أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ، وحلف
اليمن قبل سفر عبد الناصر الى موسكو • وعرف أن عبد الناصر تلقى
تقارير عن مؤامرة تستهدف حياته .. فاختار أنور السادات ليكون على
رأس الدولة في غيبته •

وعاد جمال عبد الناصر من رحلته ..

وفوجئت بأحد سكرتيرى أنور السادات يبلغنى فى التليفون ، أنه يتحدث من قرية ميت أبو الكوم ، وأن نائب رئيس الجمهورية يعانى من أزمة قلبية .. وطلب الى أن أكتب خبرا بهذا المعنى ، وأن الأطباء منعه من استقبال الزوار ..

وكتبت الخبر • وأمليته عليه • وعرضه على أنور السادات ، وأجاز صيغته .. وطلب منى إبلاغه لباقى الصحف ..

ومن هنا انتشرت شائعات كثيرة .. تتناول مرض أنور السادات ، وأنه مرض سياسى ، بل تتناول أيضا نزاهته بقصد النيل منه والتشهير به .. وسرت قصة كاذبة تماما — مصدرها جهاز سامى شرف — أن أنور السادات أمر بوضع تاجر كبير تحت الحراسة ، لأنه رفض أن يترك الفيلا التى يملكها .. لكى يسكنها !

ثم انتقل أنور السادات من ميت أبو الكوم الى الإسكندرية • وزرته فى منزله • وقلت له أن الاشاعات منتشرة بأن مرضه سياسى • وأجابنى أنه سيعود الى مسئولياته بعد أيام .. وأستأذنته فى نشر هذا الخبر ، حتى نقضى على الاشاعات .. ووافق وزاره عبد الناصر فى منزله • وتجاوز أنور السادات أزمته الصحية .. وكان يزور عبد الناصر كل ليلة ، من الغروب حتى ساعة متأخرة من الليل •

أننى أورد هذه الوقائع لأقول .. ان تولى أنور السادات منصب نائب رئيس الجمهورية ، كان محاطا بسموم الثعابين .. ومع ذلك استطاع أنور السادات بكل الهدوء أن يخطو بقدمه فوق كل مناورات صراع السلطة .. وأن يظل على علاقة طيبة ومباشرة بجمال عبد الناصر •

وأذكر أن فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى روى لى ، نقلا عن حديث جرى بينه وبين عبد الناصر ، قول عبد الناصر له ، وهو يستعرض معه كفاءات أعضاء مجلس الثورة — أن الوحيد من بينهم الذى يعتبره سياسيا داهية ، هو أنور السادات •

وكان ذلك فى الأشهر الأولى للثورة ..

وأذكر أيضا أن مصدرا — أفضل عدم نشر اسمه — قال لى أيضا:

أن جمال عبد الناصر قال له يوما : أننى أشعر أن أنور السادات هو الذى سيخلفنى !

ثم مات جمال عبد الناصر فجأة ..

ولو أن المخابرات الأمريكية تنكر أن موت عبد الناصر كان مفاجأة • بل أن رجلها « مايلز كوبلاند » ، الذى كان على صلة وثيقة بجمال عبد الناصر كتب فى صحيفة صنداي تلجراف فى الرابع من أكتوبر بعد وفاة الزعيم يقول : « على النقيض مما عن للرئيس نيكسون أن يصرح به فى حديث تليفزيونى أخيرا ، فإن حكومة الولايات المتحدة لم تفاجأ بوفاة الرئيس ناصر ، وكذلك الحكومات البريطانية والسوفيتية والاسرائيلية • بل أن الحكومة المصرية لم تفاجأ بذلك ، إذ أن « ناصر » كان قد وطن نفسه منذ فترة من الزمن على التسليم بخطر حالته الصحية • ان الحكومات الحديثة نادرا ما تفاجئها الأحداث التى تعنيها بصفة مباشرة ، إذ تكون لديها خطط للطوارئ لكل الأزمات تقريبا التى يحتمل نشوبها • وبالنسبة لناصر فليس سرا أنه كان مريضا بمجموعة من الأمراض مثل السكر والتهاب الأوردة • • وكان جهازه التنفسى يعانى من الضيق • • وبعد أن ألت به نوبة مرضية خطيرة فى سنة ١٩٦٩ قال له طبيبه أنه لابد أن يكف عن عمله الذى كان يستغرق ١٦ ساعة يوميا ، لأن ذلك سيقصر من عمره • • وأن بوسعه أن يعمل أربع أو خمس ساعات ويكون لديه الأمل فى الحياة فترة أطول •

مات جمال عبد الناصر ..

واتفق من كانوا يعتقدون أنهم ورثة الحكم ، على اختيار أنور السادات • • تصورا منهم أنه سيكون صاحب العرش الذى يملك ولا يحكم !

وفى يوم الجنازة الشعبية التاريخية • • سمعت وأنا فى مكتبى فى « الأخبار » أن أنور السادات أغمى عليه • • وأنه نقل الى فندق شبرد لاسعافه ، فأرسلت مندوبا ليتحرى الخبر • •

وفجأة دق جرس التليفون • •

فقلت : مين • •

قال : أنا أنور

قلت : أنور مين ••

قال : أنور السادات يا موسى ••

قلت : عفوا •• ان ذهني تائه •• الحمد لله أني سمعت صوتك •• لقد
أبلغت منذ لحظات أن سيادتك في فندق شبرد بعد أن أغمى عليك في
الجنازة ••

قال : الحمد لله •• الآن •• أني أتحدث اليك من القبة • لقد شعرت
بارهاق شديد في الصباح ، لأنني لم أنم منذ يومين •• ونقلت الى هنا ••
وأعطاني الطبيب حقنة منومة •• والحمد لله •• أنا أحسن ••

قلت : الحمد لله • كنا في غاية القلق عليك ••

قال : أريد أن ترسموا في الصفحة الأولى من الأخبار •• صورة لجمال
•• توضع في مكان ثابت بجوار اسم الأخبار •• كرمز لمؤسس أول دولة
مصرية ••

وفعلا •• كلفت الاستاذ الفنان بيكار ، برسم الصورة •• واستمررنا
في نشرها عاما كاملا ، حتى الذكرى الأولى لوفاة عبد الناصر •

وبدأ أنور السادات يتولى مسئولياته ••

وبدأ يستعد لانتخابات رئاسة الجمهورية ••

وكان في ذلك الوقت يقيم في قصر العروبة •

ولقيته في الصباح التالي • كان مرهقا كل الارهاق • رأيته بعد اجتماع
طويل مع على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف وأمين هويدى ••

وكان يعد للقاءه الأول بمجلس الأمة •

وأذكر أن الرئيس أنور السادات قال لى في هذا اللقاء ••

أنه يشعر أن المهمة ثقيلة وصعبة بعد اختفاء زعامة جمال عبد الناصر
بثقلها العربى والدولى الكبير ••

أنه يؤمن أن أول مسئولياته هى الاعداد الكامل للمعركة •• ولكنه
سيستمر في نفس الوقت في طريق السلام •• وكان قد استقبل مبعوث

الحكومة الأمريكية في تشييع الجنازة ،وقال له أنه مستعد أن يناقش كل شئ مع أمريكا بعقل مفتوح وقلب مفتوح ..

وأنه يؤمن تماما أن الديمقراطية هي أمل الجماهير .. وهي صمام الأمن والأمان ، استعدادا للمعركة .

وكان بعض أعضاء مجلس الثورة السابقين قد تقدموا اليه بمذكرة .. وطالبوا باتخاذ خطوات معينة لمواجهة الموقف بعد وفاة عبد الناصر .. وكان تعليقه على ذلك ، أن الموقف لا يحتمل .. وأن كل الجهود يجب أن توجه أساسا الى اعداد كامل للقتال .

* * *

لقد أردت بهذا العرض السريع أن أقدم صورة لأنور السادات منذ هزيمة ٦٧ حتى وفاة جمال عبد الناصر .. يتضح منها أن الرجل كان يرى بنظرة ثاقبة كل أوجه القصور . وأنه استطاع أن يتغلب على كل الأعيب صراع السلطة . وأنه لم يتخل يوما عن التزامه مع جمال عبد الناصر .

وأنه كان يرى أن الحرب هي الحل الوحيد .. مع متابعة المساعي السلمية من جديد .. ومع السير في طريق ديمقراطي .

* * *

ولكن ماذا كان عليه الموقف العربى .. والموقف الدولى في الأيام القليلة التى سبقت وفاة جمال عبد الناصر ؟ .. والتى عايشها أنور السادات لحظة بلحظة ؟ ..

كان في القاهرة مؤتمر للملوك والرؤساء ..

وقد بدأ انعقاد المؤتمر في الثانى والعشرين من سبتمبر ، أثر مذبحة الفدائيين في الأردن . قاطعت العراق المؤتمر .

وفشلت نداءات الرؤساء الى الملك حسين بوقف المذبحة .

وذهب وفدان من المؤتمر الى عمان . وفشلت كل المحاولات مع الملك حسين لوقف النار .

وحضر ياسر عرفات الى القاهرة .. وحضر بعض زعماء المقاومة ..

وأنذرت أمريكا بالتدخل العسكرى ..

ونصح الاتحاد السوفيتى بتجنب التدخل الأمريكى بكل وسيلة ..
وطالب القذافى فى المؤتمر بدخول الجيوش العربية .. لمحاربة أمريكا !
وأخيرا .. طلب الملك حسين الحضور .. وتم توقيع اتفاقية سميت
اتفاقية القاهرة .

والأزمة بدأت منذ يوم الأربعاء ١٦ سبتمبر ، عندما أعلن الملك حسين
الأحكام العرفية ، وألف وزارة عسكرية ، وعين حاكما عسكريا .. وأعلن
الملك أن هدف الحكم الجديد إعادة مكانة الدولة .. وردت المقاومة ببيان
قالت فيه : أن الحكم العسكرى مؤامرة ضد العمل الفدائى الذى سيدافع
عن نفسه ..

وطلبت الحكومة العسكرية من الميليشيا تسليم الأسلحة الى منظماتها .

الخميس ١٧ سبتمبر :

بدأت المذابح الرهيبة • سقط مئات القتلى والجرحى • اشتعلت
المرافق فى عمان • كان الرئيس جمال عبد الناصر مجتمعا مع القذافى فى
مرسى مطروح • وصل الفريق صادق الى عمان يحمل رسالة من
عبد الناصر ونميرى والقذافى لوقف المذبحة •

الجمعة ١٨ سبتمبر :

الأسطول الأمريكى يقترب • الطائرات البريطانية تتجمع فى قبرص •
وصل عدد القتلى والجرحى الى ٥ آلاف • استمر القتال من بيت الى بيت
ومن شارع الى شارع فى مدن •

السبت ١٩ سبتمبر :

الباهى الأدغم يتصل بالرئيس عبد الناصر تليفونيا ويقترح عقد مؤتمر
قمة عربى فى القاهرة • عبد الناصر يرسل نداء الى الملك حسين وعرفات
بوقف القتال فورا لصد المؤامرات الدولية للتدخل • القاهرة تحذر أمريكا
من عواقب التحركات العسكرية وتحملها مسئولية نتائجها الخطيرة •
الخسائر مخيفة • آلاف الأبرياء تحت رحمة النيران فى الشوارع •

الأحد ٢٠ سبتمبر :

أمريكا تذيع بيانا رسميا عن تدخل قوات سورية ، وتطالب بسحبها
فورا • كان البيان الأمريكي يعبر عن تمهيد لتدخل عسكري اذا لم
تنسحب القوات السورية • عمان تؤكد أن القوات السورية تقدمت في
القطاع الشمالي من الأردن • عبد الناصر يبعث برسالتين الى الملك
حسين • حكومة البعث العراقي تتدخل ضد المقاومة • بدأت اتصالات
عقد مؤتمر القمة •

الاثنين ٢١ سبتمبر :

الموقف يتدهور • وصل القذافي والأتاسي ونميري والأدغم الى
القاهرة • تقرر الاجتماع مساء اليوم التالي •

الثلاثاء ٢٢ سبتمبر :

اجتمع الملوك والرؤساء • نميري والأدغم ووزير الدفاع الكويتي
والفريق صادق سافروا الى عمان • عدد القتلى وصل الى ١٥ ألفا •
المعارك عنيفة في الشمال • طائرات السلاح الجوي الأردني تشترك في
القتال •

الأربعاء ٢٣ سبتمبر :

اتصالات القاهرة بعمان مستمرة • عاد نميري من عمان ومعه زعماء
المقاومة الأربعة الذين طلبوا وقف القتال • المذبحة مستمرة • استمع
الرؤساء الى تقرير نميري • عمان تحولت الى انقاض وخرائب وجثث •

الخميس ٢٤ سبتمبر :

نميري يسافر الى عمان للمرة الثانية • سافر حسين الشافعي والأدغم
ورشاد واحد زعماء المقاومة • الهدف تنفيذ وقف النار •

الجمعة ٢٥ سبتمبر :

- مائير تهدد بعمل عسكري ضد مصر ، بحجة تحريك الصواريخ المصرية •
- نميري عاد ومعه ياسر عرفات • اجتماعات الرؤساء مستمرة •

السبت ٢٦ سبتمبر :

- الملك حسين يطلب الحضور الى القاهرة • نميري أذاع في مؤتمر صحفي كل أسرار الأحداث • قال أن المذبحة بدأت باخلاء عمان من الأردنيين وضربها بقوة من ٧٤ ألف جندي •

الأحد ٢٧ سبتمبر :

- تم الاتفاق على وقف جميع العمليات العسكرية • وقع الرؤساء الاتفاق •

الاثنين ٢٨ سبتمبر :

- مات جمال عبد الناصر •



وقد استطعت الحصول على ثلاثة محاضر لاجتماع الرؤساء •• من دبلوماسي صديق حضر هذه الاجتماعات • ولا أقول أنها محاضر كاملة ، لأن صديقي كان يسجل بقلمه •• وربما فاتته الكثير • وأننى أنشرها الآن ، لكى أعطى صورة كاملة عن الموقف العربى الذى تسلم أنور السادات خلاله أمانة المسئولية •

جلسة مساء الخميس ٢٤ سبتمبر ١٩٧٠

- « أمريكا تهدد بالتدخل العسكرى • الاتحاد السوفيتى ينصح بتجنب التدخل الأمريكى فى المنطقة •

القذافي ورئيس اليمن الجنوبية يطالبان بتدخل الجيوش العربية •
عبد الناصر يعلن أنه يرفض هذه المزايدات • قال لهم •• أنتم تصدرون
البيانات •• ومصر هي التي تحارب ••

الرئيس عبد الناصر :

أرحب بالأخ سليمان فرنجيه الذي يشارك معنا وهو في أول عهد
رئاسته •

الرئيس فرنجيه :

ياريت في غير هذا الظرف •

الرئيس عبد الناصر :

معلش •• أتمنى لك التوفيق ، حصل اليوم تضارب في الأقوال فهناك
من يقول أن اتفاق أمس قد نفذ حسب ما قال الملك حسين ، وجاءنا
من سفارتنا أنه وقع اطلاق نار بعد الظهر •• ومن دمشق يقولون أن
أربد معرضة للقصف • ويقولون أن الموقف سيء جدا ، وقلت للأخ نميري
أنكم تكملون مأموريتكم وتتأكدوا من وقف اطلاق النار وتتصلون بياسر
عرفات ، والأخ نميري رحب بالسفر ، كان هناك أيضا الشيخ سعد وبعد
كده كان هناك الأخ الباهي الذي قال أنا مستعد أيضا وقلنا يروح أيضا
حسين الشافعي والفريق صادق وأخذنا مبعوث عن الملك فيصل وقلنا
يسافروا •• لنعرف من هو على خطأ ومن هو على صواب ، نحن
مستعدين نبعث عشرين أو ثلاثين ضابطا ليؤكدوا صحة ما يقال في
الاذاعات ••

كذلك فيه امبارح كلام ضد المؤتمر • وأن المؤتمر مؤامرة ، نحن في
الحقيقة لما الاخوة في تونس تكلموا معنا ومع الاخوان في ليبيا قلنا
أهلا وسهلا ، وكان ممكن أن أطلع أنا بيان تؤيد فيه المقاومة ، انما احنا
نتآمر على مين ؟ هذا الكلام طلع امبارح ، الناس اللي عايشين في المعركة
فقدوا أعصابهم ، أن من يحكم عمان هم وصفى التل وحابس المجالي •
نحن هنا لا نريد أن نزايد ، نريد وقف اراقة الدماء أنا بعثت برقية للملك

حسين قيل في دمشق أنها شديدة اللهجة ، واحنا سوف لا نذيعها لأننا لا نريد المزايدة ، انا عندي جواب من ياسر عرفات يقول أن كل ما يهمه هو وقف اطلاق النار • الاخوان اللي راحوا سوف يحاولون مع الملك حسين تحويل الوضع العسكرى الى مدنى ، سيحاولون أيضا ايجاد صيغة لاتفاق يضمن عدم تجدد هذه المأساة ، مازال هناك اطلاق نار حتى على سيارات الاسعاف • • (اعداد كبيرة من الفدائيين وافقت على وقف اطلاق النار • برقية وردت الآن (الساعة التاسعة الا ربعا) من سفارتنا في عمان تقول أنه منذ الصباح والقوات الأردنية تشن حملة على الفدائيين ولم تحترم وقف اطلاق النار • ننتظر الوفد الذى سافر ويتصل بياسر عرفات ثم يصل الى نتيجة أو رأى •

الملك فيصل :

اختلفت الروايات وليس هناك شىء واضح نبنى عليه ، هل هناك برقيات أخرى • « قرئت برقية الملك حسين من الاذاعات » •

الرئيس عبد الناصر :

كل الصحف أيضا تتكلم ضد المؤتمر ، كذلك نسعى بأن توقف هذه الاذاعات • يجب تشويشها بأى طريقة بالوسائل الدبلوماسية أو بأى وسيلة أخرى • ويمكن أن يسافر الرئيس معمر القذافي والرئيس ربيع الى دمشق •

الرئيس ربيع :

كل الدلائل تشير الى أن الحكم في الأردن لا يزال يمارس اطلاق النار ، واذا كان كل ما يصلنا غير صادق ، فمن يتكلم الصدق ؟

الرئيس عبد الناصر :

أنا مستعد اصدر بيان وأستريح ، ويمكن تصفقوا لى لو أصدرت بيانا ، وأنا مستعد أعطى للفدائيين اذاعة أو اثنين وأذهب الى الاسكندرية ، والناس تقول أنى ثورى ونترك الناس تذبح بعض ، فى

الواقع هناك مخطط في الأردن وهناك مساعي وهناك فدائيين ، جورج حبش أخذ مطارا وأحضر طائرات ، هل تقبل أنت .. يا سالم ربيع أن تأتي جماعة الى اليمن ويتصرفوا هذا التصرف حتى ولو كانوا صينيين ، أن السلطة في الأردن تستطيع أن تقضى على الفدائيين ، وكذلك السلطة في لبنان . تدخلنا لفائدة الفدائيين . الملك حسين غير مهدد ، الناس اللي بتنزرب هم الفدائيين . وهناك فدائيون يريدون أن يشعلوها وهناك المجالي وهناك التل الخ .. ، السؤال .. هل احنا مستعدين نحارب في الأردن ؟ .. لا .. أنا بصراحة : أقول لا .. السوريون ادخلوا ٣٠٠ دبابة ثم سحبوها .

الرئيس ربيع :

القبائل هناك ..

الرئيس عبد الناصر :

.. وجهة نظرنا أعلنها أنه لا يمكن أن نقبل بتصفية المقاربة الفلسطينية ، احنا سنأخذ مواقف نتيجة لما يجري ، نرسل ضباط تراقب ، الناس تموت الآن من الجوع والعطش ، ونحن نريد ٢٤ ساعة وقف إطلاق النار وبعدين نشوف .

الرئيس ربيع :

القبائل متوحشة ..

الرئيس عبد الناصر :

بصراحة هذا واقع في الجنوب فقط ، وذلك أثر اعتداء عليهم من جماعة من الفدائيين وأنا أرسلت الى الملك حسين أن الناس اللي معاك مشبوهين ، احنا لما جينا كان هدفنا وقف إطلاق النار وما يحصل الآن هو ما تتمناه اسرائيل ، اذا كان هناك طلب من الاذاعات أن تسكت وهذا صعب في رأيي . احنا مجهزين بالضباط . انا تصلني أخبار منتظمة مفادها أن إطلاق النار متواصل ، تصلنا أيضا برقيات . كيف نوقف هذه المجزرة ؟

رشيده كرامى :

لا يزال وقف اطلاق النار غير محترم • لكن لتسهيل مهمة اللجنة فى رأىى
•• لو صدر عن هذا الاجتماع قول : بأنه اذا لم تتوصل اللجنة اليوم أو
غدا أو بعد غد • كلام من هذا النوع يعنى أن المؤتمر أصبح على وشك
اظهار الأمور كما هى •

الرئيس القذافى :

ما هو الموقف الذى سوف نأخذه ؟

محمد المصمودى :

هذا قد يكون بعد عودة الوفد •

الرئيس عبد الناصر :

حقيقة ما هو الهدف ؟

محمد المصمودى :

نود أن نعرف نص الكلام الذى قيل الى الوفد لكى يبلغه هناك •

الرئيس عبد الناصر :

أنهم خططوا على أساس أنهم يقضون على المقاومة فى ثلاث ساعات ،
الحق أن الملك حسين لم يطلب منى أى شىء ، لكنى قلت للفدائيين أنكم
عندما تضعون الحسابات فان الأردن لديه أكثر من ٥٠٠ دبابة عندما
تقول الصحف : الملك العميل ، معناه أنه سوف يضربهم وهذا الكلام لو
قيل للنبي محمد لما سكت • أقول نحن نتوسط ، هناك ناس قالوا
ما فيش فايده • هذا سهل • وكذلك التحريض • والنتيجة أن الواحد يذبح
الثانى والأعداء يكسبون • ماذا نعمل الآن لو أصدرت بياننا الآن ؟ وأنا
فى الحقيقة أرسلت له برقية شديدة ثم ذهب الوفد •

الشبلى (السوان) :

أن هدف المؤتمر أنه لا بد من وقف اطلاق النار • وهذا ليس بسيط •

المخطط لاشك موجود • لكن المهم ألا نتوه في مواضيع وننسى أن الناس تموت جوعا وعطشا •

وزير خارجية اليمن الجنوبية :

هناك دول عربية مبررها أن اجتماعا مثل هذا قد يعقد وتكون نتائجه سلبية كالمؤتمرات السابقة • ونحن جئنا والآن مرت ثلاثة أيام ، ذهبت اللجنة ثم رجعت ولم يقع شيء ثم رجعت مرة أخرى ، فما هو الجديد حتى تعود ؟ وما هي الخطوات التي اتخذت حتى تشكل ضغطا معنويا • ونحن نتكلم عن الملك لأنه هو الذي يمثل السلطة ، وكما قال أمس الأخ الباهي الأدغم هو المسؤول لأنه هو السلطة •• لذلك فإن اقتراح رئيس وزراء لبنان بأن نقوم بنوع من ••

محمد المصمودي :

أن أعمالنا في المؤتمر في ظروف دقيقة للغاية ، وحتما لا يمكن أن نشبهه بمؤتمر سابق للملوك والرؤساء • والرئيس عبد الناصر يعطينا أولا بأول أخبارا وتكاد تكون جلسة عمل متوالية • قال الرئيس القذافي وربيح إذا كان حصل اقتناع بأن الملك حسين عنده مخطط للقضاء على الفدائيين ، وإن كان هناك من له مصلحة في أن تراق الدماء ، ونشك فيما يقولونه •• وخاصة أن هناك من قال أن هذا المؤتمر مؤامرة • وربما اجتماعنا عطل المخطط أن كان هناك مخطط • وذهب الوفد الأول ثم الثاني وعلى كل حال رجعوا باخوان أعزاء علينا وهم أنفسهم حريصون على حل • هذا الوفد سوف يقابل ياسر عرفات عندما يقول الأخ الرئيس ربيع كيف يمكن أن يفشل المخطط ، فعلا هنا كما قال الرئيس القذافي لازم ضمانات والحالة معقدة • نمشي خطوة بخطوة •• ثم تحرك غربي • وسعى لعمل خير عربي على ضوء المعلومات والمعطيات وعندما تكون لدينا المعلومات الكاملة •

الرئيس عبد الناصر :

البرقية التي أرسلتها يوم ٢٢ سبتمبر الساعة الواحدة والنصف ، هناك ناس يقولون أن — اذاعة هذه البرقية يفيد وأنا قلت أن المهم ليس

اذاعة البرقية بل وقف اطلاق النار • موضوع المؤتمرات •• هناك ناس لا تحب المؤتمرات • امبارح طلعت نكتة فيه نظام يسارى فى اليمن الجنوبي عايز يؤمم كل حاجة وموش لاقى حاجة يؤممها ••

يجب أن نعرف أن هناك متناقضات فى العالم العربى وهناك من يريد الفتنة أن تستمر ، وهناك اسرائيل • اذا اسرائيل دخلت لبنان لن نستطيع أن نستردها • وهذا الكلام أقوله ليسجل للتاريخ • هدفكم الأول أن تحافظوا على لبنان وتنظموا علاقاتكم بالفدائيين • يمكن اخواننا فى اليمن الجنوبي يقولوا احنا عجزنا وهم شباب ، لكن احنا تعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧ اللى ورطونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ وهذا اللى جعلنى أمس أقول أفنى غير مستعد لارسال جيوش يمكن أن نصدر بياناً • اننا ننتظر غدا •

الملك فيصل :

لازم كل شىء ينظر فيه على أنه موجه للجميع •

الرئيس عبد الناصر :

يمكن أن نصدر الليلة شىء يمكن أن نقول أن المؤتمر يوصى بضبط النفس •

الملك فيصل :

نوجه الكلام للجميع •

الرئيس عبد الناصر :

أن من رأى عودة الوفد معناه أننا عايزين نشوف الأمور على الطبيعية لو كان الهدف من المؤتمر هو ادانة الملك حسين لخلصنا الموضوع فى خمسة دقائق • لكن حالياً فى اذاعة الجزائر وبغداد ودمشق أكثر من الادانة بل بيلعنوا أبوه •• يمكن أشجب النهارده لكن لن يكون فى امكانى أن أتدخل فى الموضوع • الاتحاد السوفيتى باعتين يقولوا لى أن العملية خطيرة ، ولا بد أن تجنب المنطقة ويلات التدخل فى الأردن وفى لبنان

وسوريا • وهم منزعجون من دخول القوات السورية • أنا أقدر أطلع بيان — وبيانات •

أنا أعمل ايه لو نزل الأمريكان في عمان • عندي قوات في القنال لو طلعتها يهاجموني اليهود ، أنا حابقي أحارب الأمريكان • تقدير الاتحاد السوفيتي ان أى تدخل يضر بمصلحة العرب •

الرئيس القذافي :

بعد سنة ١٩٦٧ ما عدناش نصدق الاتحاد السوفيتي •

الرئيس عبد الناصر :

احنا سنة ١٩٦٧ لم نبدأ إطلاق النار • ان أى بيان سيقطع الطريق أمام الوفد وبكره الظهر يعودوا ونقول ما هو الواقع • الصبح جيت أبو أياد والجماعة وقلت لهم عايزين أيه انتم عايزين تقولوا ان لواء الحسين استسلم وتعملوا أغاني • في اليمن الشعبية يقولوا ان موقف الجزائر كويس لأنها عملت بيان كويس وأنا قلت للوفد روحوا السفارة بتاعتنا في البلد وما تقعدوش في القصر انتم في اليمن الجنوبي عملتم بيان ضد مشروع روجرز •• ما أنتم دوختونا؟! انتم تقدرنا تعملوا ايه؟ •• ما هي امكانياتكم؟؟

الرئيس ربيع :

أنتم مسئوليتكم ••

الرئيس عبد الناصر :

أنتم بتطلعوا بيانات •• وأنا اللي أحارب ••

الملك فيصل :

تطلع بيانات : (اننا مستعدون أن نحارب الى آخر جندى مصرى) •

الرئيس عبد الناصر :

عايزين تحرروا • تعالى قدامى • واحنا موش عايزين ندخل في مزایدات • واللى يتكلم يتكلم بالحساب ، أنا عندي ٦٥٠ ألف عسكرى

وفي ديسمبر حيصبحوا ٧٥٠ ألف عسكري .. العراق عملت ايه . ؟؟
فقصت ميزانية الجيش . هي عملية استكراد والا ايه ؟؟ اللي يحب
يحارب الملك حسين يروح يحارب هذا واقعنا . العراق شتم من اسرائيل
مفيش أى تعليق على كلام اسرائيل ، وانما على ما يجرى على القناة ..
يا ريت نميرى ينجح ويمكن الملك حسين يستجيب .. وأنا قلت ما في
نفسى .

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر

برقيات الى الرئيس جمال عبد الناصر ، عن ضرب السفارة العربية
في وجود نميرى بها ، واتصال نميرى بالملك حسين ووقف الضرب .
وقف النار لم ينجح .

الرئيس عبد الناصر :

حصل نداء في عمان بشأن الاجتماع ، وهناك شخص أخذ الوفد من
السفارة المصرية الى لقاء مع ياسر عرفات الذي قال ان أكثر من ٢٠٠٠٠
قتلى في المخيمات . وأخيرا تم التوصل الى الاعلان عن وقف اطلاق
النار . بعد هذا وصلتنا معلومات أن الرئيس نميرى حينزل يلف في
المدينة . وبعدين جاءتتا برقية من الفريق صادق أنه حصل ضرب ووقع
اتصال ثم انحصر الضرب حول السفارة . ونميرى طلب الملك ، وسمع
الملك الضرب وبعث رئيس الديوان ورئيس الأركان ومساعدته ووصلوا
وأوقفوا الضرب . وآخر المعلومات أن النيران حاليا تنصب على السفارة
وانهم موش راجعين الليلة وأجلوا سفرهم لبكره .

وتلا الرئيس عبد الناصر البرقيات التي تلقاها ومنها برقية من السفير
الساعة الخامسة : حدث حوالي الساعة الرابعة والرابع ضرب مما دفع
الضيوف الى الاحتماء . اتصل النميرى بالملك حتى أن الملك سسمع
اطلاق النار وأوقف النار على الأثر . ولم تحدث اصابات . الساعة
السابعة .. (برقية من الفريق صادق) بعد أن تحدث الوفد مع
المستولين بما يفيد تأخير السفر ، حدث ضرب شديد على السفارة بقصد
حملنا على السفر والتمكن من مواصلة العمليات ضد الفلسطينيين .

ثم قال الرئيس عبد الناصر .. اذا لم ننجح في وقف اطلاق النار
ما نكونش عملنا حاجة ، اللجنة راحت مرتين وشايف مفيش أمامنا ما نقوله

حتى يصل الرئيس نميرى • وهل سينجحون في وقف اطلاق النار ، اذا لم يلتزم أى من الطرفين بوقف اطلاق النار فنحن لازم يكون لنا موقف •• جاءت برقية وقالوا ان يكون عدد من الضباط لمراقبة وقف اطلاق النار من : مصر ، السعودية ، الكويت ، تونس •• طالبين منا نبعث من الكويتيين والمصريين صباحا على اعتبار أن فيه هناك من تونس والسعودية •

الملك فيصل :

اطلاق النار جاء من أين ؟

الرئيس عبد الناصر :

كلام الفريق صادق ان اطلاق النار جاء من الجيش الأردنى •

الملك فيصل :

المراقبون لازم يكونوا من الجهتين •

أمير الكويت :

نبعث برقية للملك حسين •

الرئيس عبد الناصر :

لازم أبعث حاجة أنا شخصيا • بدأت أفقد الأمل •• الفلسطينيون ضربوا كثيرا •

محمد المصمودى :

الشيء الذى حملنا أن نبدى لكم شكرنا هو المظهر السياسى الرائع الذى جعل الكيان العربى يتحرك • وقد أذيع وقيل انه حصل أمل كبير حتى أن الأمريكين أعلنوا أنهم غير متأهبين للدخول • لكننا الآن معلوماتنا تختلف من الناحية الموضوعية • لقد ظهر الكيان العربى ويرجع الفضل اليكم فى هذا السبب ضبط الأعصاب •• وما دام الاخوان هناك وصلوا مع الاخوان الفدائيين فعلينا أن نواصل ضبط الأعصاب وما دام الاخوان

طلبوا منا ارسال ضباط .. طيب نرسل ضباط ليرى العالم أجمع ..
ربما نبعث للملك حسين ببرقية بلهجة أشد وبدون اذاعتها وبرقية للرئيس
نميرى أننا معه • و نرسل ضباط ونفتظر والعالم يعرف أين نمشى وكيف
نعمل .. وليس من المعقول أن نعود بدون شيء ، وهل نعطى فرصة لمن
يتهمنا ويدعى أننا متآمرون .. ليقول لهم هاهم راجعون بخفى حنين
وهذا غير منصف لا لتوايانا ولا لعملنا .. وانا أطلب باستمرار
السعى •

الرئيس عبد الناصر :

الكلام بتاع الأخ الأمير هو الا نذيع .. نبعث برقية لحسين وبرقية
لنميرى ولا نذيع أيضا ..

أحد وزراء السودان :

يبدو أن الموقف خطير وأعتقد أنه يجب أن نكون قريين الى الحقيقة
أكثر ونفوض الوفد الموجود هناك بارسال برقيات الى الملك أو الى الجهات
التي يراها ، بدلا أن نبعث نحن مباشرة ولا نذيعها وأرى أن نسرع
بارسال مراقبين •

الرئيس عبد الناصر :

وايحين غدا الساعة التاسعة •

السودان :

المسائل تتطور بسرعة يمكن موشن حيعملوا حاجة •

الرئيس عبد الناصر :

حسب ما أعلم النميرى اتصل بالملك حسين •

المصمودى :

نبعث برقية للملك حسين ونفوض الوفد •

الرئيس عبد الناصر :

القضية أكثر من وقف إطلاق النار في الحقيقة ، لكننا نركز على الناحية الإنسانية •

الرئيس فرنجيه :

نبعث برقية •

الرئيس القذافي :

نبعث •

الملك فيصل :

أنا ما عندي مانع ، ونحدد أننا عندنا معلومات أن وقف إطلاق النار لم يحترم •

الرئيس عبد الناصر :

نبعث للنميري أيضا •

الملك فيصل :

بالنسبة لهيئة الأغاة أنا تأتيني برقيات •

الرئيس عبد الناصر :

جاءني بعد الظهر أن الصليب الأحمر موجود في إسرائيل وانتقل إلى الأردن • ونحن مستعدين نعطي بضائع بمليون جنيه مواد وأدوية وطائراتنا تعمل مجاناً ، هذا ما أضعه تحت تصرف الملك فيصل •

الملك فيصل :

الجميع مستعدون وقد انقضى ثلاثة أيام وأنا مسافر وتشكل اللجنة وتبقى •

محمد المصمودى :

فى هذه المدة القصيرة ركزنا جهودنا على وقف اطلاق النار •

الملك فيصل :

ما دام هذا كلامكم لماذا عينتونى مسئولا عن اللجنة •

الرئيس القذافى :

عيننا وزير الصحة عضوا فى اللجنة •

محمد المصمودى :

هل من العملى ارسال غذا ما يمكن تجميعه وتكون هى أول بادرة •

الرئيس عبد الناصر :

عندى •• ممكن أنقل ١٥٠ طن بضاعة •

الملك فيصل :

جاءتنى برقية من الملك حسين يطلب موعدا •

القذافى :

والله ملك مجنون وهذه أبسط كلمة تطلق عليه أبسط شىء أن يؤخذ
لمستشفى الأمراض العقلية •

الرئيس عبد الناصر :

الموضوع عايز لجنة طبية تفحصنا جميعا وتشوف مين المجنون ••
وأول واحد تشوفه القذافى •

الملك فيصل :

مستعد أقدم نفسى خليهم يعطونى شهادة وأستريح •

الرئيس القذافي :

• فيه أعراض •

الرئيس عبد الناصر :

ونجيب أحمد حسن البكر •• نعين اللجنة ••

الملك فيصل :

لازم تنبثق من لجنة الاغاثة •• لجنة فرعية تسافر الى الأردن •

أنور السادات :

ممکن تكون لجنة من السفراء العرب هناك •

الرئيس عبد الناصر :

ينتظر وصول النميري الليلة الساعة العاشرة •

الرئيس القذافي :

نجتمع أثر مجيئه •

الرئيس عبد الناصر :

لجنة الاغاثة تجتمع بكرة •

اجتماع الملوك والرؤساء يوم الجمعة

٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ بعد عودة

الوفد من عمان

« تقرير الرئيس نميري ، أن التفاهم مع الملك حسين مستحيل • وأن الموقف ليس في يده • وأن محاولات وقف النار فشلت • القذافي مصمم على تحريك جيوش عربية لتحارب أمريكا ويقول ان هناك

متطوعين من أمريكا سينضمون للجيش العربية •• عبد الناصر
يرفض هذه المزايدات • قال : لن أحرك جيوش •• ومن عنده جنود
يحركها •• فليتقدم •• أما أنا •• فلا •

الرئيس عبد الناصر :

نشكر الرئيس النميرى والاخوان على المشقة التى تحملوها •

الرئيس نميرى :

هذا واجب •• أود أن أسرد على مسامعكم ما قمنا به من أعمال وما
وصلنا اليه من نتائج وما نوصى به من اقتراحات وبعد ذلك سيقوم
الاخوان أعضاء الوفد بالحديث عن انطباعاتهم • (ثم تلا البيان الذى
أذاعه فى المؤتمر الصحفى) •

ياسر عرفات :

العملية ليست عملية فدائية • والمجزرة الآن لا شئ يمكن أن يبررها
الا أنه انتقام سهيونى استعمارى خطط لكل هذا الشعب ليضرب ضربة
كبيرة •

المذبحة الفعلية بدأت يوم ١٦ سبتمبر • لكن ظهرت بوادرها فى
٢٦ أغسطس • وبعثت فى حينها للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل
يمكن قبل الحوادث بيومين • كنت أصرخ وأقول هذه كربلاء الشعب
الفلسطينى • اننا معرضون لاعتداء على اعراضنا •• نحن عندنا مناطق
وقبائل نصرف عليها علاج ودواء وتعليم وزراعة • هذه القبائل ، قامت
على كل من هو فلسطينى واستباحوا دمه • عندى احصائيه أن الشيكات
زادت ٨٥٠ ألف دينار فى شهر واحد (شهر أغسطس) وهى رشاوى
لما قام به هؤلاء المشايخ من مجازر •

فيصل :

الشيكات من أين ؟

عرفات :

من مصادر مختلفة وسعر الدينار مرتفع • أنا أقول أرقام • يمكن تسألوا بيوت المال في بيروت في الشمال قاموا بعملية على ١١ قاعدة من قواعدنا • ونحن نعيش في الكهوف • وهى قواعد عسكرية عبارة عن نقاط نتخذها مراكز •

في يوم واحد ٦٦ قاعدة هوجمت بواسطة اللواء المدرع ٤ • ولكن استطعنا رغم فداحة المأساة أن نغط الطرف • وأن نطلع أول اتفاقية بيننا وبينهم • من نهار كنا مجتمعين مع أعضاء اللجنة المركزية وأصيب هذا الاجتماع بـ ٨٦ قذيفة • ومع ذلك عاودنا الاتصال عندما جاءت اللجنة الخماسية (يقول الملك رئيس الوزراء وقع الاتفاقية وهو مستقيل والحقيقة أنه تم الاتصال بالملك حينذاك وحصل رئيس الوزراء على موافقته • ثم يقول الملك ان الاتفاقية وقعت بدون موافقته • ثم بدأت حوادث الزرقاء كلما تكون هناك بادرة خير تبدأ حوادث التخريب • حاولت واتصلت برئيس الوزراء وبرئيس الأركان (مشهور حديثه) مش موجود • وبعد ذلك علمنا أن حكومة جديدة شكلت • واتصل بى أخ من اللجنة وقال لى انه اتصل بهم • فقلت هؤلاء يطلبون منا تسليم السلاح وأنا لا أستطيع أن أحكم على نفسى بالاعدام • أفضل أن يقتل الفدائي وسلاحه بيده • وقد قيل لنا هذه أوامر الملك • واتصلنا بنائب رئيس الوزراء لتلافي المذبحة • شاهدت شخصيا مذابح ومجازر كثيرة من قبل لكن لا أعتقد أن ما يحدث في عمان حدث من قبل • فهناك ثلاث ألوية مدرعات وأربع ألوية مشاة أحضرهم من الجبهة • وبقي على الجبهة سرية واحدة أى ١٢٠ جنديا فقط • اتصلت ثانية فلم أجد نائب رئيس الوزراء ولا مدير العمليات ولا نائبه الذى قيل لى انه يصلى • ولم أستطع الاتصال بالملك ولا بزيد شاكر • وبدأت المذبحة في عمان • أول يوم كان بينى وبين الدروع تقريبا ٢٠ متر تعاملنا معها يوما كاملا حتى استطعنا أن نشق طريقنا لكن كيف نتعامل مع المدفعية • الكتيبة السادسة كانت ولا زالت تدل عمان بمدفعية الدبابات • أما الرشاشات الثمانمائة فغير محسوبة • وهذه أول مرة تظهر فيها هذه الرشاشات • اذ كان الملك يطلب منى أن أحمى مصنع الأسمنت (والسلط) وبعض مواقع بالسلاح القليل الذى أحشده ، خيلنا نقول هؤلاء الفدائيين مجرمين خونة • ولكن ما ذنب مخيم الوحدات ؟ لم أستطع أن أمشى أكثر من مائة متر ، لأن روائح الجثث

في الشوارع وتحت الأنقاض ما فيش حد يدفننها • حبيت ندفننها قالوا لي حرام • ما فيش ماء في الاحياء الشعبية اطلاقا • حتى سمعت أن السفارات ما فيهاش ماء أيضا • أكل ما فيش حتى الأدوية لم تصل الى مستشفياتنا اطلاقا • اليوم دكوا مستشفى الأشرفية واستطاع شبابنا أن يعطلوا الدبابات ثم لجأوا الى حيلة • وضعوا أطفالا فوق الدبابات واقتحموا المستشفى وأخذوا الأطباء والمرضات • وأنا أعرف أين ستبيت المرضات الليلة • لأن عمان استبيحت كما تستباح المدن في القرون الوسطى • دكوا مخيم الحسيني ولا زالوا يدكون • أنا مضطر أن أقدم غدا شكوى الى مجلس الأمن بآبادة جنسية • والعملية فوق ان الفدائيين انحرفوا • وهذه السلطة لا تشعر بأنها من هذا الشعب • وأمس كنت في بيت انفجرت فيه قذيفة • وفي البيت امرأة تقول لي اياك أن تصالحه لقد صالحته ثلاث مرات • أنا أعتقد أننا مقبلون على مذبحة غدا • في اربد اليوم حتى المصاروة الحرائق مشتعلة • • طبعاً فيه تناقض • • يقول انا أسمح بالتجول وهو مسيطر على هذه الأماكن ويرسل بعثة للصليب الأحمر ويذيع مطالباً بوقف إطلاق النار • لن يعطونا لا هدنة ولا شيء • المخطط ماشى • وفيه اصرار عليه • يجب أن يشعر أن هناك حماية عربية لهذا الشعب • أريد أن أسأل نفسي • • ماذا فعلنا لهذا الشعب منذ سنة ٤٨ • أنا أذكر كلمة للرئيس عبد الناصر أنه لم يكن يتوقع أن يصمد • • وما هو صمد • ومن حقه أن يسأل قادة العرب ما ذنبه ؟ هل نخون • • نروح نتفق مع أمريكا ونأخذ حماية منها • نروح نتفق مع اسرائيل نخونكم (وهنا بكى ياسر عرفات) •

المقذافي :

الصورة واضحة أمامكم • • اننى أريد أن أتحرك •

عبد الناصر :

أود أن نسمع من الأخ الباهي الأدغم • اذا كان هناك لا أمل في وقف إطلاق النار • • الاخوان اللي حضروا نحب نسمع منهم • قال الأخ نميرى انكم طبعاً كلكم متفقين •

الباهي الأدغم :

باختصار رحنا الى عمان للنظر في حل يضع حداً للقتال بدون سابق

تحيز • فاتصلنا بالملك وبحثنا معطيات القضية من جميع نواحيها وتحادثنا ساعات • وخلاصة الأمر في خصوص وضع حد للقتال بوقف إطلاق النار فهو يقول هذا صعب بل مستحيل ، لأن الفدائيين لا يريدون وقف إطلاق النار ، فهناك نهب ولا بد من مواصلة الأعمال • قلنا طيب • • فيه حالة هيجان • يمكن يكون هناك عمليات بوليسية • في المرة الأولى ، بقينا في ضيافة الملك لكن علمنا من جهات أخرى أن إطلاق النار تقوم به القوات المسلحة ورأينا أن هناك عمليات مخططة منطقة بعة منطقة هناك قتلى بالآلاف والجرحى بالآلاف • قلنا ذلك للملك • فلم يعتذر بل قال انه لم تتم العملية بعد • فقلنا طيب لا بد من حد أدنى من ظروف الحياة خاصة وان ٣ مستشفيات ضربت واستنتجنا أن العمليات عمليات حربية تجاوزت بكثير الأهداف التي قامت من أجلها خاصة في عمان الملك وأخوه لا يخرجان من القصر و ٤ أو ٥ أشخاص يخرجون ويدخلون وكل شيء في يد هؤلاء ولم تبق هناك دولة • فحاولت أن أتحدث معه على الأقل من حيث أن الافراط مضر • • هذه ليست عملية ابادة في مدينة أهلة بالسكان • رد الفعل موثس طبيعي ولا يوجد من نحاسبه • واحد يقول لي أنا عسكري • وواحد يقول لي أنا لا أعمل سياسة • لم نجد مجالا للحديث • عملية قمع قصيرة النظر • أخ الملك يحضر الاجتماعات وهو يقول لي انه ينصح أخوه • ومصير الشعب بيد أخوه الذي يقول لو لزم محو عمان فسوف تمحى • فبقية الأردن تكفى •

في الساعة الخامسة صباحا رأينا قصفا • فسألت الضابط فقال هذه مدافع • ثم رأينا النار تشتعل وهي ذخيرة بالفسفور ممنوعة دوليا • والضرب في منطقة جبل حسين وهي أهلة بالسكان وهذا بعد التصريح بوقف إطلاق النار • وأنا شخصيا سمعت عويل النساء • هذه ليست عملية اشتباك مع الفدائيين بل هناك مخطط يشمل عمان • وقد قلنا هذا للملك • واليوم رأينا ٣ مناطق تشتعل ونحن هناك • والمعارك مستمرة وهو يقول ليس هناك شيئا • ولما وصلنا هذه المرة • • أول ما وصلنا على بعد مائة متر قصف في المطار مدة ساعة والمطار طافي • هذا لا يهمنا بأن الفدائيين ما زالوا يسيطرون على المنطقة ثم أدخلونا في المصفحات • وحال وصولنا الى القصر أعطينا شظايا باردة ولا علاقة لها بالقصف لا يهمنا بأن مناطق كاملة اشتعلت بدون ذنب • عندما كنا في السفارة أطلق علينا النار ولم نكن فدائيين • على ما نعلم هناك تصرفات ربما

الملك برىء منها لكنها غريبة • هنالك أشياء لم نعرف مثلها في التاريخ •
لقد اتفقنا على ايقاف النار ثلاث مرات • ولم ينفذ شيء • هنالك حالة
جنونية • ونصل الآن الى الموقف ، وننتظر غدا ونبعث بالفعل الملاحظين
لادخال وقف اطلاق النار حيز التطبيق فاذا تعذر هذا ندرس •

رشاد فرعون :

لذلك نبعث لجنة ما دام الملك موافق عليها •

حسين الشافعي :

كنت باتصور ان ايقاف القتال والاغاثة موضوع ممكن • لكن وجدنا
ان لا ايقاف القتال ولا اغاثة ممكنة في هذه الظروف • والناس الذين
يحكمون عمان غير أمناء على الشعب الفلسطيني • ولو كان هنالك أي
استعمار من أي نوع ماكانش يتصرف بهذا النوع • لما رأينا الأخ
ياسر عرفات الصبح وهو في حالة الضياع • الحقيقة ان هذا الوضع
يتجاوز أي لجنة • فاذا كنا نحن على هذا المستوى وعمل فينا هذا
الشيء • فكيف يكون مصير لجنة • ثم الاجابات ما فيهاش احترام •
عندما نسأل عن الضرب يكون الجواب هذا تفجير الغام • لذلك ما فيش
حل •

ياسر عرفات :

جبل الأشرفية بالليل في الفجر الساعة ٣٠ ٤ ضرب يدك عمان بلا رحمة
ولا هوادة حتى حوالى الساعة ٣٠ ٧ — ٨ أنا من التعب غفيت وما صحوت
الا على صوت الله أكبر وهو منبثق من الاحياء الشعبية • والناس متجهة
نحو الجيش خارج عمان يقولون الله أكبر على الظالم الناس لم تجد
ما تقوله لأن الرشاشات بدأت تحصد •

فاروق أبو عيسى :

ما يجرى في عمان عملية ابادة رجالا ونساء وأطفالا • المناطق التي
تحترق هي فقط التي يسكنها الفلسطينيون والمخيمات •

عرفات :

حتى الطفاية لم يطلق عليه النار بينما أصيب ما حوله ودخل سوريا
• ٧٤٠٠٠ مواطن •

فاروق أبو عيسى :

١ — أريد أن أسجل ما تعرضت له السفارة المصرية اليوم • حتى ان
أحد الجماعة اللي بعثهم الملك اتصل بغرفة العمليات وقال لهم هذا
موش معقول لأننا احنا موجودين • جاء الاخوان السودانيين • قالوا
ان ما جرى لم يشاهدوا مثله عندما كانوا في الكنفو •

٢ — ان العملية عملية ابادة وليست عملية عسكرية •

٣ — العملية بدأت منذ يوم الخميس وبدأت منذ الأول بالمدفعية
الثقيلة • ان الجيش كان من شهر يعبأ بكراهية ضد الفلسطينيين •

عندما أمر الرئيس نميري انهم يرجعوا وكافوا يلبسون لباسا
عسكريا وفي سيارة عسكرية أردنية •• ضربوا علينا •

سجلنا النداء والضرب مستمر وقلنا لازم نفكر كويس • فكيف ترسل
لجنة في هذه الظروف فهذه اللجنة كان تشكيلها مرتبط بعملية وقف اطلاق
النار •

الباهي الأدغم :

أحب أن أقول ان مجيء الأخ ياسر لم يتم بموافقة الملك •

عبد الناصر :

عندي اقتراح نحن عقدنا المؤتمر بدعوة من الاخوان في تونس •
وفي الأيام اللي فاتت كان هدفنا وقف اطلاق النار وهي عملية انسانية •
كل هذا يبين انه ليس هنالك فائدة • وأنا حدثت معي عدة مراوغات •
وانما كنت فاكّر ان الأخ النميري يتكلم معي على أساس عمل حكومة
وطنية •

النميرى :

قابلنى ٤ مرات وفى كل مرة أقول له يناشدك أبو عمار الا تقع فى مستنقع دم •

عبد الناصر :

قلت له فى الأسكندرية ازاي تقيم بلدا على القتلى • وأنتم عارفين مين الموجودين حاليا فى عمان اقترح ان الأخ نميرى والاخوان الللى كانوا معاه ، يعملوا لنا التقرير كامل • وبكره الأخ نميرى يقدم لنا التقرير ويعقد أثر ذلك مؤتمرا صحفيا ثم يناشد القادة العرب ألا يقبلوا هذا الوضع • وانى موافق على أن يذيع الأخ نميرى تقريره •

القذافى :

هذا التقرير شيء لكن ما العمل •• فيه عملية جنونية •• ماذا نعمل ؟

النميرى :

ننشر البيان ونعلنه للعالم كله •

عبد الناصر :

يعلم الملك انه لن يستطيع أن ينفعنا بعد هذا •

القذافى :

وبعد ماذا •• نفعل ؟

عبد الناصر :

انتظر حتى نخلص من هذه النقطة • الكلام الللى قلتوه هنا يقال للعالم • ويحضر المؤتمر الصحفى الاخوان أعضاء الوفد • اذا اقرينا هذا • يبقى نفكر •• ماذا نعمل • فاذا اتفقنا عملنا • فاذا لم نتفق كل واحد يعمل على كيفة • ماذا تقترح يا أبو عمار ؟

عرفات :

أنا متهم انى معتدل وقرأت هذا الكلام فى الصحف الأجنبية قبل ما اسمعه فى الصحف العربية • وأنا لم أعاد الملك حسين وليس بينى وبين هذا النظام فى الأردن عقد • وأربع مرات وهذه الخامسة وهو يذبنا • وكل مرة آخذ على عاتقى مسئولية التفاهم معه رغم كل المزايدات • أما هذه المرة فانى اعتبر نفسى مفرط فى حق هذا الشعب • فأما ان أخونه أو أجد له منفذا • وأنا فى حل أن ألجأ ولو الى الشيطان • غدا ستسمعون صيحات اللي يذبوهم فى اربد • أناشدكم أنتم مسؤولون عن الأمة • هذا الرجل غرق فى الدم • اذا تراجع فهو قد أدين • انه لا يستطيع أن يتراجع • هؤلاء لن يتراجعوا • سيوف يكملون المذبحة • هذا الرجل الدموى لا يوقفه بيان • أنا سأوقع مع الشرق والغرب • أورط المنطقة العربية • ولا أفنى شعبى •

هنالك استفزاز • هذا الوفد لم يبعث لاجراء تحقيق صحفى • وقد ظهر الحق ولكنه لم يستمع لا للبرقيات ولا للوفود ولا لمؤتمر غايته السعى للخير وبعثنا الوفد • ان هذا الشخص أدان الأمة ولم يحترم المؤتمر واستفزه • فما دمنا مؤمنين بذلك يفكر الرؤساء الليلة ويتخذون الترتيبات التى ينبغى اتخاذها •

عبد الناصر :

الحقيقة هنالك شقين • الشق الأول الاعلان عن التقرير الشق الثانى ماذا نعمل لايقاف ما يجرى هذا هو الموضوع الثانى •

القذافى :

واضح أن الأمة العربية يجب أن تقاتل الى جانب الشعب الفلسطينى ويدخل من يدخل • ولو دخلت أمريكا فماذا ستفعل أمريكا ؟ أمريكا دولة متحضرة ليست مثل هذا الجيش الوسخ • أنا متأكد أن أمريكا فيها ناس متطوعين حياقتلوا معنا •

عبد الناصر :

الاخوان السوريون دخلوا وقالوا انهم لم يتقدموا جنوب اربد • قلنا هل حسبتم حساب اسرائيل وأمريكا قالوا لا •

أنا لا أريد أن أخدع أحدا • قيل اليوم أن السوريين خرجوا لأننا
ضغطنا عليهم • عندنا تفاصيل كاملة على ما حصل • • قلت للأتاسى • •
عندكم حسبما بلغونا الأمريكان ٣٠٠ دبابة • فقال فعلا كذلك • كلامي
للأخ معمر • • بالنسبة للتدخل العسكرى لازم يكون محسوب • •

الباهى الأدغم :

إذا حصل تدخل حاليا فان سلوك الملك حسين نفسه غير معروف •

عرفات :

اسرائيل فتحت جسورها لاستقبال جرحانا •

عبد الناصر :

نسأل ياسر ماذا يطلب منا •

النميرى :

سمعتم هذا التقرير تجروا عليه دراسة • إذا كان واحد يبعث لواء
مدرع يكون المجموع ٦ وهم عندهم ٢٠ •

القذافى :

نقرر قطع علاقاتنا • الى ما يقطع معنا يعتبر مشارك فى الجريمة •

عبد الناصر :

الموقف يتطلب ألا نتكلم بنرفزة •

من الناحية العسكرية أنا لا أستطيع أن أحرك أى عسكرى • الى
عنده الوية يبعث بها • أنا لا أستطيع أن أحرك عساكر • إذا وصلنا
الى حاجة • ان الأخ ياسر يخرج جماعته من أربد ثم يعيد بناء الجيش
الفلسطينى • احسبوا أنتم ايه القوات الى ممكن تبعثوها •

القذافى :

اننا لم نعد نجد فلسطينيين لنعطيهم سلاحا •

عبد الناصر :

زى ما أنتم شايفين المعلومات التى لدينا ان اسرائيل تستعد لضربنا •
لقد دخلنا الحرب فى سنة ٦٧ علشان سوريا موش علشان مصر • عندنا
قتلى ١٩ ألف و ٥٠٠ ضابط وجندى • لا نستطيع أن نقامر ونخلى
اسرائيل تقوم بعملية عبور •

عرفات :

نرسل برقية شديدة اللهجة للملك نخليه يفكر •

عبد الناصر :

أنا مشيت معاه حتى لا يعمل صلح مع اسرائيل • لكن مستعد أقطع
علاقاتى أنا مليش صالح معاه • الذى يحكم الآن هو وصفى التل •
قطع العلاقات بالنسبة الينا أسهل شىء • لكن عن طريق سفارتنا نكون
مطلعين • كذلك عندنا مكاتب فى أنحاء مختلفة •

الباهى الأدغم :

أنا أخذت معاى القائم بالأعمال وأعضاء السفارة • فى هذه الحالة
لا يمكن ابقاء أحد لكن هذا لا يعنى أن نعلق السفارات •

عبد الناصر :

اسرائيل مركزة الآن ••

عرفات :

أنا شايف الأوضاع فى الأردن بشكل آخر • الغارق فى العملية ليس
فقط الملك •

الفريق صادق :

العسكرى يقيم ويضع العلاج الناجح • فالملك حسين موش حيخلص
على عمان ويقتصر بل سوف يستمر • لازم التقييم العسكرى السليم
لقدرة الفدائيين •

الباهى الأدغم :

الصعوبة الأولى تأتي في شروط المراقبة فيها خلافات • فإذا رأينا
أن هنالك صعوبات فلا فائدة • وأنا رأى أن يمشى ضابط أو اثنين
يجس النبض •

عبد الناصر :

إذا كنا حنقطع العلاقات نرسل ضابط إليه ؟

الفريق صادق :

الملك حسين مصمم على خطته وموش عاوز ينحرف عن كل ما يعمله •
خطته من الآن تضليل ثم ادخال في دوامة أضاليل • أنا وجهة نظري
كالآتي •• وضعى دقيق يحتاج الى اعادة تقييم •• لازم تخلونا لبكرة
ندرس على الأقل •

عبد الناصر :

المؤتمر الساعة ١٢ صباحا •

• • • • •

اجتماع الملوك والرؤساء يوم السبت ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠

« تقرر قبول حضور الملك حسين الى المؤتمر
قال القذافي لو حضر حسين سأنسحب من
المؤتمر •• ثم تراجع • مشادة بين الملك فيصل
والقذافي والباهى الأدغم » •

الرئيس عبد الناصر :

الساعة ١١ر٥٥ وصلت هذه البرقية من الملك حسين • كان سلمها
للسفارة عندنا الساعة ١٠ (يقرأ نص البرقية) •

وطلب منا على أثر ذلك أن يؤجل المؤتمر الصحفي وهو يقول :

ان الحالة هادئة الا من أصوات طلقات فردية • وانه فى الساعة ١٢
وقف اطلاق النار سينفذ تماما • وقد بدأت قوافل الصليب الأحمر
انقيام بواجبها • ثم تلقينا انه حتى الساعة ٢ كان القذف مستمرا
بالأشرقية وحالة الجرحى سيئة لم يعد الأطباء والمرضات حتى الآن •
الموقف سيىء •

وجاءت برقية أثر مؤتمر الرئيس النميرى وهى رسالة صوت اللجنة
المركزية الى النميرى « اكتشفكم جاء متأخرا » • ماذا ستفعلون الآن
وهل تريدون حقا أن تفعلوا شيئا • اذا كانت هناك فرصة ؟

عرفات :

جريمة حدثت فى الأردن فعلا • هذا الملك حاربنا بالدبابات التى
اشتريت من دم الأمة العربية هذا الشعب يطالبنا هل نسمح لفئة من
الناس أن تذبحنا ، بأموالكم وباسم الجامعة والاخوة ثم يقول أنها
فتنة عليه • قال علينا اننا مجرمون خونة مرتبطون بإسرائيل • لدى
المقاومة اثباتات أنه يجتمع مع اسرائيل وهذا موسى العلمى عنده اثباتات
ان ذلك فى لندن • حتى مستشفانا الوحيد ضرب واحتل • يعنى نصف
مليون شخص وما عندنا مستشفى كان فى الوفد عسكريين يقدرؤا لكم
كم طنا من المفرقات نزلت علينا • احنا قادرين نخوض حرب عصابات •
وامبارح نسفنا محطات البنزين • أنا أعرف لأى شىء ضرب الأشرقية
لأنه مركز قيادتى • وعندما بدأ ضربها ربما كان يتصور اننى ما زلت
هناك • شفتهم الحالة مافيش ماء ولا أكل ولا كهرباء •

لازلت أعتقد ان وقف اطلاق النار هو المهم • النهارده الساعة
السابعة الا عشرة اتصل بى الملك حسين وقال لى أن الحالة أهدأ وأن
تصريحات الرئيس النميرى سيكون لها صدى كبير • فقلت له ان هذا
الكلام موش كلام النميرى وما نطلبه هو وقف اطلاق النار • وكان
معاى الأخ أمير الكويت • فأجابنى بأن التحريض مستمر • فقلت له
لازم تبذل المستحيل بنفسك لوقف اطلاق النار وقلت له أنتم ضربتم
مستشفى الأشرقية •• ليه تضربوا الأشرقية •• فقال سأعمل المستحيل
لوقف اطلاق النار وقال انه مستعد للحضور الى القاهرة ورأى هو

الآتى : أنا أرسلت البرقيات التى كلفتونى بها • • والمؤتمر كان نوعاً من وثيقة اتهام • ثم يقول انه يحب أن يجىء وانه يمكن أن نصل الى اتفاق غير الاتفاق الذى حصل مع أبو اياد •

ان هدفنا هو ايقاف القتال والا سيزيد القتل • وهما أن نجنب الأردن مثل هذه النتيجة • وأنا فى كلامى مع الملك حسين أردت أن نعطي فرصة للملك حسين • نحن لحد الآن لم نضرب ببشاعة • • لكن صدقونى. نستطيع أن نحول هذه الدولة الى خراب • أول مرة وقفنا اطلاق النار وثانى مرة وثالث مرة بلا نتيجة • أنا أريد أن يقف الشعب العربى. الى جانب هذا الشعب الذى ظلم وكلمة ظلم لا تكفى •

الرئيس عبد الناصر :

عندنا عدة اختيارات • ممكن نقول للملك حسين انه مايجيش لكن اذا جاء أحسن •

ربيع :

لقد توصلنا الى اقتناع بأن الملك حسين عنده اصرار مسبق على القضاء على المقاومة الفلسطينية وهذا معناه أنه مسئول مسئولية مباشرة عن ابادة الشعب الفلسطينى •

السودان :

كل الحاضرين مقتنعين بأن الملك حسين يرتكب جريمة ابادة المقاومة الفلسطينية وقد قمنا باطلاع رأى العام العربى والدولى • والآن السؤال • • ماذا نستطيع أن نقدم للشعب الفلسطينى ؟

السيد الباهى الأدغم :

فيما يخص الملك حسين يمكن دعوته • لقد تحملنا البقاء تحت الرصاص. وكان أصناف سوء المعاملة فضلاً عما تقتضيه الكرامة وصلة الرحم • هناك أيضاً مقتضيات المصلحة العليا وتقديم الأهم على المهم • هذه سياستنا نحن أمام خطرين :

أولا : أن يأتي الملك حسين يحكى لنا الحكاية ونحن مستعدون لدحض كلامه اذا اقتضى الحال نظرا لمشاهدتنا مشاهدة عيان • الخطر هو بعد حضوره يرجع لعمان ويتصرف بنفس التصرفات ولكن وجوده يمكن من اقناع غير المقتنعين •

ثانيا : أن يرفض القدوم •

أكبادنا تتمزق وقد قلنا لهم انكم تقومون بعمليات محق بالنيابة عن اسرائيل قلناه ومستعدون لاعادته ونتخذ مسؤولياتنا واذا تمكنا من استدراجه الى خطة يكون كسبا بالنسبة لاخواننا • ولكن لازم يدفع الثمن ثمن الدماء • نحن لا ندخل في مغامرات ، هو أطلق علينا الرصاص وأنا مستعد لمصافحته ، نحن لم نوجه اليه دعوة • نحن نترك له خط الرجعة ، نتسامح اذا جاء وننظر ما هي الأسباب التي جعلت اشفاق وقف اطلاق النار غير صالح للتطبيق ؟

نحن نسعى الى توفير أسباب النجاح ووضوح الرؤية ، لأن البشر يعيش حالات جنونية •

شخصيا أؤيد اقتراح سيادة الرئيس عبد الناصر •

النميري :

الملك حسين عفا الله عنه •• أنا أوافق على قبول الملك حسين مع حضور رجال المقاومة ولكن يجب أن أطلب منه يرجع قواته للخلف ، يسحب المدفعية والدبابات للثكنات وقد قلت في المؤتمر الصحفي أنا ما ادعاه ان القصر ضرب ليس صحيحا لقد جاء بوحيدات تضرب لايها منا لكنه نسي اننا عساكر ونفارق •

عبد الناصر :

قلت له في البرقية ان الكلام اللي جاء في الندوة الصحفية ليس كلام النميري فقط بل هو تقرير اللجنة •

النميري :

لقد جاء بولية تبكى في القصر تدعى أن أولادها خمسة قتلوا سألناها عن عمر أبنائها قالت ابني عمره ٣٠ سنة وهي عمرها ٣٨ سنة •

الباهى الأدهم :

بمجرد ما خاطبناه بالتليفون عن موضوع المستشفى أجابونا
بالرحاسى ..

النميرى :

أهم شىء اذا جاء الملك حسين عليه أن يوافق على تقديم المساعدة
فى صورة وقف اطلاق النار • والا فعلىنا أن نقدم الذخيرة للمقاومة ونبدأ
حرب عصابات •

وزير خارجية السودان :

من الناحية المبدئية حضور الملك حسين خطأ خاصة بعد زيارة اللجنة
لأردن • حضوره يعنى التشكيك فى الوفد وفيما صادق عليه الوفد •
حضوره لا غائدة منه لأحد خاصة بالنسبة للشعب الفلسطينى الذى
يقتل • لكن من الناحية العملية حضوره يجب أن يقتصر على الجلوس
فى غرفة مع المسئولين عن المقاومة للوصول الى حل • اقترح لذلك أن
يطلب اليه الحضور لتنفيذ وقف اطلاق النار • لكن قبل أن يرفع المؤتمر
يجب كما اقترح الرئيس النميرى اقرار كل المساعدات للشعب
الفلسطينى •

حسين الشافعى :

ملاحظتنا ادتنا الى القول ان الملك لم يكن يتصور ان الصور حينما
تنتقل للملوك والرؤساء ستؤدى الى المؤتمر الصحفى طالما أن الهدف
الأساسى هو ايقاف اطلاق النار • فاذا كان ثمة طرف متغيب طالما أن
الهدف الأساسى هو وقف اطلاق النار فان وجود الطرفين سليم للتأكد
من مراقبة العملية • سمعنا أن الملك وافق على وقف الاطلاق وان بعض
الضباط يرفضون هذه العملية • • وهذا خلق نوعا من الاثارة داخل
صفوف الجيش • • لدرجة انها تخلى الملك لا يملك كافة الوسائل • •
فيه ثغرات من الجيش لا تنفذ أوامر الملك ، هذه الأشياء تجعل قدوم
الملك مرغوبا • ان تقرير اللجنة ليس مجالا للنقاش فقد شاهدنا كل
ما قلنا •

محمد المصمودى :

تونس عندما قدمت الاقتراح كانت أول ما فكرت فيه احضار ياسر عرفات والحسين • أنا أعتقد أن الوفدين تعرضا للتجريح ، ولا أعتقد ان هنالك جدال فيما جاء فى تقرير الوفدين • ونحن لا تقبل أن يناقش الحسين ما جاء فى التقرير والسؤال هو لو استجاب حسين لدعوتنا من اليوم الأول هل كنا نقبله أم لا •

انى أوافق الأخ فاروق فى عدم امكانية فتح نقاش بين الرئيس النميرى والحسين • تحرك الحسين اعتراف بالضغط المسلط عليه • عندما يأتى تقرر الاجراء • الحضور أو المحادثة على مستوى ثانى • • عندما يأتى هنا جو الضغط • • واذا كان بمجيئه يكون وقف اطلاق النار وتحسين الاتفاق المبرم مع الفدائيين لا أعتقد أن قدومه يكون مرارة فى الرأى العام قد يكون ذلك اذا ما فشلنا • ان قدومه اكبار للوفد •

فاروق أبو عيسى :

انى أعتقد أن حضور الحسين يكون لطاولة عمل لتنفيذ ما يقرره المؤتمر بشأن وقف اطلاق النار •

الشافعى :

المؤتمر وصل فعلا الى وسائل ضغط •

رشيد كرامى :

هناك اجماع حول الهدف : وقف اطلاق النار • من أجل الوصول لذلك ، أرى أن اجتماع حسين بعرفات بحضور ناصر وفيصل ومن يشاء • • سيكون مفيدا • • وسيتم ما يرضى ضمائرنا •

فيصل :

انى أوكل الأخ عبد الناصر :

عبد الناصر :

وأنا أوكل الأخ معمر • • كنت فى مرسى مطروح هروبا من الأسكندرية

٩ أيام وكان باستطاعتي أن أصدر بيانات وأقول أضع كافة امكانياتي وأروح استريح •

فيصل :

حل المشكّة ايش السبيل للوصول الى الهدف هذا هو المهم ••

عبد الناصر :

هدفي هو وقت اطلاق النار ثم تنفيذ الاتفاقية — الحسين قلنا له تفضل وفي استطاعتي أن أبرق له بعدم الحضور • هل يرى الاخوان الفدائيين فائدة في حضوره ؟ •• اذا كانوا لا يرون فأننى أبرق له معذرا •

أبوعمار :

في خلافتنا السابقة كنا نحاول أن نبعد الملك حسين • كنا نحاول ما ندخلش انتك • قلنا له هذه الزمرة تبعدك عن الشعب • وأشرنا عليه أن يكون سلطة وطنية تحكم البلد • فوجئنا به يخذل الاتفاق • طلب منا بئذار تسليم السلاح • أعلمت الملك فيصل عن طريق سفيره • حدثت المذبحة حاولت الاتصال بالقصر • بالوزارة • بالأركان لم يجاوبنى مسؤول في 'دولة لمدة ٣ أيام أحاول الاتصال — بدأ القصف في البلد ولمدة ٣ ساعات أحاول الاتصال بدون جدوى •

لقد استباحوا دمنا ولا يزالون حتى أمس باعترافهم ١٤ ألف قتيل •

في اسرائيل — أنا محكوم على بالاعدام • وسيادة الفريق شاهد واحدا من أعضاء الصليب الأحمر بكى خمس ساعات عندما رأى حالة الجرحى ٢٥٠٠٠٠ عدد الأموات • والله أعلم • البعض لا يزال تحت الإنقاظ الحقيقة • ليحضر حسين ولكن •• شكوا لجنة لمحاكمته كمجرم • أمريكا اهتزت لمذبحة ٢٥٠ في فييتنام • أخو الملك قال والوفد سمع ذلك ان أسرته جاءت الى هذه الأرض وهي خلاء وستتركها كذلك •

القذافي :

من أين جاؤوا ••

أبو عمار :

من الجزيرة •

فيصل :

هربوا •

اليمن الشمالي :

المأساة مريرة وشديدة •• ولكن هل تحولت القضية من قضية أساسية الى قضية بين المؤتمر وبين دولة الأردن لا أعتقد ان أحد يوافق على ذلك •

عبد الناصر :

ما فهمته من كلام الأخ ياسر أن يحضر الملك حسين ولكن لا كمشارك في المؤتمر • وإذا حضر •• لابد أن أستقبله •

القذافي :

ما تروح لو ش !

عبد الناصر :

بعد استقباله من سيحضر ؟ الأخ نميري ؟ الأخ القذافي ؟ الأخ ربيع ؟

القذافي :

الأخ فيصل •• لأنه اذا لم يحضر فسيكون لهذا معنى •

فيصل :

اقترح الأخ الباهي •

عبد الناصر :

اللجنة الأخ نميري ، الملك فيصل ، الأمير الصباح ، الأخ الباهي ، الأخ ياسر عرفات •

ياسر عرفات :

وصلني انذار من القيادة العسكرية اذا صفحت هذه المرة
فلا طاعة لي •

عبد الناصر :

انتهى المؤتمر وتبعث للملك رسالة •

القذافي :

ما هي القرارات التي توصل اليها المؤتمر ؟

الباهي الأدغم :

أستطيع أن أجاب •

عبد الناصر :

انت الداعي •

الباهي الأدغم :

نقد أبعدنا تدخل الأجنبي • فرضنا الطرف الفلسطيني ، وأخرجنا
من السجن أقطاب المقاومة • ومن الناحية المعنوية ، أفهمنا الملك
أنها خطة فاشلة وفرضنا عليه أن يحضر الذين كانوا أسرى كطرف
مقاتل • لقد كنت اليوم أفكر في طريقة للخروج من هذا المؤتمر مع الحفاظ
على ماء الوجه فلاحظت أن وجود الأخ عرفات بيننا كطرف يعتبر غنم
المسألة تتعلق بـ ٤٨ ساعة لتمديد المؤتمر •

التميري :

انتهى المؤتمر ويستمع حسين •

القذافي :

التدخل الأجنبي غير وارد الآن طالما حسين منتصر • ما جئنا الى

هنا بشأن التدخل والضغط الأدبي • الافراج عن زعماء المقاومة شيء
إيجابي • والذين لم يحضروا المؤتمر منضوين تحت راية الأمة العربية •
لأن العالم لا ينظر إلينا كرجعيين وتقدميين وقف اطلاق النار ليس
بإيدنا • حسين استطاع أن ينفذ الجريمة وهو ينفذ المخطط رجل يضيع
الوقت •• السعودية بعثت له كم مليون ؟ الكويت جمدت المعونة هل
هذا يعتبر تأييدا للمقاومة ؟

إذا جاء حسين ولم يقبل وقف اطلاق النار لابد من اتخاذ تدابير من
الآن • قدومه هنا مراوغة بوى أن أسمع من الملك فيصل بعض
إيضاحات •

عبد الناصر :

الملك فيصل أدان تصفية العمل الفدائي ووافق على نص
البرقية •

فيصل :

أنا أتكلم لأنى متهم • نحن خلال هذه الفترة لم ندفع شيئاً • دفعنا
قسط نصف أكتوبر وماتدفعه المملكة هو بناء على قرار مؤتمر القمة
في الخرطوم ونحن من أوائل من ساعد المقاومة منذ ١٩٦٥ أليس كذلك
يا أبو عمار ؟

نحن نستقبل حسين • وإذا لم توفق المقاومة الى حل مرض نحن نتخذ
كل الاجراءات بثقلنا •• وموقفنا يتضح على ضوء النتائج •

أبو عمار :

أنا أخشى أن يأتى الى هنا وهو يعتقد أنه فى مركز قوة • نحن
لا نجتمع معه كمؤتمر — نشكل لجنة للتفاوض معه — نتخذ قرارات
(ادانة) ونؤكد فى هذه القرارات ان ما قاله الرئيس نميرى ليس على
لسانه بل هو باسم الجميع • ويجب دعم الثورة واغاثة الجرحى فى
أسرع وقت •

فِيصِل :

أقترح أن تشكل لجنة من السّثراء العرب مع مندوب عن الهلال الأحمر الفلسطيني والأردني لاستلام الاغاثة وتوزيعها •

عبد الناصر :

ما زلت أهدف الى وقف اطلاق النار • تقييد الملك حسين بوقف اطلاق النار ثم سحب الجيش من عمان وكذلك بالنسبة لقوات الفدائيين • يمكن بعث لجنة من الضباط للمراقبة • قد يقال ان الملك حسين سيأتي ويغدر بنا •

القذافي :

ماذا تعمل لحسين اذا غدر بنا ؟

عبد الناصر :

اذا غدر نقطع العلاقات • ونقطع عنه المعونة وندينه •

فِيصِل :

توقيعنا غدا سيكون على ذلك •• اذا لم ينفذ حسين •

عبد الناصر :

أذهب اني المطار غدا ويرافقني السيد الباهي الأدغم هل هنالك من يريد أن يصاحبنا ؟

القذافي :

سأغادر القاهرة حال وصول حسين •

عبد الناصر :

اما أن يحضر كل رؤساء الوفود أو ننهي المؤتمر الليلة ونعلن القرارات المتفق عليها •

غياصل :

لا أوافق على انتهاء المؤتمر وإصدار القرارات الليلة ولا بد من مواصلة
السعى •

القذافي :

اننى أطلب رأى المقاومة وأوافق مسبقا على رأيها •

عرفات :

اقترح اجتماع حسين مع لجنة •

الباهى الأدغم :

(الى القذافي) اذا كنت تعتبر من يحضر متخاذلا فانه يمكن أن يقال
فى حقك انك منفصل •

أبراهيم بكر :

موقف العراق سلبى • موقف الجزائر سلبى • موقف النميرى وندوته
الصحفية شىء ايجابى • ان ما قاله الأخ النميرى له وقع فى الأردن •
هناك صلح مع اسرائيل منذ ثلاث سنوات وهناك تبادل تجارى
وغيره • نريد وقف اطلاق النار بصفة دائمة وضمانات دائمة ملزمة لأن
هذا الملك مخادع ورأينا أن الملك حسين يجرى لأن له جيشا مواليا
ولذلك يجب أن يقول له كل رئيس وفد ما قاله الرئيس نميرى •

* * *

وحضر الملك حسين •• وتم توقيع اتفاق القاهرة •

ومات جمال عبد الناصر بعد أن ودع أمير الكويت فى المطار •

وتسلم أنور السادات أمانة المسؤولية فى ظل هذا الموقف العربى
العصيب •

- المقاومة الفلسطينية تتزف دما •
- دول عربية تريد أن تحارب •• ولكن حتى آخر جندي مصرى •
- دول عربية فى موقف انعزالى عن القاهرة تماما •• ولكن بياناتها عنيفة وملتهبة •
- أمريكا يسيل لعبها للتدخل العسكرى •
- الاتحاد السوفيتى يطالب بتجنب دفع أمريكا الى التدخل العسكرى •
- مصر متهمة بأن قبول مشروع روجرز •• هو الاستسلام •
- وأخيرا الموقف الداخلى فى مصر •
- ولكن أنور السادات •• بدأ يفكر منذ اللحظة الأولى فى المعركة ، والاعداد الحقيقى الكامل للمقتال •
- لقد أشاد بعد ذلك بعبارة كان قد قالها أشرف غربال ، ممثل المصالح المصرية فى ذلك الوقت فى أمريكا •• أن الاسرائيليين لن ينتزعوا من سيناء •• الا اذا انتزعنا دماءهم ••

* * *

الفصل الخامس

مؤامرة مراكز القوى

●●● « مبادرة { فبراير ١٩٧١ التي أعلنها
الرئيس السادات في مجلس الأمة كانت مفاجأة
لكل مراكز القوى .. وكانت الدليل أن رئيس
الجمهورية بدأ يتحرك .. وبدأ يحكم
بسلطاته » ●●●

تولى أنور السادات المسئولية ..

قال على صبرى أنه لا يريد أى منصب .. يريد فقط أن يبقى فى موطنه
عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا ..

وقع الاختيار على الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزارة .. وكان ذلك
صدى شعبيا كبيرا •

أولا لأنه رئيس وزراء مدنى • وثانيا لأن له سمعة دبلوماسية على
المحيط الدولى • وكان هناك تصور أن بالامكان حل أزمة الاحتلال
الاسرائيلى بالأسلوب السياسى •

أنا شخصا .. لم أرحب بهذا الاختيار ، لأن رأى أن الدكتور محمود
فوزى رجل مفكر، ودبلوماسى .. ولكن إدارة الحكم فى هذا الظرف العصيب
.. بعد وفاة عبد الناصر .. تحتاج الى حزم ، وقدرة على المتابعة والتنفيذ،
وقدرة على اتخاذ القرار • وهذه الصفات لا تتوفر فى رئيس الوزراء •

وتولى أمانة الاتحاد الاشتراكى العربى عبد المحسن أبو النور •

وكان الدكتور لبيب شقير رئيسا لمجلس الأمة •

وكان شعراوى جمعة أميناً للتنظيم •

وكان سامى شرف الوزير المسئول فى رئاسة الجمهورية •

مجالات العمل والمسئولية أمام أنور السادات ، ضخمة وثقيلة ..

أولا : الاستمرار فى الاعداد العسكرى .. وقام أنور السادات برحلة
سريعة الى موسكو .. وبدأت الخلافات مع الاتحاد السوفيتى على
التسليح .. ولكنها كانت خلافات مكتومة • وكان أنور السادات يشيد
دائما بالصدقة السوفيتية ..

ثانيا : الاستمرار فى السعى الدبلوماسى .. وبدأت اتصالات فعلا مع
نيكسون بعد أن بعث الرئيس الأمريكى تهنئة الى الرئيس أنور السادات
فى عيد ميلاده يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ .. وأسفرت الاتصالات عن عرض
أمريكا ان يزور روجرز القاهرة ويجرى مباحثات مع السادات •

ثالثا : مواجهة مطالب الجبهة الداخلية : وأولها الديمقراطية ، وتصحيح الأخطاء ، ورفع الظالم ..

وأهم من هذا كله مواجهة مناورات مراكز القوى التي بدأت الجماهير تحس بها وتتوقع تطوراتها ..

كان واضحا أن السيطرة على كل شئون الحكم في يد القلة التي كانت تبشر الحكم فعلا في فترة مرض جمال عبد الناصر وقبل وفاته .. وقد رحبت هذه القلة باختيار أنور السادات لرياسة الجمهورية ، لأنهم تصورا كما قلت — أنه سيملك ولا يحكم ..

وكانت « الالهام » قد ركزت في يوم وفاة جمال عبد الناصر ، على إبراز اسم زكريا محيي الدين وفي تشييع الجنازة ، سلطت عليه عدسة التلفزيون أكثر من ساعة متصلة ..

ولكن القلة استقر رأيها على أن أنور السادات سيكون أسلس قيادا . وفي الوقت نفسه ، كان الرأي العام : لا يعرف قدرات أنور السادات لقد كان طوال حكم الثورة بعيدا عن الأضواء . وحتى تاريخه القديم قبل الثورة ، نسيه الناس وتجاهله الأجيال الجديدة . وكان التساؤل هل يمكن أن يملأ أنور السادات فراغ عبد الناصر ؟ ..

ولكن الجماهير بدأت تميل بعواطفها نحو أنور السادات ، لأنها تعرف تماما عناصر القوة المضادة له في الصراع الداخلي .. وتعرف أنها قوة مخيفة ، تعتمد على أجهزة المخابرات ، ووسائل القمع والفصل والاعتقال .. وعندما تحدث أنور السادات الى الشعب بالتلفزيون بعد انتخابه لرياسة الجمهورية ، وقال أنه يأمل أن يقتنع به من قالوا نعم .. أحسست الناس بالارتياح ، لأنهم يسمعون هذا الأسلوب الديمقراطي المتواضع لأول مرة ..

وأراد أنور السادات أن يتحرك ديمقراطيا ..

أن الهدف الأول في كيانه .. هو المعركة .. ولا يمكن أن يكون رأس الدولة ، مقدما على معركة عسكرية .. وهو يعاني من صراع داخلي في الحكم .. والجبهة الداخلية تعاني من كل ما عانت ، في ظل الحكم بقرارات

استثنائية • وكيف يمكن أيضا أن نصل بالاتصالات الدبلوماسية الى أية نتائج •• اذا كان النظام مهتزا •• ورئيس الدولة لا يمارس سلطاته ؟ •
وبدا أنور السادات يتصل بالجماهير اتصالا مباشرا •• بهدفين ••
الاقناع بجدية الاستعداد للمعركة •• ومحاولة تحويل التمزق واليأس الى أمل ••

وكانت أول مواجهة بينه وبين الجماهير في مدينة طنطا • وهي مدينة ذلت طابع خاص • ولم يزرها جمال عبد الناصر في حياته أبدا • وفوجيء أنور السادات باستقبال شعبي منقطع النظير لم يكن ليتوقعه • بل أنه شعر وهو في سيارته عندما اقترب من مشارف المدينة ، بشيء من القلق •• لقد تذكر في تلك اللحظات فقط أنه سيخطب في اجتماع شعبي وهو رئيس للجمهورية لأول مرة • ولكنه تجاوز هذا الشعور •• وجاء الاستقبال الشعبي الضخم ، ليغمره بالثقة •• وكانت الدبلوماسية الأمريكية تسير معنا في تلك الأيام ، بمنطق أن الشعب المصري لا يريد أن يحارب •• وأن القيادة هي التي تريد دفعه الى حرب ستكون خاسرة ••

وكان أول رد علني من أنور السادات عليهم في اجتماع طنطا الشعبي •
سأل الجماهير :

هل تريدون الذل والعار •• أم تريدون الحرب ؟ ••

وجاءت أصوات عشرات الألوف في عبارة واحدة •• تدوى في حماسة ملتبهة « الحرب •• الحرب •• يا سادات » ••

ثم سافر الى أسبوط ••

وكان الاستقبال الشعبي في روعة استقبال طنطا •• وامتلات نواخذ المدينة وشرفاتها بالرجال والنساء والأطفال •• ونثرت عليه الورود •• وانطلقت الزغاريد •• وان كانت مراكز القوى حددت مرور موكب السادات في شارع واحد في الحي الجديد من أسبوط • ومع ذلك فقد تجمع الآلاف في ميدان المحطة •• واهتز الميدان بهتافهم بمجرد رؤية السادات الذي سالت الدموع من عينيه تأثرا بهذا الترحيب •

ثم جاءت زيارته لقاعة محكمة الجنايات التي سبق أن حوكم فيها •• في قضية مقتل أمين عثمان •• وتكلم عن القضاء وسيادة القانون •• وفخر بتاريخ مصر بتاريخ قضائه ••

وكان ذلك الخطاب أول إشارة منه ، الى طبيعة حكمه . .

ثم عقد اجتماعا في قاعة محكمة أمن الدولة الكبرى . . حضره الآلاف من رجال القضاء . . وألقى خطابا في قمة روعة التعبير . . عن اجلاله لقضاء مصر . . وكان القضاء المصري يئن من مذبحة القضاء التي فصل فيها أكثر من مئتي قاضى . . لبيان أصدروه ، طالبوا فيه بتصحيح الأوضاع في البلاد . . ولأحكام أصدروها بالبراءة لأشخاص لفقت لهم اتهامات كاذبة .

ثم أصدر أنور السادات قانون الغاء الحراسات . .

وأذكر أنني قلت للرئيس في ذلك اليوم : ان هذا القرار لم يكلف ماديا أكثر من ثمن الورقة التي كتب عليها . . ولكن أثره على الجماهير ، كان لا يمكن أن يتحقق ولو بمشروعات تتكلف ملايين الجنيهات .

وتقبل عيد العمال في أول مايو ١٩٧١ . . عرفت الجماهير قصة أنور السادات العامل . . الذي نحت الحجر ، واشتغل سائق لورى . . وعانى من الفقر والجوع ، ولم يفرط في مبادئه ، حتى عندما ماتت طفلة لأنه لم يجد ثمن الدواء . .

ثم سعى الى انشاء دولة الاتحاد . . لتوسيع قاعدة دعم الاستعداد للمعركة . .

وسافر الى السودان . . وكان لقاء تاريخيا مع الشعب السوداني ، الذى كان متلهفا على رؤيته . .

وكان من قبل قد عقد اجتماعا كبيرا في قصر عابدين مع الصحفيين والأدباء والكتاب والفنانين . . دعا فيه الى الحب والأمل . .

وبدأت شعبية أنور السادات فعلا تصل الى القلوب . وانتشرت عنه القصص . . قيل أن وزير الداخلية تقدم اليه بكشف به عدد من الأسماء ، وقال لرئيس الجمهورية : هؤلاء يتحدثون عنك بالسوء . .

وسأل أنور السادات : هل تأمروا . . هل أتوا شيئا يخالف القانون . .

فجأب وزير الداخلية : لا . .

وأمسك أنور السادات بالكشف ، ووضعه في درج مكتبه ؛ وقال لوزير
الداخلية : دعهم يتكلمون .. هذا حقهم ..

وبدأت الجماهير تستشعر أيضا ، أن أنور السادات ؛ يريد أن يحكم
ديمقراطيا .. ولكن القوة المضادة للسيطرة على كل شئون الدولة تقف
له بالمرصاد ..

ثم تسربت الأنباء الى الجماهير .. بأن هناك خلافا على توقيت المعركة
بين أنور السادات وبينهم في اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا .. وأنهم
يريدون أن يدفعوا به الى معركة خاسرة لم يتم لها الاستعداد الكافي ..
وهو يعارض .. وكانت حجته القوية أن تسليح الصعيد لم يستكمل فكيف
يغامر .. وهذه الأسرار لا يمكن أن تذاع على الجماهير .. ولكنها تسربت ..

ثم فجأ أنور السادات الجميع .. بالمبادرة^(١) التي أعلنها في مجلس
الأمة في ٤ فبراير والتي عرض فيها :

(١) .. شرح الرئيس السادات أهداف مبادرة ٤ فبراير في اجتماع مغلق
للهيئة البرلمانية قال فيه : لقد كنا مطالبين من الدول الكبرى بمد وقف النار .
واسرائيل نزع من أن تحديد مواعيد لوقف النار يهددها . وأوروبا الغربية تصدق
اسرائيل . وعندما سافر محمود رياض وزير الخارجية الى اسبانيا وروما
وبروكسل وجد أن وزارة الخارجية الأمريكية أرسلت الى أوروبا الغربية
نقارير بوجهة نظرها بهدف إثارة الخوف في أوروبا الغربية من الوجود السوفيتي
في مصر وفي البحر المتوسط ، وأنه يهدد أوروبا الغربية كلها . وكانت الإشارة
الى فتح قناة السويس في المبادرة بعد الانسحاب الجزئي (وهو مرتبط تماما
بالانسحاب الكامل) تريخ أوروبا الغربية التي يتحمل اقتصادها سنويا ١٣٠٠
مليون جنيه استرليني بسبب قفل القناة ، علاوة على زيادة أسعار البترول .
وقبل إعلان مبادرة السادات ، كانت جولدا مائير قد طلبت من السفير
الأمريكي في تل أبيب أن يبلغ نيكسون أنه اذا قبلت مصر أن تتفق على
السلام ، فإنها مستعدة أن تضع كل أوراقها أمام الأمريكان . ولكنها قالت
أنها متأكدة أن السادات لن يفعل ذلك لأنه لا يريد السلام .

وقد أبلغ روجرز الرئيس السادات بهذا .
ثم قال الرئيس : ولما أعلن المبادرة وردنا على يارنج ، انكشف موقف
اسرائيل . والمبادرة تنقل الكلام من وقف النار الى موضوع الانسحاب . وقد
قلت لروجرز : لا يهمني موقف اسرائيل لأنني أعرفه منذ عشرين عاما . يهمني
أن تحدد أمريكا موقفها .

وقال الرئيس : البعض يقول .. لماذا نتصل بأمريكا ؟ .. ومن السفه
الرد على ذلك ، لأن أمريكا طرف أساسي في الموضوع وأنا لا أضع رأسي
في الرمال كالنعامة .

١ — مد وقف اطلاق النار حتى ٧ مارس ، استجابة لنداء أوثانت •
أى الامتناع عن اطلاق النار ٣٠ يوما •

٢ — يتحقق فى هذه الفترة انسحاب جزئى لقوات الاسرائيليين على
الشاطيء الشرقى لقناة السويس كمرحلة أولى على طريق جدول زمنى يتم
بعد ذلك وضعه لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الأمن •

٣ — اذا تحقق ذلك فى هذه الفترة ، نحن مستعدون للبدء فوراً فى مباشرة
تطهير مجرى قناة السويس ، واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة
الاقتصاد العالمى •

وقال السادات :

ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة ننتشل جهود السفير جونار يارنج من
الألغاز الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الأمن •

وأذكر أننى لقيت الرئيس أنور السادات بعد هذه المبادرة فى القناطر
الخيرية ••

وبدأت أفهم حقائق كثيرة من المناورة المقصود بها احراج أنور السادات
ودفعه الى قرارات ساذجة ••

فهمت أن هذه المبادرة كانت مفاجأة لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا
ولوزير الخارجية محمود رياض •• وقد تجمع فريق الصراع فى احدى
حجرات مجلس الشعب •• وقال على صبرى •• أنا لا دخل لى • أنا لست
مسئولا وقال آخر : هذه المبادرة ستنتهى بمصر الى الهلاك •• البلاد
راحت فى داهية !

ولما استمالت المبادرة رأى العام الأوربى •• وجاءت تعليقات
صحف الغرب مؤيدة لها ، وخاصة أننا نتيج فتح قناة السويس •• عاد
المناورون ليمتدحوا المبادرة •• ولكنهم لم يهضموا أبدا ، أن يفاجئهم بها
أنور السادات •• أنها أول خطوة تثبت أن رئيس الدولة يحكم ولا يملك •
كما لم يكن مقدرا له ! ••

وسمعت من أنور السادات لأول مرة •• أنه لن يقبل الارهاب الفكرى •
وأنه مستعد لاطاعة صوت الشعب فقط • ولذلك فإنه يعتزم اجراء انتخابات
جديدة فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة •• بلا أى قيود • ومن يختاره
الشعب يجب أن يحكم ••

وسمعت من أنور السادات لأول مرة .. التعبير الذي أطلقه الدكتور محمود فوزى على مراكز القوى .. كان يقول عنهم « وحوش غابة ما بعد جمال عبد الناصر » ..

وبدأت أدرك أن أنور السادات يتحرك .. ويتحرك بقوة .. ولكننى كنت مثل بقية أبناء الشعب .. أخشى عليه .. كنت أتصور أنه محاصر بمن يسيطرون سيطرة كاملة على كل السلطات .. وأذكر أن الدكتور عزيز صدقى قال للرئيس وهو فى مكتبه ذات يوم :
— لدى معلومات يا سيادة الرئيس أنه توجد آلات تسجيل فى مكتبك وفى كل حجرات منزلك ..

ولم يعلق أنور السادات ، واستبعد ذلك ضاحكا ..
ثم جاءت رحلته الى ليبيا .. واعلان دولة الاتحاد ..
وأذكر أننى تحدثت اليه بعد دعوته من ليبيا .. وأعربت له عن خوفي من هذه الوحدة .. لأن الناس لا تزال تعيش بعقدة الانفصال بعد الوحدة مع سوريا .. وشرح لى الرئيس أن البيان المعلن لا يعبر عن وحدة اندماجية .. أو وحدة فورية .. أنه أول أشكال الوحدة .. وكل دولة محتفظة بنظام حكمها .. ولن تأتى الوحدة الا على خطوات مدروسة .. ولا بد من دعم الكيان العربى من أجل الاستعداد للقتال ..

وأجتمعت اللجنة التنفيذية العليا فى استراحة الرئيس بالقناطر .. ولم يصوت مع أنور السادات الا حسين الشافعى والدكتور فوزى .. وطلب الرئيس عقد اللجنة المركزية فى أسرع وقت .. لعرض الأمر عليها .. وحاول عبد المحسن أبو النور أن يتمهل الرئيس فى تأجيل اجتماع اللجنة المركزية بحجة تهيئة أعضائها للقبول .. ووجد الرئيس فى هذا المطلب ، احرابا له ، ووضع فى موضع العاجز أمام القادرين الذين فى يدهم السيطرة على اللجنة المركزية .. لكى تقبل أو ترفض ..

وانعقد الاجتماع فى الموعد الذى حدده .. وجرت فيه المناورة المعروفة .. التى تصدى لها أنور السادات .. وواجه على صبرى بعد الاجتماع ، بأن ما فعله هو تخريب .. وأنه سوف يتصدى لهذا التخريب .. وسيقضى عليه ، ولن يسمح به .. وكان السادات فى قمة الغضب الحاسم ..

ثم جاء الاحتفال بعيد العمال في أول مايو بطوان ..

وأما الرئيس الليلة مستيقظا حتى الرابعة من الصباح ؛ وهو يعد خطابه الذي أعلن فيه أنه يرفض الارهاب الفكرى مهما كان مصدره .. وأنه لن يسمح أن يقاتل أبناءه في القوات المسلحة .. الا بعد أن يحصلوا على السلاح الحديث القادر على الانتصار ..

وكان قد رتب الاجتماع على أن يكون الهتاف لجمال عبد الناصر .. وأعطيت صورته لكل الصفوف .. لكي يلوحوا بها في وجه أنور السادات .. وكان المقصود ، اتهامه بأنه يخرج على طريق عبد الناصر .. وأن حكم « خلفاء » عبد الناصر ، هو الحكم المطلوب ! ولكن خطاب السادات كان مفاجأة مذهلة لعلى صبرى وشركائه .. وحل عليهم الوجوم .. وقال لى السادات بعدها « لو كان عندهم دم كانوا ما حضروش » ..

وعاد السادات الى منزله عن طريق كورنيش النيل بعد أن ألقى القنبلة .
وحيته الجماهير على طول الطريق .. تحية رائعة ..

وفي اليوم التالى أصدر القرار باعفاء على صبرى .

وصفقت الجماهير في كل مكان .. وكانت « فرقة » مراكز القوى قد طلبت من الرئيس تأجيل هذا القرار ، حتى لا يفسر أنه تم بناء على طلب أمريكى .. قبيل أن يحضر روجرز الى مصر .

ولكن السادات لم يهتم بهذا التهديد ..

وتخرج الموقف .. ووصل الى درجة الخطورة . وبدأت الجماهير ترقب وكان السؤال .. هل يقدر أنور السادات على التخلص منهم ؟ ..

وأمتنع السادات في كل أحاديثه الخاصة ، عن الإفصاح بأية كلمة عن نواياه ..

وكان ينام الليل ومسدسه تحت مخدة السرير !

وكانت السيدة قرينته لا تكتفى بهذا .. بل كانت تقفل باب حجرة النوم بالمفتاح ..

كانت تتوقع حدوث أى شىء ..

ولكن أعصاب أنور السادات الهادئة .. لم تخش أية مفاجأة ..

وفى ذلك الوقت .. نما الى علمى من ضابط مخابرات : جاء لزيارتى دون
نعارف : أن جهاز المخابرات يعد غرقة خاصة لا تعرف عنها باقى أجهزة
المخابرات شيئا .. وأنه يستريب فى أن هذه الفرق الخاصة معدة لمهمات
خس الرئيس ..

وأبلغت الرئيس تليفونيا .. ولكنه تجاهل كلماتى وكأنه لم يسمع منى
شيئا !

كان يعرف قطعا أن تليفونه مراغب ..

وحاولت أن أتحدث اليه عن خطورة استغلال أجهزة الأمن فى هذه
المرحلة .. ولكنه أجابنى متجاهلا قصى ، بقوله أن الأمن بخير !

وكنى أشعل غيظا بينى وبين نفسى .. وأتساءل .. « كيف لا يعرف
أنهم مسيطرون على كل شىء » ..

وباختصار .. تقدم له ضابط بالأشرطة المسجلة التى تثبت المؤامرة ..

وأقبل شعراوى جمعة .. وحدث ما يعرفه الجميع .. وأعلن أنور
السادات سقوط دولة مراكز القوى .. وألغى كل إجراءات الحكم
الاستثنائى .. وأفرج عن المعتقلين .. وبدأ حكم سيادة القانون ..
وعاد القضاء الى آخر ما هو معروف من إعادة الانتخابات .. فى الاتحاد
الاشتراكى ومجلس الأمة .. واصدار الدستور الدائم ..

وبدا أن الرجل سوف يتفرغ لمواجهة القضية الخارجية سياسيا وعسكريا

ولكن ماذا فعلت أمريكا ..

وماذا فعل الاتحاد السوفيتى ..

وكيف بدأت المتاعب من جديد .. والرجل يرى أن قدره ومصيره
ومسئوليته الأولى والأخيرة .. هى تحرير الأرض ان سلما أو حربا ؟

الفصل السادس

مشرية .. روجرز

●●● « يروي الرئيس أنور السادات الفصول الكاملة لمشرية روجرز ، في اجتماع مطلق أتيح لي أن أحضره مع عدد من الكتاب الصحفيين وحضره رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزي في أكتوبر ٧١ . كيف بدأت الاتصالات بين السادات ونيكسون في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ؟ . وكيف انتهت إلى القطيعة بعد مباحثات روجرز ؟ وكيف ساءت العلاقات خلال هذه الفترة مع الاتحاد السوفيتي . . ثم عادت إلى تحسنها بعد إزالة سوء الفهم بين الجانبين في مباحثات السادات في موسكو أيام ١١ و ١٢ و ١٣ أكتوبر ١٩٧١ . وانتهى الاتفاق مع السوفيت أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون عام الحسم . . . »

ان أقوال الرئيس في هذا الاجتماع المطلق يزاح الستار عنها . . لأول مرة » ●●●

في جلسة خاصة مغلقة دعا اليها الرئيس أنور السادات عددا من الكتاب خلال شهر أكتوبر ١٩٧١ : استعرض الرئيس حقائق الموقف من جميع جوانبه •• وأسرار الاتصالات التي جرت مع أمريكا •• وانتهت بفشل مهمة روجرز ••

قال السادات : لقد خولت المحافظين سلطات واسعة • ان أمامنا معركة داخلية هي العصف بالروتين ، وهذا يذلل تفرغنا لمهتين أساسيتين :

الأولى : المعركة فوق كل شيء •

الثانية : بناء الدولة الجديدة •

ولن يتغير مفهومنا للحكم ، الا اذا تغير ما بنفوسنا أولا • لابد من فهم جديد للمسؤوليات • معركتنا العسكرية معتمدة على العلم والتكنولوجيا • وهنا تحضرني كلمة برناردشو « الذين لا يستطيعون أن يغيروا أنفسهم •• لا يستطيعون تغيير أي شيء آخر » •

لقد قلت للأمريكان : اننا لن نواجه مصير الهنود الحمر •

ولكنني مقتنع أنه لن يساعدنا أحد ، قبل أن تساعد أنفسنا • كل طاقة • كل امكانية • كل ملكة • يجب أن تبذل أقصى ما عندها من أجل مصر ••

لقد دعوتكم الى هذا الاجتماع لكي تكونوا في الصورة كاملة •• لكي تقدر أقلامكم حقائق الموقف ، ومدى المسؤولية •• وأنتم تتناولون المواضيع القومية •

السؤال : أين نقف الآن ؟ ••

ما هي قصة الشهور العشرة الأخيرة ؟

ولكنني أعطيك الصورة منذ وقت الهزيمة •

في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، استطعنا أن ننشئ أول خط دفاعي • تم هذا في ٥ أشهر ، وكان الخبراء الروس يقدررون انشاؤه في عام ونصف عام •• واعتبروا ما تم بالأيدي المصرية أقرب الى المعجزة ••

واجتمع مجلس الأمة في نوفمبر ١٩٦٧ • وتحدث جمال عبد الناصر
 في الاجتماع عن الصمود السياسي والاقتصادي والعسكري •• وكان قد
 كلفني قبل اجتماع المجلس ، أن أسافر الى الجبهة وأتفقد خط الدفاع ،
 بقيادة اللواء أحمد اسماعيل •• لأتأكد من وجود الخط •• واستكمالته •
 وأذكر هنا •• حوارا دار بيني وبين جمال عبد الناصر ، بعد مظاهرات
 الطلبة •• وبعد أن اجتمعت بهم في مجلس الأمة وكانوا معتمدين في
 كلية الهندسة ••

قل لي جمال : ابني خالد منهم في كلية الهندسة • والحقيقة أنني
 لا أجد ردودا شافيه لانفعالات ابني • كلهم مثله •• أتركوهم ينفسوا
 عن أنفسهم ••

وكان عبد الناصر حينئذ في أوج المرض • وكان يقاسى آلاما شديدة ،
 وكان عاجزا عن تحريك قدميه •• كانتا شبه مشلولتين •• ولكنه كان
 في قمة الصفاء الذهبي ••

في سبتمبر ١٩٦٨ :

بدأنا عمليات الردع • كانت ضربا بالمدفعية ••

ورد علينا العدو في نجح حمادي ••

رأينا أن نتوقف •• وأعدنا تنظيم الدفاع عن العمق •

ثم عاودنا الضرب بالمدفعية في عام ١٩٦٩ •

والواقع أن القتال استؤنف من يوليو ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة •
 معركة رأس العش •

ضرب سلاح الطيران لمواقع العدو في الضفة الشرقية في أغسطس
 عام ١٩٦٧ •

ضرب ايلات في أكتوبر •

بداية الرد في ٦٨ ثم التوقف •

استئناف الضرب في ٦٩ بدرجات متفاوتة •

وخلال كل ذلك اتصالاتنا السياسية •

كنا قد قطعنا الصلة تماما بأمريكا بعد الهزيمة • وضح لنا أنهم كذابون ومخادعون • وكنا لا نتحدث معهم مباشرة ، وكانوا هم يتصلون بالسوفيت •• وأدركنا أنهم يريدون الوقيعة بيننا وبين السوفيت • وقد تأكدنا من هذا تماما في هذا العام (٧١) ••

نحن لا نتصور طبعاً أن أمريكا بعيدة عن الحل ••
وفي أول مايو ١٩٧٠ وجه عبد الناصر أول خطاب له الى أمريكا ••

لقد كانت أمريكا تريد أن تحسم المعركة معنا بواسطة الطيران الاسرائيلي في الأشهر الأولى من عام ١٩٧٠ •

ولم نستطع أن نقاوم الطيران الاسرائيلي بصواريخ سام أو سام ٢ •• فكانت رحلة جمال عبد الناصر الى موسكو في يناير ١٩٧٠ ، رغم أنه كان مريضاً بانفلونزا حادة •• وكان ناقها من أزمة قلبية في ٦٩ ••

ويروى أنور السادات •• لماذا قرر جمال عبد الناصر السفر الى موسكو :

كان حينئذ في استراحة القناطر الخيرية •• ضربت الطائرات الاسرائيلية مصنع أبو زعبل طلب عبد الناصر من السادات أن يوافيه على عجل • قال له ان اسرائيل بدأت مرحلة جديدة وهي الضرب في العمق • لابد من تغيير استراتيجيتنا ••

ان الهدف طبعاً هو ضرب النظام من الداخل •

وقال عبد الناصر للسادات : أطلب لي السفير السوفيتي فوراً •

وكان السفير السوفيتي في المحلة الكبرى • وأبلغ بطلب الرئيس له • وحضر على الفور • قال له الرئيس عبد الناصر :

أرجو أن تبلغ الزعماء السوفيت أنني أريد السفر فوراً الى الاتحاد

السوفيتي • ان معركتنا مع اسرائيل تأخذ الآن شكلا جديدا خطيرا ••
هدفه الداخل ••

وسافر عبد الناصر في الساعة الثامنة من الصباح •

وبعد سفره بساعة واحدة •• بدأت اسرائيل معركة شدوان •• وكانت
اسرائيل تستعرض عضلاتها • ألف طائرة فوق « شدوان » •• مائة طائرة
فوق « رأس محمد » مائة طائرة فوق « الغردقة » •

ووقف بارليف مختالا وهو يتساءل : أين الطيران المصري ؟ ••

واتفق جمال عبد الناصر مع السوفيت في رحلته على استخدام صاروخ
سـم ٣ •

وسافر جمال عبد الناصر مرة ثانية الى موسكو في يونيو ١٩٧٠ • أمضى
٢٠ يوما هناك • وأعلن بعد عودته قبول مبادرة روجرز على أساس أن
أمريكا تتحدث لأول مرة عن الانسحاب ، بعد أن كانوا يتحدثون عن
المفاوضات المباشرة •• وقبلها مشروع روجرز في ٩ ديسمبر ١٩٦٩ •

قبينا المبادرة •• وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار في ٨ ديسمبر
عام ١٩٧٠ •

وجاء شهر سبتمبر :

وبدأت مذبحة الفدائيين في الأردن • وانهقد مؤتمر الملوك والرؤساء
في القاهرة • وتم توقيع اتفاق القاهرة مع الملك حسين •

وفي ٢٨ سبتمبر مات جمال عبد الناصر •

انتهت فترة ايقاف النار في نوفمبر ١٩٧٠ •

جمعت مجلس الأمن القومى • ومددنا وقف النار ٩٠ يوما أخرى •
وهنا نذكركم بأننا بدأنا حرب الاستنزاف في فبراير ١٩٧٠ •• وكانت
قد أرهقت اسرائيل فعلا • ورفضوا الاتصال بيارنج على أساس أن مصر
خرقت وقف اطلاق النار بتحريك الصواريخ •

قلت لكم .. مددنا وقف النار ٩٠ يوما . وسافر محمود رياض وزير الخارجية الى نيويورك وأثبت هذا في الأمم المتحدة . وحصلنا على قرار من الجمعية العامة ضد أمريكا ، وطلبنا من أوثانت أن يقدم تقريرا عن نتائج اتصالات الأمم المتحدة وانتهى الموعد في ٥ فبراير ١٩٧١ .

وكان علينا قبل انتهاء المدة .. أن نتخذ قرارا . هل سنمد وقف النار لثالث مرة ..

ودعوت الى عدة اجتماعات للجنة التنفيذية العليا .. ومجلس الدفاع الوطنى .. واللجنة المركزية ، قبل أن أتوجه الى مجلس الأمة في ٤ فبراير وأعلن موقفنا ..

وكشف أنور السادات الستار عن بعض مناقشات اللجنة العليا .
وكان الرأى الغالب فى أعضائها أنه يجب أن نطلق النار .

وكان أنور السادات يرى العكس ..

قال : طوال شهر يناير وأمريكا تثير الرأى العام العالمى أننا خرقنا وقف النار . وكل جهدا الاعلامى والسياسى قائم على أن الذى يطلق النار هو الذى يخرق السلام .. وطبعاً إسرائيل أعلنت بدهاء سياسى أنها لن تكون البادئة .. وبهذا الاسلوب الدعائى ، أرادوا أن ينسى العالم حقيقة المشكلة .. وهى أن هناك عدوانا واحتلالا للأرض .. وركزوا المشكلة فى وقف النار .

وكان هناك سبب آخر يدعونى الى استمرار وقف النار ..

لقد أخذنا درسا من ضرب نجع حمادى . وعدونا خسيس . كان يريد أن يغرق أرض الصعيد . وعندى فى الصعيد قناطر أسيوط ونجع حمادى وأسنا .. ودفعانى عنها ليس كاملا . والحمد لله أن الصاروخ الذى ضرب نجع حمادى عمل شرخ فقط فى القناطر أصلح فى عشرة أيام . وأنا متفق مع السوفيت على استكمال الدفاع فى جبهة الصعيد ..

قلت لأعضاء اللجنة العليا : يا جماعة دعونا من الانفعال . يجب أن نؤدى عملا سياسيا ناجحا . لسنا فى عزلة عن العالم . « الأوبك » مجتمع

في طهران لارغام الشركات على رفع أسعار البترول للمرة الثانية بعد
قفل قناة السويس .. وقبلت الشركات مرغمة • وصرخ غرب أوربا الذي
يعتمد على البترول اعتمادا شبيه كلى •

لماذا لا نفكر في هذا الوضع ؟ ..

لماذا لا نستفيد سياسيا من هذا الموقف ، لصالح القضية ؟ ..
ونحن لا بد أن نتحرك ..

وكنت قد تحدثت مع الدكتور محمود فوزي في جوانب الموقف • وكان
له تعبير واقعي • احنا واقفين محلك سير • لا بد أن نتقدم خطوة نحو
مادة القضية نفسها .. ولا بد أن يكون موقفنا مؤيدا من القوى الدولية ..

ولهذا كان رأيي الذي أعلنته للجنة العليا • • أنني لن أطلق النار في
٥ فبراير • ولن أعطي هذا الأمر لأنه خطأ • ويجب أن نفوت على أعدائنا
الفرصة • ونمد الموقف شهرا ، تكون لدينا خلاله فرصة لشرح قضيتنا
للمجتمع الدولي • فالقضية أساسا ليست وقف النار • ولا بد أن نستخدم
قناة السويس كورقة سياسية ناجحة في مبادرة أعدها الآن • • ولم أقل
لهم تفاصيل المبادرة ..

وعندما أعلنت المبادرة غضب مجلس الحكماء ..

كانوا يتصورون أنهم مجلس وصاية • • ولازم استأذنتهم • •

قلت لهم • • لا • • أنني أتحمل المسؤولية الدستورية •
ثم قال الرئيس السادات :

— يعني هذا أن مبادرة روجرز سقطت في ٤ فبراير •

ويعني هذا أننا ننقل القضية من وقف النار • • الى جوهرها وهو
الانسحاب ذاته •

ويجب أن نواجه حقائق موقفنا • • قبل الهزيمة وبعدها • •

قبل هزيمة يونيو كان في أيدينا « كروت » كثيرة نلعب بها ..

١ — رصيد جمال عبد الناصر العربى والعالمى ..

٢ — مركزنا فى العالم العربى •

٣ — قوتنا العسكرية ..

٤ — قناة السويس ..

وكل هذا فقدناه يوم الهزيمة .. فى ٥ يونيو • الا من جمال عبد الناصر
وكان جمال جريحا •

أعلنت المبادرة .. ومددت وقف النار الى ٧ مارس • وهدفى أن يتحقق
التالى :

* ألا نقف محك سير .. لابد أن نتحرك •

* أن نبعد عن العالم فكرة أن القضية أصبحت وقف اطلاق النار أو
اطلاق النار •

* أن ننقل فى اتصالنا السياسى الى صلب القضية ..

* أن نأخذ فرصة لاستكمال الاعداد العسكرى •

* أن نحرك أوروبا الغربية الى جانبنا .. لقد لعبنا بكرت قناة السويس
.. لقد كنا بعيدين تماما عن أوروبا الغربية تماما ، بسبب سيطرة
اسرائيل لمدة ٢٢ سنة وبدعاية مدروسة تماما • •

ثم يقول الرئيس السادات :

الرأى العام فى الخارج والداخل تجاوب مع المبادرة • ولكن مجلس
الحكماء خرج من البرلمان ، وجلسوا فى صالون رئيس الجمهورية بعد
أن غادرت المجلس ليقولوا ان البلاد اتباعت !

وعاد مجلس الحكماء .. بعد أن رأى نتائج المبادرة فى أوروبا ..
ليعترف بقيمة المبادرة ..

وبدا الرئيس يشرح بعد ذلك الموقف الأمريكى :

لقد رحبت أمريكا بالمبادرة .. وهذه كانت خطوة .. والواقع أن أول اتصال تم مع أمريكا كان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، برسالة وجهتها الى الرئيس الأمريكى نيكسون . وسبب هذه الرسالة أن نيكسون كان قد أرسل رسالة شخصية فى مناسبة عيد ميلادى الى بيرجرز (ممثل المصالح فى القاهرة) الذى قدمها بدوره الى الدكتور محمود فوزى .. وكانت الرسالة تحوى كلاما طيبا فى هذه المناسبة المشجعة . فاستدعيت بيرجرز . وشكرت الرئيس نيكسون على رسالته . وقدمت لبيرجرز رسالة الى نيكسون .

وكانت رسالتى تتضمن النقاط التالية :

- ١ — ان كل فعل .. سيكون له رد فعل عندنا . اذا كان الفعل . كويس .. رد الفعل .. عال . الفعل وحش .. الرد أوحش .
- ٢ — أبلغت نيكسون أننى خسرت معركة وأعترف . ولكننى لم أخسر الحرب ، بدليل أن اليابان قسمت أمريكا من الباسيفيك فى أقل من شهر ، وأبعاد هذه الضربة بالقياس لنا .. أكثر اهانة .
- ٣ — أبلغت نيكسون .. أنه ليس لنا دخل فى لعبة القوى الكبرى . نحن خارج هذه اللعبة . أننى أريد أن أحرر أرضى وابنى بلدى ..
- ٤ — أننى مفتوح العقل والقلب ، لحل سلمى مشرف ..

ثم توالى الاتصالات .

ووعدت أمريكا بأنها ستعمل على أن تتجح المبادرة المصرية ..

وقيل لى .. عندك مانع روجرز يجى ؟ ..

قلت : أبدا .. يتفضل .

وكانت المبادرة . كان انتهاء وقف النار فى ٧ مارس .

ولذلك رأيت أن أسافر الى الاتحاد السوفيتى قبل هذا الموعد • سافرت فعلا فى رحلة لم يعلن عنها فى أول مارس • واستمرت المباحثات يومين كاملين فى جلسة متصلة • والحق أنها كانت جلسة مؤلمة ، اختلفنا اختلفا كاملا •

• المناقشات كانت فى غاية العنف ••

وعدت الى القاهرة •• وجمعت اللجنة العليا مع مجلس الدفاع • رويت القصة • ولا أرى داعيا لاعلان موضوع الخلاف الآن •• لأننا كأصدقاء نحن والسوفيت لابد أن نعرف أننا تلقينا من السوفيت أسلحة قيمتها مليار و ٨٠٠ ألف جنيه استرلينى •

كان يقينى أن خلافى مع الزعماء السوفيت فى هذه المباحثات ، خلاف مبدئى ولكن مجلس الحكماء لم يعتبره هكذا !

وهناك نقطة خلاف أساسية لا بأس أن أعرضها لكم •

اننى أقول أنه منذ يوم ٢٣ يوليو ، والى أن تقوم الساعة ، لا يجب لأى رئيس مصرى ، أن يسمح لأية سلطة كانت •• بأى قرار أيا كان • هذا حق ومسئولية القيادة السياسية داخل البلاد ••

هذا هو مبدأ الخلاف ••

كنت أتناقش مع السوفيت على نوع معين من الأسلحة بيثخلوه الروس • وبعد تشغيله كان السوفيت يشترطون أنه لابد من اذن الحكومة السوفيتية قبل استخدامه •

قلت •• لا •• أولادى يتعلموا تشغيل هذا السلاح •• أما عن استخدامه فهو قرارى أنا •• قرار مصر •• ولن يكون غير ذلك •

قلت •• أبدا •• أموت •• ولن أسمح بغير قرار يصدر منى •• من القيادة السياسية المصرية ••

أما مجلس الحكماء فقد كان له رأى آخر .. قالوا أنه لا يعنيننا أن
نستأذن دولة كبرى .. عليها مسئولياتها العالمية ..

وفيما عدا هذا الخلاف .. أسفرت الرحلة عن حصولنا على مزيد من
الأسلحة .

وكان من رأى السوفيت ألا نبدأ بإطلاق النار بعد ٧ مارس .. وأننا
يجب أن نوجه جهدنا للحل السلمى ..

قلت لهم : اذا وجد حل سلمى مشرف عادل .. أنا موافق . ولكن اذا
كان مفيش ذايده .. فضحى بـ ٢ مليون .. أنتم خسرتم فى الحرب
٧ مليون .

وأعود الى الحديث عن موقف الأمريكان .

كانت اتصالات الأمريكان بعد المبادرة .. تقوم حول اعطائهم فرصة .
وطبعا .. كنت أرحب باعطائهم الفرصة .. لسبب أساسى وهو أن
بطاريات الدفاع عن الصعيد لم تكن قد وصلت بعد . .

وعرضوا أن يحضر روجرز الى القاهرة .. ورحبت كما قلت لكم ..
ولكن مجلس الحكماء غضب .. لماذا يحضر روجرز الى مصر ؟! ..
وكأننا نعيش فى جزيرة منعزلة عن العالم .

المهم .. جاء روجرز الى مصر ومعه مساعده سيسكو ..

والمعروف أن سيسكو كان مساعد جولد برج ممثل أمريكا الصهيونى
فى الأمم المتحدة ، الذى عمل الطبخة كلها لصالح إسرائيل .

ما فوتهاش لسييسكو .. فقلت له : يا ترى أنت لسه الابن البكر
لجولد برج ولا ناوى تتغير ؟ ..

وأمضيت مع روجرز ساعتين فى حديث متصل . وكان مذهولا من طبيعة
الشعب المصرى .. قال أنه تحدث مع مصريين عديدين . سار فى الشوارع .
عرفه الناس . الحراسة عليه عادية .. وباختصار قال لى : صورة الشعب
المصرى الطيب المسالم ، ليست هى الصورة التى عندنا ..

ثم قال : وها قد مضت ساعتان علينا في الحديث .. وأنتى أشعر براحة
كاملة .

وروى لى أن جولدا مائير أرسلت مرة رسالة الى نيكسون ، تقول
فيها أنها تتحدى أمريكا ، أن السادات لن يقبل اتفاق سلام . وقالت :
إذا قبل السادات فهي مستعدة أن تنفذ كل شيء ..

ثم روى الرئيس خلاصة للحوار الذى دار بينه وبين روجرز :

السادات : ماذا تريد منا بعد هذه المبادرة ؟

روجرز : لا أطلب شيئاً . المطلوب الآن أن تتحرك اسرائيل . وسأرسل لك
سيسكو بالنتيجة بعد زيارتى لاسرائيل .. وسأعلن فى أمريكا أنكم فعلا
دعاة سلام .

وأعلن هذا روجرز فعلا .

السادات : فيه سؤال .. لماذا لم تسأل عنه .. لماذا لم تسأل عن
الوجود السوفيتى فى مصر .. هذا محور المشكلة الآن .. وهذا ما تستغله
اسرائيل ضدنا .. وما أرى أنكم مشغولون به فى أمريكا ..

روجرز : الحقيقة أنه بعد أن تحدثت معك ساعتين .. وشعرت أنتى
جالس الى صديق وانسان متفهم .. خجلت أن أثير هذا الموضوع منعا
للاخراج ..

السادات : لا احراج عندى فى أى تصرف لنا .. الوجود السوفيتى
شاغلکم .. فلماذا لا نناقشه بصراحة ؟ ..

روجرز : أنا سعيد جدا باثارة هذا الموضوع ..

السادات : لعلك يوجد هنا على الأرض المصرية ، ضباط وجنود من
الجيش الأحمر .. (أنا مارضيئتس أقوله جنود سوفيت .. علشان عارف
ان عبارة الجيش الأحمر تغيظهم) وبملا بسهم الرسمية .. وأنتم تعرفون
هذا طبعا .. وأنتم تعرفون أين هم . لأن القمر الصناعى يصور لكم كل
شئ .. أنتى أسألك .. أين هم ؟ .. هل هم على القنال ..

روجرز : لا ليسوا على القتال ..

السادات : أنت متأكد ..

روجرز : نعم متأكد ..

السادات : أتنى سعيد أنك تقول هذا .. وسعيد أن تعرف أن عندنا كرامة وطنية ، ولا نقبل أن يحارب أحد لنا معركتنا ..

وهنا روى لنا الرئيس السادات قضية الوجود السوفيتى فى مصر ، الذى تم بناء على طلب من الرئيس جمال عبد الناصر فى رحلته السرية الى موسكو بعد ضرب أبو زعبل . لقد تم الاتفاق مع السوفيت على استخدام صواريخ سام ٣ . وهى صواريخ على مستوى عال ، وتحتاج الى تدريب أطقم عليها .. وجاءت الصواريخ بأطقمها السوفيتية .. ثم سافر أبناؤنا الى الاتحاد السوفيتى للتدريب .. وخلال ذلك انتهينا من بناء المواقع ..

وفى مدى ٤٥ يوما تم أمجد عمل عسكرى من أجل الاستعداد للمعركة .
لقد تم بناء ما قيمته مليون جنيه فى اليوم الواحد .

وعادت الأطقم المصرية من الاتحاد السوفيتى بعد أن انتهى تدريبها .
عادوا ومعهم بطاريات الصواريخ التى انتشرت فى الضفة الغربية
للقناة ..

ثم قال السادات لروجرز : لم يكن مفروضا أن نترك اسرائيل تعربد ، بعد أن ضربتنا بالنابالم الأمريكى يا مستر روجرز . ولكن لعلمك .. اننا ندفع مرتبات الخبراء الروس بالاسترلينى والدولار .. ونحن فى أزمة عملة صعبة . وكنا نتحمل . والسوفييت يلحون باستمرار لسحب خبرائهم .

ثم ناقش السادات روجرز فى وجود الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض .. وكان السادات قد أرسل الى نيكسون رسالة خطية صريحة ، أبلغه فيها أن مصر تعطى وسوف تعطى للأسطول السوفيتى تسهيلات فى موانئ البحر الأبيض .. تقديرا لوقوفهم الى جانبنا فى الأيام السوداء .

وقال روجرز : نعم .. أننى أتذكر هذه الرسالة .. وأتذكر أن نيكسون رد عليك بقوله أنه لا يطلب صداقتك على حساب صداقة أصدقائك .. وما دام القرار فى مصلحة بلدك .. فليس له أى اعتراض •
وقال السادات لروجرز فى ختام المباحثات : والآن .. ماذا تبقى يا مستر روجرز ؟

روجرز : لا شئ .. إسرائيل يجب أن تتحرك •

ثم عاد سيسكو الى القاهرة بعد يومين ليقول للرئيس السادات ، أن إسرائيل لا تبدى مرونة فى ثلاث نقاط :

* عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية فى المرحلة الأولى من انسحاب إسرائيل ، تكون بقوات بوليس فقط ..

وحاول سيسكو أن يقنع الرئيس بأن هذه مسألة شكلية .. ويكفى أن العلم المصرى سيرفع .. وهنا سيصفق الشعب المصرى لأنور السادات .. وسيصبح فى عينه الزعيم الذى رفع العلم المصرى على شرق القناة •

فرد عليه الرئيس السادات ضاحكا : باين عليك أهبل يا سيسكو .. ده أحرق شعب فى العالم ..

ولكن الرئيس أراد أن يكون مرنا .. فقال لسييسكو :

المسألة بسيطة .. موضوع عبور القوات المصرية الى شرق القناة ، غير قابل للمناقشة ولكن من الممكن أن نكون مرنين • أقبل أن الخط المصرى فى سيناء شرق المضائق ، يكون موازيا لخط إسرائيل .. وأقبل أن يكون الخطان فى فترة الستة أشهر الأولى ، متساويين فى السلاح والعتاد ووافق سيسكو • وقال : هذا معقول •

* ثم أثار سيسكو النقطة الثانية ..

قال ان إسرائيل ترفض أن يكون وقف النار لمدة ٦ أشهر فقط • انهم يريدون وقف النار بلا تاريخ ..

وأجاب الرئيس : هذا مستحيل • لأنه يعنى أننا عملنا خط هدنة • •
وكأنها حدود جديدة • • وانتهى الأمر • وما الذى يدعو اسرائيل الى
الانسحاب بعد ذلك • طالما هناك جندي أجنبى على أرضى • • فلا وقف
لنار بدون تاريخ • هذا مبدأ لن أحيده •

سيسكو : ولكننا نريد مخرجاً • •

السادات : الفترة التى أعلنها هى ٦ أشهر • وأنا أعرف أن اسرائيل
ستراوغ ، وسوف تتصل بيارنج فى الشهر الأخير • أننى أعرف أساليبهم
الردلة • • أننى أوافق اذا انتهت فترة الستة أشهر ، ووجد يارنج أنه
يحتاج الى مزيد من الوقت ، فعليه أن يطلب ذلك رسمياً ومن مجلس
الأمن • • بشرط ألا يزيد الحد عن ثلاثة أشهر أخرى •
ووافق سيسكو •

* ثم أثرنا النقطة الثالثة • • قال ان اسرائيل لا تريد ذكر حدود ٤
يونيو فى مرحلة الانسحاب الأولى ، لا من قريب ، ولا من بعيد • •

السادات : كيف يكون هذا ، اذا كانت المبادرة جزءاً من الحل الشامل •

سيسكو : هم يريدون حدوداً آمنة ومطمئنة • •

السادات : اسمع • • اننى أوجدت مخرج مرنة فى النقطتين السابقتين •
ولكن فى هذه النقطة لا حل عندى • لا تتنازل عن شبر من الأرض • •
ولا تأجير ولا اعارة • • ولا أى كلام من هذا الكلام الفارغ • • حدود
٤ يونيو دون نقص لأى شبر • •

سيسكو : عندى حل • • ان ورقة روجرز فى ٩ ديسمبر ٦٩ • • نصت
رسمياً على الحدود الدولية بين مصر واسرائيل • • ولكى نحل الموقف
الآن • • فان الولايات المتحدة سوف ترسل لك خطاباً بأن الحدود هى
الحدود الدولية •

السادات : وما الفائدة • لقد رفضت اسرائيل من قبل ورقة روجرز •
من الممكن فقط أن أقبل هذا الخطاب من مجلس الأمن • • أو من الأربعة
الكبار • • أو من الاتحاد السوفيتى وأمريكا مشتركين •

سيسكو : هذه مسألة بسيطة ، سوف نبحث لها عن شكل •

السادات : هذه نقطة لا فصال فيها ••

ووعده سيسكو بالعودة الى أمريكا ، للعمل على أساس المبادرة •• وكان ذلك في ابريل ١٩٧١ • واستمرت أمريكا صامتة صمت الأموات ، حتى شهر يونيو •• لا كلام ولا اتصال •• ولا أى شيء ••

ثم حصلت خطوة ••

تقدم بيرجس ممثل المصالح الأمريكية في مصر ، بورقة الى وزارة الخارجية المصرية في يونيو • قال أنها من بنات أفكاره هو • وطلب الرأى المصرى فيها • وقد اطلع عليها الرئيس أنور السادات ، وأحس أنها ليست لجس النبض من بيرجس • وأنها قطعاً مرسلة من الحكومة الأمريكية لجس النبض • لأن ٩٠٪ مما جاء في ورقة بيرجس ، استخدم عبارات ، تداولها الرئيس السادات مع سيسكو ولم يكن معها ثالث • ومن ذلك التعبير عن الخط المصرى شرق القناة بعبارة معينة والتعبير عن الخط الاسرائيلى بعبارة أخرى •

وأجرى الرئيس تعديلات في ورقة بيرجس في جزء منها كان لصالح اسرائيل • وفجأة أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن ورقة بيرجس ، هى من بنات أفكاره وحده •• ولا دخل لواشنطن بها ••

وطبعا هذا كلام ساذج ••

ولكن فهم من هذا بوضوح •• أن أمريكا قررت أن تلحس كل شيء ••

وقال لنا الرئيس السادات : ومن هنا •• ابتداء اللوع واللعب والأسلوب المناور من جديد •

ثم قال السادات :

وفي يوم ٦ يوليو ١٩٧١ ، أخطرت أن مدير قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية يحمل رسالة عاجلة من الرئيس الأمريكى ••

قلت : يتفضل .. أنا أعرفه .. لقد كان مرافقا لى أثناء زيارتى لأمريكا
فى عام ١٩٦٦ .. خيرا ؟

قال : ان الرئيس الأمريكى قرر أن تأخذ أمريكا موقفا ايجابيا فى حل
القضية ، وستحدد ذلك فى ورقة ونعلنها لكم وللعالم ..

ثم قال المبعوث الأمريكى أن سيسكو سيذهب الى اسرائيل يوم
٢٧ يوليو ، وبعد عودته الى أمريكا ، ستعلن الورقة .. وستأخذ أمريكا
دورا ايجابيا .. ولكن الرئيس الأمريكى ينتظر من مبعوثه برقية عن
استفسارين :

١ — المعاهدة المصرية السوفيتية .. هل غيرت من طبيعة العلاقات بين
مصر والاتحاد السوفيتى ؟ .. والسؤال الآن .. هل تقوم القاهرة
باستئذان الاتحاد السوفيتى فى أى تصرف .. ان اسرائيل منزعة .
والبنّتاجون منزعج . وكان رد مصر على ذلك : بأن المعاهدة هى اطار
لعلاقات قائمة فعلا .. وليست هناك أى وصاية على مصر فى أى تصرف
لها . وهذا مبدأ أساسى فى السيادة المصرية .

٢ — هل يمكن اعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وأمريكا .. بعد
المرحلة الأولى من الانسحاب ..

وكان رد السادات : نعم . لقد وعدت بهذا ، ولا عدول عندنا عن هذا
الوعد ..

ثم قال الرئيس السادات :

حدث هذا فى ٦ يوليو . ثم سكوت الأموات ٧٠ يوما . سكوت أموات
مع مناورات وتمييع ولعب .. ودعاية واسعة النطاق أن الاتفاق فى
خطواته الأخيرة .. والهدف تخدير العالم كله ، لتمويت القضية ..

وفى ١٦ سبتمبر .. أجريت حديثا فى التليفزيون .. وكشفت كل هذا

الخداع • والغريب أن السوفيت صدقوا الخداع الأمريكي •• وتصورا
أننى اتفقت فعلا مع الأمريكان !

والحق أقول لكم أننى عشت ثلاثة أشهر حالكة السواد • يوليو
وأغسطس وسبتمبر • وقبل يوليو عملية مايو • وفى يوليو وقعت أحداث
السودان • قبل مايو •• بعض أعضاء مجلس الحكماء أبلغ السفير
السوفيتى أننى بعت البلد للأمريكان • وأننى أصفى الاشتراكية والناصرية •
المؤلم أن السوفيت صدقوا هذا الكلام •• وأننى أرجع ذلك لطبيعتهم ••
الشك بحكم التكوين الطبقي •• والبطء فى اتخاذ القرار • وأقلت على
صبرى فى ٢ مايو • وبدأ الصراع فى مجلس الحكماء • لماذا خرج على
صبرى قبل ما ييجى روجرز بيومين ؟

حتتفسر • أنا ما يهمنىش التفسيرات ما دمت مقتنع بالقرار • حلها
المحللون طبعاً فى موسكو !

وقد حضر باناماريوف المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو • وجلست معه فى
مناقشة صريحة فى موضوع الانقلاب الشيوعى الذى فشل فى السودان •
قلت له : اننا فى مرحلة الوطنية التقدمية المضادة للاستعمار • وأنتم الحليف
الطبيعى • ولكن شعوبنا لا تقبل النظام الماركسى • لسنا ضد الفكر ،
بدليل أن لدينا ماركسيين فى اللجنة المركزية • ولكن تطورنا ينبع من أرضنا
وتقاليدنا وديننا وحضارتنا ••

وكان هذا الكلام بالنسبة لباناماريوف طبعاً ، كفرا والحادا •• لأن
عقليته ستالينية ، وكان سكرتيراً للكونترن وتقديرى أنه لعب دوراً فى
تشويش العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى •

وجاء شهر سبتمبر •• وأحسست أننا معلقون فى الهواء •

السوفيت لا يفهمون حقائق الموقف ••

والأمريكان •• يناورون ويراوغون لحساب إسرائيل ••

وطلبت السفر الى الاتحاد السوفيتى لمناقشة زعمائه فى كل التطورات

التي طرأت على الموقف • قلت اننى لا أملك أن أفقد أصدقائنا •• ومن
حقى عليهم أن أسألهم •• لماذا •• سوء التفاهم ؟ ••

وأكدت على رغبتى فى الزيارة •• وإذا كان موقفهم انتهى بهم الى
عدم التفاهم •• فليكن •• ولكن يجب أن نسجل هذا ، ونوضح المواقف •

وتحدد يوم ١١ أكتوبر للزيارة •

شعرت أمريكا بذلك • وإذا بروجرز يعلن فى خطابه للأمم المتحدة
٦ نقاط أساسا للتسوية السلمية •

وكانت النقطة الأولى من بيان روجرز مقبولة •• وهى أن الحل الجزئى
جزء من الحل النهائى ••

ولكن أمريكا لم تحدد موقفها من باقى النقاط • ووضح استمرار
المراوغة • وتقدمت أمريكا باقتراح أن ترسل مصر مبعوثا الى أمريكا ،
للتباحث غير المباشر مع مبعوث إسرائيل ، عن طريق سيسكو ••

وأرادت أمريكا ألا تظهر بمظهر المراوغة •• فقالت أنها تبذل هذا
المسعى الجديد لأنها تعرف أن سنة ١٩٧١ لابد أن تكون سنة حاسمة ••

ورد السادات بأسلوبه المعروف : ياه •• أنتم الذين تقولون هذا ؟
بلاش لعب • وأنا اللي بقول هذا ليل نهار •

وقبل أن يسافر الرئيس السادات الى موسكو فى ١١ أكتوبر ، وافق
على الاقتراح الأمريكى بارسال مبعوث مصرى للقيام بمباحثات غير
مباشرة عن طريق موسكو • واختار الدكتور مراد غالب لهذه المهمة ••

وجاء الرد أن واشنطن سعيدة جدا بموافقة الرئيس !

وفى موسكو تناقش الرئيس مع الزعماء السوفيت فى نقطتين :

الأولى : سوء الفهم من السوفيت الذى لا يركز على أى أساس •

الثانية : أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون عام الحسم •• لأن القضية

بعد عام ١٩٧١ ستصبح مثل قضية روديسيا • ١٩٧٢ عام الانتخابات الأمريكية • ستحصل إسرائيل في المزايدات الانتخابية على قدر ماتحصل عليه ١٠ مرات • الرئيس الأمريكي الجديد يضع سياسة في يونيو ١٩٧٣ • يتكلم آخر ١٩٧٣ • ندخل على عام ١٩٧٤ •• ويكون الأمر الواقع قد استمر حقيقة • وقف النار • إسرائيل باقية ولن تتحرك •

واقتمع الزعماء السوفيت بهذا المنطق الواقعي •• بعد جلستي ١٢ و ١٣ أكتوبر ••

وبدأت اتصالات جديدة من أمريكا مع أنور السادات بعد عودته من رحلة الاتحاد السوفيتي ••

— هل لا تزال عند رأيك ؟ ••

— نعم •• وأريد ايضاحا من وزارة الخارجية الأمريكية ، عن الدور الذي سيقوم به سيسكو في المباحثات غير المباشرة •• لقد قلت في رسالة الرئيس نيكسون في ٦ يوليو أن أمريكا ستؤدي دورا ايجابيا •• ولكني لا أرى ايجابية في نقاط روجرز الست ••

وجاء الرد •• ان دور سيسكو سيكون (catalist).

— وما معنى كاتاليست ؟ ••

وقال السادات لمحدثه الأمريكي : تسمح تشرحها لي بشويش •• لأن الكلمة دي جديدة على •• ولم أصادفها في اللغة الانجليزية •

— معناها العنصر المساعد •• هي الفلزات التي تساعد على التفاعل في العمليات الكيماوية ••

وبعدها •• قدمت أمريكا ايضاحا جديدا لدور سيسكو • سيكون عاملا مساعدا وساعى بريد ايجابيا •

وبعدها بيومين قدمت أمريكا تفسيراً آخر .. سيكون سيسكو ..
« كاتاليسيت » .. وساعى بريد غير سلبي ! ..

وهنا طلب الرئيس السادات إبلاغ الرئيس نيكسون .. أن أمريكا
عادت إلى أسلوبها الأول .. وأن مصر لا تقبل ما جاء على لسان روجرز
في نقاطه الست ، بأنه لابد من تنازلات من الجانبين ..

وحدد الرئيس السادات ، أنه لن تكون هناك أية مناقشة بين مصر
وأمريكا ، قبل أن تعلن إسرائيل ردها بالإيجاب على رسالة يارنج إليها ..
وبدون هذا لا كلام ..

وقال لنا السادات : وهنا قطعت كل ما بينى وبين أمريكا من الاتصال ..

ثم حل الموقف الأمريكى بقوله :

— أهداف أمريكا بوضوح .. هى إزالة الوجود السوفيتى فى الشرق
الأوسط .. وعزل مصر .. والقضاء على النظام ..

أمريكا تريد اخراج إسرائيل كسبة فى كل شىء .. ولا تريد أن تمارس
أى ضغط على إسرائيل .. وأنتى أستنتج إلى حد القطع أن هناك تعهدات
أمريكية سرية منذ عهد جونسون .. ملزمة لأمريكا أن تتخذ هذا الموقف
مع إسرائيل وضدنا ..

وأمريكا تتصور أن إسرائيل سوف تحقق لها أهدافها فى المنطقة ..

وخلص الرئيس أنور السادات من هذا العرض الطويل الذى استغرق
ثلاثة ساعات بالنتائج التالية :

— لا مناص من المعركة ..

— أمريكا مؤمنة بأننا شعب غير مقاتل .. والاتحاد السوفيتى يتصور
أيضا أننا نحتج به فى عدم القتال ..

— اسرائيل .. مغرورة ومعريدة بنشوة النصر •

— العالم كله .. لا أحد يهتم بأحد ..

ونحن الآن أمام اختبار .. امتحان من امتحانات القدر • هل نكون
أو لا نكون ؟

وأعلن السادات أنه سيمضى أغلب وقته في الفترة اللاحقة مع القوات
المسلحة • وأعلن عن تأليف غرفة عمليات في الداخل • • للربط بين الجبهة
الداخلية وكل متطلبات المعركة • •

وقال أن ساعة العمل الجاد الخطير قد حانت • • وعلينا أن نتحمل
مسئوليتنا أمام التاريخ والأجيال •

أزمات مع السوفييت

●●● « قصة الأزمات بدأت مع جمال عبد الناصر . وقال انه قبل مبادرة روجرز ، عندما وجد أن الموقف مع الاتحاد السوفيتي ميئوس منه .. وحتى بعد أن بدأ الجسر الجوي لإمداد مصر بالسلاح بعد الهزيمة مباشرة في يونيو ٦٧ . كان عبد الناصر في قمة العصبية من الأسلوب السوفيتي في التعامل الذي يريد أن يمسك بكل الخيوط في يده . وسجل ذلك في مباحثاته مع الرئيس نيتو في أغسطس ٦٧ في الاسكندرية .. وتولى السادات المسؤولية . وبدأت أول أزمة في أول رحلة سرية . وحلت الأزمة .. وأعقبها أزمات .. ثم تحسن الموقف تماما بعد رحلة للكتور عزيز صدقي بعد وساطة الرئيس الأسد .. وقامت الحرب . وبدأت مشكلات السلام .. وبدأت الأزمات من جديد مع الاتحاد السوفيتي » ●●●

حاربنا معركة ٦ أكتوبر بسلاح سوفيتى .. هذا صحيح •

ولكن قواتنا كانت تستخدم أيضا أسلحة من بلاد أخرى • كانت أسلحة مكملية • ولكن الاعتماد الأساسى كان على التسليح الروسى • منذ ١٠ يونيو ١٩٦٧ بعدما بدأ الجسر الجوى بين موسكو والقاهرة • • لإنشاء أول خط دفاعى غرب القناة ، كان المسئول عن اعداده اللواء أحمد اسماعيل • • ومع ذلك فإن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، مرت بمراحل عديدة ، من التفاهم ، وسوء التفاهم • • حتى فى عهد جمال عبد الناصر ، وبعد أن نشأت روابط قوية عميقة بين البلدين • •

بل قيل على لسان جمال عبد الناصر • • أنه قرر أن يقبل مشروع روجرز بوقف النار وهو على مائدة المباحثات مع الزعماء السوفيت • • دون أن يعلن عن ذلك الا بعد عودته • • لأنه وجد أن الاعتماد الكلى على السوفيت سوف لا يصل الى النتائج المرجوة • •

ولكن خلافات عبد الناصر مع السوفيت • • ظلت باستمرار فى دوائر الأسرار • لم تخرج الى سطور الصحف • • ولم تكشف عنها أية تصريحات من الجانبين • • وكان هذا طبيعيا • • (١)

(١) عندما حضر بودجورنى رئيس الاتحاد السوفيتى الى مصر بعد الهزيمة مباشرة فى صيف ١٩٦٧ طلب جمال عبد الناصر أن يتولى الاتحاد السوفيتى مسئولية الدفاع الجوى عن مصر بقائد سوفيتى • ووافق بودجورنى ، ولكنه عاد فى المساء وأبلغ عبد الناصر برفض موسكو • سافر أنور السادات بعد ذلك الى موسكو بتكليف من جمال عبد الناصر وطلب تعيين قائد سوفيتى لسلاح الطيران • كانت وجهة النظر المصرية ، أن هناك ثقة قائمة فى صداقة الاتحاد السوفيتى ، وأن مثل هذه الطلبات قد تعتبر تجاوزا على استقلال مصر ، الا أن صيانة الوطن تأتى فى الدرجة الأولى • فقد كانت طائرات اسرائيل تعربد فى سماء مصر بدون رادع •

ولقد أقام السوفيت جسرا جويا وبحريا بين الاتحاد السوفيتى ومصر لدينا بالأسلحة • ولكن عبد الناصر كان فى قمة الغضب والعصبية من أسلوبهم فى التعامل • كانوا يستخدمون أسلوبا مبطنا يشعرك أنهم يريدون الاحتفاظ بكل الخيوط فى أيديهم • عبر عبد الناصر عن غضبه فى لقائه بالرئيس تيتو بالاسكندرية فى ٩ ، ١٠ أغسطس وسجل هذا فى مباحثات عبد الناصر وتيتو • « من حديث للرئيس السادات الى مجلة الحوادث »

فبعد الهزيمة .. كانت عملية اعادة البناء العسكرى معتمدة على
السوفييت ..

كما أن الموقف لم يتطور الى الحاجة الى الأسلحة الهجومية .. والى
اتخاذ قرار الحرب ..

وكان جمال عبد الناصر — فى رأى — يعتقد أنه سوف يصل الى حل
سلمى .. دون اللجوء الى حرب أخرى ..

وعندما تولى أنور السادات المسئولية .. لم يغفل عن اعتباره أبدا
جهود الحل السلمى • وكان يردد دائما أن ما نستطيع أن نصل اليه بغير
حرب .. اذا كان عادلا ومشرقا .. فليس ما يدعو أن نصل اليه بالحرب
والدماء وتضحيات الأرواح • ولكن الاعداد العسكرى للقتال لم يتوقف
لحظة واحدة •

وتأزمت الأمور يوما بعد يوم ..

كانت تقديرات اسرائيل .. ومعها أمريكا بطبيعة الحال .. أن أنور
السادات لن يملأ فراغ جمال عبد الناصر .. ولن يصل الى زعامته ..
ولذلك فان احتمالات ضرب النظام من الداخل .. كانت أيسر سبيلا
بالنسبة لهم ..

وكانت تقديرات الاتحاد السوفيتى ، أن أنور السادات .. لن يتحول
بمصر الى دولة تدور فى فلك المعسكر الاشتراكى .. وكانت شكوكهم أنه
يتجه الى اليمين .. والى الاتفاق مع أمريكا من وراء ظهرهم .. وشجع
تقديرات موسكو ، أن فريقا من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا كان يوحى
للسياسة السوفيتية بهذا .. وقد أراد هذا الفريق أن يعتمد
على روابطه بالاتحاد السوفيتى .. وعلى اقناع موسكو أنهم
دعاة الاشتراكية الحقيقيون .. وكانوا يتعاونون سياسيا فى الداخل مع
اليسار المتطرف المحلى • فى التنظيم السياسى .. وفى التنظيم الطليعى ..
ولذلك كانت كلمتهم مسموعة ، فى موسكو ..

ولهذا ثارت عقبات وخلافات عديدة بين الاتحاد السوفيتى وأنور
السادات • وكان الرجل حريصا فى العلاقات مع موسكو على حقيقتين
أساسيتين :

١ — الانطلاق في قراراته من القاعدة الوطنية والسيادة المصرية
الكاملة ..

٢ — عدم التفريط في صداقة الاتحاد السوفيتي . ووضعها في الاطار
الصحيح الذي يحقق التعاون الكامل ..

وكان على — علم كامل — قبل توليه رئاسة الجمهورية .. بكل تفاصيل
العلاقات مع موسكو .. فقد أسند اليه جمال عبد الناصر ، مهمة هذه
العلاقات ..

وبدأ التوتر الشديد في العلاقات .. عندما أعلن أنور السادات ، بعد
احتفال عيد العمال في أول مايو ١٩٧١ .. اقالة على صبرى •

وكان أنور السادات يعلم أن هذا القرار ، سيفسر تفسيراً خاطئاً من
زعماء الاتحاد السوفيتي ..

ولذلك استدعى أنور السادات السفير السوفيتي .. وقال له .. دعنا
نتكلم بوضوح .. وأننى لا أعتبر كلامى معك ، اتاحة لك للتدخل في الشؤون
الداخلية .. ولكننى أريد أن أضع النقط على الحروف ، لكى تكون علاقاتنا
واضحة .. صلة موسكو بالقاهرة .. هى صلة بين دولة ودولة • وليست
بين دولة وأشخاص • ولقد قررت اعفاء على صبرى • وسوف تخرج صحف
الغرب ، لتزعم أن هذا الاعفاء ضربة للعلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي
.. لأنهم يصورونه أنه رجل الاتحاد السوفيتي هنا .. وهذا من وجهة
نظري غير صحيح ..

لقد قررت اعفاء على صبرى لأسباب داخلية ، لا صلة لها بالعلاقات بين
البلدين ، وهى علاقة بين دولتين .. ولذلك أبلغتك ، حتى لا يكون هناك
مجال للتأويلات غير الصحيحة ..

وأعلن الرئيس قرار الاعفاء ..

ثم اتجهت السنة كثيرة الى السفارة السوفيتية في القاهرة ، لتقول أن
اعفاء على صبرى ، هو هدية قدمها أنور السادات الى أمريكا ، قبيل
وصول روجرز الى مصر ..

وقالت هذه الألسنة أيضا •• أن السادات قرر بيع مصر لأمريكا ••

ولكن أنور السادات لم يأبه لكل هذه الآراء ••

وجاءت أحداث مايو ••

وكشفت التسجيلات التي كان يقوم بها أحمد كامل مدير إدارة المخابرات،
بتكليف من سامي شرف عن قضية المؤامرة • ثم أكدت المؤامرة ••
اعترافات أحمد كامل التفصيلية التي أدلى بها انقاذا لضميره ••

ولذلك •• فان اليسار المتطرف المحلى •• أو معظمه •• وقد رأى نفسه
مبعدا تماما من العمل السياسى العلنى والسرى الذى كان مسيطرا ، على
كث مواقع العمل والانتاج •• بعد أن أعلن السادات حل التنظيم السرى ••
ثم رأى هذا اليسار من يشاركونه فى مسئوليات الحكم وقد أصبحوا وراء
القضبان •• أقول أن اليسار المتطرف المحلى ، اتخذ موقف التصدى •
وصور قضية المؤامرة على أنها مجرد تلفيق ، لكى يتفرد أنور السادات
بالسلطة •• وبدأت الاتهامات بيع البلد الى أمريكا •• وتصفية الاشتراكية
•• وتحولوا جميعا الى ناصريين ملتهبين •• هكذا فجأة •• لقد تصوروا
أن « لافتة الناصرية » فيها حماية لهم •• واخفاء للونهم السياسى •

وقد ظهرت آثار هذه التيارات فى الانتخابات التى جرت فى الاتحاد
الاشتراكى ، وعضوية مجلس الشعب •• وفى انتخابات النقابات المهنية •
وامتدت الى محيط الطلبة فى الجامعات •

وأصدر أنور السادات فى ذلك الوقت بيانا حاسما ، يكشف فيه هذه
الأوراق ، وفى الوقت نفسه يحذر اليمين المتطرف اذا كان يتصور أن
١٥ مايو يعنى ردة الى الوراء •

وليس هذا الفصل من الكتاب ، تسجيلا لكل هذه الأحداث ••

ولكننى أعرض هذه العجالة •• لأصل الى أول خلاف حقيقى بين الاتحاد
السوفيتى وأنور السادات •• حتى وصل الخلاف الى قمته ، عندما أصدر
الرئيس قرار الاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت ••

وقد استغل الخلاف الأول مع الاتحاد السوفيتي من العناصر اليسارية والمدعية للناصرية داخليا .. وفي كل التجمعات الشيوعية في العالم العربي ، على أنه ارتداء في أحضان أمريكا .. وهذا يعني أن كل كلام أنور السادات عن الاستعداد للمعركة .. هو مجرد استعراض سياسي للاستهلاك لا أكثر .. وقد استغل الخلاف الأخير .. بعد اخراج الخبراء السوفيت .. على أنه دليل حاسم على أن أنور السادات لن يحارب .. فكيف يمكن أن يخرج خبراء الحرب ، اذا كان يريد الحرب .. ولكن فاتهم أن السادات لم يكن ليحارب مطلقا ، بجنود أو ضباط سوفيت ..

وفي حديث خاص للرئيس أنور السادات عن قصة الخلاف من أولها إلى آخرها ، كما رواها بعد قرار الخبراء السوفيت .. أوضح السادات الحقائق التالية :

— عندما أعلنت مبادرة مارس .. استفدنا تحقيق هدفين .. أولهما استمالة أوروبا الغربية .. وثانيهما أن تكون أمامنا فرصة لمزيد من الاستعداد العسكري .. لحماية الصعيد . لقد كان موعد وصول البطاريات المتفق عليه مع الاتحاد السوفيتي في فبراير . ولكنها وصلت في شهر أبريل .

كان الموعد المتفق عليه أن تصل من ١٨ إلى ٢٢ فبراير . ولكن قيل أن مؤتمر الحزب الشيوعي كان منعقدا في ٣١ مارس .. ولم يكن الزعماء السوفيت يريدون إثارة متاعب حول مناقشات تسليح مصر في المؤتمر .. فتأخر وصول بطاريات الدفاع عن قناطر الصعيد .

ثم طلب أنور السادات السفر إلى الاتحاد السوفيتي .. وكانت أول رحلة له وهو رئيس للجمهورية .. وتمت الزيارة السرية في أول مارس ..

وانعقدت جلستان عنيفتان ، سجل كل ما دار فيهما في محضر المباحثات . كان أنور السادات يحس أنه لا يجد ردودا واضحة على ما يطلب . كان محور المناقشة .. أن إسرائيل تملك قاذفة مقاتلة أمريكية تصل إلى أعماق مصر .. ولا بد أن تحصل مصر على ما يقابلها .. ولا يمكن أن أسير دائما متأخرا عن إسرائيل .. والوقت يمضي .. والخطر يتقاسم .. وأمامي مسئولية تاريخية ...

وطلب أنور السادات •• طائرة حاملة صواريخ^(١) •

وقالوا أنها من الأسرار العسكرية • وإذا عرف الأمريكان •• فإنهم
سيصعدوا الموقف •

وقال السادات أن إسرائيل تملك السكاي هوك والفانتوم •• ومصر
لم تصل الى طائرة أحدث من الميج ٢١ •

وافق السوفيت على اعطاء طائرات حاملات صواريخ ، بطيارين
سوفيت • ولكن بشرط أن استخدامهما في القتال ، يكون بالاتفاق مع
الحكومة السوفيتية •

قال السادات : لا •• القرار قرار مصر • دربوا أولادى عليها • وعندنا
طيارون مدربون على نفس النوع من الطائرات من غير صواريخ ••

قالوا : التدريب يحتاج الى أربع سنوات ••

قال السادات : لا •• التدريب يحتاج الى أربعة أشهر ••

أصروا •

قال السادات : لا أريدها • أن أمريكا لم تشترط على إسرائيل ، عندما
أعطتها الفانتوم ، هذه الشروط •• بل أن أمريكا أنذرتنا أنها لن تستطيع
منع إسرائيل من الضرب فى العمق ••
وانتهت هذه المباحثات بصفقة أسلحة ••

فى آخر أبريل ١٩٧١ : وصلت بطاريات حماية قناطر الصعيد • موقف
السوفيت لا يزال هو الشك فى أن أنور السادات سيكمل معهم المشوار •

(١) سافر عبد الناصر الى موسكو بعد ضرب مصنع أبو زعبل ، واتفق مع
السوفيت على تزويد مصر بصواريخ سام ٣ • وأن يزودنا الروس بأنظمة
سوفيتية الى أن يتم تدريب الأطقم المصرية ، وأن يرسلوا الصواريخ بمجرد
بناء القواعد • كما اتفقوا على إرسال طائرات تصل الى عمق إسرائيل •
وأرسلوا الصواريخ ولكنهم لم يرسلوا الطائرات • وموضوع الطائرات هو
الذى أثاره أنور السادات مع السوفيت فى أول رحلة له الى موسكو بعد
توليته رئاسة الجمهورية • فاشترطوا موافقة الحكومة السوفيتية عند
استخدام هذه الطائرات اذا أرسلوها ، ورفض السادات •

المنشقون من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، يبلغون السفير السوفيتي
أن أنور السادات في أحسن الحالات .. سيضرب السوفيت بعد انتهاء
المعركة . وهذا ضاعف من شكوك السوفيت .. وهم بطبيعتهم شكاكون .

في أول مايو زيارة روجرز : ثم جاءت أزمة دولة الاتحاد .. وضع تكتل
المجموعة المنشقة .. قرر السادات تصفية الصراع داخل القيادة تحت
شعار .. « حرية رأى .. نعم . صراع .. لا » . اقالة على صبرى .
زاد تضاعف الشكوك لدى السوفيت .

وكان حوار السادات مع السوفيت يقوم على المنطق التالي : أن موقفكم
محير لى . ألجأ اليكم عسكريا .. تطالبوننى بالسعى لحل سلمى . وإذا
سعيت الى حل سلمى .. تتشككوا . فلا سلاح عندي يحسم .. ولا حل
سلمى .. إذن ماذا تريدون ؟ .. لماذا لا تناقش كل خلاف بوضوح
كامل .

وفي أواخر مايو .. فوجيء الرئيس أنور السادات ، بطلب من الرئيس
بودجورنى أن يحضر الى القاهرة . رحب السادات بحضوره ، واجتمع به
في مكتبه بقصر القبة .

وطلب بودجورنى عقد معاهدة بين مصر والاتحاد السوفيتي . وألح
في هذا الطلب ، على أنه يسير العلاقات بين البلدين على أساس واضح
سليم .

وقال له السادات : أنه يريد تفسيراً لهذا الطلب المفاجيء ، لأن
عبد الناصر ألح على السوفيت في عقد هذه المعاهدة منذ عامين .. ورفض
للسوفيت . وجدد الطلب بعد ذلك ورفض السوفيت . « والآن تطالبون
المعاهدة .. لماذا لا نؤجلها حتى تنتهى الانتخابات وينعقد المؤتمر القومى
في ٢٣ يوليو .. وتحضر أنت .. ونعلن المعاهدة في المؤتمر .. وتلقى
أنت كلمة في المؤتمر » ..

ولم يقتنع بودجورنى .. وقال للسادات أن هذا قرار المكتب السياسى
واللجنة المركزية .. وألح كثيراً أن يتم عقد المعاهدة .

ثم فاجأ السادات بودجورنى ، باستدعائه محمود رياض وزير الخارجية

الى مكتبه في حضوره .. وطلب اليه اعداد معاهدة صداقة مع الاتحاد
السوفيتي .. فوراً .. لكي توقع الليلة ..

وأنتعش بودجورنى فجأة .. وتهال وجهه بالسعادة .. كان في تقديره
أن الرئيس السادات لن يوافق .. وكان محرجاً لأنه مهمته في مصر كانت
تنفيذاً لقرار سياسى ..

وهنا قال له السادات أن المشكلة في العلاقات بين البلدين هي الثقة ..
وهو يرجو ألا تكون هناك شكوك في العلاقات .. وبهذا يمكن أن تسير في
الطريق السليم .. وهو قد قبل وجود المعاهدة .. لدعم هذه الثقة ..

وأثار السادات موضوع قاذفات القنابل ، الذى سبق أن رفضه الزعماء
السوفيت في مباحثات مارس ..

وكانت اجابة الرئيس بودجورنى وهو يحرك أصابعه :

— عد على أصابعك أربعة أيام .. وفي اليوم الخامس ستصل الطائرات ..
وسيتدرب عليها الطيارون المصريون .. وبكل شروطك ..

ومرت ٨ أشهر .. ولم يرسل السوفيت شيئاً ..

وفي يوليو .. قام الانقلاب الشيوعى في السودان .. ورفض الرئيس
أنور السادات طلباً من الاتحاد السوفيتى بالاعتراف بالنظام الجديد ..
وناقش السفير السوفيتى ، بأن المنطقة العربية لا يمكن أن تقبل نظام
حكم ماركسى .. وقال له السادات أنه سيساعد نميرى على الخروج من
هذه الأزمة .. ولم تتقبل موسكو هذا المنطق .. والمعروف أنه عندما قام
الانقلاب الثورى الذى تزعمه نميرى .. كانت موسكو مترددة في الاعتراف
به .. وقد تم الاعتراف ، بعد لقاء بين أنور السادات والسفير السوفيتى
.. أقنعه فيه بأن يسرع الاتحاد السوفيتى بالاعتراف ، لأنه نظام ثورى
يقوم على مبادئ ٢٣ يوليو ..

توترت العلاقات بين مصر وموسكو بسبب موقف عدم الاعتراف
بالانقلاب الشيوعى الذى انتهى الى الفشل .. وتطور التوتر الى شبه
قطيعة .. وتضاعفت حملة السوفيت على نظام الحكم في السودان ..

في ١١ أكتوبر : سافر الرئيس أنور السادات الى الاتحاد السوفيتي بناء على طلبه .. ذابت الثلوج بعد مناقشات حادة ، عن خطأ السلوك السوفيتي في معالجة الموقف مع السودان ..

ثم جرى الحديث عن وعد بودجورنى بارسال قاذفات القنابل بعد ٤ أيام .. وها قد مضت ٦ أشهر .. « ونحن متفقون أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم » .. كانت مناقشة عنيفة .. أثبتت في محضر المحادثات •

تدخل جريتشكو في المناقشة •

قال له السادات : يؤسفني أن أسمع هذا الكلام من ماريشال الاتحاد السوفيتي • ولو كنت قائدا للجيش المصري .. وضربت المصانع المصرية .. لما كنت تقول هذا الكلام ..

وتدخل كوسجين في المناقشة ..

ثم هدأ الجو ..

وأخيرا قال برجنيف : اسمع يا سيدى (وقرأ من بيان) .. سيكون عندكم هذه الأسلحة وقيمتها ٥٠٠ مليون روبل (دولار) ..

قال السادات : نحن الآن في أكتوبر .. ضيعتم الوقت .. كان من الممكن أن يتم كل هذا من قبل في مارس ..

قالوا : فهمنا .. وهذه « اللسته » ستصلك قبل نهاية ١٩٧١ •

وأكد أنور السادات في هذه المباحثات .. كما كان يؤكد في كل اتصالات مع الاتحاد السوفيتي على ثلاث نقاط أساسية :

١ - قرار الحرب .. هو قرار مصرى •

٢ - أن مصر لا تريد جنديا سوفيتيا يحارب من أجلها •

٣ - مصر لا تسعى الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة •

ومضى شهر أكتوبر ، ولم يتم التعاقد ..

• ووقع الرئيس أنور السادات تقويضا للبعثة المسافرة لشراء السلاح •

• وأرسل وزير الحربية الى موسكو اخطارا بأن البعثة جاهزة للسفر •

وجاء شهر ديسمبر ..

لم يجيء أى رد ..

في ٩ ديسمبر بدأت حرب الهند وباكستان .. ورصدت مصر الامدادات
السوفيتية للهند .. وفي ١٢ ديسمبر استدعى الرئيس أنور السادات
السفير السوفيتي في القاهرة .. وطلب منه توضيحا لهذا الموقف ..
لماذا لم تصل الأسلحة ؟ ..

وطلب الرئيس أن يسافر الى موسكو للاجتماع بالزعماء السوفيت ،
لتوضيح الموقف ..

وجاء الرد في ٢٧ ديسمبر أن الزعماء السوفيت مشغولون .. وهذا
كشف مقابلاتهم مع ضيوف أجانب •

وفي ٣١ يناير أبلغ الرئيس أنور السادات ، أنهم سيقابلونه في ٤ فبراير
وكان أنور السادات في قمة الحرج ..

كان قد أعلن أكثر من مرة أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون العام الحاسم
أن سلما أو حربا ..

واقترح الزعماء السوفيت بذلك .. ولكنهم عدلوا عن اقتناعهم ..

وكانت أمريكا تناور .. بأكاذيب أن نيكسون سيتدخل ويحسم الموقف
قبل نهاية ١٩٧١ •

وها هو ذا يرى نفسه .. فريسة للقوتين ..

القوة التي تعطى السلاح ..

والقوة القادرة على اقرار الحل السلمي ..

ولكنه استطاع السيطرة أخيرا على أعصابه الغاضبة.. وكان يذهب الى ميت أبو الكوم ليتيح لنفسه فرصة الصفاء الذهني ..

ولكن رأيه أستقر أخيرا على أن يتحمل .. لأن موقع المسؤولية عليه تبعات .. واستطاع أن يقنع نفسه ، بأن السوفيت كانوا يعدون لاجتماع نيكسون في مايو ١٩٧٢ • وهم لا يريدون امداد مصر بسلاح جديد ، يدفع أمريكا الى تصعيد الموقف .. ومن ثم يمكن أن يضع عقبة أمام الاجتماع الذي ينتظرونه ، ويريدون له النجاح في اقرار سياسة الوفاق ..

وسافر أنور السادات الى موسكو في ٤ فبراير ..

وسأل بريجنيف في المباحثات سؤالاً مباشراً ..

— من المسئول عن عدم تنفيذ وصول الأسلحة ..

وأجاب بريجنيف : أنا

فرد السادات : أنت تريد أن تخرجني بهذه الاجابة .. حتى لا أناقشك •

ودارت أحاديث من بريجنيف عن اعداد الجبهة الداخلية للقتال وملاهي شارع الهرم .. وأشياء أخرى كثيرة أخذوا منها الدليل ، على أن الموقف المصري غير مهياً للحرب •

وكانت اجابة الرئيس السادات على هذه التساؤلات .. أن كل هذه الاجراءات الداخلية ، يمكن أن تتم في أقصر وقت .. ولكنه لن يبدأ الا اذا حدد ساعة الصفر • ويستحيل أن يحدد ساعد الصفر .. الا بعد الاطمئنان الكامل على الاعداد العسكرية .. وانتهت المباحثات الى تفاهم ..

ووعد كوسيجين بأنه لن يكون هناك تأخير في وصول الأسلحة ، وأنه أخذ تعليمات من اللجنة المركزية أن وصول الأسلحة سيكون تحت اشرافه الشخصي ..

وفي ذلك الوقت .. أدرك الرأي العام في مصر ، أن هناك أزمات

بين مصر والسوفيت حول الأسلحة • وكانت أخبار امدادات أمريكا العسكرية لإسرائيل : تتصدر الصفحات الأولى في جميع صحف العالم • • وكثر اللغط بين أبناء الشعب • وبدأت حملة على الموقف السوفيتي على ألسنة الناس • • وفي كل مكان • •

وضج الاتحاد السوفيتي بالشكوى • •

وتصرف أنور السادات السياسي • • ودافع عن الموقف السوفيتي في مجلس الأمة • • وفي تصريحاته • • ولكنه لم يدافع كذبا • لقد ذكر ما قدمه الاتحاد السوفيتي لمصر • ولكنه لم يذكر الذي لم يقدموه •

وهذا يؤكد حرص السادات ، على الاحتفاظ باستمرار علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتي • • في ظل المصالح المشتركة • •

وفي أبريل • • طلب الزعماء السوفيت الالتقاء بأنور السادات • •

وكان السادات حريصا على توضيح وجهة النظر المصرية ، في اجتماع نيكسون مع الزعماء السوفيت في مايو • • في ظل سياسة التقارب بين العسكريين • وكانت الخشية • • ألا تعتبر مشكلة الشرق الأوسط ، مشكلة حالة مشتعلة • • بعد أن استمر وقف النار هذه الفترة الطويلة • • وأن يترك الأمر فيها لمستقبل المساعي السلمية • • التي أيقنت مصر أنها سائرة إلى الفشل ، بسبب التعنت الأمريكي الكامل • •

وفي لقاء أبريل حدد الرئيس أنور السادات موقف مصر •

حذر من أن يتفق الروس والأمريكان ، على تحديد إرسال السلاح إلى دول النزاع في الشرق الأوسط • كانت أمريكا نشطة في هذا الطلب من الاتحاد السوفيتي • • وإذا حدث • • فهذا يعني أننا لن نستكمل قوتنا المسلحة القادرة على الحرب ، في الوقت الذي أصبحت فيه إسرائيل ترسانة عسكرية حديثة • • وهذا يعني إجبارنا على الركوع والاستسلام • • وحذر الرئيس السادات من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب • وأوضح أنها تسيء إلى موقف الاتحاد السوفيتي وسمعتة بين البلاد العربية • لأنها تعني مساعدة إسرائيل على اقرار الأمر الواقع • • ثم موت القضية • • وأكد الرئيس موقف مصر المبدئي من تطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ،

وهو أنه لا مناقشة في الحدود على الإطلاق • ولا تفريط في شبر من الأرض • مع استعدادنا لتقبل الضمانات الدولية العادلة •

وتفهم الزعماء السوفيت وجهة نظر مصر تماما ••

وأرادوا أن يقوموا بعملية سياسية لتصعيد الموقف شكليا : أمام أمريكا ، قبل رحلة نيكسون ••

تقرر أن يحضر الماريشال جريتشكو الى مصر ومعه ميغ ٢٣ •• وطيرها في سماء مصر •• وأعلن بيانا معدا من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، اثنى فيه على كفاءة الطيارين المصريين •• مما يوحي — كذبا — أن الطيارين المصريين يستخدمون الميغ ٢٣ المتوفر في القوات المسلحة المصرية ••

كان هذا هو الهدف السياسي ••

ووافق أنور السادات على إعلان بيان جريتشكو •• كورقة سياسية ، وأن كان رأيه أنها ورقة خائبة •• لأنها تصعيد شكلي •• بينما تصعيد أمريكا يتخذ الأسلوب العملي وهو مد اسرائيل فعلا بالمقاتلات والأسلحة الحديثة •• واعترض السوريون على اذاعة بيان جريتشكو •• مادام لا يعبر عن واقع • ولكن أنور السادات أمتنعهم ، بألا خسارة من هذا البيان ••

وطلب الرئيس من وزير الحربية اعطاء نياشين لجريتشكو وكل ضباط البعثة العسكرية التي حضرت معه حتى أصغر ضابط ••

وحمل الرئيس الماريشال جريتشكو رسالة منه الى الزعيم برجنيف . خلاصتها :

* مصر تخشى ألا يسفر اجتماع نيكسون مع السوفيت عن أية نتيجة ايجابية نحو أزمة الشرق الأوسط •

* موقف أمريكا عام ١٩٧٢ سيء •• وسيزداد سوءا •

* الوقت بعد اجتماع موسكو سيكون ضيقا جدا •• ولا بد من عمل شيء قبل انتخابات الرئاسة في أمريكا •

* مصر تؤيد موقف السوفييت نحو إعادة انتخاب نيكسون • فهو أخف الأضرار بالنسبة لنا • • لأنه من الأفضل التناهم معه بعد إعادة انتخابه • • بدلا من أن نبدأ من نقطة الصفر مع رئيس أمريكي جديد •

لا شيء يعزز موقفنا في الاتصالات السياسية لتحريك القضية • • الا الارتكاز على موقف عسكري قوى ، وتسليح قادر على الحرب • • وقد أقر الزعيم برجنيف من قبل هذا التصور •

وقال السادات لجريتشكو : أنه ينتظر تحليلا من الزعماء السوفيت بعد زيارة نيكسون عن النتائج المتوقعة • • وأنه يحس بخطورة مرور الوقت •

بعد ١٥ مايو وصل التحليل السوفيتي •

كان تحليلا نظريا في كل صفحاته • • ولم يضع النقط على الحروف ، بأسلوب عملي • • وخلاصته أن الاستعماريين الامبرياليين الأمريكيين • • لا يزالون عند موقفهم •

ورد الرئيس أنور السادات على الزعيم برجنيف • • برسالة حدد فيها خطة عمل تعبر عن رأى مصر في ٧ نقاط محددة • •

وطلب الرئيس ردا سريعا لأن الوقت يجرى • •

ومرت ٣ أسابيع ولم يرد الزعماء السوفيت •

استدعى الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء السفير السوفيتي • • وكان حديثه معه بلغة تفتقد الى الليونة • • وعبر عن أن مصر ترى في هذا الصمت أهانة غير مقبولة • واستدعى الدكتور مراد غالب وزير الخارجية السفير السوفيتي أيضا • • وأبلغه احتجاجا على التأخر في الرد على رسالة الرئيس •

وجاء الرد مع ذلك في ٨ يوليو • • أى بعد شهر ونصف من رسالة السادات وطلب السفير السوفيتي يوم الخميس أن يقابل الرئيس •

وأجل الرئيس موعد اللقاء الى يوم السبت •

وكان الرئيس متوقعا أن الرد لن يقدم جديدا .. فقد كان واضحا من بيان موسكو أن القوتين اتفقتا على تجميد الموقف .. واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم .. وهذا يعنى دفع مصر الى الاستسلام .

وحضر السفير السوفيتى الى قصر الطاهرة ..

وحضر اللقاء أيضا حافظ اسماعيل مستشار الرئيس .

واستمع الرئيس الى الرد السوفيتى باللغة العربية . صفحتان ونصف صفحة . وكان الرئيس يستمع وعصاه الرفيعة (التى يعتز بها منذ حرب فلسطين) تحت أبطه .. كانت الصفحة الأولى .. شرح للجهود الشديدة التى بذلها الزعماء السوفيت لاقناع نيكسون أن يتضمن بيان موسكو اشارة الى قرار مجلس الأمن ومهمة يارنج . وأن الحكومة الأمريكية ستكون بعد انتخابات الرئاسة فى وضع تقدر فيه مصالحها ..

ولم يكن هذا بالشئ الجديد .. لأن اشارة أمريكا الى قرار مجلس الأمن لا تعنى شيئا . وسبق أن ملا جولد برج (الصهيونى) ممثل أمريكا فى الأمم المتحدة ، الدنيا صياحا ، بأن أمريكا ستقف وراء تنفيذ القرار .. ولم يحدث شئ طبعاً ..

كما أن مصر تلقت من واشنطن فى تلك الأيام بالذات .. رسالة تعرض فيها حلاً جزئياً جديداً (كان مرفوضاً من السادات) وتؤكد نواياها فى متابعة الجهود السلمية رغم الانتخابات .

ثم تابعت الصفحة الثانية من الرسالة .. تفنيدياً لما يقال من أن الاتحاد السوفيتى يرى فى مصلحته بقاء حالة اللاحرب واللاسلم .. وأن من ينشرون هذه الدعوة هم اعداء الاتحاد السوفيتى ..

ثم سطور عن أن المعركة تحتاج الى اعداد شعبى ونفسى .. والى تهيئة الروح المعنوية للحرب واعداد الدولة لها ..

وكان السطر الأخير من الرسالة يقول « أما عن مطالبكم فهى موضع دراسة » .. وسيطر أنور السادات على أعصابه فى صبر حتى انتهى من سماع الرسالة ..

وأسند يده على عصاه ، ونظر الى السفير السوفيتى فى غضب وسأل :

— هل انتهت الرسالة ..

السفير : نعم ..

السادات : هل هذه هى كل الرسالة ؟ ..

السفير : نعم ..

السادات : هذه الرسالة مرفوضة شكلا وموضوعا • وأنا لا أقبل أن
يجيء لى رد بعد شهر ونصف • وكفى أننى تحملت هذا الأسلوب عاما
ونصف عام ••

• لم ينفذ برجنييف وعده لى فى مارس ١٩٧١ •

• لم ينفذ برجنييف وعده لى فى مايو ١٩٧١ •

• لم ينفذ برجنييف وعده الثانى فى أكتوبر ١٩٧١ •

وغضبت جماهير الشعب المصرى • وتحملت • واتهمتكم الجماهير
وداشت عن مواقفكم لأننى حريص على استمرار الصداقة والتعاون ••
ولكننى أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفيت ، أننى لن أتحرك على
مزاج الاتحاد السوفيتى • أنتم غير جادين معنا • لقد اتفقتم مع الأمريكان
على تجميد الموقف ، وعدم قيام المعركة • ولكننى لن أقبل وصاية دنكم
ولا من أمريكا ••

ثم وجه كلمة الى مستشاره حافظ اسماعيل ••

— النهاردة كام فى الشهر ••

حافظ : ٨ يوليو ••

الرئيس : أكتب يا حافظ كلمة سأمليها عليك •• ابتداء من هذه الليلة
كل طرق التعامل مع الاتحاد السوفيتى موقوفة • تنهى خدمات الخبراء
السوفيت • المبانى العسكرية تعتبر ملكا لمصر • الأسلحة الموجودة بها
أما أن تباع لنا صباح ١٧ يوليو أو تسحب ابتداء من ١٧ يوليو •

وبالنسبة لتنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية .. لابد أن تجرى مباحثات
بين البلدين على أعلى مستوى .. وفي القاهرة .

السفير : أسمح لى أن أسأل يا سيادة الرئيس .. هل أرسل هذه
القرارات الى موسكو .. على أنها للتفاوض بشأنها ..

الرئيس : لا .. هذه قرارات سيادة غير قابلة للمناقشة .

ثم قال الرئيس لمستشاره : يا حافظ .. هذه القرارات تبلغ فوراً الى
وزير الحربية للتنفيذ صباح ١٧ يوليو ..

وأنهى الرئيس المقابلة ..



وألقى أن الرئيس أنور السادات لم يتخذ هذه القرارات على أساس
انفعالى .. لقد ظل يفكر طويلاً .. وكان يستمر مستيقظاً حتى الرابعة
صباحاً ، فى شرفة استراحة القناطر .. ثم يستريح قليلاً .. ويستيقظ ..

أن وجود قوات سوفيتية فى مصر .. سيكون عائقاً فعلاً عن المعركة .
فليس من المعتول أن نقاتل وعلى أرضنا قوات أجنبية .

أن كل دعاية إسرائيل ومناوراتها السياسية تتركز على أنها ستحارب
جيشاً سوفيتياً فى مصر .. ولذلك فهى تسرف فى طلب الأسلحة المتقدمة
من أمريكا وتحصل عليها ..

ان قاعدة الانطلاق فى فكر أنور السادات .. نحو هذا القرار .. هى
قاعدة السيادة الوطنية .. فنحن متهمون بأننا فى حماية قوات سوفيتية .
وفى الوقت نفسه ، فان كل جهود السوفيت قائمة على اقناعنا بالصبر ..
وعدم المخاطرة بالحرب .. وانتظار نجاح المساعى من أجل تسوية سلمية .

وكان القرار مفاجأة عالمية كبرى ..

واستغلته صحف الغرب الموالية للصهيونية .. بأن هذا يعنى تماماً أن
أنور السادات فقد حليفه الوحيد .. وأنه لن يكون قادراً على الحرب .
وتوشتت مقالات عديدة من كتابهم انهيار حكم السادات من الداخل . وبعد

أن كانت إسرائيل ، تصرخ ، بأنها سوف تحارب جيشا سوفيتيا في مصر •
أصبحت تقول •• ان هذا يعنى أن مصر أصبحت عاجزة عن القتال تماما
وانطلقت في سياسة العريضة ••

ورحب الشعب المصرى بالقرار ترحيا •• ارتفع الى مستوى ترحيبه بقرار
تأميم قناة السويس •

وتصور البعض أن هذا القرار تم بالاتفاق مع أمريكا ••

وهذا غير صحيح ••

بل أن كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية ذكر في أحد لقاءاته مع العرب
أنه يتعجب من شخصية أنور السادات الذى لم يساومه على قرار اخراج
الخبراء السوفيت قبل أن يتخذه ••

وكان اليسار المتطرف المحلى والعربى مقتنعا أن هذه الخطوة تمت
بالاتفاق مع أمريكا •• وتضاعف التهم على أنور السادات ••

ثم بدأ نقد غريب للقرار من العناصر اليسارية ، اتخذ أسلوبا ذكيا ،
لا يكشف عن خلفياته •• النقد يقول •• كان يجب على السادات قبل أن
يتخذ القرار ، أن يعرف ماذا سيكون المقابل الذى سيجنيه من أمريكا ••
كانت هذه العناصر اليسارية تردد وجهة نظر كيسنجر !



وأذكر أن قائد الجيش فى احدى الدول الاشتراكية •• التقى بمسئول
مصرى فى عاصمة بلاده بعد اعلان هذا القرار •• وأدى هذا القائد التحية
العسكرية وقال للمسئول المصرى •• أرجوك أن تبلغ الرئيس السادات ،
أننى أعظمه بالتحية العسكرية لهذا القرار الوطنى الشجاع ••

وكان موقف الصحفيين السوفيت الذين كنا نلتقى بهم •• وكانوا طبعا
يعبرون عن رأى الرسمى •• يتبلور فى عدة أسئلة يوجهونها ••

أيهما أفضل للدفاع عن مصر •• ضد أى عدوان اسرائيلى محتمل •• أن
تكون على أرضكم قوات سوفيتية •• أو بدونها ؟ ••

أيهما أفضل اذا كنتم تستعدون للحرب فعلا •• أن تفيدوا من خبرة
الخبراء •• أو تفقدوها ؟ ••

أنكم تتحدثون عن الحرب .. ولكنكم لا تريدون الحرب .. وأنتم تريدون أن تبرروا ذلك بعدم حصولكم على الأسلحة من السوفيت . ان ما لديكم يكفي للقتال اذا كنتم تريدون فعلا القتال .. ولكن الحقيقة أنكم لا تريدون ..

اذا كنتم تريدون القتال حقا .. فيجب أولا أن تتحقق وحدة عربية .. ويجب أن تكون لديكم قاعدة اقتصادية قادرة على الحرب .. ويجب أن تكملوا الاستعدادات الداخلية .. نقل الآثار .. تجهيز المستشفيات .. اعداد الدم .. التدريب على الدفاع المدني .. أن تعيش أجهزة أعلامكم جو الاعداد للقتال .. ولكنكم لا تفعلون شيئا من كل هذا .. وتكتفون بالحديث عن الحرب ..

وكان السوفيت — من قبل — كما ذكرت — يعترضون على أن يكون عام ١٩٧٢ هو عام الحسم . وأذكر أن السفير السوفيتي دعا عددا من الكتاب والصحفيين الى عشاء قبل سفر الرئيس الى موسكو .. في رحلته الأخيرة . وجاءني من يقول أن السفير السوفيتي يرغب أن تجلس الى مائدته . وقيل مثل ذلك ليوسف السباعي واحسان عبد القدوس .. وأحسست بعد المناقشة أن السفير تعمد أن يوضح لنا وجهة نظر السوفيت واستشهد في ذلك بمثل سوفيتي يقول ما معناه .. عندما أدخل حجرة فيجب أن أعرف كيف أخرج منها . فلماذا تغلق مصر الباب على نفسها وتحدد نهاية عام ٧٢ بأنها النقطة الفاصلة ..

وأذكر أنني رددت عليه ضاحكا .. مادام في الحجرة نافذة .. نستطيع أن نخرج منها بدلا من الباب ..

واستمر السوفيت على موقفهم .. وهو أنه علينا أن نتجنب الحرب ، ونستمر في المساعي السلمية حتى بعد أن تحسنت العلاقات .. وسارت في مجراها الطبيعي ..

وقد جاءت وفود عديدة من موسكو الى القاهرة .. للاتصال بالتنظيم السياسي ورجال الاعلام ..

وزارني وفد برياسة الكسندروف نائب وزير الكهرباء .. وكل الوفد من رجال صحافة وأعضاء في اللجنة المركزية ..

وكان محور النقاش الذى استمر فى مكتبى أكثر من ساعتين بحضور
الأستاذ خالد محيى الدين .. أنه من صالحنا أن نترك تماما فكرة الحرب •
وأن نكرس كل جهودنا من أجل السلام .. وأخذ يعطينا احصاءات وصورا
عن ويلات الحرب وخطورتها ..

وأخيرا .. ضجر الرجل من نقاشنا .. ومن اصرارنا على أن الحرب
هى الحل الوحيد .. فقال غاضبا :

— أنتم أحرار .. أننا لا نقيد أياديكم بالسلاسل حتى لا تحاربوا ..
إذا كنتم قادرين على الحرب .. حاربوا .. وسوف تتحملون أنتم التبعات
وهذا قراركم وليسنا مسئولين • ولكننا نحذركم كأصدقاء ..



أعود الى قرار الرئيس بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت ..

لقد نفذ القرار فى عشرة أيام • وخرج ١٠ آلاف سوفيتى أو أكثر •
وأقامت الوحدات العسكرية المصرية اجتماعات تكميمية لهم قبل رحيلهم •

ولم يعترض السوفيت • ولم يتكاسلوا فى تنفيذ القرار • والحق أن
الاتحاد السوفيتى أثبت بتنفيذه للقرار أنه ليس الدولة التى وضعت
جنودها فى أرض أخرى ، لأى هدف غير الهدف الذى من أجله طلب
أصحاب الأرض وجودهم فيها ..

ولكنهم فى الوقت نفسه .. غضبوا من مفاجاتهم بالقرار • وكان
الرئيس قد أوعد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى الاتحاد
السوفيتى ، وعرض أن يصدر بيان مشترك بخروج الخبراء وشكرهم
على ما أدوه من خدمات .. ولكن السوفيت رفضوا البيان • وفضلوا أن
يكون ذلك بقرار من جانب واحد هو جانب مصر .. تعبيرا عن ألمهم من
المفاجأة •

وعاد الدكتور عزيز صدقى من موسكو وقال رئيس الوزراء لرؤساء
تحرير الصحف أن السوفيت لم يناقشوا مطلقا فى موضوع القرارات

ولكن فى أسلوب اصدارها • وقد أبلغوا رئيس الوزراء أنهم مستمرون
فى تنفيذ تعهداتهم ••

وقد قدر السوفيت خطورة آثار القرار على وضعهم فى الشرق
الوسط •• وتم الاتفاق على أن تحصر نتائج هذه العملية فى إطارها ••
أما العلاقات الأخرى فهى مستمرة ••

وقال عزيز صدقى : وكان شعور السوفيت فى نهاية الزيارة شعورا
طيبا • ولكنى لا أعرف ما فى القلوب ••

واستمر الموقف راكدا ••

وتطوعت آراء كثيرة وبالقول أن مصر خسرت بهذا القرار • وأنها
أصبحت الآن وحدها معلقة فى الهواء ••

ولكن الواقع أن السوفيت •• لم يكونوا يريدون أن يستمر وضع
القطيعة •• وكذلك القاهرة •• وفك حلقة الجمود الرئيس حافظ الأسد
عندما سافر الى موسكو فى رحلة للتعاقد على أسلحة •• وفتح موضوع
العلاقات المصرية مع الزعماء السوفيت •• ووجد استجابة لبداية
مباحثات جديدة مع مصر •• وحضر حافظ الأسد الى القاهرة وهو فى
طريق عودته الى دمشق •• وتم الاتفاق مع الرئيس السادات •• على
أن يسافر الدكتور عزيز صدقى فى رحلة مباحثات الى موسكو ••

وقبل أن يسافر عزيز صدقى الى موسكو فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٢ •• كانت
قد نشأت تطورات زادت من سوء العلاقات ••

لقد نما الى علم القاهرة ، أن الاتحاد السوفيتى أعطى تعليمات الى
سفرائه فى الخارج — فى أغسطس ١٩٧٢ — لكى ينشروا فى الأوساط
الدبلوماسية أن مصر طلبت قوات سوفيتية لكى تحارب لها ، وأن موسكو
رفضت هذا الطلب •• وهذا هو سبب قرار أخراج الخبراء السوفيت ••

ثم نشرت تحليلات فى بعض الصحف الشيوعية تدور حول اتجاه مصر
الى الغرب •• وأن قرار الخبراء السوفيت سببه أن مصر لا تريد أن
تحارب ، ولكنها تحاول أن تلقى الأسباب فوق اكتاف الاتحاد السوفيتى.

•• وعلمت القاهرة أيضا أن مثل هذه الأقوال بدأت تتسلل الى الداخل
•• والى بعض مواقع الطلبة والعمال ••

ولكن مصر الرسمية قررت أن تحتفظ بتوازنها •• وألا تفتح معركة
أعلامية أو سياسية مع الاتحاد السوفيتي •• واكتفى في ذلك بمقالات
موضوعية تناقش موضوع العلاقات دون مهاترات • وكان الخط السياسي
أن تحتفظ مصر بالخلاف في داخل حدوده دون تجاوز ذلك ••

وأصدرت اللجنة المركزية بيانا سياسيا ، وزع على مختلف قواعد
التنظيم لايضاح الموقف •

وخلاصته • • أننا نحرص على الصداقة الحقيقية •• كما نحرص على
المصالح المشتركة للبلدين •• ونحذر من استغلال العدو للموقف • كما
أن مصر تريد علاقات صريحة واضحة مع الاتحاد السوفيتي في اطارها
الصحيح ، توضح حدود الدعم العسكري السوفيتي بلا غموض • كما
ناقش البيان سياسة الوفاق ••



وعاد الدكتور عزيز صدقي من رحلته الثانية الى الاتحاد
السوفيتي (١) ••

وأعلن في بيان ألقاه في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ،
أنه وفق الى الاتفاق على اطار طبيعي جديد للعلاقات بين البلدين •

وانتشرت اشاعات بين الجماهير •• بأن الخبراء السوفيت سيعودون
الى مصر •• وأن أنور السادات تراجع عن سياسته •• ومرت فترة
بليلة داخلية ، ساعدت عليها الحرب النفسية ••

وقد حدد الاتحاد الاشتراكي العربي طبيعة المرحلة الجديدة في
العلاقات مع الاتحاد السوفيتي •• وأصدر بيانا تنظيميا وقال البيان :

(١) قالت صحيفة البرافدا لسان الحزب الشيوعي السوفيتي الرسمية
في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ :

« ان نتائج زيارة عزيز صدقي بددت كل الافتراءات التي رددتها الدوائر
الرجعية حول العلاقات المصرية السوفيتية بهدف وضع أسفين بين البلاد
العربية والاتحاد السوفيتي » .

— فى آخر أغسطس الماضى أصدرت الأمانة العامة بياناً تنظيمياً عن العلاقات المصرية السوفيتية ، فى ظل قرارات ٨ يوليو التى أصدرتها القيادة السياسية ، والخاصة بانتهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت فى مصر ، وتحديد الموقف بالنسبة لبعض الممتلكات والأسلحة السوفيتية الموجودة على أرض مصر .. ثم القرار الثالث الخاص باقتراح عقد اجتماع مشترك بين الجانبين المصرى والسوفيتى لاجراء مشاورات تتعلق بالمرحلة الجديدة .

وقد حدد البيان الأوجه الايجابية فى الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى . كما حدد أوجه الاختلافات الهامة فى الاستراتيجية والمبادئ بين الصديقين . ثم خلاص الى النتائج الموضوعية لأوجه الاختلاف ، ومنها ان الاتحاد السوفيتى لا يرى أن التحرك لحسم قضية الاحتلال عن طريق المعركة أمراً حتمياً ، وواجباً ، مما ترتب عنه صعوبات عديدة فى تزويدنا بما نحتاج اليه من أسلحة هجومية ، ومنها أن التقارب السوفيتى الأمريكى ، دخل مرحلة جديدة واستمر التصعيد الأمريكى فى الدعم العسكرى لإسرائيل .. وخلص البيان الى أن حرصنا على الصداقة المصرية السوفيتية حماية للمصالح المشتركة للشعبين ، يدعو الى أسلوب جديد تقوم فيه الصداقة على أساس موضوعى صريح واضح ، يحدد فيه الصديقان طبيعة المصالح المشتركة وحجمها ..

ومن هذا المنطلق ، بعث الرئيس أنور السادات ، برسالة الى الرفيق بريجنيف فى ٣١ أغسطس رداً على رسالة الرفيق بريجنيف التى تلقاها الرئيس فى ٣١ يوليو التى عرض فيها رؤية الجانب السوفيتى للموقف بعد قرارات ٨ يوليو ..

وتضمنت رسالة الرئيس أنور السادات ما يلى :

- ١ — مصارحة كاملة للقيادة السوفيت بكل أسباب الأزمة .
- ٢ — تأكيد واثق ، بأن المعركة ، والمعركة وحدها — هي محركنا الأول فى علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى .
- ٣ — شرح واف ، للتصاعد الخطير فى حجم ونوع الأسلحة الأمريكية لإسرائيل . مما يقتضى تزويد القوات المسلحة المصرية بالأسلحة الهجومية الرادعة .. كما سبق أن سجل الرئيس أنور السادات فى مباحثاته السابقة مع الزعماء السوفيت .

٤ - تنبيه واضح للجانب السوفيتي الى أهمية الاتفاق على أسلوب جديد للعمل ، يضمن مواجهة الاستراتيجية الاسرائيلية الأمريكية في المنطقة ، التي تستهدف تصفية القضية العربية نهائيا ، وفرض شروط اسرائيل للاستسلام في حماية قوة ردع عسكرية تضمن أمريكا تفوقها وتساعد حجمها ، وكفائتها بغير حدود .

وفي ٢٧ سبتمبر سافر الرئيس السوري حافظ الأسد الى الاتحاد السوفيتي ليجتمع مع القادة السوفيت موضوع تسليح القوات المسلحة السورية ، والموقف العسكري المترتب على العدوان الأخير . . . وخلال تلك المباحثات تعرض الجانبان للعلاقات العربية السوفيتية ، والعلاقات المصرية السوفيتية بوجه خاص ، والرسائل المتبادلة بين الرئيس السادات والرفيق بريجنيف . والرئيس السوري ، كان على بينة كاملة بكل التفاصيل المتصلة بموقف مصر . وعاد الرئيس الأسد من موسكو الى القاهرة في ٢٩ سبتمبر ، وعرض على الرئيس السادات ، كل جوانب ما دار في مباحثاته مع القادة السوفيت ، وخاصة بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية . ومن هنا رأى الرئيس أنور السادات ، أن الظروف الموضوعية تقتضى أعمال القرار الثالث من قرارات ٨ يوليو ، في ضوء الصورة التي جاء بها الرئيس حافظ الأسد من موسكو . ومن ثم قرر ايفاد الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء الى موسكو في ٦ أكتوبر لاجراء مباحثات مع الجانب السوفيتي في اطار النقاط المحددة الواضحة التي تضمنتها رسالة الرئيس أنور السادات الى الرفيق بريجنيف^(١) . وبذلك سوف تعالج المحادثات :

(١) . . قامت مصر أيضا بمبادرة صداقة طيبة من جانبها في ديسمبر ١٩٧٢ . كان باقيا ثلاثة أشهر على انتهاء اتفاقية تسهيلات البحر الأبيض . كانت تنتهي في مارس . والاتفاقية لمدة ٥ سنوات ، وقبل ثلاثة أشهر من انتهائها يتفق الطرفان على انهاءها أو مدها . وقد كلف الرئيس السادات المشير أحمد اسماعيل بأن يبلغ الملحق العسكري في السفارة السوفيتية ، بأن مصر قررت من جانبها مد هذه الاتفاقية . ثم سافر المشير أحمد اسماعيل الى موسكو . وتمت صفقة أسلحة . ومن فبراير ١٩٧٣ بدأت العلاقات تأخذ الشكل العادي الطبيعي . وبدأت تصل الأسلحة . وجاء مؤتمر نيكسون الثاني مع الزعماء السوفيت في يونيو ١٩٧٢ ، وفيه اتفق على ألا يحدث ما يعكر السلام في جميع أنحاء العالم . وكان الموقف في فيتنام قد هدا . وبقي الشرق الأوسط . وكان هذا يعنى تجميد القضية المصرية نهائيا في ثلاثة القوى الكبرى .

((من كلمات الرئيس في جلسة مغلقة))

١ - الآثار المترتبة على الدعم العسكرى الأمريكى المطلق لاسرائيل ،
الذى يمكنها من العدوان بغير رادع على الشعب المصرى فى كل مواقع
مجاورة لاسرائيل .

٢ - مدى التزام الاتحاد السوفيتى الصديق . بالنسبة للتسليح الذى
يضعنا على قدم المساواة فى القدرة العسكرية مع العدو ، بعد أن استبان
بجلاء الموقف الأمريكى فى الدعم المطلق للعدو .

٣ - مدى تمايلية الاتحاد السوفيتى لتحرك السياسى والعسكرى
الايجابى ، أمام التحرك الأمريكى السريع سياسيا وعسكريا فى مواجهة
أى حادث طارئ فى منطقة الشرق الأوسط وخارجها .

٤ - صورة واضحة لضرورات المعركة فى ظل الاعتبارات الأساسية
السابقة ، ومدى استجابة الاتحاد السوفيتى لمتطلباتها .

٥ - التحديد الصريح لطبيعة العلاقات المصرية السوفيتية فى المرحلة
الجديدة ، فى جوانبها العسكرية والسياسية ، على أسس حقيقية .

٦ - التأكيد المصرى بأن بلادنا تحارب معركتها بأبنائها وبقرار منها
وفى ظل مسئوليتها التاريخية وحدها .

وهنا يمكن أن تثار هذه الأسئلة :

السؤال الأول :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيها الى نتائج
تستجيب الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا .. ان قرار
٨ يوليو الأول الخاص بأنهاء مهمة المستشارين العسكريين السوفيت ..
يحتمل مناقشة جديدة ؟ ..

والجواب : لا .. قطعا وحسما .. ان قرار ٨ يوليو الذى أنهى مهمة
المستشارين العسكريين السوفيت .. قرار لا رجعة فيه ..

السؤال الثانى :

هل يعنى اجراء هذه المباحثات الجديدة ، بل والوصول فيها الى نتائج
الى كل متطلبات الموقف المصرى عسكريا وسياسيا .. ان قرار ٨ يوليو
الثانى الخاص بتولى القوات المسلحة المصرية أمر كافة المنشآت والأجهزة
العسكرية التى أقيمت على أرض مصر .. يحتمل مناقشة جديدة ..

**والجواب : لا .. قطعاً وحسماً .. ان قرار ٨ يوليو الثانى ، قرار
لا رجعة فيه .
لماذا ..**

ان هذين القرارين يمثلان جانبا من الاستراتيجية الوطنية ، وليسا
من قبيل المناورة أو الضغط .. ولقد نفذنا تنفيذاً كاملاً فى ١٧ يوليو .
واثبت ذلك أن القرار السياسى فى مصر ، لا ينبع الا من الارادة الوطنية
فى ظل أى وضع وتحت أى ظروف ، وقضى بذلك على كل الدعاوات
المضلة التى دأبت أمريكا واسرائيل على اطلاقها عن السيادة المصرية .
وخلص البيان الى أن الهدف من المباحثات ، وضع العلاقات المصرية
انسوفيتية فى اطارها الصحيح ..



وعاد الدكتور عزيز صدقى من موسكو .. والتقى بيانا فى اللجنة
المركزية صباح ٢٢ أكتوبر ١٩٧٢ عن نتائج مباحثاته (١) . وكان واضحاً

(١) .. تضمن بيان الدكتور عزيز صدقى أمام اللجنة المركزية الفقرات
الذالية . ولكن هذه الفقرات حذفت عند نشر البيان فى الصحف بطلب من
الدكتور عزيز صدقى . وهذه الفقرات هى :
— « قد يكون فى الصحافة المصرية رجعيون ، وقد يكون فى مواقع الحكومة
بعض غير المؤمنين بالاشتراكية . وهذا موجود فى كل بلد ، واعتقد أنه فى
البلاد الاشتراكية أيضاً » .
— « لقد شعرنا ان الاتحاد السوفيتى قد ذهب فى معاونتنا الى حد معين ،
ثم أصبحنا نعتقد أنه لا يريد أن يذهب أبعد من ذلك فى مساعدته لنا ، لقد
قدم لنا المساعدات التى تمكنا من الدفاع عن أنفسنا ، ولكنها لا تكفى كما
نتصور لتحرير أرضنا » .
— « دخل الاتحاد السوفيتى نتيجة للمباحثات التى تمت فى تعديلات جديدة
معنا . ويكفى أن أنكر أنه قد تم الاتفاق على أن يسافر وفد عسكري الى
الاتحاد السوفيتى فى الفترة من ١٠ الى ١٥ نوفمبر » .
وواضح من الحذف أن الاتحاد السوفيتى أثار موقف الصحافة المصرية .
وكان يتهم الكتاب الذين ينتقدون موقفه بالرجعية والعمل لحساب قوى
الاستعمار أو لحساب الصين الشعبية . ولكن رثى أن ذكر هذا فى البيان
يوجه اهانة الى الكتاب المصريين . وواضح من الحذف أيضاً أن السوفيت
ناقشوا موضوع التطبيق الاشتراكى ، وأن الجهاز القائم على التطبيق
لا يؤمن بالاشتراكية .
والفقرة الثانية التى حذفت تعبر عن الخلاف فى وجهات النظر حول التسليح
وكيانه ونوعياته .
والفقرة الثالثة كانت تذيع ما أريد أن يبقى سرا ، وهو أن وفداً عسكرياً
سيسافر الى موسكو للاتفاق على صفقات أسلحة جديدة .

أنه نجح . فى إعادة الحياة الى مجاريها ، على أسس واضحة . ثم تتابعت بعد ذلك وفود مصرية سياسية وعسكرية الى العاصمة السوفيتية .. ولكن الاتحاد السوفيتى .. كان عند موقفه الاستراتيجى الأول .. وهو تفضيل المساعى السياسية السلمية .. على تحريك القضية بالقتال .

ولكن نم يزر أحد من زعماء الاتحاد السوفيتى القاهرة .. باستثناء كوسيجين بعد قيام حرب أكتوبر .. ثم جروميكو بعد اتفاق الفصل بين القوات^(١) ..

(١) .. وبدأت حرب أكتوبر . وكانت على غير ارادة القوتين الكبيرتين . الاتحاد السوفيتى كان يفضل الحل السلمى . وأمريكا كانت تتصور أن مصر لن تقوى على محاربة إسرائيل وتدعو الى استمرار وقف النار . وفى الساعة الثالثة من مساء ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ حضر كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى القاهرة . وحضر الى القاهرة فجأة وفى طائرة خاصة لم يعلن عنها الا عند وصولها الى مطار القاهرة ، وزير خارجية يوغوسلافيا ومعه سفيرنا سعد عفره . وكان الاتحاد السوفيتى يلح على وقف النار . وكان برجنيف قد اتصل بالرئيس تيتو وطلب اليه أن تقدم يوغوسلافيا الى مجلس الأمن على وجه الاستعجال مشروع قرار يوغوسلافى بوقف النار . وأكد برجنيف أن الاتحاد السوفيتى وأمريكا متفقان على ذلك ، ولكن الهدف هو أن يقدم من دولة أخرى . وأبلغ تيتو معلومات غير صحيحة عن سوء الموقف العسكرى المصرى . واستقبل الرئيس السادات الرفيق كوسيجين أكثر من مرة ، الذى كان يجرى اتصالات مباشرة يوميا أكثر من مرة بزعماء الاتحاد السوفيتى فى موسكو . وكان كسينجر وزير الخارجية الأمريكى فى موسكو أيضا فى ذلك الوقت . كما استقبل الرئيس السادات وزير الخارجية اليوغوسلافى بعد وصوله مباشرة ، وكان الرئيس قد عرض مشروعا للسلام فى مجلس الشعب فى ذلك الصباح . وكانت وجهة نظر الرئيس السادات أنه لن يوقف النار والقوات المصرية منتصرة ، الا اذا تعهدت القوتان الكبيرتان بالتطبيق الفورى لقرار مجلس الأمن وضمان الانسحاب الاسرائيلى الكامل . وتدخل رئيس وزراء بريطانيا برسالة خاصة الى الرئيس السادات قدمها اليه السفير البريطانى فى ساعة متأخرة من الليل .

وبدأت حكاية الثغرة ، والتدخل العسكرى الأمريكى بالأسلحة الحديثة . واتفق على وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر . ولم تحترم إسرائيل الاتفاق . وأعلن الرئيس السادات أنه وافق على وقف النار بعد ضمان القوتين الكبيرتين للانسحاب الكامل ، وأنه لن يحارب أمريكا . ولم تضمن أمريكا وقف النار . وتركت إسرائيل توسع من عبورها بالأسلحة الأمريكية الحديثة ، لكى تدعم موقفها فى المباحثات السياسية بعد ذلك . وطلب السادات التدخل العسكرى من كل من الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، لتنفيذ وقف النار . وتحركت قوات سوفيتية من البحر الأسود . وأعلنت أمريكا حالة الطوارئ الذرية . ثم تم وقف النار فى ٢٦ أكتوبر . وبدأت اتصالات السلام . وحضر كسينجر الى القاهرة . وتكررت رحلاته . من هنا بدأت المتاعب من جديد مع الاتحاد

السوفيتي . لقد تصور مرة أخرى أن مصر ترسي علاقات جديدة مع أمريكا على حساب علاقتها بالاتحاد السوفيتي الذي لم يعد له دور ظاهر في مباحثات السلام . والذي لم يحضر اتفاق الفصل بين القوات . وبدأ الاتحاد السوفيتي سلسلة من الضغوط على مصر ، لا مبرر لها ، إلا هذا الوهم الخاطيء ، لأن مصر حريصة فعلا على علاقتها بالاتحاد السوفيتي . امتنع الاتحاد السوفيتي عن تعويضنا عن الأسلحة التي خسرناها في القتال ، رغم أن أمريكا عوضت إسرائيل . ثم أعطانا بعض الأسلحة . ولكنه امتنع عن تعويض الطائرات . ثم طالب بسداد أقساط الديون والفوائد بالعملة الصعبة في ظروف لا تسمح لنا بالسداد ، وخاصة أنه تنازل عن نصف ثمن الأسلحة السوفيتية لفيتنام بعد اتفاق السلام . ثم بدأت السنته تشن حملة على مصر ضد الانفتاح الاقتصادي ، بزعم أنه تصفية للاشتراكية . وحضر جروميكو إلى مصر ، واجتمع به الرئيس أنور السادات { ساعت بغير مترجم . وأوضح لجروميكو الحقائق التالية :

١ — أن علاقة مصر بالاتحاد السوفيتي ليست كعلاقتها بأمريكا ، لأنه تربطنا بالاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة . ولأننا نعطي تسهيلات بحرية للاتحاد السوفيتي ، لا نعطيها لأمريكا .

٢ — أن الدور الأمريكي الآن من أجل السلام ، لا ينقض أبدا مع الدور السوفيتي لأن أمريكا هي القادرة على الضغط على إسرائيل . وكانت هذه دائما حجة الاتحاد السوفيتي دفاعا عن أن سياسة الوفاق مع أمريكا ، سوف تخدم الوصول إلى حل سلمي ، لأن أمريكا قادرة على الضغط على إسرائيل .

٣ — تشويه الانفتاح الاقتصادي بأنه تصفية للاشتراكية وللقطاع العام لا أساس له من الصحة . لأن ثمن مكونات القطاع العام يصل إلى بلايين الجنيهات ، ولا يمكن أن يقوض هذا . وهو قاعدة صلبة للانفتاح .

٤ — أن الديون لا يمكن أن تسدد وهذا عرف عالمي ، بعد الحروب مباشرة ، وأنها تسدد بعد التعمير . وقد حدث هذا للاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن الأزمات الجديدة استمرت .

وقام الرئيس السادات بضغط سياسي ، في عدة أحاديث صحفية كشف فيها عن الخلاف الجديد مع الاتحاد السوفيتي . ولكنه ترك الباب مفتوحا لاتصالات بين الجانبين .

وشرحت مصر بالاتصالات السياسية موقف الاتحاد السوفيتي للأحزاب الشيوعية في مختلف الدول الاشتراكية الصديقة . وأذاع الرئيس في اجتماع مغلق يوم ١٤ أبريل ١٩٧٤ أن مصر طلبت حضور الجنرال ماشينكوف وهو عسكري سوفيتي له تقدير خاص في القاهرة ، وكان كبير الخبراء السوفيت . وطلب الرئيس منه أن يذهب إلى الجبهة في الشرق والغرب ، لكي يكتب تقريراً كاملاً عن حقائق الوضع العسكري ، واحتياجات مصر بعد معركة . وأرسل هذا التقرير إلى القيادة السوفيتية . وقد جاء فيه أننا فقدنا نصف القاذفات المقاتلة وفقدنا ٨٠ طياراً . ثم أرسل الرئيس السادات رسائل إلى برجنيف ، وسجل في آخر رسالة إلى الزعيم السوفيتي أن إسرائيل استعوضت كل طائرة بطايرها وأن الاتحاد السوفيتي لم يرسل لنا طائرة واحدة . وأن هناك عقوداً سابقة مبرمة معنا لم تنفذ .

ووضح أن مصر حصلت على مزيد من الأسلحة • لا كما تريد •• ولكن
وفقا لما استطاعت أن تقنع به الاتحاد السوفيتى ••

ووضح أيضا أن أنور السادات بذل جهودا جبارة فى الحصول على
أسلحة من دول أخرى غربية •• وشرقية ••

وسارت هذه الجهود العسكرية كلها فى طى الكتمان ••

وكان الاعداد العسكرى ، والتدريب على أكثر من خطة للعبور ، يجرى
ليل نهار ، وبإشراف مستمر من الرئيس أنور السادات ••

وكانت كل الدعايات حولنا تؤكد أن مصر لن تحارب •• لأنها عاجزة
عن القتال ••

وكان البعض يتصور أن مصر لو بدأت عملية عبور •• فان إسرائيل
ستدك المدن الكبرى دكا يحولها الى انقاض وتعود مصر مائة سنة
الى الوراء ••

وكانت كل تصريحات القادة الاسرائيليين يوميا •• أن العبور عملية
عسكرية مستحيلة •• لاستحالة اقتحام خط بارليف أولا •• ولأن مصر
إذا وجد لديها السلاح •• فلن يوجد فى جيشها المقاتل ••
وخلال ذلك كله دعا أنور السادات الى الصبر والصمت ••

ولكنه اضطر الى مواجهة محاولات مستمرة لتعطيم الوحدة الوطنية
من الداخل •• وساعد عليها خلافات مفاجئة نشأت مع السودان ••
ثم مع ليبيا ••

= ورد الاتحاد السوفيتى على الموقف المصرى بحملات فى بعض صحف
بيروت ، كلها تلتقى اللوم على مصر ، وتعتبر نقدها للاتحاد السوفيتى
مفاجأة .

وأمكن بعد ذلك بالاتصالات الدبلوماسية تحسين جو العلاقات ، والتمهيد
لمباحثات يجريها وزير الخارجية المصرية فى موسكو فى ١٥ يوليو ، اعدادا
لؤتمر قمة بين السادات وبرجنيف . وقبل سفر الوفد المصرى بخمسة
أيام قرر الاتحاد السوفيتى فجأة تأجيل زيارة الوفد المصرى الى أكتوبر !
وحتى طبع صفحات هذا الكتاب لم يطرأ جديد على الموقف ، على الرغم
من أن تقارير سفيرنا الجديد فى موسكو حافظ اسماعيل ، قبل هذا التأجيل
المفاجئ ، كانت كلها تؤكد خلوص النوايا نحو تحسين العلاقات .

وفي ذلك الوقت كانت أكثر تعليقات صحف الغرب تؤكد أن النظام يهتز .. وأنه يتماسك بتصريحات صناعية من الرئيس السادات .. وأن الحكم سيهوى خلال أشهر ..

وقال لي مراسل الجارديان في الشرق الأوسط : أنتى أراهن بسمعتى الصحفية .. لو استمر نظام السادات ٣ أشهر !

وكان ذلك خلال مظاهرات الطلبة الثانية في عام ١٩٧٣ ..

الفصل الثامن

أنا حزين .. « أثر الساعات »

●●● « مظاهرات الطلبة تتسع . بيانات من ستة أعضاء بمجلس نقابة الصحفيين تصف الحكم بالقمع . بيانات من عدد من الكتاب عن المستقبل الأسود الكئيب . صحف الحائط مليئة بالعبارات البذيئة . أشاعات . صحف بيروت تردد ما جرى . حالة تسيب وياس . الرئيس يدعو رجال الصحافة والأعلام الى اجتماع مغلق .. »

هذا الفصل هو تسجيل لما دار في هذا الاجتماع الحاسم بذاع للمرة الأولى » ●●●

سألت الرئيس أنور السادات مرة : كيف اتخذت قرار المعركة ؟ ..

فقال : انتهى أشعر ان أرادة الله هي التي اتخذت قرار المعركة • هذا قدر • لم يصبح امامنا من حل الا أن نحمل السلاح لنحرر الأرض ونرفض الاستسلام • ليس هناك حل وسط • الشعب رفض الهزيمة • وهذه هي غلسفة الشعب • علينا ان نتحمل كل العقبات والتضحيات • أو نختصر الطريق ونسلم ونحل القوات المسلحة ، وبدلا من أن تكلفنا ٩٠٠ مليون جنيه في السنة •• نخفضها الى ٢٠٠ مليون •• ونقبل شروط العدو •• ونعيش الى الأبد أذلاء •• وربما لاجئين •

كان هذا يقينه دائما ••

ولكنه كان يحارب في أكثر من جبهة ••

جبهة الداخل •• التي تكتلت فيها غالبية قوى اليسار المتطرف •• بين الصحفيين والكتاب وأمتدت اتصالاتها وتجمعاتها الى فريق من الطلبة •

الجبهة العربية •• وشروخ الموقف •• بعد الأزمات مع السودان •• ثم مع ليبيا •• وتشكك دول عربية أخرى في نوايا الرجل •

وهذا في الوقت الذي كان يقاسى الأمرين في سبيل الحصول على الأسلحة من كل مكان ••

وفي الوقت الذي بذل جهدا دبلوماسيا جبارا على المسرح الدولي غربا وشرقا •• لوضع الدول عند مسؤولياتها أمام خطر الأزمة •• وتهيئة الراى العام الدولي لتقبل المعركة عند وقوعها ••

ولكن أحدا •• لم يتدر حقائق الموقف •• ولا حقائق نوايا الرجل حق قدرها ••

وحتى الصحف العالمية ، بدأت تنشر النكت •• ومنها ما نشرته النيوزويك نقلا عن ألسنة عربية •• بأن السادات رجل أسمر ، يجيد

الخطابة ، ويحكم مصر بعد وفاة عبد الناصر .. وهوآياته وقف اطلاق النار !



وقلت ان التحركات المضادة للنظام ، المشككة في قرارات أنور السادات بدأت تتحرك منذ ١٥ مايو .. وبعد تصفية مراكز القوى ، والغاء التنظيمات السرية .. واحراق أشربة التجسس .. واغلاق المعتقلات .. واعلان سيادة القانون ..

وظهرت الاتجاهات في انتخابات النقابات المهنية والاتحاد الاشتراكي ومجلس الأمة . وكان التكتيك هو الآتى :

١ - تصوير ١٥ مايو على أنه خطة مدبرة للقضاء على ثورة ٢٣ يوليو !

٢ - ان ما حدث في ١٥ مايو ليس ديمقراطية .. بل هو صراع سلطة .. والمطلوب انقاذ الديمقراطية ..

٣ - أن انور السادات يلجأ الى الحلول الاستسلامية .. ويخدع الجماهير ببدء الحرب ..

٤ - ان أنور السادات يصفى الاشتراكية ..

٥ - اين هي حرية الصحافة ..

وبدأت تجمعات الطلبة الأولى ، في كليات متفرقة . وانتشرت مجلات الحائط . وكان هناك تنسيق متكامل بين القائمين على الحركة في الكليات المختلفة .. وكان للقيادات الطلابية التي عرف عنها الاتجاه الماركسي اتصال مستمر بكتاب وصحفيين من نفس اللون السياسى ..

وقد نشرت في « الأخبار » وفي صفحة كاملة ، كل ما دار في الجامعة في اليوم الأول - للاضطرابات .. جميع البيانات .. التي صدرت عن

الطلاب .. خطب قادتهم .. الرأى المعارض لهذه الجماعة كما عبر عن نفسه فى بيانات أخرى ..

ورأت القيادات الماركسية للطلبة ، ان هذا النشر يهدم تماما دعواهم بأنه لا توجد حرية صحافة .. واذا بهم يعلقون لافتات فى الصباح التالى على باب جامعة القاهرة .. وفى الميدان أمامه حتى باب كلية الهندسة .. لافتات كبيرة تقول أننى كلب السلطة !

وعندما سمعت بهذا توجهت الى الجامعة فى الصباح ، ومعى زميلى حامد دنيا الخير بشئون الطلبة والجامعة ..

ووجدت صحفيا ماركسيا أمام تجمع عند باب كلية الهندسة .. وصاح هذا الصحفى .. هذا هو موسى صبرى .. اننى أريد أن أكشف لكم من هو ؟ ..

وتضاعف التجمع .. ورأيت باب الهندسة مغلقا ، وعليه حراس من قيادات الطلبة .. وطلبت أن ادخل ، وأن اجتمع بأى عدد من الطلبة لمناقشتهم .. ورفض الحراس .. وزاد تضاعف التجمع .. وبدأت نوايا الاعتداء على ..

وسألتهم .. هل هذه هى الحرية ؟ ..

فاتهمونى بالعمالة للسلطة .. وتركت التجمع وانصرفت يحيط بى جمهور مستفز ..

ولا أريد أن اطيل فى قصة هذه المظاهرات الأولى .. والاجتماعات والاعتصام فى صالة جامعة القاهرة .. واكتفى بالقول ان الهدف كان هدم كل تنظيمات الاتحاد ، باعتبارها لا تمثل الطلبة ، وتكوين قيادات جديدة تحت أى اسم فى كل كليات الجامعة .. للسيطرة الماركسية الكاملة على الطلبة .. ثم الانتقال بهذا التكتيك الى محيط العمال .. وكل ذلك لهدم النظام .. والسيطرة عليه ..

وطالبت المنشورات بأبعادى عن الصحافة ..

وآلمنى كل الألم أنها طالبت كذلك بأبعاد محمد حسنين هيكل .. أى

أنهم وضعونا في موضع واحد .. وهذا ليس بالصحيح .. اذا كان الهدف هو التحديد السليم للمواقف ..

وكانت القيادات الماركسية منظمة بحيث يحل محلها صف ثان .. وكان الأسلوب هو المعروف في كتب التهييج الماركسية .. ايقاف الاتوبيسات والتحدث الى الناس فيها بأسلوب مثير كاذب عن اعتقالات وقمع وقتلى .. تكوين مجموعات صغيرة في الميادين ، تخطب وتثير مناقشات محفوظة ، وتوزع منشورات مكتوبة بخط اليد ..

ثم نقل صورة هذه الأحداث كاملة في صحف بيروت .. بل طبعها بعد ذلك في كتب أصدرتها دور نشر تصرف عليها منظمات ماركسية محلية وأجنبية ..

وانتهت حركة الطلبة .. وبدأت محاولة اعتصام في دار نقابة الصحفيين ، من فنانين ، وانصاف مثقفين ماركسيين .. وفشلت ..

المهم ان الهدف كان ضرب النظام من الداخل .

وواجه أنور السادات الموقف بأسلوب ديمقراطي أيضا .. ودعا الى اجتماع لكل القيادات السياسية والمهنية والعمالية في قصر عابدين .. وكانت بقايا تجمع المظاهرات لا تزال في الميادين المؤدية الى قصر عابدين .. وقيل لأنور السادات في ذلك الصباح أنه من الأفضل أن يتم الاجتماع في استراحة القناطر — وكان مقيما بها — بعيدا عن القاهرة .. حتى لا يتعرض هذا الاجتماع لخطر الانقراض عليه من المظاهرات التي لا تزال باقية في الميادين ..

ورفض أنور السادات رفضا قاطعا .. وبغضب . وقال : لست أنا الذي أهرب من أى موقف .. أننى لا أعمل في الظلام .. وسأواجه الشعب بكل الحقائق .. وأضر السادات أن يكون الاجتماع في عابدين .. وتم الاجتماع فعلا .. وتحدث أنور السادات .. وكان غاضبا وصارح الشعب بالاتجاهات المخفية وراء قيادات هذه الحركة . وأكد طهارة

غالبية الطلبة .. وأشفق فعلا على حيرتهم وتمزقهم بعد الهزيمة ..
مما سهل استغلال مشاعرهم ..

وانتهت هذه المرحلة بقرار من السادات . بالافراج عن الطلبة المعتقلين
بأمر النيابة العامة .. وحفظ التحقيق ..

ولكن الدولة كانت على علم كامل .. بالجهات التي اختفت وراء
تحركات بعض قيادات الطلبة ..

وتغاضى السادات عن ذلك كله .. في سبيل الوحدة الوطنية لمواجهة
المعركة .

ولكن قولى بأن قيادات حركة الطلاب كانت في غالبيتها ماركسية .. وكان
هدفها هز النظام .. لا يعنى ان عددا كبيرا من الطالبات والطلبة لم يتأثر
بنداءاتهم .. الذى حدث .. ان الطلبة تأثروا فعلا .. وشاركوا في
التجمعات عن اقتناع برىء .. لأن الأوضاع العامة في البلاد في ظاهرها ،
كانت تدعوهم الى ذلك .. ولم يبذل التنظيم السياسى أى جهد فعال ، في
صفوف الجامعات ، لشرح حقائق الوضع السياسى ، واتاحة الفرصة
للمناقشات العامة ، وتبادل الرأى .. ثم عندما حدثت الاصطدامات بين
رجال الأمن والطلبة .. كان من الطبيعى ان ينحاز الطالب الى زميله ..

ولكن ما جرى بصفة عامة ، كان نتيجة طبيعية لتمزق الهزيمة ..
وللحرب النفسية الطاحنة التى صورت مصر في موقف العاجز ..

ولم تتجاوب الجماهير العريضة مع مظاهرات الطلاب ..

وكان منطق المواطن العادى يردد : « ماذا يريدون ؟ .. وهل أنور
السادات هو المسئول عن الهزيمة .. لقد تسلم الرجل تركة ثقيلة ..
أعطوه الفرصة لكى يعمل .. وهل يتردد السادات في الحرب ، اذا وجد
نفسه قادرا عليها ؟ .. »

* * *

وأذكر أنني اجتمعت مع عدد من قيادات الطلبة الماركسيين .. ومن يحملون شعار الناصرية .. ثلاث اجتماعات استمرت ٢٧ ساعة .. مناقشة الحقائق معهم .. وناقشنا قضايا — الحرية والديمقراطية والحرب و ١٥ مايو والعلاقات مع السوفييت .. والمساعي الدبلوماسية .. والبناء الاشتراكي .. الى آخر كل ما كانوا يثيرونه ..

وتأكدت .. واقتنعت .. أن هذه القيادات لا تريد أن تقتنع .. أنها مصرة على رأى ، لا تريد ان تقترح عنه .. وهو تحدى هذا النظام ، والدعوة الى عدم الثقة بأنور السادات .



ثم جاءت حركة الطلبة الثانية ..

ولكن الظاهرة هنا تغيرت . وقد بدأ التغير في ارتباط كامل واضح بين قيادات الطلبة الماركسيين والحاملين لشعار الناصرية .. وبين فريق يسارى من أعضاء مجلس النقابة .. ثم اتسعت لتصل الى عدد من الكتاب وعلى رأسهم توفيق الحكيم !



ورأى مع كل الاحترام لتوفيق الحكيم .. أنه تصور ان النظام يهتز .. وان هذه الموجه ستكتسح .. ورأى ان يركب الموجه .. اذ رأى له ان يركبها ..

واذا بنا نفاجأ بجمعية عامة لنقابة الصحفيين . تتحول كلها الى مناقشات تتهم النظام بالقمع والارهاب .. وتصدر بيانا كأنه انذار الى رئيس الجمهورية بالمطالبة بحرية الصحافة .. وتصدر بيانا يطالب بحماية حرية الصحافة الجامعية .. أى صحافة الحائط .. وكانت سطور مجلات الحائط فى بعض الكليات قد تجاوزت كل حدود الآداب العامة !

واذا بنا نفاجأ أيضا ببيان كتبه توفيق الحكيم^(١) .. ووقع عليه عدد من الكتاب ، يقول ان المستقبل كئيب .. وان حجة قرار المعركة تعلق عليها

(١) طلب توفيق الحكيم مقابلة الرئيس فى يوليو ١٩٧٤ ، وقدم الى الرئيس بيانا جديدا موقعا عليه من نفس من وقعوا البيان السابق ، أكدوا فيه خطأ تقديرهم ، وثقنهم الكاملة فى قيادة الرئيس السادات .

كل الأخطاء .. وان البلاد متجهة الى كارثة .. وان شبابنا ملقى به
في رمال الجبهة لينسى علمه !

وكل ذلك ينشر في بيروت في نفس اليوم .. وعلى أوسع نطاق ..
وتحرك عدد كبير من الصحفيين والكتاب لتحدى هذه الأوضاع ..
التي كانت تساندها قيادات صحيفة الأهرام ..

وعقد اجتماع في منزل الفنان رخا • حضره يوسف السباعي وعبد الرحمن
الشرقاوي ومحمد صبيح ومصطفى بهجت بدوي وحافظ محمود ..
وكانت هذه السطور .. وغيرهم وتم الاتفاق على أن يحضر الصحفيون
اجتماع الجمعية العامة التالية لنقابة الصحفيين .. وأن تكون معركة حياة
أو موت ، لكشف الاتجاه اليساري وأهدافه .. ثم أصدرنا بيانا وطنيا
يؤيد موقف الرئيس السادات ، الذي أعاد جميع الصحفيين المفقولين ،
والذي أعلن في اجتماع سابق مع أكثر من مائتي صحفي أنه يريد حرية
الصحافة • • وان يؤلف مجلس أعلى للصحافة • • ثم يصدر الصحفيون
ميثاق شرف .. والذي رفض أن يمنع صحفي واحد في عهده من الإمساك
بالقلم ..

ثم تدخل سيد مرعي أمين اللجنة المركزية في نفس الليلة .. وعرض أن
يعقد اجتماعا مشتركا للقيادات الصحفية مع مجلس النقابة .. وعقد
الاجتماع وانتهينا الى اجراء بيان موحد .. يناقض كل ما جاء في بيان
مجلس النقابة السابق ..

ونشر البيان في الصحف .. وكانت سطوره تأييدا صريحا واضحا
لموقف الرئيس السادات وسياسته •

ولكن أعضاء مجلس النقابة اليساريين ، دعوا الى عقد اجتماع لمجلس
النقابة بعد ذلك ، ضمنوا فيه الغالبية العددية .. وأصدروا بيانا يؤيد
مظاهرات الطلبة ، ويتهم النظام باستخدام القمع .. واستقال عضوان
من مجلس النقابة احتجاجا هما الفنان رخا وعثمان لطفى السكرتير العام
المساعد لمؤسسة اخبار اليوم ..

ولم يقدر لحركة الطلبة أن تحقق أى هدف • وبدأت النيابة التحقيق • •
وتبين أن الهدف المبيت لدى البعض • • كان أشعال حرائق في الميادين • •
وبث الفوضى • • وقلب النظام •

وظهرت مقالات في الاهرام والجمهورية • • تؤيد تحركات الطلبة •

ولكن لم ينجح تكتيك انتشار الحركة في النقابات المهنية الأخرى • •
أو في النقابات العمالية • •

ولا أريد أن أطيل في سرد هذه الأحداث • • ولكننى أريد أن أصل الى
اجتماع مغلق ، دعا اليه الرئيس أنور السادات أكثر من مائتى صحفى • •
وعبر فيه عن مشاعره ازاء كل ما جرى • • بقوله : « أنا حزين • • حزين »
• • ولم ينشر ما دار في هذا الاجتماع • • وأعتقد أن المجال مناسب الآن
لنشره ، ليتبين القارىء مدى المعاناة التى كان يقاسيها أنور السادات • •
وهو يتابع الاستعداد العسكرى الصامت للقتال • • ثم تخرج هذه
الأصوات ، لينتشر صداها في البلاد العربية ، وفي صحافة العالم ، وتتهمه
بأنه يسعى الى حلول استسلامية • • انهزامية !

قال أنور السادات في هذا الاجتماع المغلق • • وكانت رفات صوته
تعبر عن ألم مكتوم • •

— في كل المراحل الأساسية ، دعوت رجال الصحافة لكى أوضح لهم
كل حقائق الموقف •

حدث هذا عندما انقطعت الاتصالات مع أمريكا • • وعندما صدر قرار
الخبراء السوفيت • • وعندما اتخذنا قرارا في اللجنة المركزية والهيئة
البرلمانية بمواصلة السير مع الاتحاد السوفيتى • • كانت الصحافة حاضرة
في كل المواقف ، ولم تكن غائبة أبدا • وهذا يحدث لأول مرة في تاريخ
عملنا السياسى ونضالنا • قبل هذا الاحزاب هى التى كانت تضع
السياسة • • وصحافة الاحزاب تأخذ التعليمات من الاحزاب مباشرة • •

بعد الثورة • • هيكल المجتمع تغير • • أصبحت صحافة الشعب كله • •

وبعد هزيمة ٥ يونيو ، كان من الضروري في كل المواقف ، المشاركة في الرأي والتفسير .. لأن معركتنا ليست معركة هيئة بذاتها أو فرد بذاته أو تنظيم بذاته .. المعركة معركة الشعب كله .

عندما ضربت اسرائيل العمق .. كان الشعب كله معرضا للضرب .. ولو قدر للمخطط الاسرائيلي في عام ١٩٧٠ ان يتفد كما كان مقررا له في ٦ أشهر .. كانت اسرائيل تريد ضرب كل مرفق من مرافق بلدنا .. وكان الشعب كله سيتعرض في مختلف أماكن عمله .. للضرب .. اذن هي معركة الشعب .. ومن المنطق والمعقول والضروري ان يعيش الكل هذه المعركة في ابعادها كاملة ، مرحلة ، مرحلة ..

اليوم وأنا اجتمع بكم ، أكمل نفس المبدأ الذي سرت عليه . حتى نكون جميعا على علم ومتابعين لما يتم ويحدث ..

اليوم يختلف الأدر عن المرات السابقة .. في أكتوبر ٧١ وما بعده .. وفي أكتوبر ٧٢ .. والاجتماعات الأخرى .. كنت أضع أمامكم الصورة عن آخر تطورات تتم في المرحلة . اليوم الأمر مختلف . أريد الى جانب وضع آخر تطورات هذه المرحلة .. أريد اضافة شيء آخر .. لوم وعتاب لماذا ؟ .. لأن احداثا وقعت في بلدنا .. وأريد ان اتساءل عن دور الصحافة . ومن هنا يأتي لومي وعتابي ، خاصة وأنه تربطني بأكثر الموجودين علاقة زمالة صحفية ، وأعرف ما هو العمل الصحفي .. وما هي أبعاده .. بالنسبة للمرحلة الجديدة في نضالنا أقول ليس أمامنا الا أن نحمل السلاح . ولن نكون أذلاء .. ولن نتحول في بلادنا الى لاجئين .. هذا أمر لا جدال فيه ولا مناقشة . قرار المعركة نهائي .. التوقيت فقط هو الباقي .

ومن السخافة — وأنا احثكم كزميل لكم — أن يكتب بعض الكتاب بياننا يعبر عن الحق والروح الانهزامية ..

كيف نتخلف عن المعركة ؟ ..

يصدر عن البعض منا ، ان الوضع غامض . أيه الغموض اللي في الوضع ؟ ..

أتنى أعذر غالبية الطلبة .. القاعدة الأساسية من الطلبة أكثر من ٩٥٪ منهم منتظمون في الدراسة الى يومنا هذا .. وأنا أقدر ان شبابنا مبلبل ويعيش في فراغ .. أما ان يقول كاتب وصحفيون ، ان الوضع غامض .. فهذا هو غير المقبول ، الا اذا كانت نفس الصحفي ملتوية ..

تسليم .. لا ..

عن نفسى أرفض .. أنا لا أصلح للتسليم ..

ما هو هذا الغموض ، الا اذا كان الكاتب أو الصحفي يريد أن يفرض نفسه رئيسا للجمهورية .. أو قائدا عسكريا .. ويضع لنا خطة ؟ ..

من الممكن ان يكون الغموض في جزئية .. ولكن ليس في صلب المعركة .. أو صلب الهدف الأساسى ..

لقد أوضحت كل شئ أمام مجلس الشعب في افتتاح المجلس في ١٥ أكتوبر .. ثم في ديسمبر .. ما معنى الغموض عند صحفي .. علشان بيتقاسف ويقول الحلول التصفية والاستسلامية .. قبل هذه التعابير كنا بخير .. كانت صحافتنا وأنا شاب في السجن ، تدعو الى بناء الفرد .. وتحفزه ان يكون في ذاته قوة لا تقهر .. ولكننا أصبحنا الآن نمشى في التعابير اياها ! ..

انعكست هذه العملية في الشهور الأربع الماضية .. انعكست على المجتمع .. وعلى الطلبة الطيبين الطاهرين .. لأن الصحافة لم تقم بدورها ، الى جانب وسائل الاعلام أيضا ..

في الأشهر الأربعة الماضية .. أول ما قال ذلك الفريق من الطلبة .. لاتوجد الآن — ديمقراطية !! .. أسلوب الدولة الآن هو أسلوب القهر ..

بعد الدستور الدائم .. وبعد صدور القوانين المكملة للدستور .. وبعد قفل المعتقلات .. وليس في مصر اليوم معتقل واحد ..

بعد هذا كله .. لم أقرأ في الصحف الا مقالات معدودة على الصواب
• عن الديمقراطية • اما الذين يكتبون البيانات لتشرها في بيروت ..
فلم يكلف أحد نفسه • ليعبر عن الحقيقة •

لقد كنت طالبا • وكانت الاحزاب تستقطب الطلاب • ليضاربوا
لحساب الاحزاب • وليستخدموهم كمادة متفجرة لصالح الاحزاب •
ولكن المجتمع الآن تغير • ولكن يجرى في محيط الطلبة نفس الشيء •
بدل حزب الوفد • بقى فيه الماركسيين والباقي اخوان •

اين اذن الحركة الطلابية وأهدافها في بناء مجتمع الثورة ؟ •

وهذا لا يسرى على الطلبة فقط • أعذروني لأتني اتكلم بصراحة مطلقة
هذا الكلام في الصحافة أيضا •

الصحافة لم تتطور بعد الثورة • حلت على الصحافة موضة جديدة ،
هي المناقشات الايديولوجية والمباريات على من يكتب التعابير « التخينة »
لكي يكون مثقفا !

ابتدأت حركة الطلبة بشعار أنه لا توجد ديمقراطية في البلاد • دولة
قمع • دولة بوليسيه •

هل تقرون هذا ؟ • هل نحن فعلا في دولة قمع ؟ •

ان الذين قبض عليهم من الطلبة ، في مخطط جنائي ، وفي ظروف
استثنائية ، مقبوض عليهم بنص القانون العام ، لا بسلطة الطوارئ •

ان الأشهر الأربعة الماضية ، تميزت بنوع من التسبب السياسى •

في الجامعة قامت عناصر ضئيلة جدا ، في أكتوبر تحت شعار الإرهاب
والحلول الانهزامية • والاستسلام والحكم صفته كذا • وصفته كذا •
وتدرجت في التصاعد حتى الشهر الأخير •

وهنا شيء أساسي يجب ان أوجه فيه اللوم للكتاب والصحفيين ..
هو موقف الصحافة •

كما قلت وعلنت مرارا ، أننى اطبق قعليا لا شعاريا .. دولة المؤسسات
وكما قلت امام مجلس الشعب .. بعد عبد الناصر شعرنا بفراغ كبير •
مؤسساتنا لم تكن لها الفعالية • الشعب يملأ الفراغ بعد موت عبد الناصر ،
بأسلوب شرعى هو أن توجد المؤسسات الدستورية والسياسية التى
تتحمل التبعات • ولن أراجع فى قيام دولة المؤسسات ، وتدعيمها كاملة ..
ومن خلال المؤسسات تجرى الممارسة الديمقراطية • فى كل نقابة مجلس
ادارة • يجتمع ويقول رأيه ويبلغ الرأى للاتحاد الاشتراكى .. تجرى
مناقشة .. ممارسة ديمقراطية .. تنتهى الى رأى •

لا يمكن أن أى هيئة تفرض رأيا على الدولة .. ولا يمكن ان أضع
غريقا فوق سيادة القانون .. وقوق الممارسة الديمقراطية ..

وواجب الصحافة تعميق مفهوم ممارسة الديمقراطية ، فى ظل
المؤسسات وسيادة القانون ..

لقد تجاوزنا مرحلة الطفولة .. مرحلة ضرب وحرق الترام والاولتوبيس
فى الشارع .. تجاوزنا الى دولة محترمة ونظام محترم •

بيقولوا .. ان فيه طول تصفوية .. طيب .. والذى يقول هذا عليه
أن يذهب الى مجلس الشعب .. ويطلب عقد لجان استماع .. يدعى
اليها المسئولون .. تجرى المناقشات .. أنا الذى وضعت النص فى
لائحة البرلمان ، على جلسات الاستماع عندما كنت رئيسا للمجلس ..

أما ان يجتمع ٥ أو ٦ أشخاص ، ليقولوا أن الموقف خطير والبلد راحت
وينشروا بيانات واشاعات .. فهذه ليست ممارسة ديمقراطية •

وأنفى اتساءل .. كيف يمكن أن يتم حل تصفوى كما يقولون من
وراء ظهر الشعب ؟ ..

هذا اقتراء ..

هذه كلمات حق يراد بها باطل •

نكن مواطن الحق ان يبدى رأيه ، وان يشترك في اعداد قرار مصير
بلده .. لكن عن طريق المؤسسات الدستورية وبأسلوب الديمقراطية ..
وليس بأسلوب الضرب بالطوب •

يقولون دولة قمع ؟ .. نسوا تماما سيادة القانون .. نسيها
الصحفيون أيضا ! ..

لقد عانينا كثيرا عندما افتقدنا سيادة القانون ، وأكثر ما عانينا منه
هو الأمن الشخصى للإنسان .. ان سيادة القانون تضىء أول ما تضىء
كرامة الفرد ، وليس لأى سلطة تصرف قبل أى مواطن ، الا بالقانون ،
وانتانون واضح ومحدد وليس مجهولا ..

الموقف الحالى هو اعداد عسكرى بكل ما نملك من امكانيات لانجاز
معركة • ولن نحرر الأرض بغير معركة • هذه حقيقة • ثم عمل
دبلوماسى مكثف لخدمة الخط الأول •

والعمل الدبلوماسى فى علم السياسة وعلم الحرب • يستمر قبل
المعركة ، واثناها ، وبعدها • لا يتوقف •

عملية التشنج الدبلوماسى • هذه جهالة وطفولة سياسية •

حافظ اسماعيل زار موسكو ، ولندن وواشنطن • وسيزور برانت
ثم فرنسا • بجوار هذا تحرك عربى فى غرب أوروبا • فى العالم الثالث
• فى أفريقيا بالذات • وكل هذا يسير طبقا لخطة موضوعة •

هذا خط • يسير الى جوار الخط الأساسى ، وهو الاعداد العسكرى
للمعركة • الاجتماعات العسكرية لا نعلن عن بعضها • وأصرح لكم اليوم

بكل تقدير للمسئولية ، ان قواتكم المسلحة أوشكت أن تضع اللمسات
الأخيرة لما ستؤديه ..

وسط هذه الحمى من الاشاعات والبلبله والتحركات المشبوهة .. لم
نضيع ثانية واحدة • كل شيء ماشى ، وعلى أحدث ما فى العصر من
تخطيط عسكري ، وما هو متاح لدينا من امكانيات تحت ايدينا .. لا على
أسس أسلحة لم تصل بعد •

والمؤسف ان بعض الاصوات تشكك فى رحلة حافظ اسماعيل الى
واشنطن ولقائه بنيكسون • يقولون أنه ذهب ليعرض الاستسلام !!
وهذا غريب جدا •

حافظ اسماعيل سافر ومعه خطابات مكتوبة منى ، الى قادة العالم
كله .. اننى أضعهم أمام مسئولياتهم ، وأحذر من أن الموقف قد أصبح
على وشك الانفجار .. وهذا لكى ابرى ذمتى امام التاريخ •

ومع ذلك أجد أفرادا فى مجلس نقابة الصحفيين .. معروفة اتجاهاتهم
.. يستخدمون أسلوب الطفولة السياسية .. خدوا قرارات .. أبعت
انذار للدولة ..

سبحان الله • • أننى أرفض انذارات من أمريكا وأى دولة كبرى ..
وييجى أفراد فى نقابة الصحفيين يعطونى انذارات !

هذا استثمار للجرح ، بكلام ملتو • هذه اقلام لا تحكمها المعركة ،
ولكن تحكمها احقاد وانفعالات • أننا نريد ان نعمل بروح العائلة • مصر
كلها يجب أن تكون أسرة واحدة بتقاليد القرية .. تعرف الحدود ..
وتبدى المصلحة العليا فوق كل شيء ..

بلاش استغلال شعار حرية الصحافة .. وكأننا مكمنين الأفواه منذ
١٥ مايو ؟ ..

هذا شيء مؤسف ومخجل .. وخاصة ما قيل عن حرية الصحافة
الجامعية .. وكلكم قرأتم صحف الحائط وما فيها .. كل انسان تفرز

من قراءة ما فيها ولكن مجلس نقابة الصحفيين الأجلاء .. يطالب بحرية
انصحافة الجامعية .. ثم يدعى بعد ذلك ان هذه العبارة دست على
قراره !

واجب الصحافة والكتاب يا زملائي في هذه الظروف المصرية التي
نعيشها .. هو دعوة الأمل .. ودعوة الصمود .. ودعم الجبهة الداخلية
.. وتقويم كل انحراف .. مش ٦ منحرفين يقودوا نقابة بحالها .. ويصدر
القرار باسم صحفيين مصر .. ليذاع في بيروت في نفس اليوم !

وعندما نشر هذا البيان في بيروت حزنّت من كل قلبي .. لأنه يشوه
صورة مصر ؟ ..

مهما حصل في داخلنا .. يجب الا ننسى أننا هنا في مصر العظيمة ..
كل سياسى عربى يجىء لى مخلوع القلب .. أية الحكاية .. بيان
انحابة .. بيان نقابة الصحفيين .. بيان الكتاب ..

أزعل .. واتجرح .. والا .. لا ؟

في الداخل أنا عارف أنها زوبعة في فئجان .. ولن تؤثر في قرار
الشعب بالمعركة .. لكن في الخارج .. سمعتنا .. سمعة مصر ..

ويؤسفنى ان أقرر ان صحفيين أجانب كتبوا بناء على معلومات كاذبة
من صحفيين مصريين أنا أعرفهم بالاسم .. أنه حدثت انقلابات عسكرية
بعد خروج الفريق صادق .. ليس عندى شيء أخبئه ..

وليس عندى ما أخشى منه أبدا ..

كل من يعملون في الظلام مشدودون من الخلف .. ويتصورون أنهم
يستطيعون الوصول الى شيء ..

ثم انتقل الرئيس في حديثه الى بيان الكتاب الذى كتبه توفيق الحكيم
.. وتلاه .. وعلق عليه بسخرية لازعة .. ثم قال :

البيان يقول ان الشعب يغلى ! وان الكتاب مسئوليتهم ان يستشفوا
الضمائر .. هل استشفوا الضمائر فعلا ؟

الشعب .. قاعدته العريضة فاهم وعنده وعى .. ولا يحتاج الى
هذا الاستشفاف .. أننى أتألم عندما أقرأ هذا الكلام .. لأننى كاتب
احترم القلم .. وأعز ما أحرص عليه فى حياتى .. وأروع ما أحرص عليه
هو القلم .. واليوم الذى كنت اكتب فيه مقالا صغيرا فى « الجمهورية »
أو تعليقا أرى عنه .. كان أسعد أيام حياتى .. واليوم الذى استطيع
ان اتفرغ فيه لى اكتب شيئا أرى عنه ، يساوى عندى كل شيء
فى الوجود ..

المكتوب امامى فى هذا البيان هو جسر للحقد والانهازامية .. ولذلك
أنا حزين .. حزين ..

علما أننى نبهت .. أياكم وان يحتل اليهود جزءا من عقولنا كما احتلوا
جزءا من أرضنا ..

لسنا أول شعب واجه هزيمة ..

ولم يطلع حبر أسود بانهازاميه بهذا الشكل ، فى كل الدول التى لحت
بها هزائم .. مواقف تشرشل معروفة ..

والأسوأ من هذا ان البيان يحمل تحريضا لأبنائنا الجامعيين فى القوات
المسلحة الذين يقفون مستعدين للمعركة فى جبهة القتال ..

البيان يقول « الشباب لا يرى أمامه الا المستقبل الكئيب » !

المستقبل أيها الزملاء لا يكون كئيبا الا اذا كانت نفوسنا مريضة
كئيبة ..

هل قالت هذا روسيا بعد دخول ألمانيا .. وأنهاك قواها العسكرية
والصناعية — والزراعية .. هل قال كتابها ان الغد كئيب ؟

هل يقال في بيان لكتاب مصريين في هذه المرحلة « ان شيادة خريج الجامعة أصبحت وسيلة للقذف به في رمال الجبهة .. وهذا هو الضياع » •

هل هذا هو الصمود ؟ • هل هذا هو الأمل ؟ •

الكاتب • الفنان • موجه الأجيال • يرسم هذه الصورة ؟ !

الشباب الذى فى الجبهة يعرف الحقيقة • وينتظر ساعة المصفر بقوة و ارادة وثبات • ليحقق غد الانتصار •

أما فريق من كتاب مصر • فانه يتحدث عن الغد الكئيب • وبعد ساعة ينشر هذا فى صحف بيروت لتشويه سمعة مصر •

أصوات كانت فى الجحور بدأت تقول ان مصر فقدت زعامتها ومكنتها •

شبابنا تحركه مجموعة ملتوية معروفة اللون والهدف •

هل هذا ضمير مصر ؟ •

هل ضمير مصر هو اليأس ؟ •

القلم مسئولية وشرف • اين مصر فى كل سطر وفى كل رأى وفى كل تصرف ؟ •

هذا هو السؤال • اين ملكات مصر ومثوماتها • التى صنعت التاريخ بأصالة وصلابة ؟ •

لا • لن أسمح أبدا • ان يكون القلم سبيلا الى الانهزامية او اليأس أو بث مثل هذه السموم •

هذا سم وتخريب فى الجبهة الداخلية •

ولو دفعت اسرائيين ملايين الجنيهاات — لما استطاعت أن تصل الى أكثر

من هذا الذى نشر بأقلام مصرية ..

أننى حزين .. حزين ..

وحزنت بالذات من أجل توفيق الحكيم • أنه يشكل جزءا من عاطفتى •
لقد قرأت له وأنا فى السجن « عصفور من الشرق » باللغتين العربية
والفرنسية • قرأت هذه العبارة « الأمم العظيمة لا تبنيها الا الآلام
العظيمة » ..

هذا هو توفيق الحكيم .. وليس هو الذى يكتب بيانا عن الغد
الكئيب •

كيف لم ينكر فى كلماته السابقة .. ان ما ينطبق على الأمم .. ينطبق
على الفرد .. لا يوجد فرد له قيمة الا ومارس آلاما عظيمة هى
التي بنته ..

المنفعة الذهبية لا تصنع الرجال ..

الآلام هى التي تبني الأفراد والأمم ..

قلت للدكتور حاتم .. هات لى الراجل الطيب ده توفيق الحكيم ..
لأننى عاطفيا متأثرا به ..

والطريف ان توفيق الحكيم قال لحاتم .. « أنا كنت بسهل العملية
علشان يفاوض اسرائيل » ! •

لا .. يا أستاذ توفيق ..

هذه فلسفة عمر الخيام التي اخترتها فى أحد مؤلفاتك لتعبر عن
ذاتك .. « اذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابتسم للقدر اذا
بطش بك ولا تبطش بأحد » ..

هذه الفلسفة لا تصلح مع اسرائيل ..

هذا يعنى التسليم لاسرائيل ..

وليس هذا هو استشفاف ضمير الشعب ..

اذا كان من رأيه ان نفاوض اسرائيل ونحن في موقف الضعف .. فليكن
شجاعا وليكتب .. يا شعب يا مصرى .. أنا حاسس ان خميرك يريد
الاستسلام ..

ولكن لماذا نلف وندور ونسود الصغحات .. ونسود تاريخنا .. وتاريخ
كتابنا في لحظة حالكة ..

وبكل أسف .. لقد سجل هذا الموقف على كتاب مصر .. سجل التاريخ
أنه خرج في هذه المرحلة من كتاب مصر من يصف المستقبل بأنه أسود
وكئيب .. ويدعو الى الهزيمة والاستسلام ..

اننى حزين .. حزين أننا في الأيام الحاسمة .. ويسجل هذا
كتاب مصر ..

مصر التى كانت قائدة عبر التاريخ وستظل قائدة الى يوم الدين •

كنت فاهم أن فيه حصانة هنا .. من تراب مصر • من طينيا الأصيل •

طلع .. لا • لما زهق بعض الكتاب .. نسيوا التزامهم •

أننى حزين .. حزين ..

المفروض ان يخرج كل كاتب أبداع ما عنده في هذه الأيام .. من موهبة
وفن .. ليقضى على روح الهزيمة • ليبدد كل ظلام وغيوم .. ليحول
اليأس والقنوط الى آمال مشرقة .. رحبه .. مضيئة •

لا .. ان نقول لشبابنا في جبهة القتال .. انكم ذهبتم لتضيعوا
علمكم •

الأمريكي .. الفرنسي .. الأوربي .. يفخر بشهادته العسكرية ..
يعلقيا في منزله . ومن لم يدخل الخدمة العسكرية يكون خجلا ، لأن كل
جيرانه يعرفون أنه هرب من الخدمة ..

هل هذا هو الفكر الحر ؟ .. هل هذا هو فكر كتاب مصر ؟ ..

أين دور المسرح في تخليد معارك بطولاتنا مع التتار .. مع الصليبيين؟
.. أين دور الفن الذى يصل الى وجدان الانسان .. فى الحرب العالمية
الثانية .. سخرت كل المواهب من أجل الهاب المقاومة الوطنية ..
اين نحن من كل هذا ؟ ..

أيام حرب الاستنزاف وكان العدو يغير علينا يوميا بطلعات تصل الى
٨٠ طنعة فى اليوم .. حكيت لكم من قبل فى اجتماع عابدين ، عن الجندي
المصري الذى انصهر جسده مع المدفع ، من كثرة ما ضرب .. ورفض ان
يترك سلاحه حتى احترق معه ..

وهذه هى روح مصر ..

ألا توجد حرية صحافة فى البلد .. لأن البعض لا يستطيع أن ينشر
انسخافات الايديولوجية التى لا مكان لها عندنا ؟ ..

لا .. المعركة ليست ايديولوجية ولا كلام ..

المعركة .. أرض يجب ان تحرر ..

ثم طلع عيننا من يرتدون القميص الجديد . قميص عبد الناصر بدلا
من قميص عثمان ..

الماركسيون يرتدون الآن قميص عبد الناصر .. حتى مع القذافي ..
٢٧ صحفيا مصريا ذهبوا للعمل فى صحف ليبيا .. كلهم ماركسيون ..
وهم يرتدون الآن قميص عبد الناصر .. والهتافات التى ترددت فى
بنى غازى . هى نفس الهتافات التى ترددت فى جامعة القاهرة ..

« لا اله الا الله .. السنادات عدو الله » هذه معارك جانبية .. تشغلنا
عن الهدف الأول .. هدف التحرير .. ودعونا من التشكيك .. لقد خرج
التشكيك عن بعض دور الصحف (كان يقصد الأهرام) ..

والتحركات التي بدأت كان هدفها حرق القاهرة ، في جميع الميادين ،
في وقت واحد .. ياسر عرفات قال لى ان كل صحفى مصرى قنبله ،
ردد له ما يذاع في راديو لندن وصحف بيروت ..

ويؤسفنى ان أقول ان هذا دور سىء ..

وأنا أذكر طبعاً الاقلام التى كتبت بواعز من الضمير الوطنى ..

أما الباقون .. فقد اتخذوا موقف سلبي .. هو الانتظار .. ميز عارف
.. يمكن النظام يتقلب .. وآخرون تعاطفوا — من تحت تحت — مع
هذه التحركات التحررية ..

الصورة واضحة ..

الديمقراطية مستمرة .. لا عدول عن سيادة القانون ودولة المؤسسات ..
.. مصيرنا أبيض .. مستقبلنا هو المعركة والانتصار .. حاضرننا هو
الاصرار والصمود والأمل والارادة ..

وكما قال توفيق الحكيم .. الآلام العظيمة تبني الآمال العظيمة ..

والألم هو المعاناة وليس اليأس .. ولبس السواد ..

ثم قال الرئيس ..

لعلنى انفعلت .. ولكنى الآن فى قمة الراحة ، لأننى صارحتكم بحقيقة ..
ما أشعر به كزملاء .. وقد انتهى الأمر من نفسى تماماً ..

وأرجو ان تكونوا واثقين .. أننى رأيت ان أضعكم فى الصورة معى ..

كزملاء .. لا كرئيس دولة • فتحت لكم كوا من نفسى كما هى ، بدون
كلام عنمق أو عبارات منتقاء ..

أفرغت الشحنة !

وبعد .. هذا جانب من المعاناة الداخلية التى واجهها أنور السادات ..
ومع ذلك كان يعمل ليل نهار مع قيادات الجيش ، للاستعداد للمعركة ..
بالمكثبات المتاحة ..

وكان هذا بعض الشوك فى الطريق الى ٦ أكتوبر ..

ولكنه ليس الشوك كله ..

لقد جاءت أشواك أخرى .. من ليبيا ..

* * *

الفصل التاسع

الشكوك.. والخوف من معركة خاسرة

●●● « الحرب النفسية للاعداء أثرت على بعض النفوس . زادت شكوك العالم العربي بأن مصر لن تحارب . بدأت التساؤلات .. هل نستطيع أن نضمن الانتصار .. هل يمكن أن ندخل معركة « كسيانته » مائة في المائة ؟ .. وكيف نقاوم التفوق التكنولوجي لإسرائيل .. أنور السادات يواجه كل هذه التساؤلات في نفوس الجماهير ، ويعقد اجتماعا خاصا مغلقا لأعضاء مجلس الشعب ، ليؤكد لهم أن الحرب حتمية .. كيف ؟ .. ولماذا ؟ » ..

في السادس من مارس ١٩٧٣ : قرر أنور السادات أن يتولى رئاسة الوزارة •

وكان هذا القرار مفاجأة • وكانت الأنباء قد تسربت الى دور الصحف والمواقع السياسية أن أنور السادات يفكر في وزارة جديدة ، تواجه مرحلة القتال • وتردد أنه كلف حافظ اسماعيل مستشاره للأمن القومي بتأليف الوزارة • وفعلاً بدأ حافظ اسماعيل في اختيار أسماء الوزارة •• ولكن هذا لم يستمر لأكثر من يوم • وتردد أنه طلب من وزير الحربية أحمد اسماعيل أن يرأس الوزارة •• وقيل أن الرجل أعذر ، وقال للرئيس : أننى أصالح للحرب •• ولكن ليست لدى صلاحيات رئيس وزراء ••

ثم عرف أن أنور السادات هو الذى سيرأس الوزارة • وقد قوبل هذا القرار من المتصلين بالرئيس ، باعتراض شديد • وقال المخلصون أنهم يفضلون لأنور السادات أن يبقى الحكم الأعلى بين السلطات • ولكن توليه رئاسة الوزارة ، سيجعل النقد الموجه الى أخطاء الوزارة ، موجها الى شخصه •

أما المتربصون بأنور السادات ، فقد أخذوا يشيرون أن الرجل يتولى كل السلطات خطوة •• خطوة ، لأنه يريد أن يكون الحاكم المطلق ! •• ولكن الرجل أختار قدره ، لأنه كان الوحيد الذى يعرف أن قرار القتال يقترب كثيرا • ولا بد من ضمان لسير شئون الدولة والحكم والمعركة •• ولن يتيسر ذلك الا اذا كان هو على رأس الجهاز التنفيذى •

وكان الوضع القائم بين الوزارة برياسة الدكتور عزيز صدقى ، والاتحاد الاشتراكى بقيادة المهندس سيد مرعى •• قد وصل الى درجة من السوء فى العلاقات بين الجهاز التنفيذى والجهاز السياسى ، بحيث لا يمكن اصلاحها الا بتخلى واحد منها • وفشلت محاولات التوفيق بين الاثنين • وكان كل اجتماع يحضره الاثنان مع الرئيس ، يتحول الى عرض للخلافات بينهما • كان سيد مرعى يقول ان الحكومة تتخذ قرارات ، لا يعلم الاتحاد الاشتراكى عنها شيئاً ، ومع ذلك فالمطلوب من الاتحاد الاشتراكى أن يدافع عن هذه القرارات أمام الجماهير • وكان الدكتور عزيز صدقى يرى أن الوزارة جهاز تنفيذى مسئول أمام البرلمان •

وما دام يواجه المسئولية الدستورية ،فان اتخاذ القرار هو من شأنه
لا من شأن التنظيم السياسى • وعندما كانت الحكومة تتعرض لأية
مسألة محرجة من أعضاء مجلس الشعب ؛ كان رئيس الوزراء فى يقينه ،
أن هذه مناورة يختفى وراءها سيد مرعى • وحتى عند مواجهة أحداث
الطلبة •• كان الطرفان يتصرفان فى شبه انفصال كامل •• وذلك أتاح
الفرصة لقيادات الطلبة أن تردد دائما ، أنهم لا يعرفون من يصدقون ••
الحكومة •• أم الاتحاد الاشتراكى ؟ ! وكان الرئيس أنور السادات
يعتز بالاثنين • وعندما تولى رئاسة الجمهورية كان يردد باستمرار ••
ان لدينا « اثنين عتاوله » •• فى الصناعة عزيز صدقى • وفى الزراعة
سيد مرعى •

ولكن الخلافات بينهما لها جذور طويلة ، قبل وفاة عبد الناصر ••
وبعدها •

هذا الوضع أثر على معنويات الجماهير •

بل زاد شكوكها •• فى جدية الاستعداد للقتال •

وتضاعفت هذه الشكوك بمظاهر عديدة •• كان أبرزها عندما تعرضت
القاهرة لأمطار غزيرة •• وخرجت الصحف بعناوين « القاهرة تغرق
فى شبر ماء » •• فاذا كان هذا هو الاستعداد لمواجهة المطر •• فكيف
يكون الاستعداد لمواجهة حرب يقول الرئيس السادات ليل نهار أنها
ستصل الى كل مدينة وقرية ومصنع !

وبدأت الاشاعات تروج عن أجهزة الدفاع المدنى •• وكان يقال ان
سيارات الأطفاء التى تستخدم فى تجارب الغارات •• هى بعينها التى
تستخدم فى كل محافظة فى هذه الحفلات الاستعراضية ، التى يقصد
بها طمأنة الجماهير فقط ! •• بل ان بعضهم تطوع بأعطاء أرقام هذه
السيارات التى تنتقل من محافظة الى محافظة !

وتطور الأمر فعلا الى شكوك فى كل شىء •• فى كل قرار •• فى كل
كلمة •

ومن أجل هذا كان لابد أن يتقدم السادات لتحمل المسئولية كاملة •
وأختار للمرحلة اسم « المواجهة الشاملة » ••

وقد عبر أنور السادات في اجتماع مغلق مشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب في ٦ مارس ١٩٧٣ .. عن دواعيه لاتخاذ قراره ..

نقال : لم تتحقق آمالي بالقدر الذي كنت أريده لقيام دولة المؤسسات .. وسبب ذلك :

● بعض أوضاع وحساسيات قديمة فرضت نفسها على الظروف الجديدة .

● بعض القوى لم تعرف دورها في الممارسة الجديدة .

● قواعد الممارسة نفسها أصبحت مخفوفة بالمخاطر .

● الممارسة فهمت خطأ في سيادة القانون ودولة المؤسسات .

ثم قال : الناس تتكلم عن صراع بين الحكومة والاتحاد الاشتراكي . أصبحنا دولة متناقضات لا دولة مؤسسات . ولا يمكن أن تنتظر المعركة لكي نرتب أنفسنا . المعركة ملحة . ولا يمكن تأجيل شيء عن شيء . ونتيجة التضارب والصراعات بدأت تخرج من دولتنا أسباب البلبلة . وأنعكست على العالم . شوهنا صورتنا بدون داع . شوهنا سمعة مصر . والموقف لا يحتمل أن نمر في مراحل بلبلة نحن الذين نصنعها ! .. ونتيجة لهذا ، حدث نوع من التسبب في البلد . تشكيك في كل شيء . الدولة ليس بها خطة . الحملات نزلت الى الأشخاص . بدأت قوى لها مصالح تتحرك . وبدأنا نقرأ في المنشورات الماركسية « لابد من العنف أمام السلطة المرتعشة » !

ولخص الرئيس متطلبات الموقف فيما يلي :

١ - معركة المواجهة أصبحت حتمية . اذن فلندخلها كما يجب أن ندخلها .

٢ - في الموقف الداخلي .. لا سبيل أمامنا لتأخير المعركة ، على حساب ترتيب أوضاعنا في الداخل .. ولا سبيل الى تأخير أوضاع الداخل على حساب المعركة .

٣ — لابد من توزيع أعباء المعركة توزيعاً عادلاً على كل انسان •
كل من عنده أكثر يجب أن تكون تضحيته أكثر •

٤ — لابد أن نقول للعالم أن لنا قضية • يجب أن نحرك الموقف
عسكرياً بكل ما يقتضيه من تضحيات • يجب أن يعرف العالم أننا نستطيع
أن نملى أراقتنا ، ونستطيع أن نتحدى عدونا ، ولكي يشعر العالم بنا
لابد أن تدب فينا الحياة أولاً • يجب أن أقول للعالم •• أنا حي •

وعرض الرئيس للموقف العربي والدولي بما أوجز فيما يلي :

الموقف العربي :

✳ هناك سلبيات كثيرة للأسف • ولكن الايجابيات بدأت تؤتي فعلاً
ثماراً للمعركة ، وهذا من نتائج الاتصالات الثنائية •

✳ الحملة النفسية للأعداء بالغة العنف • نشأت فجوة تصديق بين
الدول العربية • لا أحد يصدق عربياً أننا سندخل معركة •

✳ من الخير أن تستمر الاتصالات الثنائية العربية ، في جو من
الكتمان لا يعرف عنه العدو شيئاً •

✳ سوريا تواجه الموقف معنا •

الموقف السوفيتي :

اتصالات تجري لوضع علاقاتنا في إطارها الصحيح ، وعلى خطها
المستقيم •

مباحثات أجراها حافظ اسماعيل وأحمد اسماعيل مع زعماء الاتحاد
السوفيتي •

الموقف الأمريكي :

✳ علينا أن نقدم تنازلات لكي يمكن أن تتحرك القضية • تنازلات
في أشكال متعددة ومعلنة •

* أمريكا تقول أنها لا تستطيع ولا تملك الضغط على إسرائيل •

* كلمة ايجابية واحدة في لقاء نيكسون مع حافظ اسماعيل : قائلا الرئيس الأمريكى وهى : كيف يمكن أن نوفق بين السيادة المصرية على الأرض المصرية . ومقتضيات الأمن الاسرائيلى •

* ابيان يؤكد التنسيق الأمريكى الكامل • ويعلن أن صفقة الفانتوم الجديدة لاسرائيل ، قد نشرت عمدا ، لردع العرب •

* موقفنا من كل هذا : أن أعطاء اسرائيل أى حق على أرضنا ، تحت أى صورة من الصور ، وتحت غلاف السيادة ، مرفوض تماما • وعلى أمريكا أن تتحمل المسئولية بالكامل • وصفقة الفانتوم الجديدة تشكل موقفا من أشد المواقف خطورة ، وستحس به أمريكا بعد ذلك •

وقال الرئيس أن رسائله الى زعماء العالم ، كانت بهدف أن نطلع العالم كله أن الوضع أصبح متفجرا ، وأنه قابل للانفجار فى أية لحظة • ونص كلماتى فى رسائلنى :

— الموقف على وشك الانفجار •

— على كل أن يتحمل مسئوليته على المستوى العالمى •

— القضية لم تعد تحتل أكثر مما تحتل •

وختم السادات كلماته فى هذا الاجتماع المغلق بقوله : من أجل هذا ، وخلافا لكل ما أتمناه ، وصلت الى قرار أن أتحمّل قدرى بنفسى فى هذه المرحلة • وأطلب من كل واحد منكم أن يتحمل أيضا قدره بنفسه ويده • هناك لحظات فى التاريخ ، يجب أن يتقدم فيها الانسان ليتحمل قدره ، وليفعل القدر ما يريد • وليس عندى ما أقول سوى « ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا ، واليك المصير » •

وأختار أنور السادات لمسئولية أمانة اللجنة المركزية ، الدكتور حافظ غانم • وكان قد شارك المستشار حافظ اسماعيل فى جولته السياسية الى زعماء العالم • وقبل أن يعلن اختياره لمسئوليته الجديدة ، كان

الرئيس قد طلب منه أن يعد دراسة كاملة ، لأسلوب عمل الاتحاد الاشتراكي العربى ، على أساس واحد ، وهو أننا نقترّب كثيرا من القتال • وأعد حافظ غانم خطة ، ووافق عليها الرئيس • وكان من أهم معانيها ، الحفاظ على وحدة الجبهة الداخلية ، ودراسة عن حرب المصالح الأمريكية فى المنطقة العربية •

وأراد الرئيس أن يوسع نطاق المشاركة فى المسئولية ، فطالب القيادات ، بأجراء حوار فى كل المواقع ، حول متطلبات المعركة •

ومع ذلك •• فلم يكن أحد ليتصور أن المعركة تدق الأبواب •

وثارت فى مصر تساؤلات عديدة ، ووضحت من اتجاهات الرأى العام ، أكثر من علامة استفهام •

ثم أأخذ الرئيس قرار المعركة مع حافظ الأسد •

وأراد الرئيس أن يرد على كل التساؤلات ، وأن يقضى على كل ما توحى به أية اتجاهات تخشى من نتائج الحرب ••

وكانت هذه التساؤلات تدور بين الناس حول الأفكار التالية :

● اذا كنا جادين فعلا فى اختيار الحرب •• فلماذا لا يدرّب الشعب على استخدام السلاح ؟ ••

● هل أعددنا حقا لمعركة عسكرية ، سنكسبها مائة فى المائة ؟ ••

● كيف يمكن أن نحارب والواقع العربى فى خلافات مؤلمة ، وأحداث لبنان مع الفدائيين لا تبشر بأى خير ؟ ••

● اذا كانت اسرائيل تعربد الآن ، وتقتل زعماء المقاومة داخل بيوتهم فى بيروت •• وتسقط طائرة ليبية مدنية عليها ركاب مصريون •• فلماذا لا نلقنها درسا بضربة فى عمقها •• اذا كنا فعلا قادرون على ذلك ؟ ••

● هل نقول الحرب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين إسرائيل؟ ..

● هل هناك أمل في استخدام سلاح البترول في المعركة؟ .. مع أن تصريحات المسؤولين في المملكة السعودية تقول أن البترول بطبيعته ليس سلاحا • ولكنه أداة لشراء السلاح من أجل المعركة؟ ..

وحرص الرئيس أنور السادات على دعوة مجلس الشعب الى جلسة سرية مغلقة ، لاجراء حوار صريح ، في كل ما تجرى به السنة الناس ، حتى يضع النقط على الحروف، وحتى يوجد الايمان الصادق في قلوب القيادات السياسية ! اننا مقدمون فعلا على معركة .. وكان القائد يواجه فعلا معادلة صعبة • اذا سكت عن الكلام يحدث هبوط معنوي • واذا تكلم عن المعركة .. فهو لايجد آذانا صاغية ، لان عبارة المعركة نفسها .. أصبحت غير مصدقة ، مع امتناعنا عن اتخاذ أى اجراء انتقامى ضد عربة اسرائيل ..

وكان السادات يرد في مجالسه الخاصة « أننى أعرف أن بعض الناس يخشى تكرار هزيمة ٦٧ .. ولكن ما جرى عام ٦٧ لن يحدث أبدا مرة أخرى • أننا نستعد بهدوء في أدق التفاصيل • هذا ظرف من أصعب ما يمكن أن يعيشه شعب أو قيادة سياسية .. وعلينا أن نتحمل ، ونحسب حسابا عميقا وهادئا بدون عصبية .. أن المعركة هي الفارق بين الحياة والموت ، ولكن يجب الحساب العسكرى والسياسى • العدو يريدنا أن نتأكل من الداخل بدون معركة » ..

كان يتكلم عن ثقة ..

ولكن الشكوك كانت تأكل القلوب •

وأعرض هنا ردود الرئيس السادات على كل التساؤلات والشكوك من المحاضر السرية لهذه الجلسة الهامة ، لكى نقدر الى أى مدى كان الرجل يحاول أن يقنع الجبهة الداخلية ، بجدية خطواته نحو المعركة .. وإلى أى مدى كان يقاوم الشكوك التى تسربت الى القلوب ..

التساؤل الأول :

• لماذا لا يدرب الشعب على استخدام السلاح ؟

الجواب :

• هناك تدريب فعلا على أعمال المقاومة • ولكننى أخشى أن تكونوا متأثرين بأشكال خاصة عن الكفاح • البعض يتكلم عن فييتنام ، وأن كل مواطن هناك يحمل السلاح • والبعض يتكلم عن حروب شعبية • ولكننا نتجاهل أن إسرائيل لن تستطيع النزول الى الكثافة السكانية فى شعبنا • ولا تنسوا أن فى الجبهة ما يقرب من مليون • وقد بدأ التدريب فى المدارس • وأرجو أن يتحصن الطلبة والشباب بمناعة جديدة فى فترة الصيف •
المعركة المقبلة لها مواصفات ، يعرفها العسكريون ويحددها العسكريون •

التساؤل الثانى :

• هل نحن مطمئنون الى كسب المعركة مائة فى المائة ؟

الجواب :

• هذا التساؤل يثير أشياء كثيرة • المواجهة الشاملة •• ما معناها ؟ •• لماذا لا نقول معركة • وإذا قلنا ذلك فان الذهن ينصرف الى أنها المعركة العسكرية على قناة السويس فقط • ولكننى أقول لكم أن المعركة العسكرية ليست نهاية المطاف • نحن فى مرحلة صراع ، مثل الصراع الذى حدث أيام الحروب الصليبية • لقد استمر العرب فى صراع ٨٠ عاما الى أن كسبوا الحرب • قد تطول مرحلة الصراع •• وكنت أتحدث الى بعض الأخوة العرب وأقول لهم ، أنه من الجائز ألا نحضر نهاية هذا الصراع ، ولكن علينا أن نسلم لمن بعدنا ، مرحلة كاملة من النضال •

ماذا نواجه اليوم ؟ ••

أمريكا تعلن أن سياستها الأساسية هى الحفاظ على وقف النار •

إسرائيل تعلن أنه أنسب وأحسن وضع لنا •• هو وقف النار •• وذلك حتى يتسنى لها تغيير الأرض العربية وفرض الأمر الواقع • انها تبني

المستعمرات • تنقل اللاجئين من غزة الى الضفة الغربية •• تجري
تخطيطا للأرض المحتلة •• ثم نحن نواجه حملة نفسية تقول لنا ••
اسرائيل لا قبل لكم بها ، لأنها مؤيدة من أمريكا سياسيا واقتصاديا
وعسكريا واعلاميا ••

وفعلا •• بعد ٦ سنوات •• استطاعت هذه الحملة أن تتفذ الى نفوس
العرب •• لا الشعوب فقط •• بل الى جميع نفوس الحكام العرب ••
وبدأت تدخل الى نفوس البعض في شعبنا •

ويقول العضو (١) •• عاوزين معركة كسبانة ١٠٠٪ •

من يضمن هذا ؟ ••

المسألة ليست هكذا • المسألة ان اسرائيل • اذا استمر الوضع مجمدا
هكذا — لن تحتاج الى اطلاق طلقة واحدة •

سننفجر على أنفسنا من الداخل • واليهود لا يخفون هذا التوقع ••
أنهم يكتبونه في صحفهم •

وأحب أن أصارحكم • أمريكا تقاوم الآن أى تحرك لكسر وقف النار •
والاتحاد السوفيتي أيضا • يطلب ألا نكسر وقف النار •

الاتحاد السوفيتي يقول لنا • ستخسرون المعركة •

ولكننى أنظر الآن مجردا لمصلحة هذا الوطن • ولمصلحة قضيته •
وللمصلحة أجيالنا • اذا انتظرت بدون كسر وقف النار ، سيبقى الأمر
الواقع •• وروح اليأس والانهازامية تسلفت الى شعوبنا •• وابتدأنا
نقول •• يا معركة نكسبها •• يا •• لا ؟ ! •• طيب •• ماذا يجب أن
نفعل ؟ ••

هل أترك العدو يفعل كل شيء •• حتى أنفجر من داخلي ؟ ••

وكل يوم يتلقى العدو من أمريكا ما يريد •• ويتلقى الضمانات ••

(١) تقدم بهذا السؤال الاستاذ محمود أبو وافية •

وأنا .. « بالكاد » أحصل على ما أستطيع أن أدخل به المعركة •
وكون أمريكا ، تحقق لنا حلا سلميا الآن .. هذا أصبح حديث خرافة •
لماذا ؟ .. ان ملخص كلام الأمريكيان لتحريك القضية هو :

• يجب أن يكون هناك موقف مصرى جديد • أى تنازل نقدمه لتحريك القضية •

• نزع سلاح • بناء بالسكامل •

• الاعتراف بإسرائيل •

لقد انقلبت الآية ..

التنازل مطلوب منا .. والأخطر من هذا أن أمريكا تتحدث بهذا معنا .. ثم تسرب خبر صفقة الفانتوم الى إسرائيل ، حتى نرتدع كما أعلن أبا اييان • وسياسة أمريكا المعلنة رسميا ، هو حفظ ميزان القوى في صالح إسرائيل ضد العرب مجتمعين •

أمريكا حاطة السيف على رقبتى ؟ ..

يبقى حل ايه ؟ ..

هذا فرض شروط •

واذا بدأ التنازل فسوف لا ينتهى •

والاتحاد السوفيتى يطالبنى بأن اختار الحل السلمى ؟

وما أسهل أن أناور ، فى المدة الباقية لى لرياسة الجمهورية ، أعلن عن مؤتمر قمة عربى فى نوفمبر • ونخرج من المؤتمر كما دخلناه • يفوت ديسمبر • ندخل على عام ٧٤ • الروس متفقين على صفقات سلاح فى ٧٣ وأجزاء منها فى ٧٤ • أحضر اليكم وأطلب منكم أن تنتظر حتى منتصف ٧٤ •

وتنفيذ الصفقات « سيمط » حتى نصل الى آخر ٧٤ • بعدها ندخل
في ٧٥ وهكذا •• تنتهي مدة رياستي •• وأنا أناور •

اذا فعلت هذا ، سأكون خائنا • أنتى أفكر كمواطن مصرى قبل أن
أكون رئيسا •

كمواطن مصرى •• أنا أرفض رفضا كاملا ، أن أنفذ ما يريده الأعداء •
أنتى لا أخاف من المواجهة ••

•• والا كنت مضحيا بمصالح شعبى كلها •

استمرار وقف النار •• موت كامل لهذه القضية •

واقتراعى أنتى أحمل قدرى ••

سادخل المعركة ••

واذا لم نستطع تحرير الأرض تحريرا كاملا ، فليكن كسر وقف
النار ، ولن أترك للعدو ساعة واحدة ، يعمل فيها ما يشاء ، لكى يفرض
الأمر الواقع •

أن أى تخلف منا ، فى مواجهة قدرنا هذا ، •• أنتى اعتبره جبنًا
وخيانة •

من الممكن أن أختار الطريق السهل •• طريق المناورات كما قلت لكم •

ولكن القضية تحتاج الى أن يحمل كل منا قدره •• نواجه قدرنا •
يجب كسر وقف النار • يجب أن أكبد إسرائيل خسائر ، تعلنها فى قائمة
خسائر يومية • ستضرب إسرائيل فى العمق • وستضرب فى العمق •
أن من يريد أن يعيش بكرامة و « رأسه فوق » •• لازم يواجه ويدفع
الثمن •

ثم قال الرئيس :

بعد ذلك نسمع من يقول : عاوزين معركة كسبانة ١٠٠٪ •

والله •• على قد قوتى يجب أن أدخل المعركة • العسكريون عندنا على أعلى مستوى ، والسلاح الذى فى يدهم ممتاز للمهمة التى سيؤدونها • هم يخططون •• بأقصى ما لديهم •

ونحن سياسيا •• نضع أقصى ما نستطيع ••

وبعد ذلك يجب أن نواجه قدرنا •

أنتى أخشى أن يكون كلام •• عاوزين المعركة كسبانة ١٠٠٪ هو من أثر الحرب النفسية التى تشككنا فى قواتنا العسكرية •

هذا الكلام الذى يقال تحت الحرص على نجاح المعركة •• يعبر عن وجود خوف وتردد •

قضيتنا أصيبت بالشلل •• وهى فى سبيلها الى الموت الكامل •

ولكن أقول لكم •• القضية ستحيا •• القضية صراع طويل ، وليست معركة قناة السويس فقط ••

أماننا معركة مصالح أمريكا •

أماننا معركة الطاقة ••

أماننا معركة الحشد العربى ••

معارك كثيرة يجب أن نخطط لها ، بشكل شامل ، وأن ننسق وننفذ لكى يتم الصراع •

معركة القناة ليست هى نهاية الصراع •

أية تكاليف •• أية تضحيات •• يجب أن نكون جاهزين لأدائها •

ولكن • • لا بد من اداء الصراع كاملا : حتى نأخذ حقنا •

السؤال الثالث :

— كيف نحارب والواقع العربى كله خلافت • • ثم هذه أحداث لبنان مع الفدائيين ؟ • •

الجواب :

— عن الواقع العربى • • أننى أكتفى بالقول أن لنا مع الملك فيصل اتصالات متكاملة • والعراق يشترك اشتراكا محدودا • وسوريا معنا • أحمد اسماعيل قائد الجيشين • ولكن هل ننتظر حتى يتغير الواقع العربى ؟ • •

قال لى أحد أصدقائنا : لا معركة قبل أن تتم الوحدة العربية • •

فقلت له : الواقع العربى لن يتغير الا اذا بدأنا وتحملنا مسئوليتنا • أقصى ما يمكن أن نأخذه من الواقع العربى ، نحاول أن نأخذه بالاتصالات الثنائية • ولكن لن يتغير الواقع العربى • • والواقع الاسرائيلى • • الا عندما تكون لنا ارادتنا ونكسر وقف النار •

وطبعا أحداث لبنان تشكل خطورة شديدة ، ليس فقط فى أن يستخدم العدو أرض لبنان ليدخل الى سوريا • • هناك خطورة أبعد • • قد تكون هذه الحوادث مفتعلة ومدبرة فى هذه المرحلة التى شعروا فيها أن مصر وسوريا جادون فى المواجهة • • وقد حاولنا أن نحتوى الموضوع منذ بدايته ، ولكن الجيش اللبنانى تمادى فى العدوان بهدف تصفية الفدائيين • أعلننا موقفنا • سحبنا الممثل الشخصى • أرسلت رأيى الى الرئيس فرنجيه • الحالة أهدأ الآن • ونحن سائرون لايجاد أساس لأجتياز هذه المحنة • هناك تخطيط فى المنطقة لايجاد مشاكل بين العرب — حتى ننشغل عن معركة المواجهة الأساسية • أننا نبذل كل جهد • وما يتم وراء الكواليس ، يتم بكل اصرار ، لى نتفادى هذا الموقف •

التساؤل الرابع :

— كيف نحارب مع وجود هذه الفجوة التكنولوجية بيننا وبين
اسرائيل ؟ ..

الجواب :

— يقال ان هناك فجوة تكنولوجية بيننا وبين اسرائيل * هذه حقيقة *
ولكنني عندما أعود بالذاكرة الى الحرب العالمية الثانية ، وقد عشتها
ضابطا وسياسيا .. كان الألمان متفوقين على الروس بفجوة تزيد كثيرا
عن الفجوة مع اسرائيل *

بل بدأ الألمان ، وهم متفوقون على انجلترا وفرنسا وأمريكا التي
اتجهت الى الانتاج الاستهلاكي * ولكن هذه الدول الثلاث جمعت قواها
وهاجمت بعد ٥ سنوات * فلا يعنيها اذا انتظرنا ٦ سنوات * ولكن الروح
الانهزامية هي التي دخلت على نفوس البعض .. فإرادوا أن يصبحوا
فلاسفة ..

الفجوة كانت ضخمة بين ألمانيا وروسيا * روسيا لا تزال في مرحلة
البناء * وعندما وصل الألمان الى ١٥ كيلو مترا من موسكو .. لم يقل
الروس : يا معركة كسبانة يا بلاش *

ستالين استدعى القادة العسكريين .. وسألهم : ماذا نستطيع أن
نفعل ؟ .. وكان الألمان قد أحرقوا كل شيء * أكثر من ٣٠٪ من الصناعة
والزراعة الروسية دمرت تماما * وعاد المارشال تيموشنكو الى ستالين
بعد يومين وقال له : من الممكن أن نستعيد الموقف * بشرط تسخير كل
الموارد للمعركة *

وقد اكتشف ستالين أن جزءا من الانجازات الاقتصادية ، كان
مكتوبا في التقارير فقط ! .. ومع ذلك بدأ يعبئ ما عنده ، وطلب من
الحلفاء أن يساعدوه *

لم يتخاذل ستالين *

لم يتردد لحظة واحدة *

بدأ منطلق الحرب لا من أجل تحرير الأرض فقط .. ولكن لإعادة بناء
روسيا بالتكنولوجيا الحديثة .

ولذلك يجب أن تكون استراتيجيتنا قائمة ، على أن القوة الأساسية
للدفاع عن مصر .. يجب أن تصنع في مصر ، ولا ننتظر الصفقات
المطوطة .. ولا نشرب من صنوبر يمكن أن يقفل في أية لحظة .

وبدأ ستالين ..

خسروا في ليننجراد مليون شخص ، منهم نصف مليون في جبانة واحدة .
ولم يستسلموا .

كان الأطفال بلا ملابس . ودرجة البرودة ٢٥ تحت الصفر . لبسوا
الأشولة القديمة ، ولم يستسلموا .

أننى أكرر ما أعلنته في أول مايو ١٩٧١ . فلنكن هزيمة ٦٧ منطلقا
لبناء جديد . نحرر أرضنا وفي الوقت نفسه نبني قوتنا الذاتية التي
انتج بها في مصر ما يجعلنى قادرا على الدفاع عن نفسى ، بتصنيع مصرى .
ونحن سائرون في هذا .

أننا في حصار من الغرب ، وفي تحديد من الشرق .

مع الشرق . . وأنا أطالب منذ ١ و ٢ مارس ١٩٧١ (رحلة الاتحاد
السوفييتى) بتصنيع حاجيات أساسية في مصر . والقاعدة الصناعية
عندنا جاهزة لى تتطور وتصنعها ..

ولكن لا رد حتى الآن .

اذن .. أنا مضطر أن ألجأ الى كل الأساليب والطرق التى تمكنى من
تجميع قوة ذاتية تبنى في مصر .

هناك بديهيات للدفاع عنا ، لو كنا ننتجها محليا ، لما كانت اسرائيل
قادرة على الهجوم علينا .

سياسة القوة الذاتية تنفذ فعلا ، بكل الأساليب الممكنة وغير الممكنة .

أنا في مرحلة ، كل دقائق لها قيمة في العمل والتنفيذ •

؛

التساؤل الخامس :

— لماذا لا نضرب إسرائيل في العمق • حتى توقف عربدتها • لماذا لم نرد على ضرب الطائرة الليبية المدنية ؟ ••

الجواب :

— بعد أن وقعت كارثة الطائرة الليبية المدنية ، خطب معمر القذافي وقال أننا نرفض أن نرد على هذه العملية • والحقيقة أن معمر طلب أن ٣ طائرات تقلع من مصر أو سوريا ، وتدخل إسرائيل ، وتلقى بقنابلها وتعود •

ولكن العملية ليست بهذه البساطة • وهنا لا يفلح الانفعال ، لأن المسألة •• مصير شعوب •

وعندما أقول أنني أجهز الآن لكسر وقف النار ، فلا يعني هذا أننا سنضرب بمدفعية في القناة •• وإسرائيل ترد وانتهى الأمر • لا •• اليوم ، طلقة البندقية ، مثل عبور القناة • العدو سيرد بكل قوته •

وهذه مسألة محسوبة عسكريا وسياسيا •• كيف ؟ •• لقد اعتبرت إسرائيل وأمريكا أن حالة وقف النار هي كسب لها لا رجوع فيه ، وعليهما أن يحافظا عليه بأي ثمن وهذا واضح في خطط الاثنين • وليس من المعقول أن أضرب إسرائيل الآن بثلاث طائرات • لأعطيتها المبرر ، في وقت غرورها وعربدتها ، أن تشن حربا شاملة • يجب أن أكون جاهزا للمضاعفة والتصعيد • يجب أن أكون جاهزا للرد على الضربة بأعنف منها • وذلك قلت لمعمر : عمليتك دي •• لا موضع لها الآن •

التساؤل السادس :

— هل سيستخدم سلاح البترول في المعركة ؟ ••

الجواب :

من الخطأ أن نتصور أن المعركة ستكون على قناة السويس فقط •
المعركة جزء من صراع جوانبه متعددة • أحد هذه الجوانب الرئيسية ،
مصالح أمريكا ، الممثلة أساسا في البترول • لابد أن يكون التخطيط
شاملا لضرب المصالح الأمريكية خلال الصراع •

ولا أستطيع أن أقول أن هناك خطة جاهزة بالنسبة للبترول • توجد
اتصالات • هناك دراسات تتم بمنتهى الدقة • كيفية استخدام سلاح
البترول ، أولا يجب أن يقتنع به أصحاب البترول •

وهذا سيظهر في المرحلة المقبلة •

ولكن هناك شيء أساسي في اعتباري • ستكون معركتنا بالغة الصعوبة ،
بدون ضرب المصالح الأمريكية كجزء من الصراع • ويجب أن يكون
زمام المبادرة في يدنا • والتخطيط من أجل هذا • يجري الآن • الاتصالات
مستمرة • ولكن الموضوع بالغ الحساسية ، والواقع العربي ، يطالبنا
بعدم التصريح عما يجري أو يدور •• حتى بالتلميح •

* * *

وهكذا نجد أن الرجل كان يبذل قصارى جهده ، للقضاء على كل
الشكوك ، وإيجاد وحدة وطنية في البلاد ، لكي نواجه القتال والجبهة
بعيدة عن الانقسام والتسيب • وكان هذا سر ألمه من حوادث الطلبة ،
ومن منشورات بعض الكتاب والصحفيين ••

لقد تجاوزنا مرحلة الحرائق المتعمدة في عدد من المرافق العامة والتي
بدأت بحريق الأوبرا •

وتجاوزنا الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط ••

وتجاوزنا مواقف داخل القوات المسلحة ، مرتبطة بقرار الحرب ••
كان من نتيجتها إعفاء الفريق صادق وزير الحربية والقائد العام ••

وتجاوزنا الخلافات مع السوفيت حول الحرب والتسليح .. وكان القرار أن نحارب بما في أيدينا من أسلحة • وبما يتأكد وصوله من الأسلحة •

وتجاوزنا المعارك الجانبية في الموقف العربي الذي كانت توحى مظهره بالفرقة والانقسام .. بل باليأس الكامل كما عبر الرئيس الحبيب بورقيبة ..

وخلال ذلك كله تجاوزنا الاتهامات بالعجز والصمت والسعى الى الحلول التصفوية ، واسرائيل تعربد بكل غرور وخطرة ..

وانطلقت القذيفة الأولى في ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر •

غماذا حدث في الجبهة الداخلية :

ظهرت الوحدة الوطنية فعلا في أروع صورة •

أنطلق جوهر الوطنية المصرية الأصيل .. وتبدد كل الصدا في لحظات •

ولم يصدر قرار باعتقال مواطن واحد .. وهذا لم يحدث في أية دولة ، في أي حرب من الحروب •

وقال السادات لمدوح سالم في حديث خاص :

— هذا هو الشعب المصري الذي أعرفه • هؤلاء فعلا هم أبناء مصر •
دول ولاد الطين .. التي خرجنا منه كلنا •

ولا شك أن سياسة الأمن القومي في مصر ، تغيرت جذريا ، ببداية مرحلة ١٥ مايو •

كانت أجهزة الأمن من قبل ، تقسم الاتجاهات السياسية الى اثنين فقط • أخوان مسلمون (يمين) • وماركسيون (يسار) .. وكانت لديها كشوف بأسماء هؤلاء وهؤلاء .. وفي مواجهة أية أحداث ، كان أسلوبها « للأمن » هو اعتقال الجميع ..

المنطق الجديد • أو الفلسفة الجديدة بعد ١٥ ماو • • تطور الى أن اقرار « الأمن » الحقيقي ؛ هو في احترام مصرية الجميع • • انماء القطاع الوطنى الذى تتحسر أمامه كل الاتجاهات الأخرى • • ثم تحويل هذه الاتجاهات الى المنبع الواحد • • وهو منبع التراب المصرى •

ولذلك ففقد وفر العمل للجميع • • بغض النظر عن العقيدة السياسية ، ورفعت كل اجراءات حظر السفر الى الخارج • • وفتحت مصر أبوابها ، لكل الهاربين من الارهاب ، وأعيدت الجنسية المصرية لكل من طلبها ، وكان شعار أنور السادات فى هذا • • أننى يستحيل أن أمنع مصرياً من العودة الى بلده ووطنه وأرضه • • وقد بقى على أمين فى الخارج ٩ سنوات • • وكان يقال له من وسطاء السوء ، أنه سيعتقلك بمجرد نزولك الى مطار القاهرة ، فكتب على أمين الى السادات مباشرة • • وتلقى الرد : هذه أرضك ووطنك • • تحضر وقت أن تشاء • • وتغادرها وقت أن تشاء • • تقابل هذه الصورة • • صورة أخرى لما كان يحدث فى الماضى •

المواطن عز الدين عبد القادر (٧٠ سنة الآن) • • كان فى العراق خلال أزمة الديمقراطية عام ١٩٥٤ ، وأصدر كتاباً طالب فيه بأن تحكم مصر بدستور مباشر ودائم يحقق الديمقراطية • • ومرت سنوات • • وكان يخشى أن يعود الى مصر • • ثم تلقى رسالة مطمئنة • • فعاد • • فأعتقل فى المطار • • وقدم الى محكمة عسكرية • • وحكم عليه « الدجوى » المشهور بالاشغال الشاقة المؤبدة ! • •

ولم يخرج من السجن الا بقرار من أنور السادات بعد أن أمضى عشر سنوات !

فلسفة الأمن • • تحولت الى فلسفة أمان • •

ان بعض الاسماء التى كانت مسجلة فى الكشوف ، لكى تعتقل فى كل مناسبة • • لهم ابناء يقاتلون على الجبهة • •

فكيف اعتقل الأب • • لمجرد الاشتباه فى أنه معاد للنظام لأنه «أخوانى» مثلاً أو « ماركسى » أو من رجال الأحزاب القديمة وأبنه أو شقيقه أو ابن عمه يقدم دمه من أجل تحرير الأرض ؟ • •

ولماذا أنزع المصرية من الإخوانى أو الماركسى ؟ • • حتى لو علا صوته بمجرد صخب أو ضجيج • • لا يؤثر على سير الموكب الكبير •

وكان تقدير أجهزة الأمن العام .. ان الشعب سيقبل على حماية جبهة القتال ، لأنه وعلى الرغم من حملات التشكيك النفسية التي أصابت كثيرا من القلوب .. فان الشعور العام كان يطالب بالحرب ، مهما كانت النتائج . كانت الكلمة المتناقلة على ألسنة غالبية المواطنين .. كفانا حديثا عن المعركة ولندخلها وليكن ما يكون ومهما كانت النتائج . أما الاستمرار في هذا الوضع المائع .. فهو المذلة والمهانة .

وكان مطلوبا من أجهزة الأمن العام أن تجيب على هذا السؤال :

— ماذا يمكن أن يحدث لو ضربت القنابل الاسرائيلية الأعماق .. لو ركزت غاراتها على حي شعبي مثل حي شبرا في القاهرة .. لأحداث دعر في البلاد ؟ ..

و درست أجهزة الأمن العام ، احتمال التهجير من الأحياء المزدحمة بالسكان .. ولكن الى أين ؟ .. ومتى ؟ .. وساعة الصفر لا يمكن أن تكشف ؟ .. بل هي قد تحدد في أيام معدودة قبل المعركة .

ورأت أجهزة الأمن أن تهجير الأحياء المزدحمة بالسكان هو الذي سيحدث الدعر ..

لقد أعدت كل امكانيات الاغاثة والاسعاف وأطفاء الحرائق ورفع الانقاض والنقل الى المستشفيات .. بالنسبة للأحياء المزدحمة .. ولكن كان التقدير أن الشعب ، بعد الطلقة الأولى ، على جبهة القتال ، سيتقبل كل التضحيات .. مهما كانت التضحيات .

أن أضرار الحروب لا يمكن تلافيها .. لأن الحرب هي الحرب . ومقاومة هذه الأضرار .. يعتمد أولا على الشعب ، مهما كانت الاستعدادات الفنية والرسمية .

وقد فرض ممدوح سالم حالة الطوارئ في الأيام الثلاثة الأخيرة ، على كل أجهزة الأمن الداخلي .. وكانت الحجة الظاهرة ، أننا نتوقع خربة من اسرائيل . وتمت عملية مراجعة سريعة لكل اعدادات الدفاع المدني والشعبي .. والتطوع للمقاومة .. واعداد الاكتفاء الذاتي للمدن

والمناطق المتوقع ضربها من العدو وخاصة في مناطق الصعيد عند خزانات المياه ومواقع مولدات الكهرباء .. وكان المحافظون قد تلقوا في ٢٦ أبريل خطابا « سرى جدا » من وزير الداخلية يطلب فيه مراجعة جميع خطط اعداد الجبهة الداخلية ، والاطمئنان الكامل الى كفاءة اجراءات الوقاية والتحصينات وتحقيق الاكتفاء الذاتى فى التموين والادوية ، وضمان العمل تحت كل الظروف » .

وشعر المسئولون عن الأمن القومى بالخطر فعلا يومى الثالث والرابع من أكتوبر . لقد طلبت السفارة السوفيتية الى السوفيت المدنيين الموجودين فى القاهرة ان يغادروها الى الاتحاد السوفيتى على الفور . وأعدت لهم سيارات نقلتهم طوال الليل الى مطار القاهرة ، حيث قدمت طائرات خاصة من الاتحاد السوفيتى لهذا الغرض .

وحدث هذا فى سوريا أيضا ..

وكان من الممكن للعدو ، أن يستنتج من هذه الظاهرة ، أن الحرب على الأبواب .. وخاصة أن ما يجرى أمام أعين المواطنين المصريين فى الأحياء التى يسكنها سوفيت .. انتشر فى كل القاهرة .. وكان حديث الناس ..

ولكن كل شىء مر بسلام ..

وكان من أهم اجراءات اعداد الجبهة الداخلية للمقتال :

— خطط وقاية المصانع والمنشآت والمرافق العامة .

— خطط الوقاية من الاخطار البيولوجية والكيمياوية .

— خطط للعمل على أجهزة الدفاع المدنى تحت كل الظروف .

— اعداد خطط بديلة فى حالة ضرب مرافق الكهرباء والمياه والمجارى والتليفونات والسكك الحديدية .

— تدريب ١٩١٦ ٤ مواطنا على أعمال الدفاع المدنى والانقاذ والاطفاء ، وتم اعداد فرق للخدمات الهامة بالمحافظات من ٦٦ ٧٧٥ ٠ مواطنا .

— تحديد ٦٢ مدينة يتولى متطوعون تأمينها والدفاع عنها ، وأتخذت كل الاحتياطات عند عمليات التسلل والتخريب •



وقد نجح فعلا مخطط الدفاع المدنى فى كل المواقع التى قصفها العدو بغارات مكثفة ومتلاحقة ••

ومثال ذلك :

طريق دمياط بور سعيد الساحل (أكثر من مرة) — طريق مصر اسكندرية الزراعى — طريق بور سعيد الاسماعيلية — خطوط السكة الحديد بين الاسماعيلية والشرقية ، وخط السويس مصر — محطة مياه بور سعيد وماسورة المياه الرئيسية بين دمياط وبور سعيد وترعة الاسماعيلية — محطة كهرباء بور سعيد — محطة بور توفيق — بعض ابراج الضغط العالى بالدقهلية — خط الكهرباء الرئيسى لمدينة الاسماعيلية — خطوط الاتصالات اللاسلكية نتيجة قصف ضواحي المنصورة •

وفى رأس البر ودمياط استخدم العدو مدفعية السفن البحرية فى قصف مواقع مدنية ساحلية •



وارتفعت الجماهير الى مستوى المسئولية •• فى كل المواقع التى ضربها العدو ، ووصلت اليها قواته بعد التسلل من ثغرة الدفرسوار •

وكانت كل تحركات العدو فى هذه المواقع ، مرصودة من المواطنين •• وكانوا يبلغون بها كل أجهزة الأمن و المخابرات العسكرية فى الاسماعيلية •• وساعد ذلك على نجاح القوات المصرية قبل اتفاق فصل القوات فى يناير فى أن تلحق بالعدو أكبر خسائر فى الأرواح ••

وقد استخدمت القوات الاسرائيلية أبشع الجرائم ، لكى تجبر المواطنين على تقديم معلومات ، أو الابلاغ عن مواقع القوات المصرية .. وغسل كل ذلك فى أن يهبط بمعنويات المواطنين .. لقد دمروا مثلاً جميع المتاجر والمخازن فى فايد .. استولوا على محصول السمسم ونقلوه الى داخل اسرائيل .. أستولوا على أموال المواطنين بتفتيش الرجال والنساء تحت التهديد بالقتل ..

حرقوا المنازل وسرقوا ما بها • قتلوا طفلة أمام أمها ، ومنعوها من دفنها الا فى اليوم التالى • خطفوا المئات • أطلقوا الرصاص على الفلاحين جزافاً وبدون حساب • حدثت كل هذه الجرائم فى قري فايد والشلوفة وجنيفه وجيب الله وكسويت وفنارة وأبو سلطان وغرب الدفرسوار • وعين نمصين والضبعية وأبو حميان وسرابيوم وأبو سلطان •

ومع ذلك فان هذا الارهاب الدموى الاجرامى ، على مدنيين عزل من أى سلاح .. لم يمنع مواطنا مثلاً من ارشاد وحدة مصرية لاقتصاص الدبابات فى ٢٨ أكتوبر الى مركز تجمع لدبابات العدو فى احدى المرافق • ودمرنا ١٦ دبابة .. واستشهد أربعة أبطال •

وبلغ من حذر العدو وخوفه من المواطنين — رغم هذا الارهاب الدموى — أنه كان يضىء أنوار اكاشفة حول مواقعه طوال الليل • وكان يطلق النار كل ربع ساعة فى كل الاتجاهات ، للتخويف • وهكذا حتى يطلع النهار •

وعندما وصل موسى ديان فى زيارة للقوات الاسرائيلية فى ابو سلطان .. ظهر فى أماكن متفرقة ، أكثر من شخص فى ملابس وشكل موسى ديان .. وذلك خوفاً على حياة وزير الدفاع الاسرائيلى • ظهر هؤلاء الشبهاء فى محطة أبو سلطان .. وأمام محطة المياه وفى الوحدة الصحية •

* * *

وهكذا صمدت الجبهة الداخلية ، وتوحدت في صلابة .. وكان قلق الجماهير في الأيام الأولى التي أعقبت أنباء تسليح العدو من الدفرسوار ، يعبر عن الألم ، أكثر مما يعبر عن الاهتزاز •

لقد نمت ثقة كاملة بين الشعب والقيادة •

وعندما أعلن أنور السادات في أول مؤتمر صحفي عالمي بعد وقف القتال ، عن أن قواتنا قادرة على القضاء على الجيب الاسرائيلي .. أطمأنت الجماهير تماما ، لأنها أصبحت تصدق كل كلمة يقولها القائد •

الفصل العاشر

القذافي .. للفر المكشوف

●●● « عرض للموقف العربي قبل وبعد
المعركة . ماذا دار في لقاء الرئيس السادات
وفصيل في أغسطس ١٩٧٣ . ماذا طلب فصيل؟
وماذا كان رد السادات . كيف كان بومدين يرى
الموقف قبل ٦ أكتوبر . ؟

لماذا سافر بومدين الى الاتحاد السوفيتي ؟
ماذا قال له الزعماء السوفيت عن أنور السادات؟
المعونات العسكرية والبتروولية التي حصلت
عليها مصر من الجزائر والسعودية ..

ثم عرض شامل صريح لموقف معمر القذافي .
ولماذا قال له السادات .. أنتي مستعد ان
أبيعك صلاح الدين .. ولكن بشرط ! .. ماهو
هذا الشرط ؟ » ●●●

الرئيس السادات في أخطر جولة عربية سريعة ، قام بها قبل حرب أكتوبر • الرئيس يزور السعودية وسوريا وقطر • الرحلة مفاجئة • لا أحد كشف عما دار في هذه الرحلة حتى الآن التي تمت خلال أغسطس ١٩٧٣ •

لنتوقف قليلا مع الرئيس السادات في السعودية • لقاء بالغ الأهمية بين الرئيس السادات والملك فيصل • بل هو أهم لقاء جرى في المحيط العربي خلال عام ١٩٧٣ • الحديث يدور بين الرئيس والملك ، حول قرار الحرب • كاشف الرئيس السادات ، في هذا الاجتماع ، ملك السعودية ، برأيه الأخير وهو أنه لا سبيل الى التحرير وتحريك القضية الفلسطينية ، الا بالقتال • كان الملك فيصل في أول اللقاء ، مشفقا على المصير ، اذا لم نكن معدين لها ، الاعداد الصحيح القادر على قهر القوات الصهيونية • أفاض الرئيس أنور السادات ، في شرح الموقف العسكري ، والخطة المصرية ، وأستعرض كل جوانب الضربة المصرية •

اقتنع الملك فيصل • وربط اقتناعه بشرط واحد • قال الملك للرئيس السادات :

— لى مطلب واحد فقط •• وهو أن تستمر المعركة وقتا يسمح ببناء موقف عربى موحد • لا نريد أن نبدأ المعركة ، ثم نطلب وقف النار بعد يوم أو يومين •

أكد الرئيس أنور السادات ، أن خطة المعركة قد وضعت لتستمر • وأنه لن يوافق مطلقا على وقف النار بعد وقت قصير ، مهما كانت الظروف •

وضع الملك فيصل يده في يد الرئيس •• وتعهدا على التعاون الكامل •

قال السادات : اننى لا أطلب منك أى شىء محدد • أطلب منك فقط المساندة وبناء موقف عربى واحد •

وأوفى الملك فيصل بكلمته •

ولم يطلب الرئيس السادات ، من الملك ، اتخاذ أى اجراء • وكل

ما صدر عن الملك فيصل من قرارات ، كان بغير أى اتفاق مسبق مع الرئيس السادات • لم يجر أى اتصال بين القاهرة والرياض ، بشأن قرار خفض البترول الى أوروبا وأمريكا •• ثم قرار الملك بمنع البترول كليا ، من أمريكا وهولندا • عرفت القاهرة قرارات الملك ، عند اعلانها ، كما عرف بها العالم كله •

قال الرئيس السادات : هذا موقف عظيم ، لن تتساه الأمة العربية للملك فيصل •

وقبل القتال ، حصلنا على الأسلحة التى طلبناها من السعودية • كما حصلنا على الذخائر التى طلبناها • بل ان السعودية تعاقدت لنا على شراء أسلحة ، كنا فى حاجة اليها • وقدم الملك فيصل مليونى طن بترول مجانا • وعندما تخلى معمر القذافى عن أمدادنا بالبترول ، اشترت السعودية بترولاً مكرراً من ايطاليا ، وأهدته لمصر •

ثم قال الرئيس : وباختصار •• لم يتردد الملك فيصل لحظة واحدة ، فى الاستجابة الى أى مطلب طلبناه •• أسلحة •• معونة •• بترول •• أى شئ •• هذا عدا القرارات التى كان يصدرها بنفسه ، لدعم المعركة عربيا ودوليا ، وتفاجأ بها القاهرة •• موقف عظيم •

ولم يتكلم الملك فيصل • بل اننى سافرت الى السعودية ، باتفاق مسبق ، على موعد للقاء الملك فيصل • ولقيت جلالته • ورفض أن يتكلم بحرف واحد ، عن موقفه فى حرب أكتوبر • وكلما وجهت اليه سؤالاً كانت اجابته الواحدة المكررة : لم نفعل شيئاً • لقد أديننا الواجب • أداء الواجب لا يستحق الحديث عنه • مصر غالية •• وشعب مصر عزيز علينا ، وعلاقاتنا على طول المدى طيبة وأخوية وكلها مودة • كل ما أرجو أن يتحقق هو الموقف العربى الموحد • الصهيونية والشيوعية تقيدان من الخلافات العربية • وكل من يعمل على تفتيت الصف العربى ، منحرف ، ينفذ أهداف الصهيونية والشيوعية ، سواء كان يعرف أو لا يعرف • نسأل الله أن يهدينا جميعا الى وحدة الرأى والكلمة ، من أجل بناء الأمة العربية •

هذه خلاصة اجابات الملك فيصل على أسئلتى ••

وفشلت كل محاولاتي معه أن يتكلم ..

موقف آخر .. سألت عنه الرئيس أنور السادات • هو موقف الرئيس
هواري بومدين •

اننى أعرف أنه كانت بين القاهرة والجزائر ، أزمات وأزمات ، قبل
وفاة جمال عبد الناصر • وكان الرئيس بومدين بالغ الاستياء مما يكتبه محمد
حسنين هيكل من هجوم ظالم وتشويه لموقف الجزائر • وقد حدث أن كان
الدكتور مراد غالب فى الجزائر وهو وزير للخارجية لحضور مؤتمر قمة
عربى • وكان واقفا يتحدث مع الرئيس السودانى جعفر نميرى • وكان
نميرى فى قمة الغضب أيضا ، مما كانت تنشره « الاهرام » ضد ثورة
السودان • ودعا مراد غالب الرئيس نميرى ، أن يمر على القاهرة ، فى
طريق عودته الى الخرطوم • وأجاب نميرى : لن أدخل القاهرة ، ومحمد
حسنين هيكل يتولى مسؤولية فيها ••

فقال مراد غالب •• ولماذا تربط موقفك من مصر ، بشخص •• وهنا
كان قد جاء الرئيس بومدين •• فأراد مراد غالب أن يستعين به على
اقناع الرئيس نميرى • وأعاد مراد غالب على مسامع الرئيس بومدين ،
ما قاله الرئيس نميرى من أنه لن يدخل القاهرة •• بسبب هيكل •

وكانت اجابة الرئيس بومدين : الرئيس نميرى عنده حق مائة مائة •
أنا معه فى هذا •

وكان بومدين قد استقبل الدكتور مراد غالب ، وعرض له أسباب
سوء العلاقات من وجهة نظر الجزائر • وكان يحتفظ بملف كامل ، بكل
ما كتبه هيكل ضد الجزائر • وقال بومدين : هذا تشويه لموقف الجزائر
وثورة الجزائر •

واستمرت وجهة نظر الجزائر ، بعد وفاة جمال عبد الناصر ، أن
الجزائر مستعدة أن تقدم كل عون عسكرى ومادى •• وكل ما يطلب منها
إذا بدأت الحرب فعلا •• أما قبل ذلك ، فلا •

والدافع الى رأى الجزائر ، أنه لم تكن هناك ثقة فعلا ، أننا سندخل
الحرب •

وحدث أن التقى الرئيس بومدين بالفريق سعد الشاذلى ، وكان قد سافر الى الجزائر ، بوصفه أمينا مساعدا للجامعة العربية ، وقال له الرئيس بومدين : حقيقة أن السادات فى موقف صعب • عدم دخول الحرب مصيبة •• ودخولها قد يكون مصيبتين • وصفت أوجه خلافات كثيرة •• فى لقاء بين السادات وبومدين •

ولكن بقيت وجهة نظر الجزائر ، متشككة فى امكانية دخول مصر الحرب •

••• ثم بدأ العبور العظيم ••

وكان الرئيس بومدين يتصل يوميا بالرئيس السادات متابعا ، بكل اخلاص وحماسة سير المعركة • مستجيبا الى كل ما يمكن أن تطلبه مصر •

وفجأة توقف خط الاتصال ••

وفجأة عرف الرئيس السادات أن بومدين سافر فى رحلة سرية الى موسكو واجتمع بزعماء الاتحاد السوفيتى •• ثم عاد من رحلته على الفور فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى !

وفجأة عرف الرئيس السادات ، أن الرئيس بومدين ، قام بهذه الرحلة السرية التاريخية ، دون أن يخطر أحدا •• واجتمع بقيادة الاتحاد السوفيتى ، وقدم ٢٠٠ مائتى مليون دولار لشراء أسلحة • مائة مليون لمصر ، ومائة مليون لسوريا • وطلب من موسكو أن تتصل بالقاهرة ودمشق لتحديد ما يحتاجانه من سلاح •• ووافق السوفيت •

وعاد الرئيس بومدين الى الجزائر ، ودعا مجلس الثورة الجزائرى الى اجتماع وعرض عليهم كل ما جرى • وأعلنت الجزائر أنها ستوقف خطة التنمية كاملة •• حتى تنتهى المعركة •

ولكن ماذا جرى بين الرئيس بومدين والاتحاد السوفيتى ••

لقد جرت مناقشة سياسية طويلة ، هاجم فيها الاتحاد السوفيتى ، سياسة الرئيس السادات •• وقالوا كلاما كثيرا ••

وهنا قال الرئيس بومدين : اننى لم أحضر الى موسكو ، لكى أدخل
فى مناقشة سياسية .. نرجو أن نفحنى السياسة جانبا • مصر وسوريا
الآن فى حرب • وقد جئت اليكم أشتري سلاحا للبلدين الشقيقتين ..
فهل توافقون ..

ووافق الاتحاد السوفيتى ..

وتحدث الرئيس السادات عن موقف الجزائر البطولى • عندما طلبنا
المدرعات ، ل خطة ضرب الاسرائيليين فى الضفة الغربية بعد الثغرة ..
ووصلت الى مصر ، وفى أسرع وقت ١٥٠ دبابة ، ورجالها وتموينها
ومدفعيتها .. ومن قبل .. انضمت قوة طيران جزائرى — طائرات
وطيارون — الى قوات الطيران المصرية •

كان التعاون رائعا ..

وكان الموقف بطوليا ..

وعندما اخذ معمر القذافى الموقف الشاذ .. ومنع البترول عنا ..
أرسلت الجزائر هدايا البترول .. وأرسلت الجزائر هدايا البوتاجاز ..
وكانت الجزائر متعاقدة على شراء بوتاجاز لاستهلاكها المحلى .. ولم
تكن البواخر قد وصلت بعد .. وأعطى الرئيس بومدين أمره للبواخر
أن تتجه الى مصر •

ولم تصدر عن الرئيس بومدين كلمة واحدة ، عن دوره التاريخى فى
حرب أكتوبر •

وكانت قراراته السياسية ، والبترولية ، خلال المعركة وبعدها ، تعبر
عن المسئولية المصيرية الكاملة .. ولم يأبه لصوت المزايدات الكلامية
والمواقف المسرحية التى اتخذها معمر القذافى ، فى موضوع ، إعادة
ضخ البترول لأمريكا بعد أن تغير الموقف الأمريكى ..

وقال القذافى حينئذ أنه لن يدنس أرض ليبيا ، بأن يتخذ عليها ، قرار
إعادة ضخ البترول لأمريكا ..

وفي اليوم التالي ، كانت بعثة اقتصادية أمريكية تزور ليبيا ، باتفاق رسمي سابق ، للمناقشة في دعم الروابط الاقتصادية بين أمريكا وليبيا !!

ولكن لماذا أتخذ معمر القذافي هذا الموقف المؤسف .. قبل حرب أكتوبر .. وخلالها .. وبعدها وحتى الآن ، على الرغم من أن طرابلس اتصلت بالقاهرة ١٨ مرة تليفونيا خلال شهر يوليو الماضي ، عارضة أن يتحدث الرئيس السادات الى القذافي .. وقد اعتذر الرئيس عن ذلك .. وكان آخر حديث تليفوني مع أبو بكر يونس عضو مجلس الثورة الليبي .. وقال الرئيس السادات : لقد سئمت التعامل مع معمر بهذا الأسلوب . ان مصر غنية . وغنية جدا . وأغنى من بترول ليبيا . يجب أن تعرفوا هذه الحقيقة . واننى مستعد أن أتجاوز عن حقى الشخصى كأثور السادات . ولكنى لن أفرط فى حق الشعب المصرى ..

ان الرئيس السادات يلخص موقف القذافي فى جملة واحدة « معمر يريد أن يفرض نفسه على المسرح العربى .. وبشروطه » ..

وقلت للرئيس : اسمح لى يا سيادة الرئيس .. لى رأى آخر .. ان أحلام معمر القذافي الحقيقية ، هى أن يحكم مصر . هذه هى الحقيقة . لقد تصور قبل أكتوبر ، أننا لن نحارب ، وأن النظام سينهار من الداخل .. وأراد أن يشجع على كل هذا ، باختراع النظرية الثالثة ، والثورة الشعبية .. وكل هذه الشعارات .. تصورا منه أن هذا سيكون له أثره على الداخل فى مصر .. ولكنه بكل أسف لا يعرف مصر .. ولا يعرف شعب مصر ..

ولم يشأ الرئيس السادات أن يعلق على رأى ..

ولكن ما هى قصة معمر القذافي ؟ .. وما هو الدور الذى شاء أن يلعبه فى حرب أكتوبر .. فخر بعده كل شىء ..

ان قصتى .. وقصة عدد كبير من كتاب مصر ، مع معمر القذافي .. عندما حضر الى مصر فى يوليو ١٩٧٣ .. يمكن أن تلقى الأضواء ، على قصة القذافي مع حرب أكتوبر .. كان ذلك فى الخامس من يوليو ١٩٧٣

وكنّا في دار مؤسسة روز اليوسف ، بدعوة مفاجئة في نفس اليوم ،
لأجراء حوار مع العقيد القذافي ، واشترط العقيد أن يحضر المراسلون
الأجانب هذا الحوار ، لكي يضمن نشره على أوسع نطاق عالمي ..

وبدأ الحوار .. وتكلم القذافي عن الوحدة .. وتكلم آخرون عن
تحفظاتهم ..

ثم قلت للعقيد القذافي .. أنت يا سيدي تلوم صحافة مصر ، لأنها
لا تقيم مهرجانات اعلامية ، لحدث خطير يقترب موعده .. هو الوحدة
الاندماجية بين مصر وليبيا .. ومع ذلك فإنني أرى في قراراتك وخطبك
ما يقطع الطريق تماما على هذه الوحدة ..

لقد أعلنت في خطاب أخير ، انك لا توافق على استراتيجية المعركة كما
وضعها السادات والأسد وأنت تبريء ذمتك أمام الله والجمهير من هذه
الاستراتيجية ..

فاذا كانت الوحدة أساسا من أجل المعركة .. وأنت لا تقر طريقنا الى
المعركة .. فكيف يمكن أن تتم الوحدة ؟ .. وكيف يتفق هذا الرأي مع
دعوتك الى الوحدة ..

كما أنك أعلنت يا سيدي ، انك لا تقر سياسة مصر التي وصفتها بأنها
تهادن الرجعية العربية .. وأنت تطالب نظامنا وصحافتنا بالهجوم المستمر
على السعودية والكويت ودول الخليج والمغرب .. وأنت في الوقت نفسه
تدعو الى قومية المعركة .. أي الى اشتراك كل الدول العربية في تبعات
المعركة بنصيب .. ونحن نسعى الى الحشد العربي ، وتكتيل الجهود ..
واذا كنا نفكر في استخدام سلاح البترول في المعركة .. فلا يمكن أن يتأتى
ذلك بغير دعم العلاقات العربية وإزالة الخلافات وتجنب المعارك الجانبية ..
هذا خطنا العربي .. تسخير كل الجهود للحشد العربي من أجل المعركة ..

وهذا خطك العربي .. دعوة الى اسقاط النظم في هذه البلاد العربية ..
ودعوة الى تصدير الثورة اليها .. وقد أعلنت أكثر من مرة أنك مؤمن
بتصدير الثورة ..

فكيف يمكن يا سيدى أن تتحقق وحدة بين مصر وليبيا .. فى ظل هذا
الاختلاف الجذرى فى السياسة العربية ؟ ..

لقد تجاوزت مصر هذه المرحلة .. التى تدعو أنت لها الآن .. أن
الأرض العربية محتلة .. والخطر الصهيونى يهدد الجميع .. ولا يمكن
أن نتعارك .. وأن نسعى الى انقلابات فى الدول العربية .. ونحن مقدمون
على معركة ..

كما أعلنت يا سيدى • أن مصر يجب أن تهاجم هيلاسلاسى .. ويجب
أن تهاجم أثيوبيا كدولة لها صلات بإسرائيل ..

ونحن نقول يا سيدى أننا نسعى الى تضامن عربى أفريقى من أجل
المعركة .. وإذا كان لهيلاسلاسى كيان أفريقى ضخم مؤثر .. فكيف
نقطع ما بيننا وبينه .. والتأييد الأفريقى للموقف العربى ، ينمو الآن
شيئا فشيئا ..

اذن نحن مختلفان أيضا فى السياسة الأفريقية .. فكيف تتحقق وحدة
فى ظل هذا الخلاف ..

ثم انك يا سيدى أعلنت ما اسميته النظرية الثالثة .. وأنت متمسك
بإضافات الى ميثاقنا الوطنى تسجل هذه النظرية ، وتدعونا الى الأخذ بها •

ونحن لا نرى جديدا فى هذه النظرية .. ونحن سائرون على مبادئ
٢٣ يوليو .. الثورة الأم ..

وإذا كنت ترى من مسئوليتك الدعوة الى هذه النظرية بين أبناء الشعب
اليبى .. فلا اعتراض لنا على ذلك .. أما انك تريد منا اقتناعا بما تدعو
اليه .. فهذا أمر لا نقره ..

وهذا أيضا خلاف جذرى يضع عقبات أمام تحقيق الوحدة ..

وأنت يا سيدى تهاجم البيروقراطية والنساء فى مصر .. وقد دعوت
الى ما أسميته الثورة الشعبية فى ليبيا .. العاملون فى كل موقع عمل ،

يجتمعون ، ويفصلون من يشاؤون ، ويرثسون من يشاؤون .. وهذا ما تراه أنت أنه حكم الشعب ..

ونحن أيضا ياسيدى تجاوزنا هذه المرحلة .. ان عندنا مجالس الادارات فى المؤسسات واللجان النقابية ، ولجان الاتحاد الاشتراكى .. وكلها بانتخابات حرة يراعى فيها تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ .. وعندنا دولة المؤسسات الدستورية ، فى ظل دستور دائم ..

وقلنا .. اننا لا نعترض على الثورة الشعبية كعمل داخلى فى ليبيا .. هذه تجربة من حق ليبيا أن تمارسها ، وان تنتظر نتائجها .. ولكن ليس من حقك يا سيدى أن تفرض ما تسميه بالثورة الشعبية على مصر ..

وهذه أيضا نقطة خلاف جذرية .. أثرتها أنت يا سيدى ، ونحن نقترّب من موعد الاستفتاء على الوحدة الاندماجية ..

فكيف يتفق ذلك ، مع دعوتك للوحدة ؟

وأنت يا سيدى ، أعلنت سقوط حكم القانون .. وأمرت بسجن عدد كبير من المثقفين فى بلادك دون تحقيق ، ودون محاكمة .. وقلت أنك جربت الديمقراطية وفشلت تجربة الديمقراطية ..

ولكننا يا سيدى نتمسك بسيادة القانون .. ونحن نرى أن الديمقراطية وسيادة القانون ، هما حماية المواطن فى حريته وعمله ورزقه وحرماته ..

لقد نبذنا الاجراءات الاستثنائية المهددة للحريات .. نبذناها الى الأبد .. وأنت بدأت حكم ليبيا باجراءات استثنائية ..

فكيف يمكن أن تستقيم وحدة بين نقيضين .. ونحن نتمسك بسيادة القانون .. وأنت ترى غير ذلك ؟ ..

ولذلك فأنتى أقول لكم ، أن الصحافة المصرية التى تصفها بأنها متخلفة ، ورجعية ، وأنها فقدت ثورتها .. لم تقصر فى الدعوة الى الوحدة .. ولكن قراراتكم وآرائكم .. هى التى تقف عقبة أمام الوحدة .. وصحافتنا تؤدى دورها الوطنى والقومى .. وأنتى أرجو منك ردا على كلامى هذا ..

واستمع العقيد القذافي طويلا .. وكان قد جاملنى قبل أن أتكلم
بقوله ، أنه قرأ كتابى ثورة كوبا ، قبل ثورة الفاتح ، وأنه تأثر به ..
وطلب من زملائه أن يقرؤوه ..

استمع لى منصتا .. ولكنه لم يعقب .. واستمع الى كلمات أخرى
من زملاء آخرين .. ولكنى وقفت مرة ثانية .. وطلبت من العقيد القذافي
ردا على ملاحظاتي .. كما ألح زملاء آخرون فى أن يستمعوا الى رده ..

فقال على مضض : أن ما قلته صحيح تماما .. هذه خلافات أساسية
بيننا وبين مصر ، وقد جئت الى مصر لأناقش مع الرئيس أنور السادات
هذه الخلافات ..

كان ذلك فى يوليو عام ١٩٧٣ ..

وكان العقيد القذافي قد وصل الى مصر فجأة ، ومعه أسرته ، وكتبه ،
وسلاحه .. وبدأ أنه كان على خلاف مع أعضاء مجلس الثورة فى ليبيا ..
وقال للرئيس أنه بين يديه من أجل الوحدة ..

وأثار فعلا هذه الموضوعات ، مع الرئيس أنور السادات ، الذى
استقبله أكرم استقبال ، ودعاه الى أن يجتمع بكل المؤسسات الدستورية
والصحفية فى مصر .. وأن يتعرف الى حقيقة رأى المصرى ، فى
مناقشات حرة ، تعبر فعلا عن جماهير الشعب .. واجتمع القذافي مع
أعضاء مجلس الشعب .. ومع التنظيم النسائى فى الاتحاد الاشتراكى
العربى .. وعقد اجتماعات فى المؤسسات الصحفية ، واشترط أن يدعى
اليها ممثلو الصحافة العالمية ووكالات الأنباء .. وكان هدفه من دعوة
الصحافة الأجنبية نشر آرائه على أوسع نطاق ..

ولس القذافي تماما من كل ما سمع ..

.. ان الجماهير المصرية تؤمن بالوحدة ..

.. ان الجماهير المصرية لا تريد تجربة خاسرة .. ولذلك يجب وضع
ضمانات نجاح الوحدة ، وأولها أن تكون على خطوات مدروسة فى
جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

وكان القذافي قد رفع شعار أن ليبيا كانت ترى وهي مقبلة على الوحدة مع مصر أنها سوف تضحي بالثروة .. ولكنها ترى الآن أنها سوف تضحي بالثروة أيضا !

وكان هذا الشعار ، جارحا لكرامة مصر والمصريين .. فليست مصر التي ضحت بعشرات من آلاف الشهداء وبعشرات الآلاف من ملايين الجنيهات ، على حساب تطورها ، من أجل القضية العربية .. هي التي يقال لها أنها طامعة في ثروة ليبيا .. وليست مصر الرائدة ، هي التي تتلقى درسا في الثورية .

ولذلك حرص الرئيس أنور السادات في كل مباحثات مع القذافي ، أو مع أعضاء مجلس الثورة الليبي أن يؤكد على معنى أساسي .. وهو أن ثورة ليبيا .. لشعبها .

وعرض القذافي خلال تلك الزيارة أن تشاركنا ليبيا في مشروعات استثمارية ضخمة .. وعقد اجتماع فعلا حضره الدكتور عبد العزيز حجازي .. ثم عاد القذافي في اليوم التالي ليضع الشروط .. وقد سبق أن أوردتها .. وهي الاعتراف بنظريته الجديدة .. والدعوة الى الثورة الشعبية في مصر .. الى آخره ..

ورفضت مصر بطبيعة الحال ..

وعاد القذافي الى ليبيا من الطريق الصحراوي .. بعد أن كانت أعدت له الطائرة الخاصة .

وأذكر أن الرئيس أنور السادات صارحه في لقاءاته بقوله : يا معمر .. أننى أعرف أن طموحك يتعدى حدود ليبيا .. وأعرف أنك مقتنع بأنك ستقوم بدور جمال عبد الناصر في المنطقة العربية .. اننى مستعد أن أعترف بك .. لا كجمال عبد الناصر فقط .. بل كصلاح الدين .. ولكن بشرط واحد .. هو أن تطرد الغزو الصهيوني من الأرض العربية كما طرد صلاح الدين الغزو الصليبي . هذه هي القضية الآن .. وهذا هو الهدف .. أما الخطب الملتهبة .. أما النظريات والايديولوجيات .. فليس مكانها — الآن .. أمامنا هدف هو المعركة .. هو طرد قوات اسرائيل من أرضنا ..

إذا حققته .. فأننى مستعد أن أنسحب .. وأن أبايعك صلاح الدين العربى ..

واللحقيقة والتاريخ .. فقد بدا فعلا من خطابات معمر القذافى ، وتصرفاته الدعائية ، وموافقة المفاجئة .. أنه مقتنع بأنه جمال عبد الناصر .. وأن زعامة ليبيا وحدها ، لن تحقق له هذا الطموح .. وأصبحت زعامة مصر هى هدفه .. وأطلق على نفسه فى صحف ليبيا لقب « أمين القومية العربية » !

وقد أخطأ التقدير فى هذا .. سواء كانت هذه الفكرة نابغة من منطق الخصاص .. أو نابغة ممن أوحوا له بها .. وربما كان الخطأ من مصر أولا ..

لقد أسرفنا فى تمجيد القذافى عند نشوب الثورة الليبية .

لقد كانت فعلا مفاجأة سارة بعد الهزيمة .. وكانت دليلا على امتداد مبادئ ٢٣ يوليو الى قلوب شباب الأمة العربية . ولذلك كان الترحيب بها ضخما ..

كما أن بعض الحكام العرب ، حاول احتواء الثورة الليبية ، والمباعدة بينها وبين القاهرة .. وقد زاد ذلك من تدليل القاهرة للثورة الليبية .. ويبدو لى أن شخصية القذافى ، وضع جموحها فى اجتماع الملوك والرؤساء قبيل وفاة جمال عبد الناصر . فقد كان يريد أن يحارب أمريكا لو تدخلت فى الأردن !

وظهرت بعد ذلك « شطحات » عديدة .. كنا نرجعها الى عدم الخبرة ، وثورة الشباب ولكننا كنا نقول دائما بطهارة القصد ..

ولكن يبدو لى أن فكرة الوحدة مع مصر ، تطورت فى عقل معمر القذافى ووجدانه .. على أساس أنه سوف يكون حاكم مصر وزعيمها !

وهو فى هذا ، قد أخطأ التقدير لشخصية أنور السادات .

كانت حسابات القذافى ، أو من يمدونه برؤى المستقبل .. أن أنور السادات لن يدخل معركة ..

وأنه يواجه مشكلات داخلية لن يستطيع التغلب عليها ..
ولا أستطيع هنا أن أتجاهل ، أن القذافي كان له اتصال ببعض العناصر
في مظاهرات الطلبة ..

وكانت قصص قد ترددت عن انقلاب في الجيش المصرى !!
كل ذلك أقنع من لا يجيدون حساب شخصية السادات ، أن النظام
يتهاوى .. ومن هنا جاءت فكرة الثورة الشعبية في ليبيا .. لا لكى تطبق
في ليبيا .. ولكن لكى تطبق في مصر أساسا ..

وتصور القذافي أن هذه الفكرة ستستميل الطبقة العاملة في مصر ..

وخلال ذلك كله ، كان القذافي دأباً على الدعوة لزعامته .. مؤتمرات
متلاحقة في ليبيا .. اتصالات بجماعات من شباب أوروبا .. نشرات بجميع
اللغات توزع في جميع أنحاء العالم أن القذافي هو النبی الجديد .. وكان
القذافي يستخدم في أجهزة الاعلام الليبية كل العناصر المعادية للنظام
في مصر ، ومعظمهم ماركسيون .. رغم تعارض ذلك مع رأيه في الشيوعية
والشيوعيين .. ووصفه لهم بأنهم عملاء .. ووجدت بعض أقلام بيروت
في أحلام القذافي ، فرصة للحصول على أمواله .. وصرف القذافي فعلا
ملايين الجنيهات ، في شراء أقلام وصحف .. وفي انشاء صحف جديدة
في لبنان تروج لآماله وأحلامه .. وتشوه سمعة النظام المصرى ..

ثم رأى أن الطريقة المثلى .. هي انتزاع الحكم في مصر !

ومن هنا جاءت فكرة المسيرة الى مصر ، التي أعد لها خمسون ألف شاب
ليبي يزحفون الى القاهرة ، ويشعلون النار في ملاهى شارع الهرم ..
وكان المفروض أن تتضمن اليهم من الداخل عناصر متمردة .. أو هكذا
توقعوا على الأقل .. ثم يختلط الحابل بالنابل وتعلن الدولة الواحدة ..
ويبعد أنور السادات ، أو يبقى ملكا لا يحكم !

وفشلت فكرة المسيرة ..

وعالجتها مصر بمنتهى الحكمة ..

ويجدر هنا أن أشير الى الجهود العاقلة التي بذلتها مصر ، لتفويت

أهداف هذه المسيرة بالحسنى .. وفى الوقت نفسه عدم الاساءة الى العلاقات بين الشعبين المصرى والليبي .. كانت مصر قد تلقت أنباء بالتدبير لهذه المسيرة .. وأهدافها .. وأن هناك أموالا تصرف لاعدادها ..

ولكن مصر فضلت الانتظار ..

ثم بدأت الاذاعة الليبية الرسمية تؤدى دورها فى تهيج مشاعر الجماهير الليبية ، والدعوة الى المسيرة ، واستغلال اسم عبد الناصر ..

فأوفد الرئيس السادات الدكتور حافظ غانم — وقد كان فى دمشق — الى ليبيا .. ليعلم شكره الى الشعب الليبى على مشاعره الوجدانية .. ولكى يتفاهم مع السلطات الليبية على الأسلوب الذى يجعل المسيرة تحقق أغراضها .. دون اخلال بالأمن ، أو اتاحة الفرصة لعناصر معادية أو مندسة أن تستغل هذه المسيرة ..

والتقى الدكتور غانم عند وصوله مع عدد من أعضاء مجلس الثورة هم : بشير هوارى — أبو بكر حمزة — عمر المحيشى — الخويلدى الحميدى — محمد نجم — عبد المنعم الهونى ..

وكانت اجابتهم جميعا ، بعد أن نقل اليهم رسالة السادات ، أنهم لا يعرفون شيئا عن المسيرة وأنهم سمعوا عنها فى الصحف ، وأنهم لا يملكون السيطرة عليها !!

وأبلغهم بمعلومات القاهرة عن المسيرة .. وأن هناك عناصر معادية للوحدة والقومية العربية تستغل المسيرة ، ما دام لا رابط لها ولا ضابط وخاصة أن أعضاء مجلس الثورة يقولون أن المسيرة مفتوحة لليبيين وغير الليبيين ..

وكانت اجابتهم : الشعب الليبى واعى ، ويعرف كيف يقدر الظروف .. وإذا حصلت خسائر فى سبيل الهدف الأسمى وهو الوحدة .. فلا بأس .. وعلى أية حال فانهم غير مسئولين عن المسيرة !

وانتقل الدكتور حافظ غانم الى منزل القذافى ..

القذافي : أنت تعرف أنتى مستقيل • ولما حضرت الى مصر كنت مستقيلا •• وأنا غير مسئول • ولا أعلم شيئا ••

غانم : يجب أن تتحمل مسئولياتك أمام التاريخ ، لأنك تريد الوحدة •• وهذا عمل يهدد الوحدة فعلا •• اننا نريد النظام لهذه المسيرة ، ووجودك ووجود سلطة مسئولة يحقق هذا ••

القذافي : لا •• أنا مصمم على الاستقالة • والأوضاع في مصر لا تعجبني • أنتم تنشرون صور الملك فيصل وأمراء الخليج وتهادنون الرجعية ••

مصطفى كمال : (عضو البعثة المصرية) : اننا نطبق قومية المعركة •• والأولوية في كل شيء الآن للمعركة •• لمواجهة اسرائيل •

ثم أحضر القذافي بروازا كبيرا ، مكتوبا بداخله ، قولاً لجمال عبد الناصر يهاجم فيه الملك فيصل •• وقرأ القول ثلاث مرات •• ثم قال : أن المرأة المصرية تدخن السجائر •• ولا توجد في ليبيا إلا سيدة واحدة تدخن بأمر الطبيب •• أنتم لا تريدون تطبيق الشريعة الإسلامية ••

غانم : هذا الكلام ناقشناه ورددنا عليه • وعلى كل ، فمن الممكن أن تصفى دولة الوحدة كل هذه القضايا الخلافية •• ولكن المهم الآن ، أن نتجنب الأضرار التي يمكن أن تلحق بالشعبين من مسيرة غير منتظمة •

القذافي : ويجرى ايه •• لو وصلوا القاهرة وكسروا شارع الهرم •• يبقى كويس •

غانم : ألا ترى أن المحافظة على القاهرة ، يمثل اعتباراً قومياً ، حتى يظل الشعب المصرى على إيمانه بالوحدة ••

ولم تنته المناقشات مع القذافي الى شيء • وطلب الدكتور غانم ان يلتقى بقيادة المسيرة ••

القذافي : روح قابلهم في الشارع •• انا لا أعرف شيئا عنهم !

غانم : كيف نتناقش في الشوارع •

القذافي : نحضر لكم ميكروفونات .. ونطلع الحوار في الاذاعة
اذا اردتم ..

غانم : أننى متمسك بطلبي مقابلة المسئولين عن المسيرة ومناقشتهم •
القذافي : اذا كان على اجراءات الأمن .. يبقى وزراء الداخلية يتعاملوا
مع بعض ..

غانم : هل تسمح ان وزير الداخلية الليبى يحضر الى القاهرة للتفاهم
مع ممدوح سالم ..

الخويلدى (وزير الداخلية) : لا .. لن أنزل الى القاهرة .. اذا كان
وزير الداخلية المصرى يريد الحضور الى هنا .. يتفضل ..

غانم : مرة أخرى اطلب الى الأخ العقيد القذافي ان يتحمل مسؤولياته
التاريخية .. ويعود الى عمله ..

القذافي : أنا مستقيل .. وقيادات الجيش كلها معتصمة .. ولن
أعود •

غانم : المفروض ان المسيرة تجيء اليك لتأخذك الى مكتبك •
وزير الداخلية : أنا أمنعكم ان تقولوا هذا الكلام للجماهير .. لقد
جئتم هنا فى مهمة خاصة !

غانم : المسيرات ممنوعة فى مصر الا بتصريح ..

واستمرت المناقشات ٣ ساعات دون جدوى ..

وفى المساء اجتمع الدكتور غانم بـ ٤٨ شابا قيل له أنهم قادة
المسيرة .. وتلقى الدعوة الى الاجتماع من عبد الوهاب الزنتانى محافظ
بنى غازى باعتباره قائد المسيرة ..

وفى هذا الاجتماع وجه الدكتور غانم كلماته الى الزنتانى قائلا :
أننى أريد أن أجرى معك حوارا طويلا أمام هؤلاء الشباب • انت تعرف،

أنك حرّضت الطلبة في مصر على المظاهرات • وكانت لك بهم صلات •
وقد انسحبت من لجان الوحدة ، وسجلت أنك تتسحب احتجاجا على معاملة
السلطات للطلبة ، وكتبت في محضر اجتماع التنظيمات السياسية كلاما
جارحا للكرامة المصرية •• وقلت أنك تتسحب احتجاجا على القبض على
الطلبة الناصريين •• وجئت الى ليبيا وأنت تقول هنا أنك ممنوع من
دخول مصر وهذا غير صحيح ••

وبدأت المناقشات •• ولاحظ الدكتور غانم ان الحاضرين لا يصفقون
لاسم أنور السادات على عكس ما يفعلون عندما يرد أى اسم آخر ••

فصارحهم الدكتور غانم : أريد اجابة واضحة •• انتم تقولون ان
المسيرة هي لمبايعة السادات على رأس دولة الوحدة •• فكيف اذن
لا تصفقون لاسمه •• فهل انتم ذاهبون الى القاهرة لمبايعة
السادات أم لا ؟ ••

ورد واحد منهم : والله سأقول لك بصراحة •• اننا لم نصفق لاسم
السادات ، لأنه يريد منع تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ••

وبدأت المناقشات تكشف ، عن ان القذافي حشر عقول هؤلاء الشباب ،
بمعلومات خاطئة عن الرئيس السادات •• بل ومعادية له ••

حتى أن أحد قادة المسيرة وقف قائلا بعد أن استمعوا الى شرح
الدكتور غانم لموقف الرئيس السادات من الوحدة : والله •• أنا بدأت
أشك في العقيد القذافي ••

ولكن الغالبية من الشباب ، كانوا في قمة الانفعال •• وأعلن بعضهم
أنه لا يهم لو فنى منهم ألف أو ألفان في سبيل الوحدة ••

فقال لهم الدكتور غانم : هل أنتم متوجهون الى القاهرة ، لمعركة يفنى
فيها الآلاف ؟ ••

وانتهى الاجتماع •• ولم يتقرر شيء ••

وقال الدكتور غانم لقائد المسيرة : أنت مسئول شخصيا عن هذه
المسيرة ، مادمت قائدا لها •• لأن هذا سيضر بأهداف الوحدة ••

وكان رأى القاهرة ، أنها ترحب باستضافة المسيرة .. فى مؤتمر
شعبى يعقد فى مرسى مطروح ، ولا يتعداها بأى حال .. ثم يجرى حوار
ترفع نتائجه الى القيادات فى البلدين ..

وعرف ان عبد السلام جلود هو الذى كان ينظم المسيرة ..

وتتابعت الاحداث .. وتوقفت المسيرة فعلا عند مطروح • وجاء
وفد منها الى القاهرة للقاء الرئيس السادات .. وذهل هذا الوفد من
موقف الرئيس الذى قال لهم .. أنه يوافق فعلا على كل شعارات
المسيرة .. ولكن المهم ان يوافق القذافى ..

وانتهت القصة ..

لقدأوردت هذا العرض السريع .. لكى اعطى صورة للاجواء التى
كان يعمل فيها الرئيس أنور السادات • وهو يقترب يوما بعد يوم من
ساعة الصفر .. ومع ذلك • فقد استطاع ان يتجاوز كل هذه العقبات
التى كانت موجهة الى نظام الحكم مباشرة .. سواء فى مؤامرة الفتنة
الطائفية .. أو فى احداث الطلبة ، أو تحركات بعض الصحفيين وبياناتهم
.. أو فى موقف معمر القذافى ، الذى نسى هدف المعركة تماما .. وتركز
هدفه فى وحدة يتصور أنها طريقه الى أن يحكم مصر ..

واذا سجل التاريخ الحقيقة ، فانه سيذكر دائما أن صبر السادات ،
وأغصابه وقوة احتماله .. استطاعت فعلا ان تتغلب على هذه العقبات •

واستمرت صحافة القذافى تهاجم مصر وسياستها ..

واستمرت تهاجم السعودية والمغرب ودول الخليج ..

واستمرت توحى أنه لن تكون هناك معركة ..

فجاء ٦ أكتوبر .. مفاجأة القاهرة للجميع ..

واذا بالقذافى يعلن فى خطاب شعبى ، أنه لا يقر استراتيجية هذه
المعركة ، ولا يتوقع لها النجاح .. وأنه برىء منها !

وحضر الى القاهرة .. واجتمع بالقيادات العسكرية ، وأطلعوه على
كل الحقائق ..

ولكنه عاد الى ليبيا ، ليستقر في الهجوم بكل وسائل اعلامه ..
بل ان التلفزيون الليبي اذاع خلال المعركة ، ان هناك انقلابا في
القوات المسلحة المصرية !

ولم ترد صحافة القاهرة • والتزمت أجهزة الاعلام بعدم الدخول في
أية معركة جانبية ..

وسافر القذافي الى فرنسا .. ودعا الى مؤتمر صحفي في باريس ،
أعلن فيه أن مصر قد لحقت بها الهزيمة .. وأنه يأسف أنه لا يوجد
الآن رجل شجاع في العالم العربي ، مثل عبد الناصر الذي اعترف
بالحزيمة في ٦٧ ..

وقال ان الملك فيصل ليس الا تاجر زيت !

ولم يتحرك أنور السادات ..

لقد كان ٦ أكتوبر أقوى من كل شيء ..

وفجأة أيضا حضر القذافي الى القاهرة ، لكي يشترك في تكريم مجلس
الشعب ، لأبطال الجيش !

والحق ان موجة من الاحتجاج عمت مشاعر أعضاء مجلس الأمة عندما
علموا بأن القذافي سيحضر .. وقد فكر بعضهم في منعه من حضور
الاجتماع ، بعد ان أهان الكرامة المصرية والكرامة العربية كلها في مؤتمر
عقده أمام صحافة العالم في باريس ..

ولكن مصر السمحة المضيافة الكريمة .. هي دائما مصر ..

وأحسن أعضاء مجلس الشعب استقباله .. ولكن نائبة لم تستطع أن
تسيطر على أعصابها ، عندما قال القذافي أنه سوف يجتمع بأعضاء
المجلس في جلسة سرية .. للحوار ..

لقد صاحت النائبة فاطمة عنان : لا .. في جلسة علنية .. كما تكلمت
مضدنا في باريس في مؤتمر علني أمام صحافة العالم ..

وأشار اليها الرئيس السادات ان تهدأ ..

وقد قيل للقذافي في القاهرة في جلسة خاصة .. ان ما فعله في باريس ،
لم يجرؤ اسرائيلي ان يفعله !

وسافر القذافي مع أنور السادات الى السعودية .. والتقى بالملك فيصل .. ثم اشترك في المؤتمر الاسلامي بـلاهور ، حيث اصطدم في مناقشة عنيفة مع الرئيس هوارى بومدين .. ثم اعترض على اجتماع مؤتمر وزراء البترول العربى على أرض ليبيا .. حيث كان القرار المسبق المتفق عليه ، هو وقف الحظر بالنسبة لأمريكا ، بعد أن تقدمت خطوات ايجابية فى اقرار السلام .. وقال القذافي أنه لن يدنس أرض ليبيا باتخاذ هذا القرار على أرضها ..

وصدر القرار ..

وتضاعفت حملات صحف ليبيا على موقف مصر ..

وتضاعفت حملات صحف بيروت الممولة من معمر القذافي .. على موقف مصر ..

ولست أدري ما هو مصير القذافي وأنا أكتب هذه السطور .. ولكننى أعرف أن انتصار ٦ أكتوبر ، أقوى من الافتعال ، والمناورات والمزايدات ..

* * *

وتعرضت قبل المعركة علاقات مصر والسودان الى فتور كبير ، وكان لمعمر القذافي دور فى تعميق هذا الفتور .. بل وإيجاده .. ولكن الاتصالات الواعية بين قيادات البلدين على مختلف المستويات ، تجاوزت كل هذه الخلافات الطارئة .. وكان موقف الرئيس نميرى ، وشعب السودان ، منذ بدأت المعركة ، موقفا عربيا مشرفا .. موقف الأخ الشقيق ..

* * *

أما العراق .. فقد كانت عرضت مشروعا للاتحاد الفيدرالى .. وجاء صدام حسين الى القاهرة ، والتقى بالرئيس السادات فى قاعدة جوية .. وتم الاتفاق على تعاون عسكري فى نطاق محدود .. وأسهمت العراق بخمسة ملايين من الجنيهات .. واشترك عدد من طائراتها فى المعركة .. كما اشتركت قوة مدرعات ، فى جبهة الجولان ، أبليت بلاء حسنا .. ولكن منذ قرار وقف اطلاق النار ، عاد العراق الى موقفه الأول ..

الوثائق العسكرية

●●● « هذا الجزء من الكتاب يتناول الجانب العسكري من ملحمة أكتوبر ، ويصف المعارك على السنة أبطالها . يبدأ هذا الجزء بحديثين هامين مع المشير أحمد اسماعيل اختص بهما المؤلف عن حياته العسكرية والحروب التي اشترك فيها حتى تسلم مسئولية وزارة الحربية والقيادة العامة . والحديث الثاني عن الاعداد العسكرية لحرب أكتوبر بكل ما فيه من أسرار ، حتى تحدث ساعة الصفر في ٦ أكتوبر . ثم يعرض هذا الجزء لعملية العبور واقتحام بارليف . . ثم معارك خط بارليف على السنة الاسرائيليين ونفس هذه المعارك كما خاضها المصريون ويلى ذلك وصف شامل لمعارك الجيش الثاني . . ومعركة تحرير القنطرة وتدمير اللواء ١٩٠ الاسرائيلي ، ومعارك الطالية التي انتهت بالثغرة . . ثم معارك الطيران والدفاع الجوي . . ثم فصل عن ملحمة السويس . . والفصل الاخير يتناول حقائق الموقف العسكري من الدفرسوار حتى مؤتمر جنيف . . ويتحدث الفريق الجهمي لأول مرة ، ويكشف الستار عن سر الخطة « شامل » التي وضعت لتصفية الثغرة وتدمير القوات الاسرائيلية في الغرب .

القصص العسكرية هنا كلها ، على السنة أبطالها ، وفوق أرض المعركة . ونشرها يتم لأول مرة ، بالحقائق التاريخية التي تكشف عنها كل معركة » ●●●

الفصل الأول

البحث عن بدلة عسكرية!

●●● « كيف اختار الرئيس أنور السادات ، مدير المخابرات العامة اللواء أحمد اسماعيل وزيرا للحربية . ولماذا اختاره . ماذا دار بينهما عن المعركة وامكانية القتال ، وأحمد اسماعيل لا يزال مديرا للمخابرات . ما هي الخطة التي كان يحتفظ بها أحمد اسماعيل وهو بعيد عن القوات المسلحة ؟ .. ماذا كان دوره العسكري قبل هزيمة ٦٧ ، واثناؤها ، وبعدها ؟ .. ما هي الخبرات التي اكتسبها في الحروب السابقة ، وعرف منها خصائص العدو الاسرائيلي ؟ .. ولماذا كان يبحث عن بدلة عسكرية ، بعد أن كلفه الرئيس بوزارة الحربية .. وطلب منه أن يظل هذا سرا لمدة يومين ؟ » ●●●

مكتب الرئيس أنور السادات برئاسة الجمهورية • الفريق أحمد اسماعيل مدير إدارة المخابرات العامة ، يعرض على الرئيس عددا من التقارير الهامة •

الرئيس يطلب فجأة من مدير المخابرات ، ان ينحى جانبا كل هذه الأوراق ، ثم يوجه اليه سؤالا مباغتاً :

— ما رأيك يا أحمد في امكانيات دخولنا معركة عسكرية ناجحة ..

قال مدير المخابرات :

— لست أرى يا سيادة الرئيس فائدة من عملية استنزاف عادية • صحيح اننا نكبد العدو خسائر ، ولكننا أيضا نتكبد خسائر • وحتى لو كانت خسائر العدو أكبر من خسائرننا ، فهي محدودة ، ولن تكون مؤثرة •

كما اننى أرى أن التفكير في عملية عسكرية ضخمة لتطهير سيناء كلها ، أمر ليس موضعه الآن ، لأنه يتطلب وقتا أطول مما تطالبنا به الأوضاع الراهنة •• كما يتطلب اعدادا أكثر قد لا يتوفر لنا •

وقال الرئيس :

— ما رأيك اذن ••

قال مدير المخابرات :

— أعتقد أن المناسب الآن ، الاعداد لعملية عسكرية متوسطة بين

الاثنين • ليست استنزافا ولو كان واسع النطاق • وليست عملية شاملة
لسيناء كلها • هذا تفكيرى • تطهير سيناء على مراحل •

واستمرت المناقشة بين القائد الأعلى ، ومدير المخابرات العامة وقتها
طويلا ، وتناولت الجزئيات ، وكان الرئيس السادات يستزيد من هذه
المناقشة التى كانت مفاجأة فعلا للواء أحمد اسماعيل •• ولكن موضوعها
لم يكن جديدا على تفكيره ••

ان وضع خطة عسكرية لمواجهة العدو ، كانت هى الشغل الشاغل
لأحمد اسماعيل حتى بعد أن أعفى من منصبه كرئيس لأركان حرب
القوات المسلحة فى ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٩ •

لقد قدر جمال عبد الناصر ، موقفا عسكريا لرئيس الأركان ، تقديرا
بنى على معلومات غير صحيحة •• فأعفاه من منصبه •

واستمر الرجل بعيدا عن الميدان العسكرى ، ولكن لم يبتعد أبدا
بفكره • ان فترة اعفائه استمرت من ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ، حتى ليلة ١٤
مايو ١٩٧١ عندما استدعاه الرئيس أنور السادات من منزله فى الساعة
الحادية عشرة والربع مساء ، ليبلغه أنه قرر تعيينه مديرا لإدارة المخابرات
العامة ، وطلب اليه أن يتولى مهام منصبه على الفور !

ولكن أحمد اسماعيل لم يفقد صفته العسكرية ، وهواية مهنته خلال
العشرين شهرا التى أمضاها فى الاعفاء • لقد تصرف فقط فى ملابسه
العسكرية ، وترك بدلة واحدة كذكرى أمام أسرته وأبنائه • ولكن كل
قراءاته وتأملاته فى هذا الفراغ الذى أكره عليه — ظلما — كانت
عسكرية • قرأ كل المؤلفات التى لم يكن يسمح له الوقت بقراءتها عن
إسرائيل • قرأ مؤلفات عسكرية جديدة ، واستعاد قراءة أشياء كثيرة ••
ولم يترك الخرائط • ولم يترك القلم الذى يسجل به خلاصة قراءاته ••
ولكنه سجل به ما هو أهم • سجل فى أربع صفحات خطة عسكرية لمواجهة
العدو فى سيناء وهى التى ناقشه فيها الرئيس السادات ، عندما سأله
فجأة عن رأيه فى المعركة ••

وانتهت تلك المناقشة .. وانصرف أحمد اسماعيل الى عمله كمدير
لادارة المخابرات .. ولعله نسي المناقشة • ولكن الرئيس السادات ..
كان قد سجلها في ذاكرته بكل تفصيلاتها ..

وفي يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٢ ، فوجيء مدير المخابرات ، بدعوة
عاجلة للقاء الرئيس .. وفي حديقة منزل الرئيس بالجيزة ، وحوالي
الرابعة بعد الظهر ، كان يسير الى جوار الرئيس في جولة المشى اليومية
التي اعتادها السادات ..

وصارحه الرئيس بأنه يريد أن يختار وزيرا جديدا للحربية ، بدلا
من الفريق صادق • كان الرئيس قد انتهى الى قرار واضح ، بأن الفريق
صادق غير مقتنع بصلاحيه الامكانيات التي تملكها القوات المسلحة ،
لخوض معركة ناجحة ، وكانت فكرة القائد الأعلى ، ان المسئولية التاريخية
تطالبنا بالقتال ، في حدود ما نملك من أسلحة وعتاد • وأن تكون المعركة
على قدر هذه الطاقة • واذا انتظرنا امكانيات كاملة لتحرير سيناء كلها ..
فسوف يضيع الوقت ، وليس من السهل أن تتوفر لنا .. ومن ثم تنتهي
فكرة المعركة • وتدفن قضية التحرير سياسيا ودوليا في زوايا النسيان •

وسأله السادات :

— ما هي الصفات التي تراها واجبة فيمن يتولى منصبى وزير
الحربية والقائد العام ..

وعبر أحمد اسماعيل عن رأيه ، ولم يكن يدور بخلاه أن الرئيس سوف
بفاجئته بقرار تعيينه في المنصبين !

— ان هذه الصفات تتوفر في شخصك • استعداد للمعركة وعلى بركة
الله !

وذكره الرئيس بالمناقشة السابقة التي جرت منذ أكثر من نصف عام !
وطلب اليه أن يظل الأمر سرا عسكريا وحتى يعلنه الرئيس •

واحتفظ مدير المخابرات ، بالسـر • وكانت مشكلته ، أن الحلة العسكرية التي أبقاها في المنزل لا تصلح لأن يرتديها • كما أن الرتبة العسكرية غير موجودة • وهو إذا « فصل » حلة عسكرية •• فربما انكشف الأمر • ولكنه استطاع أن يعالج هذه المشكلة بأسلوبه الحذر في الكتمان ، حتى استدعى الى حلف اليمين بعد يومين ! •

ومن هنا بدأت المهمة الشاقة ••

الواقع أن المهمة الحقيقية بدأت قبل ذلك بكثير ••

لقد بدأت المهمة الحقيقية ، لأحمد اسماعيل ، في الاعداد للمعركة ، منذ أن عين قائدا للجبهة في أول يوليو ١٩٦٧ • أي بعد الهزيمة المرة بثلاثة أسابيع فقط •

كان الموقف على الجبهة رهيبا •• ومثيرا للذعر !!

يقول المشير أحمد اسماعيل ، وهو يسترجع بذاكرته هذه الأيام القاسية :

— كانت الجبهة عبارة عن جنود متفرقين على الشاطئ الغربي بلا وحدات تجمعهم • عدد من الدبابات من مختلف الأنواع ، بدون قيادات ، مبعثرة هنا وهناك • المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الرابض على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتي متر !

كانت أمامي مهام كثيرة في هذا الوقت •

✱ إعادة بناء القوات المسلحة •

✱ انشاء دفاعات على الجبهة •

✱ إعادة الثقة للجنود في أنفسهم وفي قادتهم •

✱ إعادة الضبط والربط •

✱ إعادة تدريب القوات وتنظيم وحدات •

كانت مهمة شاقة فعلا ، ولكنني أشهد أن جميع القيادات عاونتني بكل إخلاص وكفاءة وحماسة ووفاء •

وبدأت الأسلحة تصل تدريجيا من الاتحاد السوفيتي ، بعد أن حضر
المارشال زخاروف ، وزار الجبهة ، وسجل تقريرا شاملا ، عن موقف
القوات المسلحة ، وحاجتها الى الأسلحة والمعدات والتدريب •

والغريب اننى منذ اليوم الأول لتولى مسئولية قيادة الجبهة ، اشتبكت
فى معركة مع العدو ••

— وكيف ؟ ••

— الساعة ٥٠٠ أول يوليو تسلمت القيادة من الفريق صلاح محسن •

— ماذا نقصد بالساعة ٥٠٠

— الساعة ٥ صباحا • وفى الساعة الثامنة صباحا ، أى بعد ثلاث
ساعات فقط ، أبلغت بأن قوات العدو تتحرك من القنطرة فى اتجاه
بور فؤاد • حركت على الفور قوات من الصاعقة لبث الألغام لتعطيل
تقدم العدو • وانفجرت الألغام ، ولم يتمكن العدو من التقدم • ولكنه
حاول فى اليوم التالى الاستيلاء على بور فؤاد • تصدت قواتنا بالأسلحة
الخفيفة • ودمرت عرباته المدرعة المتقدمة • وساعدنا على ذلك ضيق
الطريق • واضطر العدو أن يعود مذعورا ببعض عرباته المدرعة الى
العريش لأنه لم يكن ليتوقع هذا الهجوم ، من جيش منسحب • بل اننا
تمكنا من الاستيلاء على بعض أسلحته • والحق أن هذه كانت أول مواجهة
فعلية مع العدو • قوات الصاعقة بالأسلحة الخفيفة ، تواجه مدرعات •

قلت :

لقد استخدم هذا الأسلوب فى حرب أكتوبر ••

قال :

هذا صحيح •• وربما كانت معركة رأس العش ، هى التى فتحت لنا
آفاق هذا التفكير ••

وطورنا الأسلوب حتى نجح فى العبور واقتحام خط بارليف •

ثم يقول المشير أحمد اسماعيل :

— الحق أن معركة رأس العش تحتاج الى مؤلف خاص • أن فيها بطولات خارقة • لا أنكر أننا تكبدنا خسائر في الأفراد • ولكن رجالنا قاموا بأعمال خارقة فعلا • لقد عبروا القنال وعادوا بجثث القتلى • كما أنهم عاودوا الهجوم على العدو وحصلوا على بعض أسلحته ولا تزال هذه الأسلحة محتفظا بها في المخابرات الحربية • كانت رأس العش ، أول شعاع أمل ، لانطلاق كبير استمر سنوات •• وحقق ملحمة ٦ أكتوبر • لقد بدأنا نؤمن منطقة بور فؤاد • ولم يستطع العدو منذ ذلك التاريخ أن يعبر شمالا عن منطقة رأس العش • وهذه المنطقة بالذات ، كانت مركز انطلاق قوى لنا على الشاطئ الشرقى في معارك ٧٣ •



ويذكر المشير أحمد اسماعيل ، ان أنور السادات زاره في مركز قيادته بالجبهة في ٢١ نوفمبر ١٩٦٧ ، وشاهد كل ما تم من اعداد للبناء العسكرى ، وسأله عن مدى استعداد القوات المسلحة للصمود •• وذلك قيل أن يخطب جمال عبد الناصر في مجلس الشعب يوم ٢٣ نوفمبر •• أى بعد ذلك بيومين • لقد تفقد أنور السادات (رئيس مجلس الأمة) الجبهة مع قائدها ، وأطلع على الخطط الموضوعة للصمود ، وأطمأن الى قدرة القوات المصرية على الصمود في هذه الفترة •• أى القدرة على رد أى اعتداء مفاجئ من العدو في ذلك الوقت •

وكانت قوات الطيران المصرية قد دخلت معركة عنيفة قبل ذلك في ١٥ يوليه • وكانت قوات البحرية ، قد أغرقت المدمرة الاسرائيلية ايلات •• في ٢١ أكتوبر •

— كيف كانت معركة الطيران ؟ ••

— قائد الطيران حينئذ كان الفريق مذكور أبو العز • أطلقنا مدفعية عنيفة على طول الجبهة ، استمرت يومى ١٤ يوليو و ١٥ يوليو ، بعد اشتباكات مع العدو في الجنوب في اتجاه السويس والفردان • مهدنا بذلك لطلعة طيران قوية • خرجت القوات الجوية بأكملها • ضربت في

الجنوب • فتحول العدو بقواته الى الجنوب • وانطلق الطيران المصرى
الى الشمال ، وكان العدو بغير غطاء •• ولقن القوات الاسرائيلية درسا
لن ينسى •

ويضحك المشير أحمد اسماعيل :

— كانت هذه أول مرة يذوق فيها العدو ضرب الطيران المصرى •
وتكبد خسائر فادحة •

واتصل جمال عبد الناصر بقائد الجبهة ليقول له ، ان اسرائيل تطلب
وقف اطلاق النار ، لأول مرة فى تاريخها ، من الأمم المتحدة ، « لقد كان
معى أوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة على التليفون منذ لحظات ليبلغنى
بالطلب الاسرائيلى » ••

واستراحت نفس قائد الجبهة ، على الرغم من الجهد المضنى الذى
بذله فى ذلك اليوم •• لم يترك خندق القيادة من الخامسة صباحا حتى
الثامنة من المساء •

* * *

ثم كان تدمير المدمرة ايلات بعد ذلك •• فى ٢١ أكتوبر ٦٧ •

لقد تم تدميرها بمجرد ظهورها بالصواريخ البحرية التى استخدمت
لأول مرة ، والتى أعادت اسرائيل بعدها ، أسلوب تسليح بحريتها ••
وكانت ضربة ايلات بهذه الصواريخ حديث العالم كله ••

لقد استخدمنا نفس الأسلوب الاسرائيلى • تم تدميرها • ثم أبلغنا
الأمم المتحدة أن مدمرة مجهولة تقترب من مياهانا الاقليمية •• واذا
دخلتها ، فاننا سنضربها • وبعد نصف ساعة أبلغنا الأمم المتحدة ، انها
دخلت مياهانا ودمرناها •

قلت للمشير أحمد اسماعيل :

— هذه هى معلوماتى الصحفية عن قصة تدمير ايلات ••

أجاب المشير :

ليس لى دخل بهذه المعلومات الصحفية • الذى أصرح به كقائد للجبهة حينئذ اننا دمرنا ايلات بعد أن أقتحمت المياه الاقليمية ، وتحدثت تحذيرنا •

هذه العلامات الثلاثة ••

معركة رأس العشر •• ضربة الطيران المصرى • تدمير ايلات •• كانت منطلقا للأمل فى معركة فاصلة مع العدو •• حتما سيجىء يومها •



واستمر أحمد اسماعيل يعمل بهذا الايمان • أنشأ الجيشين الثانى والثالث • تولى قيادتهما • ثم اقتصر على قيادة الجيش الثانى • وتولى عبد القادر حسن قيادة الجيش الثالث • ثم انتقل رئيسا لهيئة العمليات فى القوات المسلحة • وأشرف على تخطيط عمليات الاستنزاف الرئيسية • فوجيء العدو بأول قصف عنيف للمدفعية على طول الجبهة فى ٨ مارس ١٩٦٨ • وبدأت حرب الاستنزاف • وكان انتقام العدو بضرب الزيتية والسويس • ثم عين رئيسا لأركان القوات المسلحة فى ٩ مارس ١٩٦٩ بعد استشهاد الفريق عبد المنعم رياض ••

وهنا يقول : كان عبد المنعم رياض قائدا عسكريا ممتازا •

وفى ١٢ سبتمبر أعفى من منصبه •

ولعل الرئيس جمال عبد الناصر قد شعر ان قرار الاعفاء لم يكن فى موضعه •• ففاجأ أحمد اسماعيل ، فى منتصف فترة اعفائه ، بتقرير معاش وزير له ••

وسألت المشير أحمد اسماعيل : أرجو أن تجيبني بكل صراحة •• هل كنت مقتنعا وأنت قائد للجبهة اننا سنحارب اسرائيل فعلا • ان معلوماتي الصحفية ، ان الرئيس جمال عبد الناصر وقد كان يعيد بناء القوات المسلحة فعلا ، ولكنه لم يكن مقتنعا بأن حربا أخرى سوف تحرر الأرض •• وكان يخطط لأن الحل السياسى هو السبيل الوحيد ••

وأجاب الرجل :

— انتنى رجل عسكرى لا دخل لى بالسياسة • ولكننى أقول أن ايمانى الذى لم يتزعزع يوما ، بعد هزيمة ٦٧ ، هو أنه لا سبيل لتحرير الأرض الا بالحرب • وبوحى هذا الايمان كنت أعمل بكل جهدى وطاقتى •

بل انتنى فكرت وأنا معزول ، ان أرسل الخطة العسكرية التى وضعتها الى الرئيس جمال عبد الناصر • ولكننى خشيت أن يتصور أحد ، أننى استخدم هذا الأسلوب للتقرب ، بهدف أن أعود الى القوات المسلحة • • فأثرت الصمت ، حرصا على كرامتى •

وسألت : وأين كان موقعك فى حرب ٦٧ ؟

وبدا لى كأن المشير لا يريد أن يتكلم •

من الصعب على المتحدث اليه ، أن يكشف من قسمات وجهه حقيقة انطباعاته • • ان فى قسماته طبيعة صخرية • ولكنه يبدو انسان آخر عندما يضحك ولكن بقدر • • ويبتسم • • ولكن فى حدود !

ولم أستطع أن أعرف أى نوع من الذكريات أثرت فى وجدانه •

ولكن كلماته كشفت عن طبيعة هذه الذكريات • • دون أن تتغير قسماته بأى تعبير وهو يروى المأساة •

قال المشير أحمد اسماعيل :

— كنت حينئذ رئيسا لأركان القوات البرية • • كان يقودها الفريق أول عبد المحسن مرتجى • • لقد تألفت قيادة القوات البرية فى ١٧ مايو ١٩٦٧ ، لقيادة جبهة القتال فى سيناء • ولكنها أعطيت اختصاصات غير كاملة كقيادة • • لقد كنا ٢٠ ضابطا فقط ، والمفروض أن تتكون القيادة السليمة من ١٥٠ ضابطا على الأقل ، وكانت المهام المحددة لنا ، هى السيطرة على القوات ، ونقل صورة كاملة للقيادة العليا فى القاهرة التى كان يتولاها المرحوم المشير عبد الحكيم عامر والفريق أول محمد فوزى •

وتحركنا الى جبل « الميثان » فى سيناء يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ •

قلت : أى قبل الحرب بسبعة أيام فقط ..

قال : نعم .. بسبعة أيام فقط .. وبدأنا عملنا ، وقد استدعينا بعد ذلك لكى نكون فى مطار تمادة فى الساعة التاسعة من صباح ٥ يونيو ، لاستقبال المشير عبد الحكيم عامر • وفوجئنا بضرب المطار وتدميره من العدو ونحن فيه .. فعدنا على الفور الى أماكن تمرکزنا • وكانت هذه أول معلومات عن بدء المعركة ..

قلت : اذن لم يكن هناك أى اخطار لكم كقيادة لجبهة القتال ، أن تتوقعوا هجوما من العدو فى الخامس من يونيو ..

قال : لم يحدث ..

قلت : سمعت انه كانت هناك خطة دفاعية معدة للقوات المسلحة .. ثم وضعت فى الأيام الأخيرة قبل ٥ يونيو خطة هجومية ..

قال : الصحيح هو العكس .. كانت لدينا خطة هجومية .. ثم استبدلت فى الأيام الأخيرة بخطة دفاعية .. ومضى وقت كنا لا نعرف فيه .. هل سنهاجم أم سندافع .. وقيل لنا أن نترك أمر هذا ، ليتقرر ونحن فى الجبهة ، طبقا لتطورات الظروف !!

قلت : وماذا جرى بعد مفاجأتكم بضرب المطار ..

قال : بدأنا نمارس اختصاصنا .. ولكننا اكتشفنا أن الأوامر كانت تصدر مباشرة من القيادة العليا فى القاهرة الى التشكيلات العسكرية فى الميدان ، دون أن تمر علينا ، ودون أن نعرف عنها شيئا !! وأذكر قبل ٥ يونيو اننى طلبت من الفريق أول عبد المحسن مرتجى أن يتوجه الى القيادة العليا فى القاهرة ، ليحدد الموقف العسكرى .. هل سنهاجم .. أم سندافع ! وكان علينا بطبيعة الحال أن ندافع بعد أن بدأ العدو الضربة الأولى .. لقد بدأت المعركة فى اتجاه رفح والعريش • وكان من الطبيعى أن يحقق العدو كسبا ، لأنه هو البادى بالهجوم • ولكن كان من الممكن ايقاف التقدم بعد ذلك • كان لدينا من القوات ما يكفى للقتال .. ولا أقول للانتصار .. ولكننا فوجئنا بقرار الانسحاب بعد ٢٤ ساعة !

قلت : من أبلغكم بقرار الانسحاب ..

قال : لم يبلغنا أحد • لقد عرفناه بالصدفة من قائد الشرطة العسكرية الذي كان ينظم مرور قوات الانسحاب ، وفي اليوم الثاني للانسحاب .. أى فى ٧ يونيو !

لقد كان تصور القيادة العليا للمعركة ، تصورا خاطئا ، بسبب تضارب المعلومات ، وأصدرت الأمر مباشرة لقائد الجيش الفريق صلاح محسن بالانسحاب فى خلال ٢٤ ساعة دون علمنا !

وكان الانسحاب قاسيا • فالقوات كثيرة العدد والعتاد ، وخاصة اعداد الدبابات وكان عليها أن تتسحب غرب القناة على ٣ محاور رئيسية فى منطقة المضائق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للعدو • كانت مخاطرة ومجازفة غير محسوبة • ولا شك أن عدم وضع التخطيط المناسب للانسحاب ، أثر من ناحية حجم الخسائر وجسامتها •

قلت : ولعل هذا أبسط ما يقال عن هزيمة ٦٧ ..

ولم يعلق المشير أحمد اسماعيل .. ولكنه انتقل سريعا الى عملية بناء القوات المسلحة من جديد ، كما شرحها من قبل !

* * *

القصة فعلا قاسية ..

ان قصة هزيمة ٦٧ قاسية فعلا على مقاتل ، بدأ مواجهة العدو منذ عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين وعلى عسكري ، تدرج فى المناصب العسكرية من أولها الى أرفعها • وعلى قائد لم يصل الى مسئولياته بغير أسلوب الدراسة العلمية العسكرية •

ان شهادة تخرجه فى كلية أركان الحرب ، تقول عنه ، أنه أحد أحسن طالين • ونص الشهادة يعوض عن أى تعبير •

كما تعترف شهادة تخرجه من الأكاديمية العسكرية فى عام ١٩٦٥ بتفوقه الرائع •

ان هذه الأكاديمية هي أول دراسة عسكرية على مستوى عال في تاريخ مصر • الدراسة فيها على مستوى جيش ، ومجموعة جيوش ، وعلى المستوى الاستراتيجي • وأساتذتها خبراء سوفيت على أرقى درجة عسكرية • وقد أنشئت الأكاديمية في مصر ، على نمط مثيلتها في الاتحاد السوفيتي والدراسة فيهما واحدة •

نعم كان قاسيا على مثل هذا القائد العسكري الجاد ، أن يواجه عبث ما جرى في يونيو ٦٧ •• وهو الذي مارس مواجهة العدو منذ قتال ١٩٤٨

لقد بدأت حرب ٤٨ وهو طالب في كلية أركان حرب ، فأوقفت الدراسة، واستدعى الجميع ، طلبة ومدرسون الى أرض فلسطين • وليلة وصوله اشترك الرائد أحمد اسماعيل في صد هجوم للعدو في اتجاه العريش • وقاد سرية في قطاع غزة ••

كان العدو يقاتل بالعصابات وكنا نقاتل بقوات جيش منظم •• وماذا كان أول انطباع للضباط الشاب ، عند أول مواجهة للعدو ؟؟ •

قال المشير أحمد اسماعيل :

— كان لدى العدو أسلحة حديثة •• وكان ماهرا في استخدام السلاح ••

كان أسلوبه هو الخداع •• يوهم بالهجوم من ناحية ، ويهاجم من ناحية أخرى •• أو يوهم بهجوم كبير •• لينطى هجوما آخر ••



وبعد ٨ سنوات وفي عام ١٩٥٦ •• كان العقيد أحمد اسماعيل قائدا للواء الثالث مشاة في القنطرة شرق • وكانت مهمة اللواء الدفاع عن بور سعيد • وكان قد أعد خطة لمقاومة أي انزال من العدو في بور سعيد ، كما تصور خطة العدو •

وفي منتصف الليل • يوم ٢٩ أكتوبر أيقظه المرحوم اللواء على

عامر ، قائد الجبهة الشرقية ، ليخطره بأن قوات العدو نزلت في ممر متلا ، وعليه أن يتحرك باللواء الى منتصف سيناء • ودخل أحمد اسماعيل بلوائه الى « بير روض سالم » على الطريق الأوسط • وكانت المهمة ستر تحرك الوحدات المصرية المدرعة في سيناء •

وبدأ القتال •

ودخلت قوات العدو في الحسنة ••

وصدر في الليل أمر بالانسحاب الى الغرب •• بعد أن ثبتت نية القوات البريطانية في الاسقاط على بور سعيد ••

وكان عليه أن يقوم بستر عملية الانسحاب ••

ودخلت الى بور سعيد أول كتيبة مصرية انسحبت •• وأتخذت مواقعها قبل الانزال مباشرة • وكانت هي الكتيبة الرابعة مشاة •

وأدى بقية اللواء مهمته في الدفاع عن بور سعيد •• وقد تسلم المدينة بعد تحريرها ، ورفع العلم المصري في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ •



— ما هو اذن الانطباع الجديد للمشير أحمد اسماعيل بعد هذه المواجهة الثانية مع العدو •• عن أسلوب العدو في القتال ؟ ••

قال المشير أحمد اسماعيل :

— القتال هذه المرة كان بين قوات مسلحة نظامية • وقد لاحظت أن العدو يستخدم المدفعية بمهارة ، ليغطي الضرب من الجو • كما أنه نهاز للفرصة اذا سنحت ، وبأسرع ما يمكن • يجيد اكتشاف نقاط الضعف • يتهرب من القتال مواجهة • يلجأ الى تحسس الأجانب • لا يقاتل وهو مكشوف • يعتمد على المدرعات اعتمادا أساسيا في قتاله ، ويحرص على تفوق طيرانه • يختار طريقا للهجوم ، يعرف أنك أسقطته من تقديرك ، لأنه لا يصلح لسير المدرعات مثلا • ولكنه يتقدم منه •

الضابط اليهودى ذكى ومكبر • يحاول دائما فى خطته الابتعاد عن مواقع القوة فى قواتنا • يضع خطته على أساس توفير كل ضمانات النجاح • ويضيف المشير أحمد اسماعيل :

— كما لاحظت أن العدو يجيد استخدام العنصر النفسى فى تخويف من يقاتله • انه يدرب بعض الأفراد المتخصصين فى نوعيات قتالية محدودة ، تدريباً ممتازاً ، وذلك لكى يستخدمهم فى الضربة الأولى •• وطبيعى أن يتحقق له النجاح •• ولكنه يهدف الى الايهام بأن كل قواته فى الخلف بمثل هذه الكفاءة القتالية •• وهذا طبعا يثير عدم الثقة والزعزعة ••

مثلا •• يجيد اعداد اطقم اعداد دبابات ممتازة •• ويتقدم بها •

وفى العمليات الفدائية •• انه يختار عددا محدودا من الممتازين ، ليقوموا بعملية •• وتتجح العملية •• فيوهم من يقاتله أن كل قواته على هذا المستوى •• وقد لاحظت بعد ذلك ، فى عمليات الاستنزاف بعد ٦٧ •• أن العدو يختار أحسن طياريه فى طلعات الاستنزاف •

ولكن العدو ينكشف بعد ذلك ، اذا دخل فى عمليات تحتاج الى مواجهة واسعة ••



وانتهت حرب ٥٦ • وجاءت حرب اليمن • ولكن أحمد اسماعيل لم ينتقل من سيناء أيضا ! كان قائدا لجبهة سيناء أثناء حرب اليمن وكانت فرقته (الثانية مشاة) هى المسئولية عن تأمين سيناء • وسحبت منه قوات مدربة تدريباً عاليا •

وتدرجت به المناصب العسكرية بعد ذلك •• رئيس أركان القوات البرية فى ١٩٦٥ • ثم قائدا للمنطقة الشرقية •• ورئيسا لأركان القوات المسلحة ، الى أن فوجى بقرار الاعفاء من الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ •

ثم فوجيء بقرار اعادته من الرئيس أنور السادات مديرا للمخابرات العامة في ١٤ مايو ١٩٧١ •

ثم فوجيء بقرار اختياره وزيرا للحربية في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ • وكانت المشكلة الأولى أن يبحث في كتمان عن بدلة عسكرية •• حتى يحتفظ بالسر الى موعد حلف اليمين •

وحلف اليمين بعد يومين •• وبدأ يواجه مسئوليات الاعداد لحرب أكتوبر ••

الفصل الثاني

١٤ ساعة في برج العرب

●●● « في هذا الفصل يروي المشير أحمد اسماعيل للمؤلف تفاصيل الأحداث يوماً بيوم ، منذ أن تولى وزارة الحربية ، حتى ساعة الصفر في ٦ أكتوبر .. ما هي المهام التي واجهها في القوات المسلحة ؟ .. ماذا كانت العقبات ؟ .. كيف وضعت الخطة ؟ .. ماذا دار في اجتماع برج العرب الذي استمر يومين في ضيافة الرئيس أنور السادات ؟ .. وماذا دار في الاجتماع مع الرئيس حافظ الأسد ؟ .. سر اجتماع أغسطس في الاسكندرية الذي حضرته القيادات السورية . ماذا كانت نتائج رحلات أحمد اسماعيل الى موسكو ؟ .. ما هي الأسلحة التي ركز على طلبها . كيف أمضى القائد العام أيام ما قبل المعركة ؟ » ●●●

قال لى المشير أحمد اسماعيل :

فى السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٢ •• وكنا فى رمضان •• استدعانى الرئيس أنور السادات ظهرا الى منزله فى الجيزة • استقبلنى فى الحديقة ، وكان ذلك فى الوقت الذى يخصه للمشى • ذكرنى بما سبق أن قلته له بأننا يمكن أن نقوم بعمليات عسكرية ذات أثر فعال ضد إسرائيل • ناقشنى مرة أخرى فى هذا الرأى ، وبالتفصيل أكثر من المرة السابقة • طلب منى أن أقترح عليه من يمكن أن يتولى هذه المهمة فى هذه الظروف • رشحت للرئيس أسماء من عسكريين حاليين وعسكريين سابقين • لاحظت أن الرئيس يعرف هذه الشخصيات معرفة وثيقة بكل مزاياها ، وبمختلف جوانبها • استمر نقاشنا حول هذا الاختيار أكثر من ساعة ونحن نجوب الحديقة سيرا هادئا •• كانت خلاصة المناقشات هى تحديد الصفات الواجب توافرها فىمن يتولى هذه المسئولية ••

وفجأة ألمح لى الرئيس •• انه يرغب فى أن أتولى أنا هذه المهمة •• لأنه يرى توافر هذه الصفات فى شخصى ••

والحق أننى لم أتردد فى القبول • قلت للرئيس : اذا كان الأمر تكليفا فاننى فى خدمة مصر وفى خدمة الرئيس فى أى مكان تضعنى فيه ••

ثم بدأ الرئيس يعطينى توجيهاته بالنسبة لما يجب أن يفعل من الآن • شرح لى تصوره السياسى والعسكرى • كان يرى أن العمل السياسى يجب أن يكون فى خدمة العمل العسكرى • وأن العمل العسكرى يجب أن يكون فى خدمة العمل السياسى • طرح لى جوانب سياسية

عديدة على المسرح العربى والمسرح العالمى ، كانت خافية على • شعرت
أنه يتخذ قراراته بحسابات بالغة الدقة ، تقدر كل الاحتمالات المتوقعة ••

وسألت المشير :

وماذا كانت خلاصة آراء الرئيس ؟

المشير :

كان الرئيس يرى أن الحل بالطرق السلمية أصبح مستحيلا • واستبعد
الرئيس أن يحدث هذا تماما • وكان يقينه أنه لا مفر من القتال ، وأن
إسرائيل لن تتراجع شبرا واحدا ، بغير أن تكره على ذلك بالحرب •
وطلب منى الرئيس أن أبدأ عملى على الفور ، بهدف أن تكون القوات
المسلحة المصرية جاهزة للقتال ••

ثم قال الرئيس : ولكن احتفظ بكل ما قلناه سرا حتى تحلف اليمين
بعد يومين ••

وترك المشير أحمد اسماعيل منزل الرئيس فى الجيزة قبيل الإفطار
بفترة وجيزة • وتوجه الى منزله ، ولكن ذهنه كان ينشط بالتفكير المتصل
فى هذه المسئولية الخطيرة • تولى قيادة القوات المسلحة • والاستعداد
للحرب •

وهو يقول :

— وكانت عندى بعض معلومات عن التطورات الموجودة فى القوات
المسلحة ، بحكم منصبى فى المخابرات العامة الذى توليته منذ ١٤ مايو •
ولكنها طبعا لم تكن كافية • وبدأت أفكر فيما يجب أن يكون عليه التخطيط
المقبل للقوات المسلحة • لم أشأ أن أضيع دقيقة واحدة • وكان السؤال

الذى يجب أن أجيب عليه هو : كيف يمكن أن نعد القوات المسلحة — في ظروفها الراهنة — الى أن تكون جاهزة للقتال في أقرب وقت ممكن ؟ ..

والسؤال الثانى : كيف يكون هذا الاعداد بحيث نضمن الانتصار على العدو ؟ •

وتم حلف اليمين بعد يومين .. وتوجه القائد الجديد الى مكتبه بوزارة الحربية ..

قال المشير :

— كانت أمامى مهام رئيسية عديدة ..

أول هذه المهام ، هى دعم وإيجاد ثقة الجنود والضباط والقادة فى أنفسهم وفى سلاحهم •

كانت هذه خطوة أولى واجبة •

* ثم كان على أن أدرس بدقة كاملة ، وتفصيل دقيق ، كل المشكلات والصعاب القائمة أمام القوات المسلحة وكيفية التغلب عليها (أقصد المشاكل الخاصة بالقتال) •

* ثم تطوير القوات المسلحة ، بالتسليح والتنظيم ، بما يتناسب مع العمليات المقبلة •

* واعداد برنامج تدريب شاق متواصل ، على أرض تشابه أرض القتال •

.. ثم مهمة أساسية جدا ..

* وهى تجهيز مسرح العمليات ، تحت ستار تحسين الدفاعات ، للتعمية على العدو ، وفى نفس الوقت اعداد مسرح العمليات للهجوم •

ويستطرد المشير أحمد اسماعيل قائلاً :

— ومع ذلك كله الارتفاع المستمر بمعنويات الجنود والضباط الذين ظلوا في الخنادق ست سنوات متصلة •

وسألت المشير :

— لقد بدأت المهام الرئيسية بالحديث عن دعم وإيجاد الثقة في المقاتل وفي سلاحه •• هل كانت الصورة مزعجة بالنسبة للثقة في القتال وفي السلاح ••

وأجاب المشير :

— أرجو أن تحتفظ بهذا السؤال لنفسك • ليس من طبعي أن أتحدث عن سلبيات أى قائد قبلى تولى المسئولية • هذه شيمتى • وأننى أقول دائماً أن التطوير الذى حدث فى القوات المسلحة حتى حققت انتصارات أكتوبر ، لم يكن أبداً وليد عملى •• ولكنه استمرار لتطوير بدأ منذ سنوات • وأنا قلت أن الفريق أول محمد فوزى أسهم فى هذا للتطوير ••

قلت :

ولكن توليك وزارة الحربية والقيادة العامة ، أعقب إعفاء الفريق صادق من المنصبين ؟ ••

قال : ليس من مهمتى أن أتحدث فى هذا الموضوع • وقد أعلن الرئيس أنور السادات أنه كان قد أمر الفريق صادق بمهام معينة ولم ينفذها • وليس من حقى أن أتحدث فى هذا الموضوع ••

* * *

واذا قطعت الاسترسال في هذا الحديث ، فأنتنى أسجل أن الموقف
العسكري عند اعفاء الفريق صادق كان يستدعى فعلا ، عملا ايجابيا
سريعا وحاسما •

كانت وجهة نظر الفريق صادق ، أن السلاح السوفيتي الذي نملكه
متخلف عن السلاح الأمريكي الذي يملكه الاسرائيليون • وأن الموجود
لدينا من هذا السلاح لا يكفي لضمان نجاح معركة عسكرية • وأن الأمر
بحتاج الى وقت طويل ، والى أسلحة جديدة متطورة ، لكي نكون
مستعدين لمواجهة القوات الاسرائيلية • وكان الفريق صادق يتحدث
بذلك الى القادة في القوات المسلحة • وكان يرى أن الاتحاد السوفيتي
يمسك عن اعطائنا حاجتنا من السلاح ، وهو يعلم أننا مضطرون للقتال
لتحرير الأرض ، حتى ندخل في معركة عسكرية نتيجتها ضربة عسكرية
قاصمة •• وبعدها يحدث خراب داخلي ، يكون أرضا ممهدة للشيوعية ••
كان هذا هو اقتناعه •• وكان مخلصا في هذا الاقتناع مع نفسه ، ولكنه
خطأ في هذا بين المسئولية العسكرية والمسئولية السياسية • وشجعه على
هذه الآراء أصوات من خارج القوات المسلحة كان الفريق صادق يثق
في تفكيرها السياسي ، وصدق تصورها للتيارات العالمية • وقد أشاع
رأي الفريق صادق بين القوات المسلحة ، جوا من عدم الثقة في امكانية
كسب معركة بالأسلحة القائمة •• وكان الضباط الذين يخالفون هذا
الرأي ، يشك في تأثيرهم بالدعاية السوفيتية •• مما أوجد موقفا خطيرا ،
كان يجب مواجهته بحسم وبسرعة ••

وقد فوجيء الرئيس أنور السادات ، بأن الفريق صادق لم ينفذ
مهام قتالية أمر بها القائد الأعلى ، للاستعداد للمعركة ••

وانتهى الأمر ، بقرار اعفاء الفريق صادق •

وقبل اصدار هذا القرار ، كان الرئيس قد تلقى تقريرا بما يثور بين
عدد من القيادات من مناقشات حول امكانية أو عدم امكانية القتال ••

وكان من الممكن أن يتطور الأمر الى تسبب لا تتحمله القوات المسلحة ،
والقيادة العليا ، تعد للقتال ••

وكان الفريق صادق قد أجرى بعض التنقلات في المواقع العسكرية ،
بمنطق فهمه السياسى .. وهنا كان التأخير في تغيير القائد العام يشكل
خطورة ..

وقد استدعى الرئيس أنور السادات ، الفريق الشاذلى رئيس أركان
الحرب حينئذ ، وأبلغه بالقرار .. وأبلغه باختياره لوزير الحربية
الجديد ..



وقد انطلقت اشاعات عديدة حول قرار اعفاء الفريق صادق ، وخاصة
أنه صدر بعد عودة الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء من رحلته الثانية
الى موسكو .. وأمكن وضع قاعدة جديدة لعلاقات حسنة مع الاتحاد
السوفيتى .. ورددت الاشاعات أن الفريق صادق أبعد عن الجيش بناء
على طلب الاتحاد السوفيتى ..

وهذا غير صحيح بطبيعة الحال جملة وتفصيلا .. على الرغم من
أن أقوال الفريق صادق في زيارته للقوات ، كانت ترعج الروس ،
وتثير غضبهم ..

ولكن الرئيس أنور السادات لم يكثر لهذه الاشاعات ..

وقال لى حينئذ : لقد كنت واثقا تماما ، أن اعفاء الفريق صادق ،
سيستغل ضدنا .. وأنه سيقال أنه تم بناء على طلب الاتحاد السوفيتى
.. ولكنى لم أهتم أبدا بما يمكن أن يقال .. ان اهتمامى فى المقام الأول ،
هو بوجوب اتخاذ القرار فى توقيته المناسب ، وبدون أدنى تأخير ..
أما الاشاعات فلا يمكن أن تتحكم فى سياسة الدولة ..



أعود الى جلستى مع المشير أحمد اسماعيل ..

أكمل المشير استطراده في الحديث قائلاً :

— وكان لابد أولاً من اكمال كل نواحي النقص التكنولوجية ..
فعدونا متقدم .. وأمريكا تمده بأحدث الأجهزة التكنولوجية في مختلف
الأسلحة • وقد كان تفكيرى في التخطيط الجاد للعمليات ، على ثلاثة
أسس :

أولاً : دراسة كل امكانيات العدو دراسة تفصيلية كاملة •

ثانياً : التخطيط للعمليات بما يتناسب مع قدرات وامكانيات القوات
المسلحة •

ثالثاً : التنسيق المخلص الجاد الصادق مع القوات السورية •

وبالنسبة لهذا الأساس الثالث ، أحب أن أسجل ، أن هذا كان قرارى
منذ اللحظة الأولى التى توليت فيها المسئولية • يجب أن يكون التنسيق
جاداً وصادقاً مع القوات السورية ، حتى نرغم العدو على القتال في
جبهتين في وقت واحد لتشتت جهوده • فالحقيقة التى يجب أن تعرف
الآن ، أن التنسيق بين مصر وسوريا في حرب ٦٧ ، لم يكن صادقاً من
الطرفين • كانت سوريا تخفى عن مصر خططها الحقيقية وكانت مصر
تخفى عن سوريا خططها الحقيقية • كان الشك متبادلاً ولا يمكن أن يدخل
جيشان في معركة واحدة ، بغير مكاشفة كاملة بكل الأسرار والخطط ..
والتنسيق الكامل ، لكل تحرك من الجانبين .. وأحب أن أسجل ، أن
تعاون القوات السورية معى ، كان تعاوناً مشرفاً وصادقاً ، ولذلك كان
التخطيط للمعركة موفقاً ، ومدرّساً دراسة كافية من الجانبين •

ثم قال المشير أحمد اسماعيل :

— وبدأت السفينة تسير ..

أمكن تذليل الصعوبات يوماً بعد يوم ..

الدولة لم تبخل علينا بكل ما طلبناه من اعتمادات مالية ضخمة ..

وكان الرئيس أنور السادات معنا في كل أفكارنا ، خطوة بخطوة ..
كنت أعرض عليه تطورات موقفنا أولا بأول ، وكان تشجيعه المستمر ،
وايمانه بالقوات المسلحة وايمانه بالمعركة .. وقودا ملها لمضاعفة العمل
بثقة وحماسة ..

وأسجل أنني وجدت تعاوننا كاملا من جميع أجهزة القوات المسلحة
ربما لأنه كان لى شرف أنني درست في كلية أركان الحرب لغالبية
القادة الموجودين .. ربما لزمالتى الموفقة للكثيرين من القادة .. ربما
لأننى كنت قائدا للجبهة والجميع خدم معى وزاملونى في أيام الصعاب ..
مهما كانت الأسباب .. فقد أسعدنى هذا التعاون الايجابى الكامل ..
وشعرت أنني لست غريبا أبدا بين أسرته التى أضطرتنى الظروف لتركها
فترة غير قصيرة ..

وكان الجميع متلهفا على المعركة . ولكن كان ينقصهم الاجابة على
السؤالين .. من أين نبدأ .. وكيف نتحرك ؟ ..

قلت :

ولكن كيف أمكن تحقيق المهمة الأولى .. وهى اعادة الثقة بالنفس ..
واعادة الثقة بالسلاح ؟ ..

قال المشير :

تحقق ذلك بالزيارات لجمع الوحدات . والتأكيد الواثق الحقيقى بأن
المعركة آتية لا ريب فيها . وبالتقدير الواقعى مع مختلف القادة ، للموقف
عسكريا واستراتيجيا وتعبويا .

لقد وضعنا خطة عامة يجب أن نقوم بتنفيذها ، لتحقيق الأهداف
السياسية والاستراتيجية التى وضعها السيد الرئيس فى تكليفه الشفهى
لى أولا .. ثم فى تكليفه الكتابى بوثيقة تاريخية ..

قلت : أين هذه الوثيقة ؟ ..

قال : انها من الأسرار . ولم يحن الوقت بعد لاذاعتها ..

قلت : ألا يمكن أن أنشر جزءا منها ..

قال : مستحيل الآن .. ونعود الى موضوعنا ، دعم الثقة بالنفس وبالسلاح . كان تخطيطى أنه لابد لكل من يقوم بعمل ما ، أن يكون مقتنعا به ، وأن يكون فى طاقته .. الشخصية وقدرات سلاحه . لقد عملت تقديرا عاما للموقف . خرجت بخطة فى ذهنى . أتفق القادة الكبار عليها . القادة الأصغر فالأصغر على التوالى ، على كل منهم أن ينفذ جزءا من الخطة فى موقعه واختصاصه . بدأت أعقد الاجتماعات . تجرى المناقشات الحرة الصريحة . ما هى المهام التى يمكن أن يحققها كل منهم بالامكانيات التى فى يده ؟ .. ما هو تقديره الشخصى للموقف ؟ .. ما هى التعديلات التى يقترحها لامكانية التنفيذ ؟ .. ماذا ينقصه من سلاح ؟ .. ما هى الوسيلة لتعويض هذا النقص ؟ ..

وكثيرا ما كنت أقف على شاطئ القناة ، واستطلع مع القائد ، موقع العدو ، بما لدينا من معلومات .. وناقش فى أدق التفاصيل . هذا الموقع ، كيف يمكن الاستيلاء عليه . من الأمام ؟ أو من الخلف ! . أو من الأجناب ؟ .. ماذا يلزمه للاستيلاء عليه ؟ .. ماذا ينقصه .. هل هناك فكرة أخرى ؟ .. ما هى الاحتمالات المتوقعة من العدو .. الى آخر كل ذلك ، بحيث نصل الى اقتناع موحد ، بأمكانية التنفيذ ، بالقوات الموجودة ، وبالسلاح الذى فى يدينا .

وبعد أن اقتنع القادة أنهم قادرون بواسطة الأسلحة والقوات التى لديهم .. بدأ التخطيط التفصيلى للخطط يأخذ الطابع الرئيسى للعمل فى كل أجهزة القوات المسلحة . وبدأت تهيئة مسرح العمليات .. بكل ما يحتاج اليه التنفيذ .. وسرى الاطمئنان بين الجميع ، على قدرتهم على تحقيق الهدف الكبير .

قلت : ماذا كانت الخطوة الهامة فى تهيئة مسرح العمليات ؟ ..

قال المشير : لا أستطيع أن أذيع كل الأسرار . ولكن يكفى أن أقول أننا أنشأنا سدا عاليا ثانيا من المضاطب الترابية . خرجت قواتنا من الخنادق . استطعنا أن نرى العدو وأن نراقبه . وخططنا لاستخدام هذه

المصاطب الأهرامية ، فى أغراض عسكرية عديدة ، لم يفتن اليها العدو أبدا حتى بدأنا القتال •

قلت : سمعت أن وجود الخبراء السوفيت ، كان يعنى أنهم يشتركون فى وضع الخطط العسكرية ••

قال : طبعا وجود خبراء كان يعنى أن يقدموا أفكارهم •• وآراءهم ولكن الخطة المصرية وضعت بعد خروج الخبراء السوفييت وعلى أساس معرفتنا الكاملة بكل شبر فى أرضنا •• فى سيناء وكانت تعدل جزئيا وفقا لظروف الواقع • لقد خدمت فى سيناء خمسة عشر عاما • أعرفها شبرا شبرا • لا أتصور شيئا ، لأننى عشته على الطبيعة فى مختلف مواقع العسكرية • وكذلك عدد كبير من زملائى فى القوات المسلحة • الخطة العسكرية التى نفذت ، شىء مختلف تماما ، عن الأفكار التخطيطية التى كنا نسمعها من الخبراء السوفييت • كانت هناك أفكار أن نعبر من موضع واحد ، ونكون رأس كوبرى واحد • وكانت هناك أفكار أن يكون هبوطنا فى الممرات •• أفكار عديدة •• ولكنها ليست خططا •

قلت : ولكن كيف تغلبت على المصاعب الأخرى •• التسليح مثلا •• وهذا شىء هام ؟

قال : كان تفكيرى •• الذى كان الرئيس السادات مقتنعا به كل الاقتناع •• قبل أن يكلفنى بمسئولية الحرب ، هو أن يكون تخطيطنا للمعركة ، على قدر الأسلحة التى معنا ، اذا أمكننا أن نحصل على مزيد من السلاح ، فليكن ذلك لتحقيق الهدف أكثر نجاحا وأكثر اتساعا • لكن المهم أولا •• أن نعرف ما هو السلاح الذى نحتاجه ؟ •• أن العدو متفوق علينا فى أنواع الطائرات ولديه قوات مدرعة مدربة • ولذلك كان تركيزى فى رحلتى الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٧٣ ، هو الحصول على نوعين رئيسيين من السلاح ، هما الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات • وكان مهما جدا بالنسبة لنا ، سرعة التوريد ، حتى يمكن تدريب الأفراد على هذه الأسلحة • الحق أننا كنا فى سباق رهيب مع الزمن • كان يجب الاعداد الكامل ، قبل الموعد المحدد للمعركة • والوقت يجرى • سباق رهيب بين تجهيز الأطقم التى ستدرب •• ثم

التدريب •• ثم وصول المعدات في الوقت المناسب •• واختيار مواقعها •• وتوزيعها •• وأحمد الله أن وفقني في رحلة مارس الى عقد صفقة كبيرة قيمتها مليار روبل •

قلت : الاستماع الآن يبدو سهلا •• ولكنكم قطعاً واجهتم صعاباً فنية عديدة في الاعداد والتنفيذ ••

قال : الصعوبات الفنية كانت يومية •• وكنا نواجهها بتفكير هادى • ولا شك أن رجالنا الذين درسوا الالكترونيات •• ومهندسينا •• قاموا بأعمال خلاقية رائعة في تطوير الأسلحة التى كنا نحصل عليها •• لقد أضيفت تحسينات وتطويرات عديدة •• وكنا نحصل على هذه التطويرات الجزئية من أسواق أخرى في أوروبا فهى مباحة للبيع لاستخدامات أخرى •• ولكن العقل المصرى تفتق عن استخدامهما مع الأسلحة التى لدينا •

قلت : سمعت أن القوات المسلحة أنهت من تجارب العبور في مايو ١٩٧٣ ••

قال المشير : هذا صحيح •• ولكن حتى هذا التاريخ ، كان ينقصنا أسلحة معينة لم تكن قد وصلت بعد ••

قلت : الغريب أن بعض الأسلحة وصلت قبل يوم الهجوم بيومين •• أى في ٤ أكتوبر ••

قال المشير : بل هناك أسلحة وصلت في ٥ أكتوبر •• وفي ٦ أكتوبر •• لقد كنت أتابع وصول الأسلحة يوميا ، وكنت أخطر ساعة بساعة ، بكمياتها ونوعياتها ، وقرارات توزيعها في مختلف المواقع ••

قلت : •• ولكن متى تحدد فعلاً أمر القتال من القائد الأعلى أنور السادات •

قال المشير : لقد تأكدت من البعيد الرئيس أن المعركة تقترب جداً من موعدها ، في لقاء تم في استراحة برج العرب في أبريل ١٩٧٣ • لقد دعانى السيد الرئيس للسفر الى برج العرب ، وتمضية يومين معه •• وقال لى • علشان تستريح شوية • ولكننا أمضينا اليومين كاملين في دراسات

تفصيلية لكل ما يتصل بالمعركة عسكريا وسياسيا • وكانت مع الرئيس خريطة مجسمة لكل أرض القتال ، لم تكن تفارقه في تلك الأيام ، في أى مكان ذهب اليه للعمل أو الراحة •• وكان الرئيس في معنويات مرتفعة سعيدة • ففي ذلك الوقت بدأ وصول شحنات صفقة الأسلحة من الاتحاد السوفيتي • وتناقشنا خلال اليومين ، فيما أمكن تذليله من صعاب ، وفيما علينا أن نواجهه من صعاب ، وكيفية تذليلها •• وعرضت على السيد الرئيس تفاصيل عديدة ، خاصة بكل نواحي الخطة •• وشرح لى الرئيس الموقف السياسى عالميا وعربيا ، وشعوره بأن العمل السياسى يمهّد فعلا للرأى العام العالمى لتقبل المعركة •• كما تناقشنا في جوانب اشتراك سوريا في المعركة ••

قلت : هل حدد الرئيس ساعة الصفر في هذا الاجتماع الذى استمر يومين !

قال المشير : لا •• لم تتحدد ساعة الصفر • ولكن حديثه معى كان يعنى أن المعركة تقترب كثيرا •• وأن كل الظروف السياسية والعسكرية ، تؤكد أنه لن يكون هناك تأجيل أو عدول ••

قلت : أذكر أننى تحدثت الى الرئيس في ذلك الوقت •• وكنت قد شملت أخبار احتمال قرب المعركة •• وخشيت أن يكون واقعا تحت أى ضغط من الأصوات المزايذة •• ولكن الرئيس أكد لى أن المعركة لا بد أن تقع قبل نهاية ١٩٧٣ •• وأننا اذا لم ندخلها قبل نهاية ذلك العام •• فلن ندخلها بعد ذلك ••

قال المشير : كانت التقديرات الأولى فعلا أن تكون قبل نهاية ١٩٧٣ ، لأنه كانت لدينا معلومات تفصيلية من عقود التسليح التى حصلت عليها اسرائيل •• وعن الأسلحة ونوعياتها التى سوف تصلها في عام ١٩٧٤ •• وكنا نرتب القتال ، على أساس ما نملكه فعلا من أسلحة •• وما تملكه اسرائيل •• وكان التأجيل الى ما بعد ١٩٧٣ يمكن أن يعرضنا لمفاجئات ، لا نستطيع مواجهتها بالأسلوب المناسب •• أو تكبدنا جهدا أكبر ، وتكاليف أكثر •• نحن في حاجة اليها •

قلت : وكيف تم الاتفاق النهائي على اشتراك سوريا في المعركة ؟ ..
قال المشير : كان ذلك في برج العرب أيضا • لقد حضر الرئيس حافظ
الأسد في رحلة سرية خلال شهر يوليو ١٩٧٣ • واستدعاني السيد الرئيس
وتم اجتماع استمر ٤ ساعات ، جرت فيه مناقشة تفصيلية • • لموقف
العدو • • وموقف القوات السورية • • وموقف القوات المصرية • •
و ضمانات الانتصار في القتال • • والوقت المناسب للمعركة ، وكان
الرئيس حافظ الأسد مقتنعا تماما ، بحتمية المعركة ، وكنا نتحدث بمفهوم
واحد واقتناع واحد • وكنت قبل ذلك قد زرت سوريا أكثر من مرة في
رحلات سرية ، واصطحبت معي بعض قادة الأفرع الرئيسية للقوات
المسلحة ، وزرت الجبهة ، واجتمعت بالقيادات السورية ، وتدارسنا
الخطط المشتركة • • وقد كانت القوات السورية تبذل أقصى جهد
مستطاع ، وعن اقتناع في الاعداد للقتال ، وكان عملهم العسكري رائعا •
وانتهى هذا الاجتماع التاريخي ، وأصدر الى الرئيسان التوجيهات
بالسير قدما في الاعداد النهائي للمعركة • •

ثم يكمل المشير أحمد اسماعيل قصة التوقيت للمعركة قائلا :

وصدر قرار جمهوري مصري سوري بتشكيل المجلس الأعلى للقوات
المسلحة المصرية السورية برياستي ، وصدق على هذا القرار على أساس
أن المعركة واحدة والمصير واحد • • وتمت الاتصالات • واجتمع هذا
المجلس سرا في الاسكندرية خلال شهر أغسطس ٧٣ ، وفي هذا الاجتماع
تقرر التحديد التقريبي للمعركة خلال شهرين •

قلت : ولكن تحديد ساعة الصفر يوم عيد الغفران • • قيل عنه في
اسرائيل أنه سهل استدعاء الاحتياطي لأن الاسرائيليين في هذا العيد
ييقون في بيوتهم أو يذهبون الى المعابد • •

قال : لم يكن عيد الغفران هو العامل الرئيسي في تحديد ساعة الصفر •
في خلال سبتمبر وأكتوبر كانت هناك أعياد أخرى • وقد بحثنا كل أعياد
اليهود على مدار السنة كاملة • • والذي حدث أن مجلس الوزراء
الاسرائيلي لم يتمكن من الاجتماع في وقت مناسب في ذلك اليوم •

ولكن التحديد تحكمت فيه عوامل كثيرة .. منها أن يكون قبل حلول الشتاء في سوريا حيث يظهر الثلج • أن يكون بعد وصول أنواع معينة من الأسلحة • ضوء القمر • المد والجزر في مياه القناة • ظروف سوريا • الى آخر مثل هذه العوامل التي درست بعناية شديدة • وأخيرا قررنا ساعة الصفر بالساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر • ولم يكن يعرف هذا الموعد الا الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الأسد وأنا • وطبعا علم به القادة المتصلون اتصالا كاملا بالحرب ، مثل رئيس الأركان ورئيس العمليات • تم التحديد في أوائل سبتمبر ، وبدأ العد التنازلى ابتداء من ٥ سبتمبر ولادة ٣٠ يوما ..

قلت : ما معنى العد التنازلى ..

قال المشير : معناه أنه لا يمكن ايقاف العملية • وكان كل يوم يعنى تنفيذ جزء من الاستعداد • وقبل ساعة الصفر بعشرة أيام مثلا تحركت البحرية المصرية الى المواقع المحددة لها في الخطة •

قلت : ما الذى كان يتم يوميا من اجراءات ..

قال : تنفيذ كل جزئيه • ولكن الوحدات المقاتلة لم تكن لتعلم شيئا • لقد بدأنا منذ أول أكتوبر بتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى على مستوى القوات المسلحة كاملة • وفى يوم ٣ أكتوبر زرت سوريا سرا ، للتأكيد على اللمسات النهائية للمعركة ، وقابلت القادة هناك ، وقابلت الرئيس الأسد الذى بارك بدء المعركة ..

قلت : ومتى عقد آخر اجتماع عسكرى شامل للقيادة المصرية ؟

قال المشير : عقد اجتماع استمر ١٠ ساعات كاملة ، هو اجتماع القائد الأعلى بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وهو اجتماع يحضره قيادة الأسلحة وقيادة الجيوش فقط • قمت بتقديم الخطة العامة ، وشرحت المشكلات وكيف ذللناها ، وكان شرحى للخطة على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم قام كل قائد وشرح ما يقوم بتنفيذه ، وما يجب أن يستكمل في هذه الساعات الأخيرة • وناقش القائد الأعلى كل القادة

فيما عرضوه ، والحق أن كل قائد منهم كان يتحدث بثقة كاملة واقتناع تام ، وفي نهاية الاجتماع قال الرئيس السادات :

— أحمد الله أننا وصلنا الى هذه اللحظة ، لنضع اللمسات الأخيرة على العمل ، ونقول للعالم أننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته في نفسه وفيكم . وأنا واثق أن كل فرد في قواتنا المسلحة سيؤدي واجبه كاملا بإحساسه بمسئوليته تجاه وطنه وسأتحمل معكم المسؤولية كاملة ، تاريخيا وماديا ومعنويا . وفي نفس الوقت أثق ثقة كاملة فيكم ، وأنكم ستتصرون بكل ثقة وأطمئنان وحرية .

ورد القائد العام على الرئيس بقوله :

— باسم القادة . وباسم القوات المسلحة ، نعدكم ، ونعاهد شعبنا أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا ، ولتثقوا سيادتكم في أن كل القادة متفائلون ، وفي مقدورهم تحقيق مهامهم . واننا نشترك معكم في المسؤولية ، فجميعنا مسئولون عن بلدنا معكم .

قلت للمشير : ومتى بدأت القوات تعرف ساعة الصفر . .

قال : جاء هذا بأسلوب تدريجي . . بحيث يعرف القادة والقوات في التوقيت المناسب لتحقيق مهمتهم . ففي ٦ أكتوبر . . وعندما صدرت الأوامر للطيارين بالاقلاع مثلا . . كانوا يتسألون . . هل سنقلع لنضرب . . أو أنها المناورة التدريبية . . وصدرت لهم الأوامر بالضرب في اللحظة الأخيرة في الوقت المناسب .

قلت : ولكن خطة الخداع كانت ستعرض للفشل . . قبل المعركة بيومين . .

قال المشير : متى ؟ . .

قلت : عندما بدأت السفارة السوفيتية ترحل العائلات السوفيتية على طائرات منذ الفجر . .

قال : هذا صحيح .. وعرفت اسرائيل طبعاً .. ولكن بصيرتهم عميت .. ولم يستتجوا أن هذا دليل على اقتراب ساعة الصفر .. بل أن السرية تعرضت أن تكشف من تصرف محلى فى مطار القاهرة يوم الخامس من أكتوبر ؟ ..

قلت : أى قبل المعركة بيوم واحد ..

قال : نعم .. يوم ٥ أكتوبر • أتخذ وزير الطيران المدنى قراراً بوقف رحلات الطيران فى مطار القاهرة • وكان هذا تصرفاً شخصياً من الوزير ، لم يطلب منه • ولكن الذى حدث أن السيد الرئيس كان قد نبهه الى المحافظة على الطائرات المدنية فى مطار القاهرة ، عندما تجيء ساعة الصفر • وقد استنتج الوزير مما كان يجرى حوله .. وخاصة من ترحيل العائلات الروسية .. ان شيئاً قريباً سيحدث • فأمر بوقف رحلات الطيران .. وأذيع هذا طبعاً فى جميع مطارات العالم .. وكان يمكن أن يؤدى هذا التصرف الى كارثة .. ولكنى طلبت منه على الفور أن يعلن إلغاء قراره وإعادة الطيران مع الاعتذار أن الموقف كان لأسباب فنية أمكن اصلاحها .. ولكن ما جرى زاد فى الخداع بالنسبة للعدو •

قلت : وكيف أمضيت أيام ما قبل أكتوبر ..

قال المشير : منذ أول أكتوبر وأنا فى مركز العمليات ، أتابع كل ما يجرى .. الصدى اليومى على العدو .. تحركات العدو .. وكنت أحسن أنه لا يوجد أى صدئ .. وكان عملنا يجرى بهدوء .. حتى حانت ساعة الصفر •



٦ عقبات أمام العبور

●●● « وعن عقبات ومصاعب العبور كان حديثي مع مصدر عسكري فني بدا حديثه قائلاً : كانت هناك ٦ عقبات ضخمة أمام تحقيق العبور ، أمكن التغلب على كل هذه العقبات في مايو ١٩٧٣ ! » ●●●

— أتيت لي الفرصة لمقابلة مصدر عسكري غني كبير ليحدثني عن
العقبات الفنية التي كانت تقف أمام تحقيق العبور .

قلت لحدثني : أريد أن أبدأ القصة من أولها (١) . .

(١) قال تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية العسكرية التي زارت ميادين القتال . في شهر نوفمبر ١٩٧٣ للتعرف على حرب ٦ أكتوبر عن المعركة المصرية في نواحي متفرقة ما أقتطف منه هذه الفقرات :
" بالإضافة الى عملية العبور التي تعد في حد ذاتها مظهرا اكيدا لتحسن القدرة القتالية المصرية ، فان عملية التمويه والخداع التي صاحبت الاستعداد المصري للقتال ، والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لمدة طويلة من الزمن واخفائها عن عين الاسرائيليين ، هي التي تعتبر من وجهة نظر اللجنة موضع اهتمام كبير . ولم يدخل العسكريون المصريون في تفاصيل كثيرة مع اللجنة اثناء مناقشتهم في وسائل الاخفاء التي لجأوا اليها في استعداداتهم العسكرية ، لكنه كان من الواضح أن الحماس هو الذي يحركهم طوال هذه المدة .

وقد تنبّهت المصادر الاسرائيلية الى وجود تحركات عسكرية مصرية كبيرة على الضفة الغربية من القناة . الا أن الاسرائيليين افترضوا أنها مجرد مظاهرات تدريبية عادية . وهكذا استطاع المصريون تحريك عدد يقرب من ٧٠ ألف الى ٨٠ ألف من قواتهم المسلحة بالإضافة الى اعداد هائلة من الدبابات والمعدات على ضفة القناة .

ومن العوامل التي ساعدت المصريين على نجاح عملياتهم ، تلك السواتر الرملية التي بنوها على امتداد ضفة القناة الغربية ، والتي لم تسمح للمصريين بمراقبة التحركات الاسرائيلية ونقاط نيرانهم فحسب ، بل استخدمت كسواتر لتغطية تحركات المعدات والأفراد المصريين . وقد تخللت هذه السواتر فتحات منخفضة استخدمت كنقاط للعبور وللإطلاق الناري .

وعند بدء عملية ٦ أكتوبر من جانب المصريين ذكر الاسرائيليون أن المصريين قاموا باستقاط العديد من قوات الكوماندوز بالباراشوت وراء الخطوط الاسرائيلية على الضفة الشرقية ، واعترف الاسرائيليون بحيرتهم في تفسير هذا الاجراء ، حيث أن هذا الانزال لم يستتبعه أي ربط مع أية قوات مصرية أخرى ، ولم تبذل أي جهود لتغطيته ، الا أن العسكريين المصريين — عندما ناقشناهم في هذا الأمر — أشاروا بأن هذا الانزال كان جزءا من خطة التعمية المصاحبة لعملية العبور ، مستهدفا مواجهة الاسرائيليين « من كل الاتجاهات » لرباك خطوطهم ، وبهذا — على حد قول المصريين — يمكن شل استراتيجية الاسرائيليين وعدم تمكينهم من معرفة من أي الاتجاهات ستأتي الضربة الأكبر .

ودرجة الاستعداد العسكرية المصرية على امتداد جبهة القناة لاتوصف فمن القاهرة حتى قناة السويس ، شاهدت اللجنة مواقع لا حصر لها من الصواريخ والدبابات والمعدات وغيرها من الآليات العسكرية . لم يكن هناك كيلو متر واحد بين القاهرة والقناة لم يتم تقويته وتحصينه . كذلك شاهدت اللجنة كميات كبيرة من المعدات المذكورة مبعثرة في أماكن من الصحراء المجاورة لخط القتال . وقد حفرت اعداد هائلة من الخنادق في الرمال شاهدتها اللجنة بوضوح .

ويعتقد المصريون ان الوقت في صالحهم حيث انهم يرون ان اسرائيل تواجه موقفا صعبا في استمرارها الابقاء على قواتها المسلحة في حالة استعداد خاصة وان الغالبية العظمى من تلك القوات قد استدعيت من الاحتياطي الذين يمارسون أعمالهم الانتاجية المدنية المؤثرة على الحياة الاقتصادية في الدولة .

ان الاحساس بالفخر العربى بالانجاز الذى تم في السادس من أكتوبركبير، ظاهرة لا يمكن تجاهلها لاي زائر لمصر في الوقت الحالى . وقد انتبهت اللجنة الى أن القادة المصريين مدركون تماما للهزائم السابقة والنظرة التي كان الرى العام العالمى ينظر بها الى العسكرية المصرية . وقد كرر الرئيس السادات أكثر من مرة فكرة الاحساس « بالاهانة والتحقير » الذى عانى منه الجيش المصرى منذ حرب الايام الستة . ويشعر القادة العرب بأن قواتهم المسلحة قد استعادت ثقتها بنفسها بعد نجاحها في هجومها في السادس من أكتوبر ، ويشيرون الى الروح العالية التي تمتع بها الجنود والالتزام بالطاعة الذى ساد في هذه الحرب بعكس الحال في الماضى ويبدو ان القادة العرب ما كان من الممكن لهم أن يذهبوا الى أى مؤتمر للسلام دون أن يشعروا بأن قواتهم المسلحة قد استعادت شرفها في ساحة القتال .

ويشعر المصريون بفخر شديد لنجاحهم في الحصول على الكثير من المعدات الحربية الأمريكية التي سلبوها من الاسرائيليين . وخلال زيارة اللجنة للقاهرة كانت بعض الدبابات والمعدات الأمريكية المستولى عليها تعرض في بعض الميادين والحدائق حتى يراها المصريون وقيل لنا ان معرضا للغنائم الحربية سوف يفتح للجمهور قريبا .

وقد ادعى الاسرائيليون أن التخطيط السوفييتى للعمليات المصرية لم يقتصر فقط على الاعداد العسكرية بل لقد ذهبوا أبعد من ذلك باشتراك بعض العسكريين السوفييت في الحرب . وقد نفى المصريون ذلك تماما ولم ترى اللجنة أى دليل يثبت تواجد قوات سوفيتية أو أفراد منهم خلال زيارتها .

وعند مناقشة تنفيذ البند رقم ٢ من اتفاقية وقع اطلاق النار ، والذي ينص على انسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ أكتوبر والذي يعتبر أكثر بنود الاتفاقية حساسية في مباحثات الكيلو ١٠١ — أشار الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى الى أن القوات الاسرائيلية كانت تتقدم في الثانى والعشرين من أكتوبر على الضفة الغربية للقناة متجهة جنوبا حتى منتصف البحيرات المرة . وأكد الوزير المصرى أن لديه صورا تؤكد تقدم

قال : ان عبور قناة السويس بواسطة جيش كبير بل بواسطة جيشين في وقت واحد بكامل أسلحتهم وعتادهم وفي وجه مقاومة من العدو على الضفة الشرقية يعتبر مشكلة ضخمة بل كانت تبدو أحيانا كأنها عملية مستحيلة • أن عبور الموانع المائية بواسطة الجيوش كان دائما من العمليات الصعبة ولكنها لم تكن أبدا من العمليات المستحيلة فكم من جيوش عبرت موانع مائية في الماضي البعيد والماضى القريب دون أن يشد ذلك انتباه العالم • لقد فقدت الموانع المائية قيمتها بعد تطور أسلحته القتال وادخال المركبات والدبابات البرمائية والدبابات التي تستطيع الغوص في الماء والسير على قاع المانع المائى ضمن تنظيم القوات البرية • أما قناة السويس فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الأنهار والقنوات للأسباب التالية :

١ — انحدار الشاطئ من الناحيتين وتديشه مما يعوق المركبات البرمائية من النزول الى المانع المائى أو الصعود منه الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة • وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية •

٢ — قيام العدو بانشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ — ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أى مركبة برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر •

٣ — انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على أى قوات تحاول العبور • وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة بحيث تتحكم في جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة وفي أى جزء منها •

٤ — وجود خزانات للمواد المتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من المواد المتهبة على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها

القوات الاسرائيلية الى الامام في يومى ٢٤ و ٢٥ من اكتوبر حتى مدينة السويس حتى صدرت اليها تعليمات التوقف .
ولم تحصل اللجنة على أية معلومات من المصريين فيما يتعلق بالامدادات السوفيتية بالعتاد العسكرى لمصر بعد ٦ اكتوبر .

فوق سطح المياه ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى حمم ملتهبة تحرق كل شيء فوق الماء بل وتنشوي الأسماك في عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذي يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر • ويستطيع العدو أن يتحكم في استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد الملهبة الى سطح الماء • ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائي بل انه مانع فريد ليس له شبيه في العالم وليس هناك خبرة سابقة في التاريخ لعبور مثل هذا المانع • وكان من واجب القيادة العامة للقوات المسلحة وأجهزتها الفنية أن تحل جميع هذه المشاكل وقد تم بتجزئة مشكلة العبور الكبرى الى عدد من المشاكل الصغيرة وبعد الكثير من المحاولات والتجارب نجحنا في حل جميع هذه المشاكل •

وقد صرح قادة اسرائيل أكثر من مرة أننا لن نستطيع أن نعبر وأن قواتنا ستدمر تدميراً كاملاً قبل أن تصل الى الشاطئ الشرقي للقناة اذا نحن تجسرنا وحاولنا العبور •

قلت : ولكن •• كيف بدأ العبور ؟ وكيف تغلبتم على كل هذه المشاكل ؟ •

قال : كانت المشكلة الأولى التي يجب أن نتغلب عليها هي كيف نتغلب على النيران الملهبة التي سوف تغطي سطح القناة عند بدأ العبور • وقد اتجه التفكير أول الأمر الى اطفائها وتم عمل تجارب عملية على ذلك في أماكن شبيهة بالقناة فاتضح لنا أن عملية الاطفاء تحتاج الى مجهودات ضخمة وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة اذا لم يتم تزويدها بكميات اضافية من المواد الملهبة • ومن هنا اتجه تفكيرنا الى ضرورة ابطال استخدام هذه المواد قبل العبور واذا حدث أن أخفقنا في ابطال استخدامها في بعض الحالات فانه يجب علينا أن نمنع العدو من تغذية الحريق بكميات اضافية من المواد الملهبة ، وذلك لاقبال فترة تعرض قواتنا للحريق الى أقل وقت ممكن • بدأنا العمل وصدرت أوامر القيادة العامة بالبدء في استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع واتضح أنه يضع هذه المواد في خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه ليندفع منها السوائل

الملتبهة الى سطح المياه • ومن الواضح أنه لو أمكن اغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية العبور فان السوائل الملتبهة لن تصل الى سطح الماء ولن يحدث الحريق • وكانت خطة القيادة تتضمن أن يقوم بعض الأفراد المتسللين لاغلاق هذه المواسير بالأسمت مع تكليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها في حالة الفشل في اغلاق المواسير الموصلة الى المياه • وزيادة في الحيلة تم دراسة اتجاه التيار في القناة على طول ساعات اليوم وتم انتخاب قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار وبذلك نتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء • • وقد تمت العملية بنجاح تام ولم ينجح العدو في اشعال حريق واحد فوق سطح القناة وتم الاستيلاء على مستودعات المواد الملتبهة سليمة بكل ما فيها بل وتم أسر الضابط المهندس الاسرائيلي الذي قام بتصميمها وقد أدلى في أعواله أنه حضر الى القناة في اليوم السابق للقتال لكي يختبر هذه المستودعات •



وكانت المشكلة الثانية هي كيفية ازالة الساتر الترابي الذي أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن نقيم المعديات والكبارى على القناة • ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية اذا علمنا أن ثغرة واحدة في الساتر الترابي بعرض حوالى ٧ أمتار تعنى ازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الأتربة ؟ كانت احتياجاتنا تتطلب فتح ٦٠ ثغرة على طول 'القناة' في كل جانب ، أى ازالة حوالى ٩٠٠٠٠ متر مكعب من الأتربة من الساتر الترابي شرق القناة • فاذا علمنا أننا خلال السنوات الست الماضية كنا قد أقمنا أيضا ساترا ترابيا في غرب القناة فأتضح لنا أن المشكلة أصبحت مضاعفة وأنه يتحتم علينا أن نفتح ثغرات مماثلة في الساتر الترابي الغربى • اتجه تفكيرنا أول الأمر الى أن نفتح هذه الثغرات بواسطة التفجير واستمرت نظرية التفجير هي السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ الى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف وهي استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال في ازالة هذه الرمال • قمنا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظرية التفجير وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات الى أن أصبح في مقدورنا أن نفتح الثغرة الواحدة في مدة تتراوح بين ٣ - ٥ ساعات •

— لم يكن فتح الثغرة في الساتر الترابى هو نهاية المشكلة بل كان من الضروري تهذيب أجناب القناة بالنسف والتسوية حتى يمكن تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية •

— وإذا جاز لنا أن نقدم كشف حساب عن ما قمنا به فأننا نقول ان المهندسين العسكريين قاموا بشق ٦٠ ثغرة في الساتر الترابى وأقاموا عشرة كبارى وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ٦ — ٩ ساعات وقد تم التنفيذ طبقا لما كان مخططا تماما فيما عدا القطاع الجنوبى من القناة حيث كانت الأرض غير صالحة لعمليات التجريف ونتج عن ذلك بعض التأخير فى إقامة الكبارى والمعديات عما كان مخططا • وان هذه الأعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائما مثار فخر للمهندسين المصريين فى جميع أنحاء العالم •



كانت المشكلة الثالثة هى كيف نستطيع أن نقوم بهذه الأعمال الهندسية الضخمة تحت نيران العدو المسيطر فى الضفة الشرقية ؟ وكانت الاجابة هى ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين وهو ما يطلق عليه التعبير العسكرى تأمين رؤوس الكبارى •



وكانت المشكلة الرابعة هى كيف تستطيع المشاة أن تعبر القناة وتؤمن رؤوس الكبارى الى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة الثقيلة عبر المعديات والكبارى التى أقامها المهندسون ؟ وكيف تصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ — ٢٤ ساعة الى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة • وقامت القيادة العامة بحل هذه المشكلة على الأسس التالية :

١ — المشاة التى تكلف بالعبور تحمل معها أقل ما يمكن من التجهيز والمياه وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة وكان اجمالى ما يحمله

كل جندي حوالى ٢٥ كيلو جراما وكان يصل أحيانا مع بعض الجنود الى حوالى ٣٥ كيلو جراما •

٢ - ابتكار عربات جر صغيرة يضع فيها المشاة مالا يستطيعون حمله ويجرونه بأيديهم عبر الساتر الترابى وعند تحركهم شرق القناة •

٣ - تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ولا سيما الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة مدرعاته •

٤ - تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات وخاصة الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا أثناء وبعد العبور •

٥ - تجهيز المشاة بسلام لمساعدتهم فى تسلق الساتر الترابى وجر أسلحتهم وذخائرهم المحملة فى عربات الجر •

٦ - تنظيم عبور المشاة فى قوارب تنظيما تفصيليا بحيث يعلم كل جندي مكانه فى القارب ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور • الخ •

٧ - التسلل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقاط القوية لهذا الخط الا بعد استكمال عملية العبور واكمال حصارها •



وكانت المشكلة الخامسة هى كيف يمكن للمشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم نقم بتدمير واسكات الرشاشات والمدافع التى تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولها - وقد قامت المدفعية بحل هذه المشكلة على أحسن وجه • وكان نتيجة لنيرانها المؤثرة أن تمكنت مشانتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جدا •



وكانت المشكلة السادسة هى كيف يتم اعادة تنظيم قواتنا على الشاطئ الشرقى وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة الى وحدات المشاة التى

سبق عبورها .. وكيف يتم كل ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تتميز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها * ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة اذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان يتحتم عبورها لتنضم الى وحدات المشاة التي عبرت لتزيد من قدرتها على التمسك بالأرض وصد هجمات العدو المتكررة .. وقد قامت ادارة الاشارة وادارة الشرطة العسكرية بواجبها على الوجه الأكمل فقد أمكن مد كوابل الاشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور وتم تحديد الطرق والمدقات التي تسلكها الدبابات والعربات وتم تمييزها بالألوان المختلفة بحيث كان يعلم السائق انه يتبع اللون الأحمر مثلا في رأس الكوبرى بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر وهكذا * وقد تم تنفيذ كل ذلك أثناء المعركة بكفاءة تامة *

قلت : سمعت أن غارات طيران العدو المكثفة ، قد فشلت في اصابة الكبارى ..

قال : كنت أحب أن توجه هذا السؤال للسيد قائد الدفاع الجوى فهو أعلم منى بالاجابة عليه ، ولكنى أضيف فأقول : أن عملية العبور لم تكن لتنجح لولا الدفاع الجوى والصواريخ التى كانت تغطى المنطقة .. ان مظلة الدفاع الجوى كانت هى الواقية لكل ما بذله المشاة والمدفعية ، والمهندسون من جهد .. لقد كانت هجمات العدو الجوية شديدة متتابة .. وذلك بالاضافة الى ما قامت به القوات الجوية من ضرب تجمعات العدو التى فى العمق والتى كانت خارج مدى الصواريخ المضادة للطائرات *

قلت : ولكن غارات العدو لم تصب الكبارى ؟

قال : لقد أصابت طبعاً بعض الكبارى .. ولكننا كنا نقوم باصلاحها فور اصابتها حيث أنه كما تعلم أن الكبارى العسكرية مصنوعة من قطع متصلة ببعضها البعض فاذا أصيبت احدهما بالتلف أمكن تغييرها بقطعة أخرى .. وعملية اصلاح الكوبرى كانت تستغرق من نصف ساعة الى ساعة فى بعض الحالات ..

قلت : لقد روى لى شاهد عيان ، ان معظم قنابل طائرات العدو ..
كانت تقع بعيدا في الماء ..

قال : هذا صحيح .. ان بعضها كان يقع على بعد كيلو متر كامل ..

قلت : ولماذا .. رغم قدرتهم الجوية ؟

قال : كنا نتبع معهم أساليب ايجابية وسلبية في نفس الوقت وعلى
سبيل المثال كنا نقوم بتحريك أماكن الكبارى باستمرار من مكان لآخر *
وحيث أن الطيار عندما يكلف بضرب كوبرى فان قيادته تحدد له مكان
هذا الكوبرى بناء على استطلاع سابق فانه اذا ذهب الى هذا المكان
ولم يجده فمعنى ذلك انه فشل في تحقيق مهمته ونجحنا نحن في خداعه
ولو افترضنا أنه استطاع أن يصل الى الكوبرى قبل أن نقوم بتغيير مكانه
فأننا نقوم بتوليد ستارة كثيفة من الدخان تجعل الرؤية متعذرة بالنسبة
اليه وبالتالي لا يستطيع اصابة الهدف * كل هذه اجراءات سلبية *
أما الاجراءات الايجابية فهي حراسة هذه الكبارى بالأسلحة المضادة
للطائرات واستقبال الطائرة المغيرة بستارة كثيفة من نيران الأسلحة
الصغيرة والصواريخ * وقد تم اسقاط العديد من الطائرات المغيرة *

قلت : لقد سبق أن صرح موشى ديان أن عملية عبور القوات المسلحة
المصرية مقضى عليها في يوم واحد ، وهو قد غامر في هذا التصريح
بسمعه العسكرية فعلى أى أساس بنى هذا التصريح *

قال : لقد أعلن موشى ديان ذلك عن حساب وقد كان هذا الحساب
يعتمد فيما أعتقد على التقديرات الآتية :

١ — ضرورة فشل المصريين في العبور نتيجة النيران الكاسحة التى
يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتهبة التى
كان يأمل أن تغطى القناة * وبذلك فليس هناك أى أمل في وصولنا الى
الشاطئ الشرقى *

٢ — عدم قدرة المهندسين في ازالة الساتر الترابى وانشاء الكبارى
والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى وانه بفرض نجاح المصريين في

اقتحام جزء من القناة فاننا سوف نحتاج الى حوالي ٢٤ ساعة لإنشاء هذه الكبارى وبالتالي فان الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالي ٤٨ ساعة من بدء الهجوم • وكان هذا الوقت يكفى لجلب احتياطات مدرعة من العمق تقوم بتصفية القوات التي نجحت في إنشاء رؤوس كبارى في الشرق •

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لامكانيات قواتنا المسلحة في العبور خاصة في النقط الرئيسية التالية :

١ — قدرة المشاة المترجلة على صد الدبابات والطائرات المغيرة التي على ارتفاع منخفض والتشبث بالأرض وحدها ودون أى أسلحة ثقيلة لمدة طويلة •

٢ — كفاءة سلاح المهندسين وقدرتهم في اقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع في مدة تتراوح بين ٦ — ٩ ساعات •

٣ — التنظيم الجيد للعبور والذي وصل الى أن كل ضابط وجندى في القوات التي تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له كان يعلم جيدا دوره بالتفصيل والوقت الذي ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة الى الحد الذي جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر في وقت واحد •

٤ — المفاجأة التي حققتها قواتنا والتي ظهرت نتائجها بوضوح في الأيام الأولى للمعركة حيث كانت جميع تصرفات العدو تتسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الأقل •

٥ — العقيدة والاصرار الذي يقاتل بها جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذي لطخته أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ ظلما بالتراب • كان يحاول أن يسترد أرضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندى الاسرائيلي يقاتل دون هدف واضح مقنع • هل وضع ديان في حسابه الأثر المعنوي الذي يحدثه عشرات الألوف وهي تعبر القناة وتصيح في وقت واحد الله أكبر الله أكبر؟؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك في حساباته •

قلت : ومعارك المدرعات التي جرت بعد ذلك .. ووصفت بأنها أكبر معارك التاريخ ؟

قال : كنت أفضل أيضا أن توجه هذا السؤال للقادة الذين اشتركوا فعلا في هذه المعارك ولكنى أحب أن أقول لك انها كانت معارك ضخمة فعلا .. واشتركت فيها أعداد كبيرة من الدبابات من الجانبين • قد تدهش اذا عرفت ان اسرائيل بدأت القتال ولديها أكثر من ١٧٠٠ دبابة وهو عدد يفوق ما تملكه انجلترا بل ومعظم بلاد العالم • ومن النادر فعلا أن تقع معارك بمثل هذه الأعداد .. وعلى مساحات واسعة .. وفي يوم واحد اشتركت حوالى ١٠٠٠ دبابة من الطرفين في معارك ضارية على ضوال القناة •

ثم أضاف : قبل أن ننهي هذا الحديث أود أنؤكد لك أن نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود وليس سلاح المهندسين فقط • ولقد كانت توجيهات السيد الرئيس المؤمن أنور السادات ومشاركته الدائمة في مناقشة المشاكل وإيجاد الحلول لها خير موجه لقيادة العامة للقوات المسلحة وهي ترسم وتحسب كل الاحتمالات • كما كان السيد الوزير الفريق أول أحمد اسماعيل والقائد العام للقوات المسلحة على قمة جهاز القيادة يوجه ويناقش ويستمع ويتخذ القرارات • وكان كل ضابط وجندي يشارك بقدر طاقته ومسؤوليته في التجهيز والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا في النهاية أن نحقق في ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخر لمصر ولقواتها المسلحة •

الفصل الرابع

الساعات الأخيرة.. لنحط ببارليش

●●● « الكتاب الذي أصدرته صحيفة
« السنداي تايمز » البريطانية عن حرب أكتوبر ،
يتضمن فصلا ممتعا ..

انه تفريغ لشريط تسجيل ، كان دائرا منذ أن
بدأ الهجوم المصرى على أحد حصون خط بارليف ،
حتى انتهى الأمر ، بهرب الاسرائيليين من هذا
الحصن ..

كان أحد الجنود يحتفظ بآلة تسجيل .. واستمر
يديرها من الدقيقة الأولى .. حتى الأخيرة طوال
يومين ..

ولا اعتقد أن كل ما نشر ، وقيل أنه منقول
تماما عن شريط التسجيل ، هو الصحيح ..
ولا شك أن عمليات مونتاج عديدة ، أجريت في
تفريغ الشريط .. ولا أشك أيضا أن حقائق كثيرة
عن الهجوم المصرى ، أغفلها النشر .. ومع ذلك ،
فإن ما نشر من هذا التسجيل كفيلا بالاعتناع ، بأن
الهجوم المصرى كان كاسحا .. وأن الاسرائيليين
عجزوا عن حماية هذا الحصن أو الدفاع عنه ..

ربما قدم هذا الشريط نصف الحقيقة .. ولكنهم
مع ذلك لم يستطيعوا إلا أن يعترفوا بالانتصار
المصرى .. ولا يمكن أن أتجاهل أن الاسرائيليين
قدموا الى الصحفى الذى كتب هذا الفصل ،

صورة ذكية ، توفر فيها الجانب الانساني الذى
يجعلك تصدق كل شيء . فهناك الجندى اليائس .
وهناك الذى يفكر فى زوجته . . وهناك الشجاع
المغوار الذى لا يهتم الا القتال . .

وقد رأيت أن أقدم هذا الفصل ، كما هو ،
وكما نشر دون أى حذف أو تعديل فى عبارة واحدة .

ثم قدمت بعده تعليقا من أحد كبار العسكريين
المصريين الذين قادوا المعركة وهو اللواء سعد
مأمون قائد الجيش الثانى حينئذ ، الذى يقع هذا
الحصن فى قطاعه أمام الاسماعيلية . .

وبعد ذلك نشرت قصة سقوط هذا الحصن ،
على لسان قائد القوة المصرية التى هاجمته حتى
استولت عليه . . وذلك فى لقاء طويل معه . .
وبعد أن شأهت الحصن على الطبيعة » ●●●

« قصة الساعات الأخيرة لخط بارليف »

بقلم : بول ايدى

جريدة السنداي تايمز : ٣ فبراير ١٩٧٤

ليس من المعتاد أن يحصل المرء على صورة واقعية للحرب كما رآها جندي لطلقات الرصاص في الخط الأمامي • • فمثل هذا الجندي يكون عادة مهتما بمسألة البقاء على قيد الحياة بصورة تجعله غير قادر على تحليل تجربته • • أما بالنسبة للمخبر الصحفي فإنه إذا ذهب الى هناك فإنه يكون مشغولا للغاية في محاولة استنتاج ما يحدث وسط الاضطراب الذى تثيره المعركة • • غير أن « آفى يافى » وهو جندي احتياط يبلغ من العمر ٣٣ عاما حصل خلال الحرب العربية الاسرائيلية على تسجيل فريد للحرب • • ذلك أن « آفى » الذى يعمل فى الحياة المدنية مهندس صوت أخذ معه جهاز تسجيل للترفيه عن زملائه الجنود فى حصنهم على خط بارليف الذى كان يحرس قناة السويس •



وعندما شن المصريون هجومهم عبر قناة السويس ، أدار « آفى » جهازه الذى استطاع أن يسجل على امتداد الستين ساعة الرهبة التالية مسار ووقائع الحرب كما جرت بالضبط • • كان الحصن الذى — يربط فيه « آفى » قد قصف بالمدفعية الثقيلة وبالطائرات وحاصرت القوات المصرية • • ومع ذلك فإن هذه الوحدة الاسرائيلية الصغيرة نجت بأعجوبة وأخذت معها جهاز تسجيل آخر مسجلا عليه لحظات الهروب المثيرة • • وكانت نتيجة ذلك وثيقة غير عادية تنقل لنا بصورة أكبر — مما يمكن الحصول عليه من روايات الجنرالات — الفوضى والرعب الذين يصاحبان.

الحرب الحديثة .. وقد قام « بول ايدى » باعادة صياغة التسجيلات وقضى ساعات كثيرة مع « آفى » لاء الثغرات كى يقدم صورة سلسلة لما حدث ..



كان « آفى يافى » قد خرج لتوه من تحت الدش وكان يقوم بنشر ملابسه على الأسلاك الشائكة لكى تجف عندما بدأت القذائف فى الانطلاق .. وكانت طائرات الميج ترمجر فوق رأسه وبدأت قنابل الدخان تنطلق من جانبي القناة لتتطلق سحب الدخان الأخضر الداكن .. ولقد كان ممكنا من خلال ستار الدخان مشاهدة قوارب الكوماندوز وهى تنطلق الى المياه من الضفة الغربية .. وعاد آفى بسرعة الى خندق القيادة حيث يحتفظ بمعدات الراديو الخاصة به (وجهاز تسجيله) وكانت احدى وحدات الهجوم الرئيسية للجيش المصرى تتقدم على صفحة المياه فى اتجاه الحصن ..

وقد كانت وحدة « آفى » التى يقع حصنها فى القطاع الأوسط أمام الاسماعيلية تقريبا تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ولكن جنود الملاحظة فى المواقع الأمامية التابعة لحصن « آفى » لم تشهد الا حوالى ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر دلائل خطيرة على قرب حدوث متاعب .. فقد انسحب جنود الملاحظة المصريون من مواقعهم وأسدل الستار من الصمت المريب على الضفة الغربية وفى حوالى الظهر تلقى رئيس آفى ، الذى كان يعرف بين رجاله باسم ميرك (اسمه الحقيقى مائير) من مقر قيادة الجيش أمرا باخلاء حصنين أصغر حجما يقعان ناحية الجنوب .. وقد تم نقل هؤلاء الرجال فى حاملة جنود مدرعة وصلت الى الحصن قبل الساعة الثانية مباشرة ، الأمر الذى رفع عدد جنود الحصن الى ٣٢ .. وبعد ذلك بدقائق بدأت القذائف الأولى فى الانفجار .. وعندما بدأ الهجوم المصرى فتح « آفى » ميكروفونين وأدار جهاز التسجيل

وفى أول الأمر كانت هناك سلسلة طويلة من التقارير من الرجال الذين يربطون فى مراكز الملاحظة الأمامية الى ميرك فى خندق القيادة ..

« المصريون ينزلون قوارب كوماندوز في المياه المواجهة لنا مباشرة ..
انهم يعبرون الآن • القوارب مليئة بجموع المشاة .. انهم يهبطون الآن
بصواريخ مضادة للدبابات على الضفة الشرقية • عدد قليل من دباباتنا
يندفع نحو المصريين .. مدفعية العدو تطلق نيرانها .. القذائف تسقط
قريبة منا .. تقترب أكثر .. النيران تقترب .. حاملات الجنود المدرعة
تعبّر .. الكثير من الجنود يقفز على الضفة وينطلق بسرعة حاملا
الصواريخ .. ست طائرات هليكوبتر مليئة بالكوماندوز تحلق فوق
رؤوسنا » •



كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين في الحصن في حالة من الذهول
الشديد من جراء الهجوم ، لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على
طائرات الهليكوبتر ، ولكن هذه الطائرات أسقطت فيما بعد عودتها فارغة ،
بطلقات المدافع الأوتوماتيكية •



« دبابة ت - ٥٤ تواجهنا .. تطلق نيرانها نحونا .. يعبر الآن مزيد
من القوارب ، موجة بعد أخرى .. الجنود ينتشرون في منطقتنا .. أنهم
يرفعون علم الكوماندوز على ضفتنا .. يقيم المصريون الآن جسرا ..
تقوم رافعة آلية بانزال عوامات .. قافلة ضخمة .. اعداد كثيرة من
المدرعات .. دبابات .. عربات نصف مجنزرة .. عربات محملة
بالصواريخ ، صفوف من عربات الجيب وبطاريات المدفعية » •



كانت توجد مدرعات مصرية كثيرة تنتظر عبور الجسر العائم ، لدرجة
أن زحمة مواصلات ضخمة قد حدثت على الضفة الغربية .. وكان جنود
الملاحظة في المواقع المتقدمة يشكون متساعلين : لماذا لم يتدخل سلاح
الطيران الاسرائيلي ؟ ! فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات
الى حطام وبعد ذلك أطلقت مدافع هاون مصرية مخفية في غابة عبر القناة

طلقات من نيرانها وأصبحت ساحة التدريب بالحصن مليئة بالفجوات والحفر .. وقد رد الاسرائيليون بكافة أنواع الأسلحة .. المدافع الأوتوماتيكية والبازوكا ومدافع الهاون عيار ٨١ مم ..

وأطلق الاسرائيليون نيرانهم على الجسر المصري وجنود الكوماندوز الذين يعبرون القناة وبطاريات المدفعية على الجانب الآخر وطبقا لما ذكره جنود الملاحظة في المواقع الأمامية فانهم وجهوا ضربات قوية .. قوية للغاية .. وبعد ساعتين من القتال ، أطلق المصريون قذائف انفجرت في الحصن وملأته بدخان أصفر خائق .. وشعر الجنود بالرعب .. ولكن طبيب الحصن (الذي كان في حياته المدنية يعمل طبيبا متمرنا حديث العهد في إحدى المستشفيات) أكد لهم أنها ليست غازا ساما ، وانما مجرد ستار من الدخان .. والآن وبعد أن أصبح المصريون يحاصرونهم من كل ناحية بدأ الرجال يستعدون للدفاع عن حصنهم وللقاتل بالأيدي .

غير أن الهجوم على الحصن لم يقع .. وأصبحت القذائف الآن تنفجر في أماكن أعمق داخل صحراء سيناء خلف الحصن .. وكان الكوماندوز المصريون والدبابات والعربات نصف جنزير واللواريات المحملة بالصواريخ تنطلق بسرعة عبر الحصن دون أن تطلق طلقة واحدة .. وفي الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر ، أي بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من بدء الهجوم توقف القصف من الضفة الغربية .. وعندما بدأ الغسق في القاء ظلاله ، أدرك الاسرائيليون أنهم أصبحوا خلف خطوط العدو وأنهم معزولون تماما ..

وفي خندق القيادة كان آفي وميرك يستمعان للراديو ، بينما كانت القوات المدرعة الاسرائيلية الضئيلة في المنطقة تحاول وقف الهجوم المصري .. على مسافة ميل من الحصن على طريق يسير بحذاء القناة توجد وحدة دبابات اسرائيلية وفي مكان ما بالمنطقة وحدة مدفعية متحركة . وكان قائد المدفعية يريد ضم قواته للدبابات للقيام بهجوم مشترك على رأس الجسر المصري عبر القناة .. غير أنه قبل أن يحدث ذلك كان العدو يهاجم وقد تسليح المصريون بالصواريخ القاتلة المضادة للدبابات هن طراز ساجر وأرسل قائد المدفعية تحذيرا سريعا الى الدبابات :

« حذار أن تصابوا .. أريد توفير كل قوتكم للقيام بهجوم مضاد » .

وتفتتح المدفعية نيرانها على الدبابات المصرية ولكنها أيضا تعرضت لهجوم بالصواريخ .. وقد استطاع ييهوشيا الشهير باسم شوكى وهو نائب ميرك .. استطاع أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وهى دائرة وبعث بتقرير يقول أن الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجيء لمساعدة الحصن .. وقال أنها فى حالة فوضى شاملة .. واتصل قائد الدبابات بالحصن يسأل ميرك عما اذا كان يريد شزيمة من المشاة المدرعة ..

ميرك : مشاة مدرعة ؟ هل أنت واثق ؟

غير أنه بعد فترة توقف بسيطة غير قائد الدبابات رأيه .. قائد الدبابات : آسف .. المشاة المدرعة لا تستطيع أن تفعل أى شىء هناك .. اذ يوجد ضباب لا يمكن تصوره .. لا أستطيع أن أرى أى شىء ..

وابلغ الحصن ان دباباته ومدفعيته المتحركة قد انسحبت لكى تعيد تجميع نفسها .. وانضم ميرك الى شوكى فى الموقع المتقدم حيث كانا يستطيعان رؤية الدبابات على الطريق على مسافة ميل ..

ميرك : هل تلك دبابات مصرية التى تبدو هناك ؟

شوكى : نعم .. ولكنها لا تطلق نيرانها علينا فى الوقت الحاضر (وبصق بصوت مسموع على الخط) ..

ميرك : شوكى .. ابحث عن قطعة خشب بسرعة .. والمسها ..

وعن طريق الراديو علم الحصن ان المصريين اسقطوا قوات مظلات من طائرات نقل على مسافة عشرة أميال داخل سيناء .. وفيما وراء الحصن وعلى ضوء القمر كانت المعركة مستمرة مع زحف الليل ..

ومع تحول ليلة السبت الى صباح الاحد ، تعرض الحصن للهجوم مرة واحدة .. وانفجرت القذائف وأصيب أحد جنود الملاحظة يعرف باسم « مارشيانو » فى العنق بشظية .. ولم يكن الجرح خطيرا وقد وصل الى خندق القيادة دون مساعدة من احد لكى يتلقى العلاج من الطبيب .. غير انه جاءت انباء عبر الراديو بأن الحصن التالى الذى يقع على مسافة

خمسة أميال الى الشمال قد أصيب ضابط القيادة فيه أصابة خطيرة وقتل
رجلان .. وظل الحصن يوجه نداءات الاغاثة لاخللاء الجرحى .. وكان
مقر القيادة الاسرائيلي الرئيسى فى « طاسا » يعانى أيضا من المتاعب ..
فقد قصفت طائرات الميج المعسكر وقتل من جراء ذلك عدد من الجنود
وسكرتيرة القائد .. وشنت عملية انقاذ لنجدة الحصن الشمالى ولكن
الكوماندوز المصريين الذين نقلوا بالهليكوبتر أوقعوا طابور النجدة فى
كمين وأرغموه على التراجع ..

وفى تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة
الحصون هو توجيه قصف مدفعى ضد المصريين .. وتتدخل قائد المدفعية
المتحركة .. فى راديو « آفى » لكى يسأل عما اذا كانت القذائف تصيب
أهدافها •

شوكى : القصف سلبى .. المدى ٢٠٠ ياردة ناحية الجنوب ..

ثم اتصل مقر القيادة ..

مقر القيادة : ما هو الجديد لديكم ؟

شوكى : (بصوت هادىء لا ارتعاش فيه) لا شىء معين هنا يوجد
نيران حولنا وشاهدنا قاربا آخر يعبر القناة .. وباستثناء ذلك يوجد
مصريون من حولنا •

مقر القيادة : هل طلبتم مدفعية •

شوكى : نعم طلبنا ذلك •

وكان تماسك شوكى وتقليله من شأن الأمور أكثر مما يستطيع الطبيب
أن يتحملة •

الطبيب : انها جهنم دموية .. لا تتركوا شوكى يبعث بالتقارير عن
الوضع .. فكل شىء على ما يرام بالنسبة له حتى عندما يعبرون — أى
المصريون — القناة •

آفى : (الى مقر القيادة) هناك اعدادا كبيرة من المصريين من حولنا •

ميرك : (الى مقر القيادة) لا أعرف ما يحدث عندكم .. فمدافعكم
تضرب بعيدة عن الهدف .. أنتم تضربون منطقة جرداء .. لا تستطيع
الرؤية ولكن الضرب بعيد عن الهدف ..

وحاول مقر القيادة مع وحدة المدفعية أن يصحح المدى ولكن بدون
تجاح كبير .. مازال ميرك لا يستطيع رؤية أية اصابات ويقوم بابلاغهم
بذلك .. وكان الحصن الشمالى لا يزال يطلب النجدة ..

آفى : (وهو يقدم زمزية مياه للطبيب) تناول بعض الماء .. تناول
ثلاث رشقات لتعويض ما فقدته من العرق .. وسوف أقتفى أثرك ..
يا لله .. كل هذه الحرب .. من اخترعها ؟

الطبيب : جنون ! القتال ! التعرض للقتل ..

آفى : وماذا نحصل من كل هذه العملية ؟ فبدلا من الحصول على
إجازة سوف يتعين أن نبقى هنا حتى نهاية جولتنا ..

جندى القسم الطبى : بعد الحرب سوف يتركونك تعود الى منزلك ..

آفى : (ساخرا) بعد انتهاء هذه العملية سيكون حصننا فى الخطوط
الخفية .. هذا واضح .. سوف نجلس هنا وسيكون أولادنا فى
القاهرة .. مضبوط ؟

جندى القسم الطبى : انك تسخر الآن ولكن جيشنا سيكون خلال أيام
قليلة عبر القناة ..

آفى : اننى لم أمر بمثل هذا الموقف من قبل (آفى محارب قديم
اشترك فى حرب الأيام الستة) لقد كان الموقف دائما ان العدو على مسافة
كبلو متر ، أو على مسافة ٢٠٠ متر أو أمامى مباشرة .. ولكن ان يكون
العدو من حولى من جميع الجهات !! بالمناسبة سوف نتمكن قريبا من
الاتصال بمنازلنا .. فى أى يوم نحن ؟ الاحد ؟ (قبل الحرب اتم
الاسرائيليون اقامة شبكة تليفونية فى معظم خطوط الجبهة تسمح للجنود
بالاتصال بأسرهم بطريقة دورية) ..

آفى : نستطيع ان نتصل بمنزلنا من الساعة الثالثة حتى الرابعة صباحا .. اننى أتشوق لطلب منزلى .. اننى أريد مكالمة واحدة مع منزلى .. سوف تبعث هذه المكالمة الدفء فى أسرتى وسط هذا الجو من التوتر .. انهم لا يعرفون ما يجرى هنا ..

جندى القسم الطبى : انهم أكثر قلقا مما نحن عليه •

آفى : أنى لست قلقا بصورة كبيرة على نفسى قدر قلقى على أسرتى •

وعلى مسافة بضعة مئات من الياردات من الحصن أصيبت دبابة اسرائيلية تقف بمفردها بقذيفة .. واتصل قائد الدبابة بالحصن •

قائد الدبابة : لقد أصبت .. سوف اهبط لتقدير الاصابة لقد تلقينا أن قوات المظلات المصرية موجودة فى هذه المنطقة .. انظر الى اليسار قليلا من دباباتهم .. يوجد مزيون هناك الآن •

آفى : حسنا .. مزيون مصريون .. هذا أمر جديد •

جندى القسم الطبى : وأين قوات المظلات التابعة لنا ؟

لم تستطع الدبابة التى كانت على اتصال بالحصن التحرك وقد أحاط بها المصريون • استسلم ثلاثة من طاقم الدبابة •

وفى نفس الوقت جرت محاولة ثانية لنجدة الحصن الشمالى قامت بها وحدة اسرائيلية للعربات المدرعة نصف جنزير •

وحدة النصف جنزير (من خلال الراديو) توجد ثلاث دبابات معادية عند مدخل الحصن الشمالى .. لقد أصبناها وهى تحترق الآن كلها •

قائد المدفعية المتقلة : خذوا حذرکم .. انهم يطلقون الصواريخ عليكم
غيروا مواقعكم .. وراقبوا الموقف طول الوقت ..

وقد أرغمت الوحدة نصف جفزير على الانسحاب فى النهاية لاعادة
التزود بالوقود ، والحصول على مزيد من الذخيرة .. ويواصل الحصن
الشمالى فى طلب النجدة .. وأخذت حالة القائد الجريح فى التدهور .
ولكن مقر القيادة لا يزال غير قادر على تزويد الحصون الا بمساندة
المدفعية .. وكانوا لا يزالون يواجهون المشاكل ..

مقر القيادة : هالو .. ابلغونا كيف تسير نيران مدفيعتنا ؟ هل تحتاج
الى تصحيح ؟

ميرك : لا أرى أية اصابات (موجهها حديثه الى آفى) لعلمهم لا يطلقون
مدافعهم على الاطلاق ..

مقر القيادة : ماذا تقول ؟ هل توجهونهم (رجال المدفعية) الى
أهدافهم ؟

ميرك : نوجههم ؟ هذا ليس عملنا على الاطلاق .. اننى لا أرى أية
اصابات .. ينبغى عليكم أن تصوبوا الى مسافة أبعد ناحية الغرب ..
اليس كذلك ؟

آفى : (يوجه حديثه عن طريق تليفون الحصن الى شوكى الذى يقف
فى احد المواقع الامامية) : من الذى يطلق النار الآن ؟

شوكى : المصريون .

آفى : على من ؟

شوكى : علينا على ما اعتقد .. لقد توقفوا لتوهم .

ميرك : اعطنى شوكى .. شوكى هل تسمع صوت مدرعات ..

شوكى : هكذا يقول مارشيانو .

وكان يمكن سماع ضوضاء عنيفة تزداد ارتفاعا .. انها صوت زمجرة
آلات قادمة من المدرعات المصرية خلف الحصن .. وكانت الجبهة كلها
قد استيقظت •

آفى : (متحدثا من خلال ميكرفون جهاز التسجيل الخاص به) الساعة
الخامسة الا الثلث صباح الاحد .. سوف تكون هناك بتأكيد معركة
خطيرة فى الصباح .. التوتر يسود الجو ..

ويعلق آفى صور زوجته وأولاده الثلاثة فوق الراديو .. ويبحث
الطبيب فى محفظته عن صور ابنته ..

آفى : هل تعرف انها تبدو شبها •

الطبيب : يقولون انها أكثر شبها بزوجتى •

آفى : ما نوع الافلام التى تستخدمها ؟

الطبيب : كوداك •

آفى : الألوان جيدة •

ويستطيع الرجال فى الحصن ان يسمعوا من خلال الراديو وحدثين من
الدبابات الاسرائيلية كانتا قد وصلت الى الطريق الذى يبعد مسافة ميل
ولكنهما الآن تواجهان المتاعب • ويتصل القائد بمقر القيادة عن
طريق الراديو •

قائد الدبابات : المشاة المصريون يحيطوننا من جميع الجهات ..
ارسلوا تعزيزات وساعدوا على تخليصنا •

وفي هذه اللحظة انفجرت القنابل فوق الحصن وحوله • وقد أصابت
أحداها خندق القائد إصابة مباشرة •• وينهار السقف المقام بالحديد
الموج وانهارت الأرض والاحجار على الرجال الذين بالداخل وملأت
الجو بالتراب الخائق ••

آفى : الآن تبدأ المعركة •

الطبيب : ايقظ كل شخص في الخندق •

مارشيانو : (عن طريق التليفون من موقع امامى) استطيع أن أرى
طائراتنا تحلق فوقنا •

لقد بعث مقر القيادة بالقاذفات المقاتلة من طراز فانتوم لمساندة وحدات
الدبابات والحصن وبعث قائد الدبابات بتحذير متأخر الى الحصن •

قائد الدبابات : خذوا حذركم •• لقد بعثنا بالطائرات الى هذه المنطقة •

مبيرك : لحظة •• لحظة •• يوجد الى الشمال منا هدف •• يوجد بيننا
وبين المعبر المصرى على مسافة تتراوح بين ٧٠٠+١٠٠ متر مشاة
مصريون يرابطون في خنادق معدة جيدا •

قائد الدبابات : أرى سحابة صفراء ضخمة على شكل عشب غراب فوق
موقعكم •• هل هناك ثمة خطر ؟

آفى : (يعيد تكرار حديث قائد الدبابات على مسمع من مبيرك)
توجد سحابتان ضخمتان لونهما أصفر على شكل عشب غراب فوق موقعنا
هل هناك خطر ؟

مبيرك : لا •• انها ستار من الدخان ••

قائد الدبابات : هل تستطيع رؤية الجسر عبر القناة ؟

ميرك : لا .. مازال هناك بعض الضباب (دخان أصفر) •

قائد الدبابات : حاول وابحث عنه .. وخذ حذرك ..

موقع امامى : المصريون يطلقون نيرانا كثيفة مضادة للطائرات ناحية
الطائرات التى كانت تقصفنا ..

جندى : الدلائل تشير الى أنها طائراتنا .. أليس كذلك ؟

مارشيانو : (من موقعه الامامى) : طائراتنا تمطر المصريين
بالصواريخ •

آفى : رائع .. انك حبيبي يا مارشيانو •

ميرك : آفى .. ابلغ المدفعية اننا لا نرى أية اصابات تلحق بالمشاة
المصريين •

وينقل آفى الرسالة ولكن الرد لم يكن مشجعا •

قائد المدفعية : مقر القيادة يقول على التليفون ان عليكم ان تنتظروا ..
اذ انهم فى الحسبان •

ميرك : (بنفاذ صبر) : أريد ان اعرف لماذا لا أحصل على نيران
ضد المشاة المصريين .. أريد ان أرى اصابة واحدة •

وظلوا ينتظرون نيران المدفعية بلا جدوى غير انه على حين غرة زمجرت
فوقهم طائرتان فانتبهم اخريان والقت بقنابلها على المصريين الذين
يرابطون فى خنادق قرب الحصن على ضفة القناة .. ويقع جزء من حمولة
القنابل فى القيادة وتغمر موجة ضخمة من المياه الحصن ويهرع الرجال
فى المواقع الامامية الى الخنادق وملابسهم مبللة بالمياه .. ولكنهم
يتصايحون بسرور •

وعند هذه المرحلة أصبح الحزن ذا أهمية تكتيكية حيوية للاسرائيليين .. فقد كان آخر وحدة رصد متبقية لضربات المدفعية والقصف الجوى على مرمى البصر من رؤوس الكبارى المصرية عبر القناة .. ولم تكن وحدة ميرك تتوقع ان يتم انقاذها على عجل .. فقد كان من الواضح اننا ذات قيمة كبيرة للقائد الجديد للتطاع الاوسط فى سيناء ميجور جنرال (اريك) شارون الذى كان قد وصل فى هذه اللحظة الى مقر القيادة فى « طاسا » لمحاولة تفهم الأمور ..

ومن مركز قيادته المتقدم امسك بتليفونه الميدانى وطلب ميرك للحصول على بعض المعلومات من مصادرها الأصلية .



ميرك : (يقدم تقريراً لشارون) لدى قوة هنا .. ليست فقط قوتى وانما جميع اصناف المعالين وأناس حوصروا هنا .. لا يوجد جرحى بيننا حمداً لله باستثناء اصابات بالشظايا .. ولكنها ليست خطيرة ..

شارون : هل اصيب موقعك ؟

ميرك : ليس اصابة مباشرة حتى هذه اللحظة .. ولكنهم ينظرون أنفسهم من حولنا وهناك وحدتان من المشاة خلفنا . ونستطيع أن نرى ناقلات جنود مدرعة تصل وربما دبابات أيضا .

شارون : قل لى .. هل توجد حركة كبيرة على طريق القناة .

ميرك : ليست كبيرة .. قبل ذلك كانوا يتحركون عليه .. ووصل عدد من ناقلات الجنود المدرعة حتى موقعنا .. وقد بدأنا فى ضربهم ومن ثم فقد ابتعدوا .. تركوا جنودا .. مجموعات قليلة منهم .. وحتى هذه اللحظة ، لا أستطيع ان افهم منطق بعثرة الجنود على طول الطريق .. لقد عادت ناقلات الجنود ناحية الشمال الغربى الى المنطقة التى توجد بها كافة دباباتهم .. الدبابات التى تلقت ضربات من سلاحنا الجوى قبل ذلك ..

شارون : هل كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة ؟

ميرك : كانت هناك بعض الاصابات الجسيمة •

شارون : من أى منطقة أنت ؟

ميرك : من هالاميد — هيه (وهى كوبوتز بالقرب من القدس حيث كان يعيش ميرك) •

شارون : ورجالك هل هم أيضا من القدس ؟

ميرك : نعم من القدس •

شارون : هل اشتعلت النيران فى دبابات العدو أم ماذا ؟

ميرك : (برضا واضح) نعم •• لقد اشتعلت فيها النيران •• لا أعرف كم عددها ••

شارون : عندما لا يكون المصريون يهاجمونكم هل يقومون بعمل شئ آخر ؟

ميرك : لا شئ على قدر ما أستطيع أن أرى والوضع الآن هو أن الدبابات وناقلات الجنود قد اقتربت حتى مسافة ٧٠٠ أو ٨٠٠ متر منا •• وإديهم مشاة فى الخنادق • وعندما يرفعون رؤوسهم تطلق النار عليهم كما اننا نوجه اليهم ضربات بمدافع الهاون عيار ٨١ مم •

شارون : هل لديك ذخيرة كافية ؟

ميرك : ذخيرة ؟ •• نعم •• فاننا نحاول ألا نبددها وقد بدأت أبخل ب ذخيرة المدفع ٨١ مم •

شارون : هل توجد فى مواجهتكم ناحية الشمال وبالقرب من نقطة العبور أى قوات للعدو ؟

ميرك : لقد ذهبت الى موقع امامى منذ حوالى خمس دقائق ولم تكن هناك أية قوات فى ذلك الوقت .. لحظة واحدة .. سوف أرى اذ كان نائبى يستطيع أن يرى أى شىء .. شوكى .. شوكى .. كلم (ويتم وصل شوكى فى الموقع الامامى بشارون) •

شارون : السلام عليكم .. قل لى ..

شوكى : السلام والبركة •

شارون : كم عدد الدبابات التى تراها هناك ؟

شوكى : حوالى أربعين الى ٤٥ دبابة •

شارون : فى أى تشكيل ؟ متجمعة ؟

شوكى : بعضها متجمع والآخر يقف فى صفوف ..

شارون : هل احترقت أية دبابات ؟

شوكى : لم تحترق وانما أصيبت دون ان تحترق • لقد هبط كل الرجال منها .. وهم حولنا الآن .. هناك خنادق .. وهم على قممها .. فى تلك المنطقة ..

وأخذ شارون يستجوب شوكى حول مكان العدو بالضبط ولكن يحدث بعض الاضطراب ويتدخل ميرك ..

ميرك : أريك ، أرجو ان تفهمنى .. انهم يسيطرون على منطقة مستوية .. هل تسمعنى انها منطقة مستوية طولها بضع مئات من الامتار وعرضها بضع مئات من الامتار وهم يتخذون مواقع تواجه الاتجاه الذى يبدو ان مدرعاتنا تسد الطريق عليهم منه .. يوجد عدد كبير من المشاة خلف الدبابات ومع عربات نقل الامدادات .. وكل ما يحتلونه منطقة يبلغ طولها حوالى الكيلو متر •

شارون : ايها الرفاق .. لقد وصلنا لتونا الى هنا .. واننى اخطط
البذل كل جهد لتخليصكم .. سوف نتصل بكم فيما بعد لابلاغكم بما يمكن
ان تفعلوه ..

وسأل شارون عن وسائل النقل فى الحصن وقال انه سيتصل بالمدفعية
لتزويدهم بمزيد من التعليمات حول رصد الأهداف •

* * *

شارون : سوف اشرح لكم فيما بعد الطريقة التى آمل بها ان أخرجكم
من هذا الوضع .. وما أريده منكم فى هذه الأثناء هو أن توفروا
ذخيرتكم وان تأخذوا حذرکم فى المواقع العالية عندما يطلقون النار عليكم
.. فهذه الاماكن التى يمكن ان تقع لكم فيها خسائر كبيرة .. وسوف
نبذل كل ما فى وسعنا لتخليصكم وكل شىء سيكون على ما يرام ..
لا تقلقوا واصمدوا ..

* * *

وعقب انتهاء محادثة شارون التليفونية ، عاد المصريون الى قصف
الحصن .. وكان من الواضح انه سيكون اعنف هجوم ..

* * *

ميرك : شوكى .. اقفز الى الموقع رقم ٣ واتصل بى عندما تصل
هناك • جندي الاشارة شلومر (مساعد آفى) سيذهب معك .. انتظر
لحظة .. أريد احدا فى الموقع الامامى الشمالى .. فمن المحتمل انهم
سيناجهوننا من ناحية الشمال .. اعطنى الموقع رقم ٤ ..

آفى : انك على اتصال به الآن •

ميرك : هالو .. آفى .. انهم لا يردون ..

آفى : (من خلال مكبر للصوت) الموقع رقم ٤ ارفع التليفون •

ميرك : على التليفون من هناك ، دوبيك ؟ — اسم الشهرة لجندى
ملاحظة اسمه مورخاى ايكباوم — فالليباركك الرب • كيف حالك —
صوت انفجار قوى — ماذا اصاب هذا الانفجار فى الخندق ؟ •• ولكن
عليك من آن لآخر ان ترفع رأسك وتتنظر الى الخارج لأنهم قد يأتون
من ناحية الشمال •• هل تفهم ؟ •• ويجب ان أعرف ما يجرى •• وسوف
نرى بسرعة •• لا أعرف من اين يوجهون الينا الضربات ••

* * *

وبدأت قذائف ثقيلة من هاونات عيار ١٦٠ مم فى التساقط على الحصن •

* * *

آفى : يقدم تقريراً لميرك — يقولون ان القذائف تسقط عند بوابة
الحصن ••

ميرك : موجهها حديثه الى موقع البوابة — خذوا حذرکم طول الوقت
تنبطحوا أرضاً ، ولكن عليكم ان ترفعوا رءوسکم فى اقرب فرصة بعد
القصف وتراقبوا البوابة •• أوكى ؟

وتنفجر قذيفتان فوق خندق القيادة مباشرة •

آفى : شوکى لا يرد ••

ميرك : يخطف السماعه — شوکى — شوکى — لا رد •• يوجه
حديثه الى آفى — لعله ذهب الى الموقع رقم ٣

* * *

جندى فى الموقع رقم ٤ : انه فى طريقه الى هناك .. ربما تعطل فى الطريق بسبب القذائف ..

* * *

ويتصاعد القصف وتسقط الآن كل قذيفة تقريبا على هدف ، وأخذت الممرات — التى تصل الخنادق ببعضها — فى الانهيار وتحطم هوائى الراديو ، وقطعت بعض خطوط التليفونات بين خندق القيادة والمواقع الامامية .. وخرج « آفى » و « شالومى » ، جنديا الاشارة معرضين نفسيهما للنيران ، لكى يستبدلاها .. وأخذت القذائف تنهمر ..

ميرك : اعطنى مقر القيادة .. هالو .. بيجال — عامل التليفون بمقر القيادة — اصغ الى .. انهم يقصفوننا بشدة قصف مدفعى ربما بالدبابات أيضا .. القذائف تسقط على مباشرة .. لا أعرف اين تسقط .. اعتقد ان الدبابات تطلق النار علينا من مريض الدبابات (على الجانب الآخر من القناة) ولكن مدفعيتهم هى التى توجه لى اعنف الضربات •

مقر القيادة : هل المدفعية على الجانب التابع لنا ؟

ميرك : لست متأكدا .. لا أستطيع ان احدد ولكن هناك قذيفة تسقط كل دقيقة (موجهها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى .. اين شوكى ؟

جندى فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخندق التابع للموقع رقم ٤

ميرك : هل أنت متأكدا ؟ حسن .. هل تواصل ملاحظة ذلك الجانب ؟
أوكى •

* * *

ويسقط مزيد من القذائف والقنابل الهاون محققة اصابات مباشرة •

* * *

جندى فى الموقع رقم ٤ : شوكى موجود فى الخندق • الممر المؤدى
للموقعين رقم ٢ ورقم ٣ مسدود •

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) المرات المؤدية الى ٢ و ٣ سدت •

ميرك : موجهها كلامه اليهما معا : ستبقيان فى الموقع رقم ٤ أوكى ؟

* * *

ويدخل جندى برتبة سيرجانت ، يدعى باروخ خندق القيادة مترنحا
ينزف دما من رأسه •• لقد مزقت احدى الشظايا خوذته ، وما زالت فى
جانب من رأسه •• وقد قطعت اذنه وكانت تنزف ••

باروخ : ساعدونى يا أولاد •• ساعدونى •• ويهب جندى الشئون
الطبية والطبيب لمساعدته ويتم انتزاع الشظية وتعطى له حقنة مسكنة
•• ويستغرق باروخ فى النوم فى سرير الطبيب • ويستمر القصف ••

آفى : يجب ان نشرح للقيادة ان الأمور تزداد خطورة •

جندى : ابلغهم بأن لدينا اصابات •

ميرك : وماذا اذا كانت هناك اصابات ؟

جندى : يجب ان يسرعوا •

ميرك : (الى مقر القيادة) : انهم يقصفوننا •• لا أعرف من أين •

آفى : لا تجعل الأمور تبدو بسيطة بهذا الشكل أمامهم ••

ميرك : وماذا يتعين على أن أفعله ؟ لقد قلت انهم يقصفوننا • ثم ماذا ؟

آفى : بالغ فى الأمر بعض الشيء •• وبث بعض الحرارة فى الموقف ••

ميرك : لقد بالغت في الأمر (الى مقر القيادة) يجب ان أعرف من اين يقصفوننا .. انهم يطلقون قذائفهم علينا .. وهذا هو كل ما لدى (موجهها حديثه الى آفى) اعطنى شوكى الخندق رقم ٤ ..

آفى : اعتقد ان الخط قطع •

شلومو : (من خلال مكبر صوت) شوكى .. ارفع سماعة التليفون •

شوكى : (من خلال مكبر صوت :) تحدث الى عن طريق مكبر الصوت •

شلومو : (من خلال مكبر صوت) ان لديك تليفونا .. حاول ان تلتقط سماعته ..

ميرك : (الى آفى) اعطنى مقر القيادة من جديد • (ويقطع المكالمه للحديث مع الخندق رقم ٤) شوكى اين انت ؟ أريدك فى الموقع رقم ٤ ..

شوكى : من المستحيل الخروج .. فكل شىء ينفجر فى الخارج ..

ميرك : ولكن لابد أن يقفز احد الى هناك لكى يرى ما يحدث فى الشمال .. أوكى ؟ (موجهها حديثه الى آفى) والان اعطنى مقر القيادة •

آفى : مقر القيادة لا يرد .. اننى احاول طوال الوقت انهم يعتقدون ان لديهم الوقت الذى فى العالم كله .. أولئك الرجال الذين فى مقر القيادة •

مقر القيادة : هالو .. هالو ..

آفى : ايوه .. لحظة .. ياللجنة .. لقد قطع الاتصال مرة أخرى •
مقر القيادة : ايوه .. هالو •

آفى : هالو .. هالو (القذائف تنفجر كل بضعة ثوان وأصبح من المستحيل سماع شىء .. يصيح) ميرك .. تكلم •

ميرك : (الى مقر القيادة) هل تسمعى .. اننا نتعرض للقصف الشديد ..

يقع انفجار ضخمة آخر .

شوكى : (من خلال مكبر الصوت) الخندق رقم ٤ عزل تماما .. لقد حوصرت هنا .. هل تستطيع العودة .. يجب ان يذهب احد بالقرب من البوابة ..

ميرك : (الى مقر القيادة) والان اصنع لحظة .. بيجال .. بيجال ..
مقر القيادة : سوف تحصل عليها حالا ..

ميرك : ماذا ؟

مقر القيادة : المدفعية .

ميرك : على ماذا ؟ سأقول لك على ماذا يجب ان يطلقوا نيران المدفعية .. على مريض الدبابات ..

* * *

وفجأة تسمع اصوات المدافع الاتوماتيكية .

* * *

جندى : (بالحاح) انهم يطلقون نيرانهم .. انهم يطلقون نيرانهم من جهة الشمال .

آفى : شوكى .. ماذا يجرى ؟

شوكى : ماذا يحدث ؟ انهم يواصلون القصف .. لقد غادرت الخندق .. اننى فى الموقع رقم ٤ فى هذه اللحظة مدفون تماما وأحاول الخروج .. ربما ينجح شىء .

ميرك : شوكى .. قل لى هل ترى أى شىء من ناحية الشمال ؟ ..
وما هذا القصف ؟

شوكى : انها هادئة الآن ..

* * *

ويهبز الحصن انفجار ضخم •

* * *

ميرك : ما هذا ؟

شوكى : انه السقف يسقط فوقى ..

ميرك : اين أصابت القذيفة ؟

شوكى : لا استطيع الرؤية الآن .. اعتقد انها فى وسط الحصن ..
ولقد أصيب أيضا الممر فى الموقع رقم ٤ .. وقد انهار كل شىء على
السقف فوقى •

* * *

ويطلب شوكى ايفاد احد لتطهير المدخل الى الخندق رقم ٤ ولكنه
يستطيع الخروج قبل ان يتم ذلك ..

* * *

شلومو : الموقع رقم ١ يقول انهم يسمعون صوت مدرعات ولكنهم
لا يعرفون من اين تتقدم .. وهناك عربات نصف جنزير ، على طريق
القناة المواجه لنا ..

ميرك : اعطنى مقر القيادة .. مقر القيادة .. أصنع .. الحصن مرة
أخرى .. نستطيع ان نرى أضواء على طريق القناة .. ونحن نتعرض
للقصف بشدة ..

مقر القيادة : : بدلا من الكلام حدد لى أهدافا •

ميرك : (وسط مزيد من الانفجارات) •• سأحدد لكم أهدافا ••
بادىء ذى بدء طريق القناة •• الطريق كله •• تسير عليه عربات نصف
جنزير •• والسؤال هو هل هى تابعة لنا أم لهم ؟ •• لا أعرف ولا أستطيع
ان أرى فى الظلام •• أضربوا طريق القناة بأسره على طول المنطقة
المواجهة لحصنى •• ثانى شىء •• اعتقد ان لديكم مدفعية كثيرة ••
فاذا كان فى امكانكم ابدءوا الضرب فورا •• هل تسمعونى ؟ لأنهم
يمحوننا هنا تماما •• عن طريق القصف •• مواعنا الرئيسية ••
لا نستطيع ان نصل اليها لأنها قد سدت •• ولذا أريد الآتى : اقضوا
على نقطة التجمع (ج) إشارة الى خريطة رمزية — وبعد ذلك أريد نيرانا
بالقرب من الكنيسة فى الاسماعيلية •• يوجد موقع مدفعية هناك •• ثم
على مريض الدبابات •• وكذلك ناحية الشمال •• على مسافة ٢٠٠ متر الى
الشمال الشرقى •• والسؤال الآن هل تستطيعون ••

* * *

ويحدث انفجار رهيب •

* * *

ميرك : أوه •• كل الخنادق تنهار •• توجد اعداد من الهلوكبتر
هنا •• أريد نيرانا سريعة الآن ابلغونى متى يمكنكم بدء القصف ••

جندى : هل من المستحيل عليهم ارسال تعزيزات ؟

ميرك : الى أين ؟ هنا ؟ اننا لا نحتاج لتعزيزات اننا نحتاج للاخلاء
•• فما مبرر الاحتفاظ بالحصن هنا ؟

جندى : الا يستطيعون ارسال أى نوع من المركبات الى هنا لأخذنا ؟

ميرك : سوف نقتل فى الخارج •• واذا بعثوا دبابات فانها ستعطب
خلال القصف •

* * *

ويرن جرس تليفون فى الخندق .. كان احد رجال المدفعية فى الموقع
رقم ١

* * *

شارلى : اننى شارلى .. ماذا هناك ؟

ميرك : شارلى .. هل تسمعنى ؟ أريدك ان تطلق ضوءا ساطعا ، فى
اتجاه الطريق الى الشرق اطلق الضوء فورا ..

ويقع انفجار هائل آخر •

شوكى : (يتحدث تليفونيا من انقاض الخندق رقم ٤) .. لقد أصبنا
الآن أصابة كبيرة .. اننا مدفونون تماما تحت الرمال •

ميرك : هل ترى أى شىء من طريق القناة ؟

شوكى : لا .. لا أرى شيئا ..

ميرك : نعم بالتأكيد • أبلغونى انهم سيضربون الشمال وكذلك مريض
الدبابات ، ونقطة التجمع (ج) ولكن ذلك سيستغرق بعض الوقت ..
(مزيد من الانفجارات) اين أصابت الآن ؟

شوكى : لقد سقطت على رقم ٤ .. سقطت عليه مباشرة .. ووقع
السقف كله فوقنا .. ارجو ان نكون على ما يرام .. هل انت على
ما يرام ؟

ميرك : (وصوته يخفق من التراب) لا نستطيع رؤية أى شىء ..
هل تسمع .. اننا نخفق هنا .. لقد كسر جهاز التهوية ..

* * *

كانت الصدمة التى وقعت من جراء القذيفة الأخيرة قد كسرت جهاز
ضخ التهوية فى خندق القيادة .. وأرسل جندي شاب ، على شفا الفرع ،

لتشغيل الجهاز باليد وكان الطبيب يغمس قطعاً من القماش في المياه
ويعطيها للجنود ليضعوها على افواههم ..

غير انه لم يكن هناك مزيد من القذائف .. فقد توقف القصف فجأة
كما بدأ .. وبقي بعض الرجال في مواقعهم متيقظين وعاد البعض الآخر
الى خندق القيادة للراحة .. وبدأ في تسجيل رسالة خاصة الى زوجته ..

* * *

آفى : داس هل تسمعيننى .. اشعر اننى أريد الحديث اليك ..

ويقطع التسجيل بيأس فانه يخشى انها قد لا تسمع الشريط على
الاطلاق ..

وفي الساعة العاشرة والرابع ، من صباح اليوم التالى — الاثنين — كان
الطبيب ومساعداه الطبي مشغولين .. وكان السيرجانت باروخ الذى
جرح فى اليوم السابق يتجول الآن حاملاً حقبة الحقن .. وكان الجنود
الذين يشعرون بالألم فى الظهر يحضرون الى خندق القيادة .. انهم لم
يتبولوا منذ يومين وقد صدرت اليهم الأوامر بأن يشربوا كميات كبيرة
من المياه ..

ودارت مناقشة خفيفة بين آفى والطبيب حول الوقت الذى ستصل
فيه القوة الجوية الاسرائيلية .. قال الطبيب الساعة العاشرة و ٢٠ دقيقة
وقال آفى العاشرة والنصف ..

* * *

ميرك : (فجأة) : ناقلات الجنود المدرعة تتحرك نحونا ..

الطبيب : (من خلال مكبرات الصوت) عودوا الى مواقعكم .. عودوا
الى مواقعكم ..

ميرك : انهم يتقدمون نحونا .. هل تفهمون ؟

شوكى : ماذا جرى لدفعنا الهاون والبازوكا ؟

ميرك : هاون .. أى هاون .. أى بازوكا ؟

دعهم يضربون بالمدفعية .. (موجهها حديثه الى آفى) ابلغ المدفعية
انهم يتقدمون نحونا ويدخلون الموقعين (أ) و (ب) ..

آفى يبلغ مقر القيادة •

مقر القيادة : لحظة واحدة •

آفى : يال هذه اللحظة الواحدة التى يرددونها ..

ميرك : (بنفاذ صبر الى مقر القيادة) ثمان ناقلات جنود مدرعة
تطلق النيران علينا .. (زئير طائرة .. قنبلة تنفجر .. اضطراب صيحات
الفرح) •

الطبيب : رائع •

ميرك : طائرة .. الطائرات تتقدم •

مقر القيادة : هل ناقلات الجنود ما زالت تهاجمكم ؟

ميرك : (مؤكدا) نعم .. ولكن الطائرة تقصف .. وتتفجر قنبلة
بالقرب من الحصن ..

* * *

وينتهى الابتهاج فجأة عندما بدأ الاسرائيليون يدركون ان الطائرة
ليست تابعة لهم ..

* * *

الطبيب : لم يطلق المصريون النار على الطائرة اطلاقا •

ميرك : لم يطلقوا النار لأنها طأرتهم •

* * *

وأصبح المصريون على مسافة ٢٠٠ ياردة من مدخل الحصن •• وخرج
٨٠ جندي من ناقلات الجنود وشرعوا في التقدم •• وفتحت المدافع
الأتوماتيكية الاسرائيلية في الموقعين رقم ١ و ٢ نيرانها •• وفي خندق
القيادة يسحب الرجال اسلحتهم ويستعدون للقتال بالايدي ••

* * *

المساعد الطبي : آفى •• هل هذا مدفعك الاوزى الرشاش ••

آفى : لا أعرف ••

الطبيب : انه مدفعى •

ويرن جرس التليفون ••

مقر القيادة : ما هى مشكلتكم ؟

ميرك : ما هى مشكلتنا •• ان عشر ناقلات جنود مدرعة تواجهنا ••
الجنود ينتشرون ويتقدمون نحونا وفضلا عن ذلك فان سلاحهم الجوى
كان يلقي بقنابله علينا •• وانتم تسألون ما هى مشكلتنا ؟

مقر القيادة : ايها الابطال •• استمروا فى ضربهم بأعنف ما تستطيعون •

ميرك : اننا نطلق النار عليهم •• ولكن اين مدفعيتكم ؟

مقر القيادة : سوف تأتى المدفعية حالا •• يستغرق الأمر بعض الوقت
للحصول عليها ••

ميميرك : ولكن ابدءوا فوراً لاننى اطلبها منذ فترة طويلة •

مقر القيادة : أوكى •• لقد بعثت بها بالفعل •

ميميرك : ايوه •• ايوه •• فى الحال ••

* * *

مقر القيادة : هل حققنا أية اصابات ؟

ميميرك : انكم حتى لم تطلقوا النار ••

مقر القيادة : يا لجهنم •• أصغ •• سوف تكون هناك بعض المدفعية
حالا •• اننا مقصرون قليلا •• أصبروا يا رجال وسيكون كل شيء
على مايرام •

ميميرك : (بسخرية) مؤكد •• مؤكد •• سنتحلى بالصبر ••

مقر القيادة : هل انتم من القدس ؟ برافو (وبعد دقائق) ما هو
الموقف الآن ؟ •• على ما يرام ؟

ميميرك : يا الهى •• ما هو الذى يجب ان يكون على ما يرام ؟ ان
ناقلات الجنود المدرعة التى كانت على الطريق ، دارت الى الخلف
وانزلت رجالا وتركت علامات تشير الى الاتجاه الذى يجب الهجوم
منه •• ويبدو انهم يدبرون لهجوم آخر فى المساء أو الليل •• والآن
ذهبوا فى اتجاه الشمال •• وهناك شيء آخر أريد أن اعرفه : ماذا تفعلون
بالجسر الجديد الذى اقامه العدو ؟ انهم يرسلون قوات عبر القناة
بلا توقف ••

مقر القيادة : أين الجسر ؟ هل هو بعد النصب (نصب تذكارى
للجندى البريطانى المجهول على الضفة الغربية بالقرب من الاسماعيلية)

ميرك : لقد أبلغتكم أين يوجد .. بجانب النصب بالضبط .

مقر القيادة : سأقول للفرقة .. وسيهتمون به .. (ويهدأ القتال ويذهب احد الجنود الى بقايا غرفة طعام الحصن بحثا عن سجائر .. ويقوم آخرون بترتيب خندق القيادة وتنظيف أرضيته) .

مقر القيادة : انتبه الحصن .. سوف نطلق كميات ضخمة من المدفعية في اتجاهكم .. سوف ترون اصابات كثيرة .. ابلغونا بالاصابات .. اذا لم تكن على ما يرام سنصحح الضرب .. اننا نطلق النيران الآن (توقف) هالوا يا حصن هل رصدتم اية اصابات ؟

ميرك : لم نرى أى شىء ..

مقر القيادة : لم تروا أية اصابات ؟

ميرك : لا ..

مقر القيادة : ابق على الخط .

الطبيب (ساخرا) : ياله من عمل هذا الذى يقوم به رجال المدفعية انه مرعب .

* * *

وفي النهاية يصل الضرب المدفعى الموعود ، منذ فترة طويلة ويسقط على الهدف ، حيث كان المشاة المصريون يرابطون فى الخنادق خلف الحصن .. وبعد انتظار طويل ، استحق الاسرائيليون المديح لدقتهم .. ولم يستمر القصف طويلا .. كان الحصن الشمالى فى متاعب ضخمة .. ان جميع الحصون متصلة سويا بالراديو ، وكان الرجال فى خندق القيادة يسمعون صرخات طلب النجدة .

* * *

الحصن الشمالى : انهم يواصلون قصفنا .. نحتاج مدفعية نرجوكم
ارسال طائرات .. تلك الدبابات ليست تابعة لنا .. انتباه .. اننا
محاطون بالمعنى الحرفى للكلمة بعشرات الدبابات وهناك الجنود الذين
يتقدمون نحونا * لابد أن نحصل على طائرات لتدميرهم *

* * *

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) .. كبداية .. نقدم الآن
تعزيزا بالمدفعية وسوف نستمر فى القصف طول الوقت *

(ويواصل الحصن الشمالى الصمود) *

آفى : ما يقلقنى هو القميص الذى تركته بالخارج يوم السبت سوف
أخذه معى فى نهاية الحرب لأقدمه هدية *

الطبيب : هل تأمل فى ذلك ؟

آفى : توقف عن مسألة « آمل .. آمل » هذه *

الطبيب : وهو كذلك .. أننى أثق فى قواتنا الجوية .. سوف يرسلون
طائرات ومقاتلات وسوف يدمرون المنطقة كلها .. وبعد ذلك سنوف
يقومون بعملية انزال لقوات المظلات .. وسيكون هذا نهاية المطاف ..
بضعة جنود من قوات المظلات سوف يقومون بالعمل ..

جندى : ماذا عن الحصن الشمالى ؟

آفى : لم يسقط بعد .. اننى آسف لحالهم .. فانهم يتعرضون
لضغط مريع *

الحصن الشمالى : (لمقر القيادة) انهم يطلقون نيران المدفعية علينا
.. نطلب مساندة جوية .. المدفعية على مسافة ٧٠٠ متر الى الجنوب ..
انها مركزة — ٧٠٠ متر الى الجنوب .. اطلقوا النيران .. اطلقوا
النيران ..

مقر القيادة : (الى الحصن الشمالى) أننا نقوم بارسال المدفعية لكم •
الحصن الشمالى : أطلقوا النيران •• أطلقوا النيران ••

* * *

ويبدأ مارشيانو فى الغناء لكسر التوتر الذى يسود خندق القيادة ،
ويغنى بصوت أجش « انتظر قليلا •• وبرهة أخرى قصيرة » وينضم
اليه الطبيب ••

* * *

الحصن الشمالى : توجد قوة ضخمة من هاونات العدو الى الجنوب
الغربى منى •• والآن توجد قوة ناحية الشرق •• أنهم يتقدمون من
الجنوب •• أحضروا الطائرات ••

تفوق طاغ علينا •• هذا طلب اغاثة عاجلة •

وبدأ أحد الجنود الشبان فى خندق القيادة فى الانهيار تحت ضغط
الموقف •• ويشرع مارشيانو فى الغناء من جديد ••

* * *

آفى : هذا هو الحل يا أولاد •• دعونا نغنى لنحتفظ بروحنا المعنوية
•• أنظر أيها الجندى •• أننى أيضا متزوج وعندى ثلاثة أطفال ••

الطبيب : كل فرد هنا عنده أولاد •• أنظر •• سأريك صور أبنتى ••

الحصن الشمالى : حشود ضخمة للغاية لقوات العدو ناحية الجنوب ••
دبابات ناقلات جنود مدرعة ومشاة •• ابعثوا بالمدفعية •• أرسلوا
طائرات •• بسرعة •• حالا •• أطلب اهتماما سريعا وفوريا لطلبنا ••
الرجال هنا يتعرضون لضغط كبير •• لسنا قوة كبيرة هنا ••

الطبيب : ان الأمر كما اعتقدنا •• الموقف سىء فى الشمال ••

جندى : انهم يواصلون طلب النجدة ..

ويغنى مارشيانو « هافا ناجيلا » دعونا نحتفل وندخل البهجة للقلوب
.. ولكن العلاج هذه المرة لا ينجح ..

الطبيب : (الى الجنود) .. لماذا تشعرون بالقلق ؟ .. اننا لم نفقد
أحدا بعد .. لم نفقد أليس كذلك ؟ بلى ! ولم يكتسحوا الحصن ..
أليس كذلك ؟ بلى .. وعلينا أن نحافظ على روحنا المعنوية عالية ..

الحصن الشمالى : توجد حشود ضخمة على مسافة كيلو متر ونصف
الى الجنوب .. مزقوها .. دمروها بشدة ..

وفى تلك اللحظة يهتز خندق القيادة بفعل انفجارات ضخمة وبدأت
المعركة من جديد .. ويسمع الرجال عبر مكبرات الصوت قائد حصن
آخر على مسافة خمسة أميال الى الجنوب وهو يعلن ان موقعه يتعرض
للهجوم من جانب المشاة والدبابات المصرية .. انهم لا يستطيعون
الصمود أكثر من ذلك .. كذلك فان الحصن الشمالى كان يتعرض للهجوم
الى جانب الدبابات المزودة بقاذفات اللهب .. ويسمع الرجال أصوات
صراخ أثناء استخدام هذه الاسلحة الرهيبة ضد الخنادق .. ثم يخيم
السكون .. ويستمر مقر القيادة فى توجيه ندائه للحصن الشمالى
بلامجيب ..

وعندما يخيم ظلام ليلة الاثنين كان يمكن مشاهدة المصريين وهم
يحتشدون على الطريق الواقع خلف الحصن ، استعدادا لهجوم جديد ..
واستطاع رجال ميرك ان يروا الدبابات المزودة بقاذفات اللهب وتوقعوا
مصيرهم .. وفى الساعة الثامنة انطلقت احدى ناقلات الجنود المدرعة
للعو ناحية الحصن .. ويضع جنديان عربيان مصابيح على جانبي
البوابة ثم تنسحب الناقلة ..

ميرك : أيها الأولاد .. سوف تغادر الحصن الليلة ! ولكن علينا أن
نطلب تصريحاً رسمياً .. فعلى أية حال هذا ليس ماخورا ..

مقر القيادة : (بعد أن قدم ميرك طلبه) : سوف تسير الأمور على
ما يرام اذا بقيتم ..

ميرك : لا أريد أى وعود جديدة .. أريد ردا فى غضون عشر دقائق ..

* * *

ويحصل على الرد من ميجور جنرال شارون شخصيا ..

* * *

شارون : ليس امامكم فرصة كبيرة .. ونحن لا نستطيع أن نحضر
لمساعدتكم ..

ميرك : سوف نغادر على أية حال ..

شارون : حسن اذا كنت تعتقد أن ذلك سينجح ، نفذه .. اعتنوا
بأنفسكم .. وحظ سعيد ..

* * *

ويستعد الرجال الذين قضوا الستين ساعة الأخيرة بدون نوم ..
ويملأون زمزمياتهم بالمياه ويرتدون جاككات واقية ثقيلة .. ويجمعون
أسلحتهم .. مدفع أوزى وقنبلتان يدويتان لكل فرد .. ومدفع بازوكا
وست مدافع أوتوماتيكية بالاضافة الى ذخيرة وطلقات اضاءة ..

* * *

ميرك : هدفنا الرجوع سالمين بأدنى قدر من الخسائر .. والشئ
الرئيسى هو الاستمرار فى التحرك الى الامام وعدم التأخير ، فاذا أطلق
علينا النار ، حاولوا القتال ، ارهقوا العدو وتحركوا الى الامام بسرعة ..

وفى الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثاء وبينما كان القمر قد بدأ
فى المغيب تسلك الرجال الثلاثة والثلاثون من الحصن وشرعوا فى المسير
وسط الظلام الدامس .. وفى الخارج انقسموا الى قسمين .. ميرك
وآفى يتقدمان احدهما وشوكى وشلومى يتقدمان الآخر .. ويسيران
منفصلين ولكن فى نفس الاتجاه العام : ثلاثة كيلو مترات الى الجنوب

— ٤٣٣ —

بمحاذاة ضفة القناة ثم الاستدارة ناحية الشرق وعبر طريق القناة وبعد ذلك السير ١٣ كيلو مترا ناحية الشمال الشرقى عبر الكثبان الرملية ..

وفي الساعة الخامسة والنصف ييزغ الفجر ويدرك ميرك ان جماعته ضلت الطريق .. ويغير الاتجاه ناحية الشمس الآخذة في الشروق .. ويخلعون جاكثاتهم الثقيلة ويدفنونها في الرمال .. وغداة تقترب منهم الدبابات بسرعة فائقة من جميع الجهات .. وقد اُحصوا ، ٣٠ دبابة نصفها اسرائيلى . لقد حوصروا وسط قوتين متعارضتين فيما يبدو في معركة كبيرة من معارك الدبابات ..

ويسرعون الى الاختباء في مكان داخل الكثبان الرملية بينما كانت القذائف تنفجر من حولهم من جميع الجهات وطائرات الميج والفانتوم تتصارع في السماء فوق رؤوسهم .. ويتم اسقاط طائرتى ميج ويهبط قائداهما بالمظلات في الصحراء القريية .. وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم اخذهما أسرى ولكنهم يقررون عدم تعقيد الأمور .. ومع شروق الشمس يرصدون المجموعة الأخرى من الرجال على مسافة كيلو متر .. انها مجموعة شوكى وينضمون لبعضهما البعض ويتبادلون التجارب التى مرت بهم أثناء الليل ..

ويكتشف آفى ان أحد الجنود قد انقذ ، رغم التعليمات الصارمة ، جهاز تسجيل صغير يعمل بالبطارية من الحصن .. ويشعر بالضيق من الحندى لعدم اطاعته الأوامر وحمله ثقلا اضافيا ولكنه يستغل الفرصة ويفتح الجهاز لتسجيل المناقشة .. وبعد مناقشة قصيرة يتابعون السير ويطلق المصريون عليهم طلقاتهم ويتعرضون ليران الدبابات ثم ترسل القيادة اليهم دبابة لانتاذهم ..

اما بقية القصة فهي عملية الانقاذ التقليدية المعروفة .. ولكن المصريين يرصدون الدبابة بعد أن صعدوا عليها ويوجهون اليها كل أنواع الأسلحة بما فيها الطائرات ولكنها لا تصيبها ويصل الرجال فى النهاية الى مقر القيادة فى « كاسا » سالمين .. ويستقبلونهم هناك استقبال الأبطال ويسمحون لهم بالاتصال بعائلاتهم ثم يمنحون اجازة أسبوع وكانوا على مسافة ٧٠٠ ميل من وطنهم ولا توجد أية وسيلة للمواصلات يمكن

الاستغناء عنها .. ولم يكن أمامهم من خيار سوى العمل على إيقاف السيارات في الطريق ولم يكن لدى آفى القوة لذلك .. ويرى آفى طائرة هليكوبتر تابعة للميجور جنرال شمويل جونين الذى كان القائد المسئول عن الجبهة الجنوبية ويرجوه السماح له بالسفر معه ..

جونين : أوه .. أنك أحد الرجال الذين أنقذناهم من الحصن ..

آفى : لا ! أنتى أحد الرجال الذين أنقذوا أنفسهم ..



وبعد انقضاء اجازاتهم قضى رجال ميرك بقية الحرب فى أريحا ينتظرون هجوما من جانب الاردنيين وهو هجوم لم يقع على الاطلاق .. وعندما تم وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر كان الحصن الذى قضوا فيه ٦٠ ساعة مروعة ، وبالتالي جهاز التسجيل الآخر الخاص بآفى - تحت سيطرة المصريين المحكمة ..

●●● « ماذا يقول.. اللواء سعد مامون قائد
الجيش الثانى فى ذلك الوقت.. عن قصة سقوط هذا
الحصن ، كما نشرها كاتب السنداي تايمز ؟ ..
ان تعليق اللواء سعد مامون يكشف شيئاً
هاماً . ان هذه القصة تعترف لأول مرة بان
الجنرال « ايريل شارون » كان يتولى قيادة قوات
العدو على المحور الأوسط فى اتجاه الاسماعيلية
منذ اللحظة الأولى من الحرب (جنوب وشمال
الاسماعيلية) . وأن سقوط خط بارليف فى هذا
المحور تم على يد الجنرال شارون نفسه! » ●●●

البطولة .. في الانسحاب ! تعالى اللواء سعد مأمون

قال اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى خلال المعركة :

من المحتمل أن تكون هذه القصة حقيقية وقد تكون خيالية أو مزيجا بين الاثنين بهدف محاولة اثبات أن هناك قوة اسرائيلية تعدادها لم يزد عن ٣٢ فردا صمدوا ثم انسحبوا بالكامل من أحد المواقع الحصينة لخط بارليف في منطقة الاسماعيلية في قطاع الجيش الثانى *

ومن الواضح أن مزج جزء من الحقيقة بالكثير من الدعاية الخبيثة وسردها بطريقة انسانية بسيطة هي الطريقة المثلى الآن لتشويق القارىء، فمن من القراء يسمع عن تسجيل حى حقيقى لما دار خلال الستين ساعة الأولى لحرب أكتوبر من أحد الحصون الأمامية لخط بارليف في جهاز تسجيل يصف أحداث الستين ساعة الأولى من الحرب ويسجل أصوات المدافع والطائرات والدبابات كما يسجل ما دار من أحاديث بين الرجال ويصف مشاعرهم علاوة على ما سجله من نقاش وحوار دار بين الجنرال اريل شارون من مركز قيادته في سيناء في الأيام الأولى للحرب وبين قائد هذا الحصن .. من يمكن ألا تشده هذه القصة * ويقرأها ويصدق كل ما فيها .. ومن خلال القصة المشوقة ، لا مانع من دس السم في العسل !

ومع هذا سأفترض أن القصة وحوارها صحيحة ١٠٠٪ ، ان كل سطر من سطورها يروى فخرا للمقاتل المصرى وعلى النقيض فان الفخر الاسرائيلى في هذه القصة هو كيفية انسحاب قوة اسرائيلية من حصن من حصون بارليف * وجدير بالذكر بل جدير بالفخر أن أذكر هنا جزءا من حديث ايجال ألون الذى ظهر في جريدة « الأخبار » يوم الخميس ٢٥ أبريل ١٩٧٤ والذى قال فيه « أن أمر الانسحاب قد انتهى من القاموس العسكرى المصرى » * وشتان بين حالين فمقارنة بسيطة بين قوة هذا

الحصن والقوة المصرية التي دافعت وصمدت أكثر من ١٢٠ يوما في كبريته ولم تستسلم قط للعدو تبين الفرق بين المقاتل المصرى والمقاتل الاسرائيلى .

وسأحاول فى السطور التالية أن ألقى بعض الضوء على ما جاء فى هذه القصة :

١ - من الواضح أن هناك ارتباكا فى التفكير الاسرائيلى، هل من الأفضل لهم أن يعترفوا بأنهم فوجئوا ، أم الأفضل أن يؤكدوا أن الشواهد كانت تدل على أن شيئا ما سيحدث على جبهة قناة السويس ، وأنهم كانوا يعلمون وتوقعوا الحرب على الأقل وطبقا لتقديراتهم كانوا متأكدين من أن الحرب واقعة لا محالة وبصفة خاصة خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة قبل السادس من أكتوبر .

وظاهر من القصة أن القادة المحليين بل القيادة فى سيناء كانت تدرك قبل خمسة أيام من الهجوم أن هناك نشاطا غير عادى على الضفة المصرية ، ومع هذا شل التفكير الاسرائيلى فى اتخاذ الاجراءات المناسبة لمجابهة الموقف حتى آخر دقيقة .

٢ - يتصور الاسرائيليون أن الموجات الأولى التى اقتحمت القناة هى من الكوماندوز المصريين .. ظهر كل ذلك فى سياق القصة وفى جميع حلقاتها .. متصورين أن من قام بهذه الأعمال البطولية أمام القوات المقتحمة لابد أن يتصف بصفات خاصة .. لهذا فهم كوماندوز ، والواقع أن الكوماندوز قامت أجزاء منها بالعبور فى الموجات الأولى وكان لها أهداف خاصة .. أما كل ما ذكر فى هذه القصة عن الكوماندوز الذين تقدموا صفوف المشاة ، فإنهم فى الواقع أفراد عاديون من المشاة كانت لهم أهدافهم .. وما البطولات التى قاموا بها الا بطولات من أفراد عاديين أسوة بعشرات الآلاف من المقاتلين الآخرين .. ولكنه اعتراف ضمنى بأن قواتنا المسلحة كلها فى حرب أكتوبر ما هى الا كوماندوز وعملت بروح الكوماندوز .

٣ - ما هو رد الفعل من القوات الاسرائيلية فى حصون خط بارليف ضد الهجوم المصرى ؟ ..

طبقا لما جاء بهذه القصة .. ارتباك واضح في كل شيء .. ثلث في التفكير .. سلبية في الاجراءات على كافة المستويات .. القاء اللوم كل على الآخر .. فقدان الثقة في القيادة .. ضعف غريب في التدريب الاسرائيلي وكفاءة أسلحتهم .. هل هذا التعليق أو التحليل من عندي ؟ .. أبدا أنه من سياق القصة .. ماذا قيل فيها ؟ .. يكفى إعادة ذكر بعض منه:

— كان من الواضح أن الجنود الاسرائيليين في الحصن في حالة من الذهول الشديد من جراء الهجوم لدرجة أنهم حتى لم يطلقوا نيرانهم على طائرات الهليكوبتر ..

— كان جنود الملاحظة في المواقع المتقدمة يشكون متسائلين : لماذا لم يتدخل سلاح الطيران الاسرائيلي، فالطائرات تستطيع أن تحول كل هذه المدرعات الى حطام ..

— واستطاع نائب ميرك (قائد الحصن) أن يرى من موقعه المتقدم المعركة وبعث بتقرير يقول أن الدبابات لن تكون الآن قادرة على المجيء لمساعدة الحصن .. وقال أنها في حالة فوضى شاملة ..

— وفي تلك اللحظة كان كل ما يستطيع الاسرائيليون أن يفعلوه لمساعدة الحصون هو توجيه قصف مدفعي ضد المصريين .. ومع هذا كان القصف سلبيا بعيدا عن الأهداف المحددة ..

٤ — ظهر للعدو في هذه المرة أنه أمام حرب حقيقية « جهنم دموية » كما ظهر تماما أن الاسرائيلي اذا لم يحارب في ظروف مواتية وفي تفوق عظيم على خصمه ، ينهار تماما ويكون كل هدفه هو الانسحاب من هذا الموقف .. وليس أدل على ذلك مما ذكر على لسان بطل القصة من أنه لم يمر بمثل هذا الموقف من قبل .. لقد كان الموقف دائما أن العدو على مسافة كيلو متر وعلى مسافة ٢٠٠ متر وأمامه مباشرة .. ولكن أن يكون العدو من حوله من جميع الجهات فهذا شيء آخر ..

٥ — كما أن هناك شيئا آخر وضع تماما باعترافهم وهو أن المصريين كان لهم — طبقا للتخطيط — أهداف معينة لا يجيدون عنها .. فمثلا كان هدفهم في هذا القطاع هو الوصول بأسرع ما يمكن بقواتهم الى خلف

العدو .. خلف خط بارليف .. وحصار المواقع التي لا تشكل تهديدا مباشرا
للخطة .. على أن تصفى الحصون المتبقية في توقيعات تالية .. ولم تحد
القوات المصرية عن أهدافها أبدا ..

٦ - اتضح أن الجنرال ايريل شارون كان يتولى قيادة قوات العدو
على المحور الأوسط في اتجاه الاسماعيلية « جنوبها وشمالها » منذ اللحظة
الأولى من الحرب .. هذا الجنرال الذي حاولت اسرائيل اظهاره بأنه أحد
عباقرة الحرب ..

ومع هذا فإن الشيء الوحيد المؤكد وبصفة خاصة خلال المراحل الأولى
من الحرب أن أعظم نجاح للقوات المسلحة المصرية كان في هذا القطاع
(جنوب وشمال الاسماعيلية) وتكسرت جميع موجات الهجوم المضاد
والمحاولات الاسرائيلية لتدمير قواتنا في هذا الاتجاه والذي بلغت ما لا يقل
عن ٣٦ محاولة باءت جميعها بالفشل • أى أن سقوط خط بارليف جنوب
وشمال الاسماعيلية كان على يد الجنرال شارون نفسه •

والغريب في الأمر أن كل هدف الجنرال شارون كان هو تخليص القوة
من المأزق التي كانت فيه وليس تدمير القوات المصرية التي تقوم
بالهجوم على خط بارليف •

٧ - ظهرت كفاءة المقاتل المصرى في القتال ضد مدرعات ومجنزرات
العدو • فلقد باءت جميع محاولات العدو الاسرائيلى في فك الحصار حول
هذا الحصن حتى في ما يدعى أنه ماهر فيه وهو القتال بالمدرعات والوحدات
المجنزرة • فواضح من القصة أن الوحدة نصف جنزير اضطرت الى
الانسحاب في النهاية • كما يواصل الحصن الشمالى (في منطقة الفردان)
في طلب النجدة •

٨ - كان العدو دائما يفتخر بمدفعيته وفي جميع سطور القصة كان
العتاب بل السب لا ينقطع عن ضعف مدفعيته في أصابة المصريين •

ولقد جاء اليوم الذى يعترف فيه العدو - بل يعترف العالم أجمع -
بكفاءة المقاتل المصرى في العمل ضد مدرعات العدو .. ففى كل معركة
سواء كانت بين المشاة أو المدرعات المصرية ومدرعات العدو لم تذكر

الفصة معركة واحدة نجحت فيها المدرعات الاسرائيلية • ومع أن هذا الحصن كان له أهمية كبيرة لدى القيادة الاسرائيلية ، فان الاسرائيليين لم يتمسكوا به •• أسوة بباقي حصون خط بارليف •

٩ — وعندما نتوغل في الجزء الأخير من القصة يثبت لنا كفاءة نيران مدفعيتنا ودباباتنا • لقد وصفت القصة مدى دقة قصف حصون العدو والحالة النفسية التي كان عليها جنود العدو • وكيف تهدمت المواقع والحصون على من فيها • ولقد كان الاختباء خلف وتحت التحصينات هي كل ما يهم الاسرائيليين في هذا الحصن • ولم يكن القتال والدفاع عن الحصن نفسه • بل كان اهتمام بعض الجنود في ان يبالغ القائد في وصف سوء الموقف حتى تضطر القيادة الى العمل بسرعة لانقاذ القوة • لقد كان العدو يعيش في ضباب • لا معلومات •• لا تقدير حسن للموقف •• كل شيء غامض •• لاثقة للمرعوسين في الرؤساء •• بل لاثقة للمرعوسين في أنفسهم •• ماذا كانت عليه الروح المعنوية للعدو حقيقة ؟ •• هل كانوا يريدون القتال ؟ •• أبدا ••

ولنكرر مرة أخرى بعض ما جاء على لسان أبطال القصة :

— أننا لا نحتاج الى تعزيزات •• اننا نحتاج للاخلاء •• فما هو المبرر للاحتفاظ بالحصن هنا ؟ •

— سوف نقتل في الخارج •• واذا بعثوا دبابت ستعطب خلال القصف •

ويشمل الحوار وصفا يبين كيف اطبقت قواتنا المسلحة المصرية بالدبابات والمشاة الميكانيكية والمشاة على حصون خط بارليف • والوصف بلسانهم يدل على مدى احكام الحصار المصرى على احد حصون خط بارليف الأخرى وهو موقع الفردان شمال الاسماعيلية •

لقد كان كل هدف القيادة الاسرائيلية هو بث الطمأنينة في قواتها في خط بارليف وان يتحلوا بالصبر بوعدهم بمساعدات سواء من الطائرات أو من المدفعية •• ولكن دون جدوى •

١٠ — وأخيرا نقرأ أن القوة الاسرائيلية نجحت في الانسحاب ..
بطولة في الانسحاب ! .. ولذلك فقد استقبلت عند عودتها في مركز القيادة
استقبال الابطال !

ولكننا نريد ان نتساءل هنا .. هل تمكنت القوة — وعددها ٣٣ أو
٣٣ فردا — جميعها من الانسحاب .. أم أنه نصف هذا العدد أو ربعه ..
أو لعله بطل القصة فقط ؟ .. الله أعلم ! ..

وعندما نقرأ وصفهم لكيفية سقوط حصون بارليف الواحد تلو الآخر
في يد قواتنا المسلحة .. نفهم من سياق القصة ان الذي سقط هو حصون
الفردان شمال الاسماعيلية وحصون الدفرزوار جنوب الاسماعيلية وان
البطولة انحصرت في كيفية هروب ابطال هذه القصة من يد القوات
المسلحة المصرية .. وياله من فخر !

ويثور السؤال .. متى بدأ التفكير الجدى في الهرب من الحصن ؟ ..
والجواب عندي أن الهرب بدأ عندما أحست قوات الحصن ان الدور قد
جاء عليها وان القوات المصرية قد قررت بشكل لا لبس فيه — طبقا
للتخطيط — الهجوم على هذا الموقع الحصين ورتبت أمورها ..

وكان الواجب القتالى يقتضى الدفاع عن الحصن لآخر طلقة ولآخر
رجل .. هذا ما يتعلمه العسكريون — الفباء العسكرية .. ولكن لا ..
لقد أصبحت البطولة الاسرائيلية في الانسحاب ..

ومن المخل ان الجنرال شارون كان يريد من هذه القوة البقاء في
مواقعها والقتال وان الموقف سوف يسير على ما يرام اذا ما بقيت في
مكانها .. ولكن كان الحاح قائد الحصن على الانسحاب وضغطه على
قيادته سببا في موافقته على الانسحاب .. ولكن هل كان الجنرال شارون
مقتنعا حقيقة بقراره للقوة ببقائها في مواقعها للقتال ؟ .. الجواب بالنفى ،
ويتضح ذلك من رد شارون على قائد الحصن عند طلبه الانسحاب واصراره
عليه .. قال شارون : « ليس أمامكم فرصة كبيرة .. ونحن لا نستطيع
ان نحضر لمساعدتكم .. واعتنوا بأنفسكم » .. الى آخر ما قاله ، وجاء
في القصة على ألسنتهم ..

١١ — ثم ملاحظة واحدة .. لقد جاء على لسان بطل القصة أن طائرات الفانتوم والميج كانت تتصارع في السماء بينما معركة دبابات من الطرفين كانت تدور رحاها امامهم وزعم أنه تم اسقاط طائرتين من طائرات الميج وهبط قائداها بالمظلات في الصحراء القريبة وتناقش الرجال فيما اذا كان يتعين عليهم أخذهم أسرى ولكنهم يقررون عدم تعقيد الأمور ! .. يالها من ايجابية في العمل .. وشجاعة في القتال ! ..



١٢ — وفي النهاية أريد أن أؤكد حقيقة واقعية بصفتي قائدا للجيش الثانى الميدانى في ذلك الوقت .. وهو أننا أقتحمنا هذا الموقع وكان به الاسرائيليون بين قتلى وجرحى وأسرى • وان كان قد هرب جزء منهم — ولعل هذا أيضا غير صحيح — فقد لا يزيد ذلك عن أصابع اليد الواحدة • وكان اجمالى قتلى العدو لهذا الموقع هو ٢٣ قتيلا وتم أسر خمسة اسرائيليين — أى أن الذين هربوا لم يزيدوا عن خمسة •

ومرة أخرى أكرر .. أنه حتى ولو كانت هذه القصة حقيقية ١٠٠٪ فانها فخر للمقاتل المصرى سواء بين ثنايا القصة أو في مدلولها العام •

أمامى ٢٥٠ قتيلًا - يارون!

لم تكن صرخات الاسرائيليين في هذا الحصن .. هي صرخات الفزع الوحيدة وطلب النجدة اليائسة التى سمعها ايريل شارون قائد القطاع الأوسط الاسرائيلى ، الذى وصل مقر قيادته فجر يوم الاحد ٧ أكتوبر كما تعترف التسجيلات .. لقد تلقى شارون صرخات باكية أخرى على مدى أيام القتال الشرس .. التقطتها أجهزة الاستماع المصرية .. وهذه واحدة منها ، كانت الصرخة فى إشارة تليفونية فى الساعة السادسة من صباح الاربعاء ١٠ أكتوبر . كان المتحدث هو قائد طائرة هليكوبتر جاء لنقل جرحى وقتلى معركة مشهورة لن ينساها الاسرائيليون ، وقعت على بعد ١٧ كيلو مترا شرق الحصن الذى نشرنا تسجيلاته . أسمها معركة « المثلثات المائة » .. وهى باسم تبة ارتفاعها مائة متر ، قررت القوة المصرية فى القطاع الأوسط أن تستولى عليها لتسيطر على المنطقة كلها وهى متقدمة الى الشرق .

وكان قائد الهليكوبتر الاسرائيلى ييكى وهو يتحدث الى شارون . والتسجيل موجود فى ادارة المخابرات العسكرية المصرية . وبصوته المختلط بالدموع كان يقول : « الموقف خطير .. أمامى ٢٥٠ قتيلًا غير الجرحى . أرسلوا بسرعة طائرات هليكوبتر لتساعد فى نقل الضحايا » .

وأقفل التليفون ..



ولا أريد ان استطرد الآن فى رواية تفاصيل هذه المعركة المشهورة التى يعرفها شارون جيدا ..

ولكننى أبدأ القصة من أولها .. لأروى على لسان أبطالنا ، قصة هذا الحصن الذى سجلوا بأصواتهم أحداث انهياره ، وإن زعموا فى نهاية

المطاف أنهم جميعا (٣٣) تمكنوا من الهرب حتى وصلوا الى مقر القيادة في الطاسة فجر الثلاثاء ٩ أكتوبر ..

لقد قرأ العقيد المصرى قائد اللواء مشاة ، الذى كان على عاتقه مجهود ضخم فى الخطة الموضوعية للهجوم على المحور الأوسط فى سيناء أمام الاسماعيلية .. قرأ القصة كما نشرتها السنداي تايمز • وابتسم بهدوء وقال بصوت خفيض • الحمد لله أنهم يعترفون ، ولكن لعلهم حتى الآن لا يعرفون ..

لقد استمالتنى هذا الرجل بوجهه الجاد .. وكلماته المحددة .. وعباراته المختصرة وبساطة تعبيره ، وهو يروى بكل ثقة ، كل حقائق ما جرى .. وبعضها مما سجله فى يوميات المعركة .. ونحن نتجول معا .. يصحبنا بعض الأبطال ، على أرض المعركة ..

— هذا هو الحصن الذى يتحدثون عنه .. لقد أصبح حطاما ..

ونتوغل فى الصحراء .. هذا موقع القيادة .. لقد رأينا ألا ندمره للذكرى • بناء رهيب فى بطن الجبل • ثلاثون حجرة •

ولكننى لا أريد أن أسبق الأحداث فى الوصف ..



نعم الأحداث مثيرة .. مثيرة جدا • لا تحتاج من الصحفى الى جهد فى التعبير لأنها تتحدث عن نفسها ..

كان أمام هذا اللواء على الضفة الشرقية ٥ نقاط حصينة •

٣ نقاط متقاربة ومتصلة (التى تحدث عنها تسجيل السنداي تايمز) .. ويسمىها العسكريون المصريون (نمره ٦) .. لأنها تقع أمام المعبر السادس • ثم نقطتان عند كوبرى الفردان ..

وأمام اللواء أيضا .. ومن مهامه الاستيلاء عليه ، مركز قيادة القطاع الأوسط ، في « تبة الشجرة » على المحور الأوسط .. وعلى عمق ٨ كيلومترات •

والخطة المصرية موضوعة على أساس التقديرات التالية :

«العدو له احتياطي قريب خلف نقاط بارليف الحصينة عمقا في الشرق وهو مكون من كتبية دبابات (٣٦ دبابة) ، وسرية مشاة ميكانيكية عند تبة الشجرة •

» ثم له احتياطي قوى ، وهو اللواء ١٤ مدرع في الطاسة (١١٠ دبابة) ويسمى احتياطي تعبوى • وهو يشكل جزءا من مجموعة عمليات شارون •

الهدف المصرى أولا ، هو تدمير هذه الاحتياطيات في الساعات الأولى للقتال ، وقبل أن تعبر الدبابات المصرية .. أى بالأسلحة الخفيفة وقوات المشاة الحاملة للأسلحة المضادة للدبابات • هدف طموح •

ولكى يتحقق ، لا داعى لتضييع أى جهد في ضرب نقاط بارليف أولا • يكفى محاصرتها وشغلها بالمدفعية .. لأننا اذا منعنا الاحتياطي من أن يتقدم للدفاع عنها ، أصبحت مشلولة تماما .. وهى في قبضة يدينا • وهذا يفسر دهشة الاسرائيليين في هذه الحصون (نمرة ٦) من ان القوات المصرية ، تحاصرهم ، ولا تتقدم للقضاء عليهم .. كما ان قوات أخرى تتركهم وتتقدم الى الشرق ، وتعطى (نمرة ٦) ظهرها !

وكان المقدر ان يتم تدمير الاحتياطيات في أربعة أيام ..

أما بالنسبة للنقطتين الحصينتين عند كوبرى الفردان ، فقد كان من المقرر تصفيتهما منذ الساعات الأولى للقتال ، نظرا لخطورة سيطرة العدو على كوبرى الفردان .. واذا استطاعت امدادات من العدو أن تصل الى هاتين النقطتين .. فقد كان من الممكن المرور الى كوبرى الفردان .. ثم الى الاسماعيلية •

وكان المفروض أن تتم مرحلة التدمير الأولى بعد ساعتين من العبور •
لتأكل الاحتياطي القريب في تبة الشجرة •• (٣٦ دبابة وسرية مشاة
ميكانية) ثم تأتي المرحلة التالية ••

التقدم الى الشرق ، لتدمير اللواء ١٤ مدرع •• عند قيادة شارون في
الطاسة وهو رابض على بعد ٣٠ كيلو مترا •• وبقوات المشاة ، دون
استخدام الدبابات ••

ألم أقل أنها خطة طموحة ••

ولكنني أترك الشرح العسكري للقائد العقيد المصري •• وهو يمثل
المقاتل المصري فعلا ••

— في الساعة الثانية • ساعة الصفر • وبعد طلعة الطيران • ثم جهنم
المدفعية المصرية •• دفعت بقوات امامية ، وهي سرايا مشاة ، متفادية
النقاط القوية •• وقامت على الفور بالاستيلاء على خط القتال الثاني
الذي كان يجهزه العدو وراء النقاط بحوالي كيلو متر ونصف ••

وفي نفس الوقت كانت سرايا برمائية تعبر بحيرة التمساح •• وتتشم
لحصار النقاط القوية الثلاث (نمره ٦) ••

وعند بدء الحصار ، وكنت لا أزال في مركز القيادة المتقدم (غرب
القناة) فوق المصطبة الترابية •• رأيت قوات العدو في
النقطة رقم ١ ، وفي النقطة رقم ٢ •• تنسحبان ، وتنضمان الى النقطة
رقم ٣ •• تماما كما ذكرت تسجيلات الاسرائيليين •• ولكننا ضربناهم
بقصف المدفعية • أصيب عدد منهم • بعضهم هرب شرقا • وانضم
الباقون الى الحصن الثالث كان هذا المشهد واضحا أمامي ، وأنا أرقبه
بالتلسكوب • وخلال هذا •• كانت قوات اللواء الرئيسية ، تعبر بأعداد
هائلة وتقوم بالاستيلاء على مواقع مختلفة في الضفة الشرقية •• ومنها
ما هو مكلف بحصار النقاط •• ومنها ما هو مكلف بالتقدم لتدمير احتياطيات
العدو •••

وعند الساعة الرابعة •• وطبقا للخطة •• أنتقل القائد وعبر الى الضفة

الشرقية .. وأعاد بسرعة تجميع قواته .. وبدأت القوات تتقدم شرقا
دفع العدو احتياطيه القريب ..

على الفور تم تدمير ١٣ دبابة وانسحبت ٢٠ دبابة الى الشرق في العمق
.. واستمرت القوة المصرية تتقدم شرقا ..

واختار العقيد المصرى موقع قيادته شرق (مجموعة نقاط نمرة ٦)
.. وأدار المعركة ..

لقد جمع العدو احتياطيه مرة أخرى .. وقام بهجوم مضاد حوالى
السادسة من المساء .. وفشل الهجوم .. وانسحب العدو للمرة
الثانية شرقا ..

في هذا الوقت .. كان الحصار قد استكمل تماما حول نقاط (نمرة ٦)
.. وتقدمت كتيبة لمهاجمة موقع الفردان .. النقطة الأولى تم حصارها ..
والنقطة الثانية بدأ الهجوم عليها ..

العقيد المصرى يتابع تقدم قوات المشاة الى الشرق .. تصل القوات
الى عمق ٦ كيلو مترات .. يأمر بالتجهيز الهندسى .. حفر الخنادق .. تمهيد
الخنادق بشكاير الرمال .. فتح الأسلحة الخفيفة (م . د) المضادة
للدبابات على الخطوط التى سيتم منها تدمير العدو .. تم التجهيز .. بلغت
الساعة العاشرة من المساء .. كان المتوقع ان يبدأ هجوم العدو باحتياطيه
قبل ذلك ..

ولكن العدو لم يقم بالهجمة المضادة ! ..

والسؤال — لماذا ؟ ..

والجواب : عم الارتباك قوات العدو .. لم يستطع أن يقدر الموقف
تقديرا سليما .. عملية العبور على نطاق واسع ، لم يتبين أهدافها تماما ..
اسقاط قوات خاصة فى الاعماق اثارت بلبلة تقديراته ..

— ومتى قام بالهجوم المضاد ؟ ..

— في الساعة الثانية من الصباح • وهذا التأخير أعطى فرصة لمزيد من التجهيز والاستعداد عندنا • كشفت لنا أجهزة الرؤية الليلية ان طلائع اللواء المدرع الاسرائيلي بدأت في الوصول لكي تحدد أوضاع قواتنا • أننى أعرف هدف استطلاعهم دائما ، وهو اختيار النقطة الضعيفة لكي يركزوا عليها الضرب •

أجرينا عمليات خداعية ، حتى لا يتمكن العدو من تحديد أوضاع قواتنا بدقة • دفعنا عددا من الكمائن أمام الخط الذى يحتله لواء العدو • أفراد مشاة عاديين يحملون أسلحة مضادة للدبابات قصيرة وطويلة المدى • هذه الكمائن مهمتها ان تترك العدو يتقدم ، ثم تهاجمه من كل اتجاه •• دمرت كل عناصر العدو المتقدمة وكانت ١٠ دبابات •

في هذا الوقت كانت كبارى العبور قد احتلت مواقعها طبقا للخطة الموضوعه ••

الساعة الرابعة صباحا •• كنت جاهزا تماما ••

بدأ العدو في الخامسة والنصف هجوم عناصره الرئيسية التى كانت تقف على بعد ٥ كيلومترات منا •• أى خارج مرمى أسلحتنا (٣ كيلومترات) •

واستطعنا ان ندمر حوالى ٣٠ دبابة للعدو •• وانسحب باقى لواء العدو شرقا الى منطقة « الطاسة » ليعيد تجميع نفسه ••

استمرت هذه المعركة حتى العاشرة والنصف من صباح ٧ أكتوبر ، واستخدم فيها العدو كل حيله • الهجوم من الجنب • ثم الانتقال الى الجنب الآخر لشغلنا ، حتى يتيح لنفسه فرصة أن — يضربنا في الوسط • ولكن لعبته كانت مكشوفة ومعروفة مقدما ••

وتوقعت أن يعيد العدو الهجوم في نفس اليوم ••

لا وقت للضياع أو الراحة في هذه الساعات الفاصلة •

أعدت تنظيم مواعى مرة أخرى ، استعدادا للضربة المضادة القادمة ،
التي بدأها العدو فى الساعة الرابعة بعد الظهر (٧ أكتوبر) بالعناصر
المتبقية من لوائه وكانت حوالى ٣٦ دبابة ..

استمرت المعركة حتى الساعة من المساء .. واضطر العدو ان ينسحب
بعد أن فقد جزءا كبيرا من عناصره ..

الى هنا • • كنا قد أنهينا الجزء الأكبر من مهمتنا الرئيسية ، وهى تدمير
الاحتياطى القريب للعدو والاحتياطى التعبوى لمجموعة عمليات شارون •
ولا أبالغ اذا سجلت أن هذا تم طبقا للتوقيت الذى وضعناه فى خطتنا.
تماما • • وتدريبنا عليه مئات المرات قبل ٦ أكتوبر •

قواتنا لا تزال تحكم الحصار على نقاط (نمره ٦) • • ولا تزال.
تهاجم نقطة الفردان بهدف تدميرها • •

وكان علينا فى الصباح (٨ أكتوبر) أن نبدأ تنفيذ المهمة الثانية •
تطوير الهجوم شرقا ، للاستيلاء على مركز قيادة العدو فى الطريق الأوسط.
أننا الآن على بعد ٦ كيلو مترات من شاطئ القناة (خلفنا) • علينا أن
نتقدم ٩ كيلو مترات •

ولكننى تلقيت ان العدو قام بوضع لواء آخر ، حركه من بير سبع ،
هو اللواء ١٩٠ مدرع (الذى عرف بعد ذلك ان قائده هو عساف ياجورى)
• • فى اتجاه محور الفردان •

نقطة الفردان الحصية لم تقع بعد • كان يريد الوصول اليها • ومن.
ثم يسيطر على كوبرى الفردان ومنه يدخل الى الاسماعيلية •

لقد افشلنا هجومه المضاد بلوائه رقم ١٤ على المحور الأوسط • •
واكتشف نقطة ضعف عند الفردان • • الذى يقع على جانبنا الأيسر •

فأسرعت بتأمين جانبي الأيسر بعدد من الدبابات ..

وانتهت قصّة اللواء ١٩٠ كما هو معروف • نقطة الضعف التي تصورها العدو خالية من المدرعات .. كانت قد أمتلأت ، بعد عبور الدبابات .. وابيد اللواء عن آخره بعد أن دخل في مصيدة الموت فعلا • ووقع قائده أسيرا ..

كانت أخبارا سارة لنا ..

وقررت في المساء مع هيئة القيادة تنفيذ تطوير هجومنا الى الشرق للاستيلاء على مركز قيادة العدو في تبة الشجرة .. وفي الوقت نفسه أصدرت الأمر بتصفية النقطة الحصينة (نمرة ٦) .. وهذا يفسر صيحات الاسرائيلي داخل هذا الحصن المسجلة باعترافهم « المصريون يستعدون للهجوم » ..

وفي هذه الليلة تمت فعلا تصفية هذا الحصن ، وتم الاستيلاء عليه تماما .. ولم تقابل الكتيبة المكلفة بهذه المهمة بقيادة العقيد شفيق أية صعوبة تذكر • العدو كان مرهقا للغاية كما تدل على ذلك اعترافاتهم • بعضهم هرب خلال عملية الحصار • وكل من بقى في الحصن قضى عليه • ٢٣ قتلوا و ٥ أسروا .. ومن قبل كنا دمرنا دبابة في اليوم الأول وأسروا ٣ أفراد منها •

ويروى القائد قصة ، تنشر عجز الاسرائيليين في هذا الحصن عن فهم ما كان يدور في اللحظات السابقة للعبور ..

عندما كان العقيد المصري في مقر قيادته في الغرب قبيل ساعة الصفر بحوالى عشر دقائق • ظهرت أمامه على الضفة الشرقية ، وعند التحصينات (نمرة ٦) مجنزرة اسرائيلية ، هي التي كانت تقوم بنقل الجنود الاسرائيليين من الموقعين الأول والثانى الى الموقع الثالث •

لم يكن العبور قد بدأ •

وتلّهب رجال المدفعية المصرية لتدمير هذه المجرزة •• ولكن العقيد
المصرى أصدر أمرا بعدم التعرض لها إطلاقا • ان ضربها كان يعنى
تنبيه الاسرائيليين الى أن هناك حربا وشيكة • وكان هذا سيقضى من
الاسرائيليين أن يحركوا احتياطي الدبابات القريب خلف الحصون
(حوالى ٨٠٠ متر) •• ليظهر على الشاطئ •• وكان من الممكن أن يشرب
الجنود المصريين عند عبورهم ••

وكان عدم ضرب هذه المجرزة او التعرض لها •• تأكيدا لتعمية ••

ان الاسرائيليين يشاهدون حركة غير عادية فى الضفة الغربية ••
ولكنهم لا يعرفون لها تفسير • تلقوا الأمر بالتجمع فى حصن واحد ،
من باب الاحتياط لمفاجأة يشكون فى فهم طبيعتها • لم يتعرض أحد لهم ،
وهم يتجمعون ••

وفجأة أنطلقت المدفعية المصرية لحماية العبور •• وهنا انهالت عليهم
القذائف ••

ومن قبل المدفعية كانت طلعة الطيران •• التى مرت فوق الحصون ،
ولم يفهم الاسرائيليون شيئا ••

وخلاف ضربات المدفعية كانت هذه المجرزة •• قد دمرت تماما ••

ولكن قوات المشاة المصرية كانت قد عبرت •• وكانت قد دمرت
الاحتياطي القريب من دبابات العدو • وكانت قد بدأت أحكام حصارها
حول حصن (نمرة ٦) •• وبدأت تدميره •• وقوات العقيد المصرى تتقدم
شرقا للاستيلاء على مقر قيادة العدو !

* * *

بدأ تقدمنا للاستيلاء على مركز القيادة فى العاشرة من مساء
٨ أكتوبر • وتم تنفيذ المهمة •

كان هجوما واثقا وعنيفا • وكان العدو لا يزال فى مراحل فزعه ••

كل هجماته المضادة ضدنا فشلت • لواء الـ ١٩٠ تدمير وأسر قائده •
• ومع ذلك فقد دهشنا لأن كل هيئة القيادة الاسرائيلية قد هربت وتركزت
الموقع ؛ ولم تدافع عنه !

لقد رأيناهم يركبون دبابتين فوق الاسطح مثل قطارات الصعيد ••
• وتجسرى الدبابتان بأقصى سرعة •• وبكل أسف لم نتمكن من اللحاق
• بهما •• فقد كان موقع القيادة كله بين ايدينا ••

هذا الموقع منحوت في قلب التبة على ارتفاع ٧٤ مترا •• وهو ضخم ،
مبنى بالخرسانة والحديد • دوران بهما ثلاثون غرفة ! •• والارتفاع
يعنائه السيطرة ، ولكن أعصابهم فقدت كل سيطرة ! •• وله طريقان
• سنتان يصعدان اليه •

•• انت الغنيمة دسمة فعلا ••

أكلة شهية جدا ••

ثم ان ندخل الى الموقع • • أمامنا ؛ دبابات سليمة لا تزال دائرة ! ••
• ثم سيارة جيب أمريكية رشيقة ، سليمة ودائرة أيضا •• انها تخص
القائد •• وقد انتقلت ملكيتها الى القائد المصرى العقيد المصرى ولا يزال
• يستخدمها حتى الآن !

ثم ندخل الى الموقع ••

— جميع تجهيزات ومعدات مركز القيادة موجودة فى أماكنها • وكان
من الممكن أن ينسفوها قبل الهرب •• ولكن الذعر تملكهم فتركوا
كل شيء ••

— حتى الصناديق الملأى بالخرائط والوثائق التى تبين جميع مواقع
العدو فى سيناء •• تركوها دون أن يحرقوا خريطة واحدة ! (نقلت على
الفور الى المخابرات الحربية المصرية) ••

— أجهزة المراقبة البصرية • • ومنها تلسكوبات تستكشف حتى بعد
• ٣٠ كيلومترا •

- مقطورة كبيرة ملأى بقطع غيار الدبابات والمجنزرات •
- مقطورة كبيرة بها كل معدات اللحام ••
- جميع مهماتهم الشخصية •• محافظ •• نظارات •• ساعات •• أجهزة تسجيل •• ملابس ••
- التليفونات « ١٠ خطوط » ، والأجهزة اللاسلكية « ٥ » •
- الغرف الثلاثون التى يتكون منها المبنى •• كاملة بالأسرة والدواليب والملابس على الشماعات !
- المطبخ الحديث بكل معداته • أجهزة التكييف • مكتب القائد • ومكاتب معاونيه ••
- ألم أقل أنها غنيمة دسمة وأكلة شهية ؟ ••
- ولذلك لم ندمرها •
- تركناها للذكرى • وزارها الرئيس أنور السادات يوم ٥ يونيو •• سنة ١٩٧٤ •



ولم يكن لدى العقيد المصرى وقتا للفرحة •• وان كان المشهد مفرحا ، وخاصة أن زينات الاحتفال بعيد الغفران كانت لا تزال فى موضعها •• وأطباق الفاكهة وزجاجات الويسكى التى لم يهنأوا بها •• منذ يومين !

كان عليه أن يستعد لمحاولة مؤكدة من العدو أن يسترد هذا الكنز الثمين ••

غارات طيران العدو لم تتوقف ••

الضرب بالمدفعية كان مركزا بشدة ••

وبدأ هجوم المضاد بالمدفعات في الساعة الخامسة والنصف من فجر
٩ أكتوبر •

وكان الهجوم بكتيبة دبابات (٣٦) من اتجاه المحور الأوسط ، تدمر
منها • دبابات وانسحب العدو شرقا !

أصبح "الانسحاب عادة يومية !

* * *

وبدأنا نستعد للمهمة الأخيرة للواء •

التقدم شرقا لتدمير باقى عناصر العدو • التمرکز في خط المهمة النهائي ،
وفقا للخطة ، وهو على مسافة ١,٦ كيلو مترا •

هناك نقطة التقاطع رقم ٢ — وكتيب ابو كثيرة — ونقطة المثلثات
١٠٠ • هذه هي النقاط التي تحكم خط المهمة الأخيرة •

وبدأنا نتقدم في الساعة التاسعة من مساء ٩ أكتوبر •

لم نصادف مقاومة تذكر •

وصلت القوات في الساعة الثالثة من صباح ١٠ أكتوبر •

كانت مفاجأة للعدو •

كان يتصور أننا سنتمركز في مركز القيادة الحصين الذي استولينا
عليه ، ولم تتوقف غاراته الجوية لضربنا فيه ••

وبدأ العدو يستكشف مواقعنا الجديدة • بنفس الأسلوب • محاولة
العثور على نقطة الضعف ، ليقتم منها ••

ولكن وضح أن من كانوا يقومون بالاستكشاف • كانوا يعانون من

الارتباك • ولذلك تجنبوا الاشتباك الفعلى • ودمرنا عددا من دباباتهم
ومجنزراتهم قبل أن تهرب !

ولعلمهم عادوا من الاستكشاف بفكرة أن الضعف في جانبنا الأيسر •

فعند الظهر (١٠ أكتوبر) •• هاجم العدو من اليسار بحوالى ٣٦
دبابة •• وفشل الهجوم •

ان نقطة المثلثات ١٠٠ (وارتفاعها ١٠٠ متر) تسيطر على المنطقة
الجديدة التى وصلنا اليها •• كما أن هذا الجنب يطل على محور الفردان.
الذى تم تدمير اللواء ١٩٠ فيه •• واحتلال العدو له واجلاثنا عنه • كان.
يعتبر بالنسبة له كسبا كبيرا من ناحيتين ••

الوصول الى موقع مسيطر يستطيع أن يوجه منه هجمات مضادة
ناجحة ••

محاولة الوصول مرة أخرى الى محور الفردان ••

١١ أكتوبر :

كرر العدو هجماته طوال النهار •• على نفس المكان • وفشل •

فى الساعة ١١ مساء • اجتمعت هيئة القيادة • العقيد المصرى •
رئيس العمليات • قادة الوحدات المشاة وقائد كتائب الدبابات • تمت.
دراسة الموقف • قدروا أن العدو سيهاجم عند أول ضوء • وسيكون
الهجوم انتقاميا كبيرا • تم توزيع القوات طوال الليل ، فى مواقع مستعدة.
لمواجهة الهجوم •

١٢ أكتوبر :

— المقاتل محرم فى الخط الأمامى يبلغ العقيد المصرى فى الساعة
٥ صباحا ، أن العدو بدأ ينقل وحدات كوماندوز بالهليوكبتر ، ويقوم
بانزالها أمام الموقع المصرى بمسافة ٣ كيلو مترات • وفى الوقت نفسه -

قام بتجميع ٥٥ دبابة على مسافة ٥ كيلو مترات • الهليكوبتر انزل ١٩
عربة مجنزرة ، وعلى كل عربة ٢٠ مقاتلا •

— العقيد المصرى يطلب من القيادة المعاونة بمجهود جوى لتدمير
هذه الدبابات •

— سرب من طائرات الميج ١٧ والسوخوى ، يظهر • يقصف تجمع
الدبابات بشراسة • الغارة تستمر ١٥ دقيقة • خسائر العدو جسيمة •
تم تدمير حوالى ٢٥ دبابة •

— العدو يقرر ضربة يائسة • هاجم الموقع المصرى بـ ١٩ عربة
مجنزرة ، ووحدة كوماندوز ومعها ١٠ دبابات فقط •

الملاحظ أن هذه وحدات جديدة ، استدعيت ولا تعرف تماما ، ماذا
آلم بوحدات العدو السابقة • ولذلك فهي أكثر ثباتا •

— كانت معركة فاصلة • الكتيبة المشاة بقيادة المقاتل محرم • كتيبة
الدبابات بقيادة المقاتل عادل • مدفعية اللواء بقيادة المقاتل
الحماحمى • التصدى • تم تنسيق رائع • تدمرت قوات العدو عن آخرها •
القتلى ٢٥٠ • غير الجرحى ! • قتل قائد الكوماندوز وضابط ملازم •

سجاعت طائرة هليكوبتر لنقل القتلى ••

— قائد الطائرة تحدث باكيا فى التليفون الى شارون • التقطنا الحديث
بصوته الباكى • « الموقف خطير يا شارون • أمامى ٢٥٠ قتيلًا غير
الجرحى • أرسلوا بسرعة طائرات هليكوبتر لتساعد فى نقل الضحايا » ••
واقفل التليفون !

* * *

ومنذ تلك الليلة •• لم يهاجم العدو هذا الموقع ، حتى تم وقف النار •

وبقى جنودنا يروون الذكريات •

لا أحد ينسى هجوم العدو المضاد عند الفجر في التاسع من أكتوبر •
كان أحد جنود اقتتاص الدبابات نائما بجوار زميله في الخندق ، بعد
حشد شاق • ايقظه زميله — أصحى يا واد • • أصحى • فيه • دبابات
للعُدو جايين •

واستيقظ الجندي • • وتقدم الى الدبابات الخمس ، ودمرها بخمسة
صواريخ • • صاروخا • • وراء صاروخ •

* * *

وبعد • • هكذا يبدو أن معركة سقوط حصن (نمره ٦) • كانت
أصغر المعارك ، إذا قورنت بكل ما جرى في هذا القطاع • •

ومع ذلك • • فإن الذعر الذي أثبتته الاسرائيليون على أنفسهم في شريط
مسجل ، يصورها وكأنها أخطر المعارك • •

ترى • • ماذا كانت ستقول آلات تسجيلهم • • لو كانت دائرة طوال
هذه الأيام ؟

ومع ذلك • • فتكفى مكالمة قائد الهليكبتر التليفونية • • مع شارون •

أننا نحتفظ بتسجيلاتها •

الفصل الخامس

ثائد.. لايتام !

●●● « كيف جرت المعركة الجبارة على طول قطاع الجيش الثانى فى مواجهة تمتد الى ١٠٠ كيلو متر ؟ .. كيف ادار اللواء سعد مأمون قائد هذا الجيش حينئذ ، هذه المعركة الضخمة ؟ .. كيف تلقى الأخبار السيئة .. وكيف تلقى الأخبار السارة ؟ .. لماذا استمر بلا نوم .. حتى وقع فى مقر قيادته فى ١٤ أكتوبر ولم يشعر بنفسه الا وهو على سرير مستشفى وحوله الأطباء » ●●●

اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فى موقع قيادته على جبهة القتال •

• الوقت الساعة ١١ من مساء ٦ أكتوبر :

اللواء سعد مأمون يتصل بالعميد فؤاد عزيز غالى قائد الفرقة ٦٨ المكلفة بتطهير مدينة القنطرة شرق • الرد ان قائد الفرقة غير موجود • قائد الجيش الثانى يتابع الاتصال مرة أخرى • ثم مرات • الرد أيضا غير موجود ! • عاود سعد مأمون الاتصال برئيس أركان الفرقة وقادة اللوائت • اطمأن على الموقف بشكل عام • ولكنه شعر بقلق كبير • ان تغيب فؤاد عزيز غالى عن قيادته يعنى أن هناك مشكلة ما • لابد أن تكون مشكلة كبيرة • دار فى مخيلته ما دار •

عند منتصف الليل تماما ، اتصل العميد فؤاد غالى بقائد الجيش •

سعد مأمون : يا فؤاد قطعا كان عندك موقف عسير •

فؤاد غالى : فعلا يا أفندم • ولكننا تغلبنا عليه •

سعد مأمون : لماذا لم تتصل بى على الفور ••

فؤاد غالى : ان من عادتى عندما أواجه موقفا مفاجئا ، الا أثقل على قائدى • ولذلك لم أرد يا أفندم حتى أنتهى من مواجهة الموقف على أحسن وجه •

سعد مأمون : هذا خطأ ••

فؤاد غالى : ولكنى كنت متابعا لكل اتصالاتك يا أفندم ، وسامع قراراتك ومشورتك •• وكنت أعمل بها •• وبغيرها من واقع ما أراه على الطبيعة •• وكل هدفى ألا أزعجك •• فأنا أعرف مسؤولياتك مع مواجهة ممتدة ١٠٠ كيلومتر ••

سعد مأمون : أكرر أن هذا خطأ • لأننى عندما لا أسمع صوت أحد تدتى لمدة ساعة وهو فى موقف حرج لا بد أن أقلق • لو ضاع منك نصف رأس الشاطيء لا أقلق ، لأننا نتصدى معا لأى موقف • ولكن عدم ردك أقلقنى جدا • لا تفعل هذا مرة أخرى • هذه آخر مرة •

فؤاد غالى : حاضر يا أفندم •

• • • • •

• الوقت الساعة ١٠ من صباح ٨ أكتوبر :

العميد فؤاد غالى يتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى •

— اننى فى مأزق • لواء مدرع للعدو فى طريقه الى مهاجمتى من الجنب الأيسر • أرجو حمايتى بالطيران والمدفعية ••

سعد مأمون : سأفترض أننى لم أسمع • سأقفل الخط ، وأرد عليك بعد ساعة !

فؤاد غالى (ضاحكا) : لا •• فى عرضك ! ••

سعد مأمون : هل عرفت الآن معنى عدم ردك على لمدة ساعة ••

فؤاد غالى : عرفت • ولن تحدث مرة أخرى • أرجوك • أطلب الحماية السريعة ••

سعد مأمون : حرمت ! ••

فؤاد غالى : تبت !

وضحك قائد الجيش وقائد الفرقة •• وتم على الفور اتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف تقدم اللواء المدرع الاسرائيلى ••

• • • • •

ان التكوين العسكرى للقواد ، شىء مذهل حقا !

وسط الدماء والقصف والنيران .. والمواقف الحرجة .. هناك أيضا
« الهزار » .. وتبادل النكت !

وسط الأخبار المزعجة التى تعنى الحياة أو الموت .. هناك دائما
الابتسامة !

ولكن قائد الجيش الثانى يتلقى أخبارا سعيدة كثيرة .. رغم أن العدو
قام بـ ٣٦ هجمة مضادة ضد فرق الجيش الثانى حتى مساء ١٣
أكتوبر • ومنها ٧ هجمات بقوات للعدو من ١٠٠ الى ١٥٠ مدرعة باعتراف
اسرائيل بعد ذلك •

• • • • •

أول خبر مفرح تلقاه كان من العميد عبد رب النبى حافظ قائد
الفرقة ١٦ •

كان ذلك بعد حوالى نصف ساعة من بدء الهجوم •

— أفندم • عبرنا بالبرمائيات من بحيرة التمساح ، فى المكان المحدد ،
طبقا للخطة الجديدة المصدق عليها فى أول أكتوبر • عبرت جميع
البرمائيات ما عدا ، ٢ فقط غرقتا فى الماء • عبرت بكل القوات مع سيطرة
كاملة على القوات طبقا للمخطط •

✽ ثم توالى بلاغات قواد الفرق فى اليوم الأول بنفس المعنى •

ولكنها لم تكن نزهة •

قال لى اللواء سعد مأمون :

● أول خبر مقلق تلقينته كان عن نجاح العدو فى شمال جزيرة البلاح ،
فى الوصول من الخلف الى السائر الترابى الذى نفذنا منه • تقدم
العدو بـ ١٠ دبابات رغم الخسائر الفادحة التى تكبدها • استطاع
أن يطلق النار على معدات العبور المحدودة التى لدينا — دمر نصفه

كوبرى • دمر حوالى ٤٥ ٪ من المعديات • كان ذلك بعد الغروب مباشرة
يوم ٦ أكتوبر •

وواجهنا الموقف الخطير ، بتعاون كامل بين كافة الأسلحة ، وأمکننا
تدمير قوات العدو وتراجع • ولو أن ذلك عطل عملية العبور فى توقيتها
المحدد فى هذا القطاع بالنسبة للدبابات •

✳ وفى الساعة السابعة والنصف من مساء ٦ أكتوبر ، أى بعد ٥ ساعات
و ٣٠ دقيقة من بدء المعركة كان المتحدث الى قائد الجيش الثانى ،
هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية •

— استطلاعى يقول أن هناك حوالى من ٣٠ الى ٤٠ دبابة للعدو تتقدم
فى اتجاه لواء العقيد المصرى • المتوقع أن يصطدموا بالمصرى بعد
حوالى ١٥ دقيقة ••

سعد مأمون : كنت أتصل الآن منذ دقيقة واحدة فقط برئيس أركان
الفرقة • أول دبابة فى القوات المسلحة المصرية تعبر الآن على الكوبرى ،
فى قطاع العقيد المصرى ، ووراءها كل كتيبة الدبابات • أدخلها فوراً
فى قطاع المصرى بصرف النظر عن عدم تبعية هذه الكتيبة له ••

••• كان الخبر مذهلاً •

••• حسن أبو سعده لم يكن يتوقع أن الدبابات ستعبر فى هذا
التوقيت •

••• كان قلقاً من استمرار مواجهة دبابات العدو بالمشاة فقط ••

••• ولذلك علا صوته مجلجلاً وهو يقول للواء سعد مأمون :

— مش معقول يا أفندم •• هذا الكوبرى بالذات أمامه أكبر سائر
تربى للعدو ارتفاعه ٣٣ متراً • دى أعلى حته •

سعد مأمون : حظك كده يا أبو على •• يا دنصور (هكذا كان يلقبه) •
أعلى حته فتحت فى أسرع وقت • الدبابات الآن تعبر • مبروك •

— أنا مش مصدق نفسى !

— وفقك الله • اطمئن • كل شىء يسير فى طريقه المرسوم •

• • • • •

وتقدمت كتيبة الدبابات المصرية الى اتجاه العقيد المصرى •• وفوجىء العدو الذى كان يتصور أنه لا يمكن لدبابة مصرية أن تعبر القنطرة فى أقل من ٢٤ ساعة •• فوجىء العدو بحوالى ٣٠ دبابة تدخل المعركة معه مدعمة لأعمال المشاة • وتدمرت هجمات العدو ، وارتفعت الثقة بين القوات المصرية الى قمته ••

• • • • •

ان اللواء سعد مأمون الذى يشغل منصب مساعد وزير الحربية ، قائد من نوع فريد • يبدو لك أنه قصير القامة ، ولكنه اذا تكلم ارتفعت قامته عنك • لو خلع رداءه العسكرى وارتدى حلة مدنية كنت تقسم أنه محامى يترافع ، أو أديب يروى لك قصة • شىء واحد يربط كلماته بالروح العسكرية أنها متدفقة سريعة مثل طلقات الرصاص • دهاؤه يسبق ذكائه • صريخ عندما يريد ، وحذر عندما يريد • يعرف كيف يتحدث ابى العسكرى والسياسى والوزير والصحفى ، كل بلقبه • يخفى كل الأسرار ويهيا لك أنه يعطيك كل الأسرار !

.. خلال عام ١٩٦٧ ، كان مديرا للعمليات الحربية فى اليمن •

ثم استدعى بعد الهزيمة ، وكلف فى يوليو ١٩٦٧ باعادة انشاء القوات المدرعة المصرية ، فأشرف على تدريب أطقم المستجدين ، وأرسلهم الى الجبهة فى سرعة ملفتة للنظر • نفذ المهمة فى ثلاثة أشهر فقط !

ثم تولى قيادة الفرقة ٢١ مدرعة فى نوفمبر ١٩٦٧ •

ثم أصبح رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة من سبتمبر ١٩٦٩

واستمر حتى مايو ١٩٧١ • وكان ذلك خلال مرحلة الاستنزاف التي اشترك فيها بكل عملياتها •

ثم تولى منصب مساعد رئيس أركان حرب القوات المسلحة من مايو ١٩٧١ حتى ديسمبر من نفس العام •

وابتداء من أول يناير ١٩٧٢ عين قائدا للجيش الثاني الميداني •

• • • • •

سألته : هل كانت حرب الاستنزاف مفيدة ؟ •• هل كانت توازي الخسائر التي تكبدناها ؟ •• وماذا أثمرت ؟ •• العدو لم ينسحب • ثم جدد قواه • فماذا استفدنا ؟ ••

قال : لا مناقشة ان الاستنزاف كان مرحلة ناجحة للغاية ، في تكييد العدو أكبر الخسائر ، واقناعه أن الحرب لم تنته ، وأنه لا سلام الا اذا أقدم العدو على الانسحاب • ودليل ذلك أن أمريكا واسرائيل كانتا متلهفتين على وقف النار ، وأنتج ذلك مبادرة روجرز •

قلت : ولكننا تكبدنا خسائر ••

قال : هذا صحيح • ولكن خسائرهم في الاستنزاف أزعجتهم تماما ، بعد أن كانوا مطمئنين الى اننا لن نرفع رأسنا بعد الهزيمة •• وقد حططنا المشروع الأول لخط بارليف •

قلت : كان جمال عبد الناصر متحفزا في اعلان ذلك •• وأذكر أنه أعلن أنه أبلغ بذلك من الفريق محمد فوزي •

قال : لقد حططنا فعلا •• ولكنه لم يكن بالقوة والتحصين ، كما أعيد بعد وقف الاستنزاف وحتى ٦ أكتوبر ، وصرفوا عليه مئات الملايين •• لقد تمكن العدو من بناء خط بارليف بكل حصونه التي عرفناها ، في فترة وقف النار ••

وهو يقول أن حرب الاستنزاف بدأت بقناصة يعبرون من الضفة

تغريبية •• وضرب بنيران المدفعية •• ثم تطورت الى عبور كتائب كاملة
تتاجم النقاط الحصينة • والهجوم على لسان بور توفيق وقتل كل من فيه
وهذا معروف •

كان السؤال دائما : هل من الأفضل أن أدمر كل شيء يقيمه العدو ؟ •

أو أن أتركه يكمل ما يريد اقامته •• حتى أدمره في الهجوم
الشامل ؟ ••

وكان الاستنزاف هو الحل • فلم تكن قواتنا قادرة على هجوم شامل
في ذلك الوقت •• كما كنا نؤكد للعدو كل يوم أننا لن نقبل الاستسلام •
ولا شك أن عمليات العبور أثناء الاستنزاف أعطتنا خبرة •• وثقة
بالنفس • لأول مرة كان جنودنا يعبرون ويقتلون أفرادا للعدو ويعودون
بأسرى ••

لقد كانت فرحتنا لا تقدر بأول جندي مصرى عبر في حرب
الاستنزاف •

لقد كوفيء بوسام عسكري •

• • • • •

وبدأت المهمة الكبرى لقائد الجيش الثانى فى أول يناير ١٩٧٢ •

مهمة الاعداد للقتال ، على الرغم من أن الأجواء العامة فى ذلك الوقت
كانت توحى بأن اقدامنا على المعركة يحتمل الشكوك • وعلى الرغم من
أن وزير الحربية والقائد العام فى ذلك الوقت (الفريق صادق) كان
يصرح القادة وفى اجتماعات عامة بأنه لا يمكن أن يدخل المعركة ، اذا
لم يستكمل التسليح الحديث القادر على المعركة ••

ولكن اللواء سعد مأمون لم يتأثر بهذا المنطق •• وكان له منطق
آخر •

منطق يقول • لا شيء مؤكد مائة فى المائة • ولكننى سأفترض بنسبة
١/١ فقط احتمال دخول المعركة • اذن يجب أن أستعد بكل ما أملك •

ليست السياسة على • اننى قائد عسكري وأمامى مهمة • حتى لو كان
احتمال القتال ١ / • • يجب أن أستعد ، ولا أنتظر المفاجئة وأنا غير
مستعد لأننى اشتغلت بالفلسفة السياسية • • وهذه ليست على •

وبداً قائد الجيش الثانى مهمته منذ اللحظة الأولى فى أول يناير ٧٢ •
الاعداد • والتدريب •

يقول : اعدنا خطة • بدأنا اعداد مسرح العمليات • ولكن كل شيء
كان يتعسر • كان يتقضى الشيء الكثير • تحسين منطقة الهجوم هندسيا
اعداد طرق • اعداد منازل كثيرة للكبارى والمعديات والدبابات • ثم
كانت فكرة انشاء المصاطب الترابية على طول امتداد الجبهة • وكل
هذا يحتاج الى ملايين الجنيهات • • ولكن الأهم هو اقتناع قيادتى • •
واعطاء دفعة قوية الى العمل • •

وهنا يسجل اللواء سعد مأمون ، ان صاحب فكرة المصاطب الترابية
التي كان لها فضل فى نجا حستى خطتنا العسكرية ، ثم نجاح العبور
هو العميد حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية •

لم يجد حسن أبو سعده أحداً يقتنع بفكرته • ثم أقام هو بنفسه
وعلى مسئوليته سياترا ترابيا ولكن بأسلوب بدائى • • وكان يصرخ :
يا ناس • • لازم أشوف العدو • • أنا مكشوف أمامه • أنا فى الخندق ،
وهو يرى كل شيء • ولكن قائد الجيش الثانى — قبل سعد مأمون —
لم يقتنع بالفكرة أبدا ! • • وقال احسن أبو سعده : أنت رجل خيالى • •
يعنى عاوزنا نعمل أهرامات على طول الجبهة • •

أبو سعده : وماله • •

القائد : لا داعى لهذا الخيال • •

وعندما تولى سعد مأمون قيادة الجيش الثانى اقتنع بالفكرة تماما • •
ودعا الى اجتماعات فنية حضرها مهندسون متخصصون لتطويرها ،
واستخدامها فى اغراض عسكرية عديدة لم يظن اليها العدو • • •

وتولى الفريق احمد اسماعيل وزارة الحربية والقيادة العامة • •

• • وزار وحدات الجبهة • •

ووافق على الفكرة المجنونة • • وعممت في انجيشين الثانى والثالث!

وبدأ العمل • • وتكلف ملايين الجنيهات • • ولكنها كانت في موضعها،
وأقيمت في نطاق جبهة الجيش الثانى ٥٦ مصطفى ترابية • •

• • • • •

• أعطى الفريق احمد اسماعيل دفعة قوية للاستعداد العسكرى •

تعددت الاجتماعات لدراسة كل احتمال •

كان الاحتمال البالغ الأهمية الذى استغرق دراسة مستفيضة متصلة،
ما هو العمل لو ضربت اسرائيل في العمق ؟ • • لو اختارت ان تدمر
القاهرة مثلاً أو الاسكندرية أو أى مدينة كبيرة ؟ • •

المعروف لدينا ان اسرائيل تملك هذه اليد الطويلة •

والواقع يقول ان القوات المسلحة المصرية لم تحصل على هذه اليد
الطويلة • •

ولذلك كان تقدير اسرائيل أن مصر لن تجازف بدخول الحرب •
ولعل هذا هو السبب في انهم تجاهلوا كل التقارير التى تلقوها عن
الاستعداد العسكرى المصرى للحرب • • درست القيادات المصرية
الجديدة هذا الوضع • ووضع في التخطيط احتمال قيام العدو بضرب
العمق • دخل ذلك في الحسابات والتقديرات العسكرية • وكانت هناك
مخاطر ومحاذير أخرى دخلت في الدراسة أيضا • ولكن موازنة القرار
المصرى كله • • وموازنة الخطة كلها • • انتهت بأن مثل هذا الخطر
لا يمنع الحرب •

• • • • •

والسؤال : هل حصلنا على طائرات حديثة تصل الى عمق اسرائيل •

الجواب : لا ..

السؤال : كيف اذن جازغنا ..

الجواب : لقد درسنا كل شيء • والدليل أن اسرائيل لم تجازف بالضرب في العمق ..

السؤال : هل كان هناك ضمان سياسى بأن اسرائيل لن تضرب في العمق ..

الجواب : بالطبع لا ..

السؤال : اذن ماذا كان الضمان ..

الجواب : هذا سر عسكرى على الأقل حتى الآن ..

السؤال : اسرائيل تقول ان لدينا صواريخ عابرة •

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه ..

السؤال : الرئيس أعلن عن الصاروخ الظافر ..

الجواب : هذا صحيح ..

السؤال : اذن هذا شيء آخر غير الذى تحدثت عنه اسرائيل ..

الجواب : لا أؤيد ذلك أو أنفيه • وأرجو الرجوع الى تصريحات السيد الرئيس السادات • انعمق بالعمق ..

السؤال : اذن لماذا بنى الفريق صادق رأيه في تعذر الحرب ، على أن اسرائيل سوف تضرب في العمق ..

الجواب : لقد وضع هذا طبعا في الحسابات • وانتهينا الى أنه لا يمنع الحرب • والدليل مرة أخرى أن اسرائيل لم تجازف بالضرب في العمق ..

• • • • •

واعتمدت خطتنا العسكرية أيضا ، على معرفتنا الكاملة بكل الأسلحة
أنتى فى حوزة العدو • وأسلوب استخدامه لها • واستقدنا فى ذلك من
خُعات الاستطلاع خلال حرب الاستنزاف • ومن مراقبة العدو من
انشاطىء الآخر • ومن الاشتباك خلال الاستنزاف • ومن مناورات
العدو بالطيران وتجاريه معنا فى الكمائن • فان الاصطدام الجوى لم
يتوقف أبدا حتى بعد وقف النار • كنا ندخل فى كمائن العدو ، لسكى
نعرف أسرارها •

• • • • •

● ومن معلوماتى الصحفية ...

●● اننا كنا نعرف الكثير عن خصائص تسليح العدو • ولكن العدو
هو الذى فوجىء ببعض أسلحتنا • لقد فوجىء العدو بكفاءة استخدام
الصواريخ المضادة للطائرات • كما فوجىء بكفاءة استخدامنا للصواريخ
المضادة للدبابات • وهذه فقرة من مؤلفهم العسكرى عن حرب عيد الغفران •
الذى كتبه مقاتلون اسرائيليون ومراسلون عسكريون •• تقول على لسان
أحد المقاتلين الاسرائيليين فى سيناء واسمه باروخ :

— بالقرب من البحيرة المرة الصغرى ، وغير بعيد عن المكان الذى
تتصل منه البحيرة بالقناة ، توقفت دبابة باروخ ، وبدأت فى فتح نيرانها •
كان الهدف على الأرض المواجهة لها ، هو المشاة المصريون ، وليس
الدبابات • وأحس باروخ بالدهشة أكثر مما أحس بالارتياح •

وسأل قائده : « هل يحاولون القيام بعملية انتحارية أم ماذا ؟ ••
لقد علمونا فى مدرسة المدرعات أن مشكلتنا الأولى هى دبابة العدو ••
وأن مشكلتنا الثانية هى المدافع المضادة للدبابات وبعد ذلك فقط ، يمكن
أن نلتفت الى المشاة » •

ويمضى الكتاب الاسرائيلى واصفا :

●● وكلما فرغت أشربة الرصاص فى المدافع الرشاشة ، انطرح
الجنود المصريون خلف كتيبان الرمال • وقد عجزت الكتيبة

الاسرائيلية عن احتواء الهجوم ، فقد كان العدو يجيء بأعداد كبيرة • وألقى باروخ أغلفة القذائف الفارغة خارج الدبابات ، وعند ذلك رأى النار تخرج من مدفعه • وفي نفس اللحظة • شعر بحروق رهيبية في ذراعيه • واستطاع أن يقفز على الأرض •

ويقول باروخ :

— كانت دبابتي تشتعل وقد تفحم ما فيها • وقد ألقيت نظرة حولى فرأيت كرات من النار تتراقص فى الهواء وتتدفع نحو المدرعات • ولقد أدركت فيما بعد أن هذه هى الصواريخ • لقد سمعت الحديث عنها ، ولكنها بكل تأكيد لم تكن واردة فى قائمة الأشياء التى نوليها الأولوية فى اهتمامنا • وقضينا طوال النهار نختبئ من كرات النار التى كانت تنطلق فى الصحراء •

وأضاف باروخ :

« لقد كنا فى غاية الارهاق ، فاخترنا خلف أحد كتبان الرمال ، ورحت طوال الوقت أفكر فى هذه الصواريخ • كنت أجهل اسمها ، ولكننى كنت أعرف أنها عندما تدخل المدرعة فانها ترفع درجة الحرارة الى ألف درجة مئوية • وهذه هى فعالية هذه الصواريخ • ان بقية الدبابات لم يكن لديها الوقت ولا الحظ الذى يتيح لنا ، والى ما وراء الكتبان رأينا النار مشتعلة فيها وكان الذين بداخلها هم زملاؤنا » •

• • • • •

ولكن هذه الأسلحة لم تكن لتصل بسهولة •

ويمكن الآن أن نذيع سرا كبيرا • ان الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات التى كان لها فضل التصدى لمدرعات العدو مع باقى الأسلحة المضادة للدبابات قبل أن تعبر الدبابات المصرية الى الشرق •• لم تكن لدينا بالاعداد الكافية كما تصور العدو بعد المعركة • بل لعلها كانت باعداد محدودة •• وجزء منها وصل فى الأيام الأخيرة •

ولكن وجود أطقم مدربة عليها • ومستعدة لاستعمالها بمجرد

وصولها .. خفف العبء كثيرا • ولو كانت لدينا الأعداد التي كنا نريدها فعلا من هذه الصواريخ ، لكننا حققنا نتائج ايجابية أكثر في معارك المدرعات الرهيبة التي وقعت في الأيام الأخيرة قبل وقف النار ..

ولم يكن السوفيت على ثقة أبدا ، من أننا سنستطيع العبور ..

والخطط التي شاركونا في وضعها قبل الحرب ، كانت تدريبية أكثر منها خطط كاملة لعبور أو معركة شاملة •

والخطة المصرية الشاملة التي وضعت بعد خروج الخبراء السوفيت ، وعدلت عشرات المرات طبقا لآراء القادة المحليين في مواقعهم ، وطبقا لتقديرهم الشخصي .. لا يعرف عنها السوفيت شيئا • بل كان لا يمكن أن يتخيلوها بعد خروجهم ، طبقا لخبراتهم السابقة معنا خلال وجودهم ، وأثناء التدريبات المحددة التي حضروها .. فانهم — أى — الخبراء السوفيت • كانوا يلاحظون عدم ثقة المقاتل المصرى ببعض من السلاح السوفيتى ، واقتناعه بأن الاسرائيليين يملكون أسلحة أحدث وأكثر فاعلية •

وقد حدث أن حضر كبير الخبراء السوفيت الجنرال لاشنكوف الى مصر ، لدراسة مطالبنا من بعض الأسلحة في أبريل ١٩٧٣ .. وزار بعض مواقع الجيش الثانى في الجبهة • ولعله كان مثل كل السوفيت مقتنعا بأننا سوف لا نحارب ، وأننا نطالب بأسلحة ، لكي نتعل برفض السوفيت. مدنا بما نريد ..

وقد أخطر اللواء سعد مأمون ، من القائد العام ، أن يستقبل الجنرال لاشنكوف ..

وبدأ الجنرال السوفيتى مناقشة طويلة مع قائد الجيش الثانى ، كان يريد منها أن يستشف مدى اقتناعه بالحرب ، وبقدرة قواته على القتال .. ودار بينهما حوار هام يحسن تسجيله ..

— كيف ترى الكفاءة القتالية لقواتك ؟

— ممتازة .. ممتازة جدا ..

— وما تقديرك للكفاءة الفنية للأسلحة ؟ ..

— مائة في المائة ..

ثم نظر الجنرال السوفيتي الى المصاطب الترايبية المرتفعة ، التي أنشئت بعد خروج الخبراء السوفيت .. وسأل عن الهدف من اقامتها .. وشرح له سعد مأمون : فكرتها بصفة عامة دون أن يتحدث عن تفاصيل المهام التي تستخدم فيها هذه المصاطب ..

ثم وجه الجنرال السوفيتي بصره الى الضفة الشرقية .. حيث تقوم السواثر الترايبية للعدو .. وسأل قائد الجيش الثاني :

— ما هو تصورك .. كيف يمكن أن تعبر قواتك مع وجود هذا الساتر المرتفع الى ٢٠ مترا ؟ ..

وتل سعد مأمون أنه يقدر أن الدبابات تستطيع أن تعبر في ٣ ساعات (وهذا طبعا غير صحيح لأن تقدير خططنا ٨ ساعات) .. وقال أنه سيفجر هذا الساتر بالديناميت والمفجرات (وهذا غير صحيح ، لأن المتفجرات فشلت في التجارب وابتكرنا استخدام الماء المندفع) ..

فقال الجنرال السوفيتي :

— أنتم تفكرون في الحرب بأساليب عام ١٩١٤ ، قبل أن ت اخترع الدبابات . هل تتصور يا جنرال أن المقاتل الفرد في الحرب الحديثة يمكن أن يتصدى لدبابة ؟ ..

ان دبابات اسرائيل أمامكم .. فكيف يمكن مقاومتها بغير الدبابات ؟ .

وعلق اللواء سعد مأمون بمنتهى الخبث :

— وماذا نستطيع أن نفعل .. هل لديكم في الاتحاد السوفيتي شيئا نقاوم به هذه السواثر الترايبية .. لقد وصلتم الى القمر .. ولا بد أن لديكم شيئا حديثا يمكن أن يفيدنا ..

الجنرال لاشنكوف : آسف .. آسف جدا .. اننا لم نواجه مثل هذا المانع من قبل ..

اللواء سعد مأمون : أرجو الله أن يعطيني العمر يا جنرال .. و..
من العبور بأساليب ١٩١٤ . وتحضر لزيارتنا بعد القتال . وأستمع الى
رأيك في حرب ١٤ أمام حرب ٧٣ ..

• • • • •

وقد حدث • انتهت الحرب • وجاء الجنرال السوفيتي لاشنكوف
وزار الجبهة : فقال له اللواء سعد مأمون :

— هل تذكر حديثنا يا جنرال •

وقال لاشنكوف : نعم .. أذكر حديثنا جيدا • لا يمكن أن أنساه •
انه عمل بارع بلا مناقشة ..

ثم انتقل بسرعة الى حديث آخر ..

• • • • •

خطة المعركة وضعت حسابا دقيقا لكل الاحتمالات ..

احتمال هام كان يحذر منه القائد الأعلى أنور السادات في كل
الاجتماعات العسكرية .. وهو الحذر من خديعة للعدو بالنسبة لبعض
القطاعات مثل بور سعيد أو بور فؤاد • وكان السادات يتصور الخديعة
في أن العدو يهاجم في اتجاه رئيسي ، فننشغل بهذا الهجوم .. ويكون
العدو في نفس الوقت قد أعد شيئا آخر لكي يستولى على بور فؤاد
وبور سعيد على سبيل المثال ...

• • • • •

احتمال آخر ..

أن يبدأ العبور • فيتقدم العدو على الفور بكل دباباته الى حافة
الشاطئ الشرقي ، ويضرب قواتنا العابرة في أضعف أوقاتها وهي في

الماء • وللعُدو موقع ضرب نار لدباباته كل ١٥٠ مترا على امتداد الشاطئ وبطول ١٧٢ كيلو مترا ! •• ثم كان يستطيع أن يحدث خسائر في منطقة الهجوم ، حتى عمق الموقع الأول غرب القناة ••

وقد حوسب الجنرال جونين قائد الجبهة الاسرائيلية ، بعد الحرب ، أنه لم يفعل ذلك ولكن الخطة المصرية وضعت في اعتبارها هذا الاحتمال • وكان معدا لكل دبابة للعدو ثلاثة مدافع تضرب في وقت واحد •• لتحقيق التدمير •

• • • • •

وكانت الخطة المصرية تضع ثقلا كبيرا على ضرورة احتلال القنطرة • وكان الرئيس السادات يردد للقادة العسكريين : القنطرة لازم تسقط • انجا ثاني مدن سيناء • والعدو يحصنها بأقوى ما عنده • والاستيلاء عليها سيكون له أهمية خاصة ، سواء بالنسبة لمصر انتصارا ، أو لاسرائيل هزيمة •

وقد عدل اللواء سعد مأمون خطة الاستيلاء على القنطرة أكثر من مرة • وأعطى لها قوات أكثر وعناية أكبر ••

• • • • •
• • • • •

ولكن السؤال •• بعد كل ذلك •

هل انتصرنا في معارك أكتوبر لأننا كما يزعم الاسرائيليون في مؤلفاتهم ، وغيا أدلوا به للجنة الكونجرس الأمريكية ، نملك أسلحة أكثر ، وبكثافة تصل نسبتها الى ما يملكه الاسرائيليون ٣ الى ١ أو ٤ الى واحد ؟ ••

ثار هذا السؤال وأنا استرجع مع اللواء سعد مأمون ، حوارا ضاحكا أجراه معه الرئيس ذات يوم وهو يزور مواقع القتال • سأل الرئيس عن قواته وأسلحته • وأجاب سعد مأمون • فعلق الرئيس ضاحكا :

— أنت عندك قوات أكثر من مونتجمرى •• اللي اجتاح بها شمال أفريقيا •

عارف يا سعد لو مانجحتش .. !!

ويقول سعد مأمون ردا على سؤالي :

— لا شك أننا متميزون عن العدو في الكثافة البشرية • والعدو يعرف هذا • وقد قاوم ذلك : بحصوله على نوعيات غالية الثمن جدا من الأسلحة • وبحرصه على تأمين قواته • أننا لم نشاهد جنديا اسرائيليا واحدا يسير على قدميه • وكان علينا ان نستفيد من التفوق العددي • وكان هذا له أثره في دعم الثقة في جنودنا • كنت أقول لهم • احنا أكثر وأشجع ولازم نكسب • ولكن كثافة الأسلحة لاتقاس بعددها • كثافة الأسلحة تقاس بكمية النيران التي تقدمها هذه الأسلحة • وفي الطائرات تقاس بمدى طيرانها : ووزن حملاتها • وفي هذا لا يستطيع العدو أن يزعم أنني كنت أملك أكثر مما يملك • هناك نقط قوة وضعف عندنا • الأمر كذلك بالنسبة له • وكسب المعركة يتوقف على اجادة استثمار كل منا لنقط قوته والاستفادة من نقط ضعف الآخر •

• • • • •

ولنعد الى الأيام الحاسمة قبل ساعة الصفر ..

ان مهمة الجيش الثاني قاسية • انه يمثل القطاع الرئيسي • • تتبعه ثلاث فرق • الفرقة ١٦ بقيادة العميد عبد رب النبي حافظ • الفرقة الثانية بقيادة العميد حسن أبو سعده • الفرقة ١٨ بقيادة العميد فؤاد عزيز غالى • •

ثم قوات أخرى • • ولا تزال الأسرار العسكرية تحول دون الكشف عنها • •

الجبهة متسعة من بور فؤاد شرقا الى منتصف البحيرات المرة • •

آخر مؤتمر عقده اللواء سعد مأمون للقادة كان في صباح ٣ أكتوبر في مركز القيادة المتقدم • لم يخطرهم بساعة الصفر • ولكن تقرر اجراء آخر تحركات للهجوم تحت ستر المشروع التدريبي • ولكن القادة أحسوا أنها مسألة يومين أو ثلاثة • كان المهم مراقبة جميع تصرفات

العدو على الشاطئ الآخر ، بكل اليقظة • ان هذه المراقبة يمكن أن
تكشف اذا كان العدو قد عرف شيئاً • اللواء سعد مأمون يخطر لو أن جندياً
اسرائيلياً في نقطة ملاحظة خلع خوفته • ان هذا يعنى أن العدو غير
متأهب لقتال مفاجئ • اذا خرج جندي من مخبأ • الى أين ؟ • ومتى
عاد ؟ • كان القائد في هذه الساعات يقوم بتحليل أى تحرك للعدو
مهما كان تافها • عربية مجنزرة • دبابة • سيارة جيب • أى شيء يمكن
أن يوحى بأشياء •

ووضح أن خطة الخداع المصرية ناجحة مائة في المائة ••

•••••

والغريب أن اللواء سعد مأمون اذاع في هذا اليوم — ٣ أكتوبر —
نداء مكتوباً ، الى جميع الضباط والجنود • طبعت منه عشرة آلاف
نسخة • قرىء بالميكروفونات في جميع الوحدات ، النداء يطالب الجنود
بالاستشهاد في سبيل كرامة الوطن • يحثهم على القتال الشجاع •
النداء يقول أن المعركة قريبة جداً •

ولا شك أن أجهزة التصنت الاسرائيلية التقطت هذا النداء الذي أذيع
على أوسع نطاق •

ولا شك أيضاً أنهم تصوروا أنها تمثيلية مصرية ! ••

لقد كان القرار الاسرائيلي كما اتضح بعد ذلك ، من التحقيقات
الرسمية في تل أبيب ، ان مصر لن تقدم على الحرب !

وكان ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي في فندق « بلازا » بنيويورك •
أعطى نفسه أجازة يوم عيد الغفران • طلب من الفندق ألا يتصل به أحد
بالتليفون • وحاول موظف القنصلية الاسرائيلية الذي تلقى تقريراً عاجلاً
بأن القتال قد بدأ ان يتصل بأبا ايبان لابلاغ رسالة من الوزير الاسرائيلي
جاليلي الى الدكتور كسينجر • لم يرد أبا ايبان • دقوا على بابه ربع
ساعة كاملة حتى استيقظ • ارتبك الوزير عندما قرأ الرسالة • لقد ترك
اسرائيل في ٢٥ سبتمبر ولم يكن هناك ما يوحى بأي بادرة حرب • كما

ان المخابرات الاسرائيلية أخطرت المخابرات الأمريكية يوم ٤ أكتوبر بكل تطورات الموقف ، وأكدت أن الحرب لن تقع في المستقبل القريب (من كتاب عيد الغفران بقلم « كتاب اسرائيليين ») •

•••••

حتى هذا النداء المعلن الى الجنود •• لم يظن الاسرائيليون الى حقيقته ••

وهذا النداء قرأه الرئيس أنور السادات ، عندما قدمه اليه اللواء سعد مأمون في جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة في أول أكتوبر التي استمرت ١٠ ساعات • وفي هذا الاجتماع التاريخي دار حوار هام مع الرئيس •

قال الرئيس لسعد مأمون : أراك تتحدث بثقة • هل أنت متأكد من نجاح مهمتك •

سعد مأمون : متأكد يا أفندم • أنى أعطى تمام • أننى مسئول عن دخول الحرب وقادر على تنفيذ المهمة •

الرئيس : بتتكلم بثقة مطلقة ليه ؟

سعد مأمون : لسبيين يا أفندم • الأول • احنا تعبنا جدا جدا في اعداد القوات ووضع الخطط والتدريب ، من أكبر قائد الى أصغر جندي • وأتصور أن النتيجة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا •

والسبب الثانى أننى متأكد ان معنويات ضباطى وجنودى عالية جدا • وهم واثقون أن مهمتهم هى الدفاع عن كرامة مصر • وبعد عبورهم سيكون العدو أمامهم والبحر خلفهم • وكرامة مصر هى مسئوليتهم • أنهم من الموت •• أقوى من أى خوف •

•••••

وقدم سعد مأمون للقائد الأعلى نداء القتال الذي أعده •

٥ أكتوبر :

الفريق أحمد اسماعيل القائد العام يتصل بقائد الجيش الثانى —
« عدت من سوريا • وكل شىء تمام » •• على بركة الله • تأكد يا أفندم
أن كل شىء هنا تمام •

٦ أكتوبر :

كل القوات علمت بساعة الصفر • الاستعداد الأخير •
ساعة الصفر :

خرج سعد مأمون فوق الأرض ، لكى يشاهد على الطبيعة ، ما سيجرى.
مشهد التاريخ المثير • النار • اللهب • العبور العظيم ، نداء الله أكبر
يهز الفضاء •

وبدأت العجلة •

•••••

سر عسكرى أذيعه لأول مرة • كان من الممكن أن يتغير كل شىء قبل.
ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر بسبع دقائق فقط •

دبابة مصرية فى أحد القطاعات ، أطلقت النار بغير تعليمات ، على
دبابة العدو على الشاطئ الآخر وأصابتها •

مفاجأة !

أن هذا يمكن أن ينبه العدو فى آخر الدقائق الى بداية معركة شاملة •

ان هذا كان يمكن أن يدفع العدو الى تقديمه دباباته على الفور الى
حافة الشاطئ •

ان هذ اكان يمكن أن يدفع دبابة مصرية أخرى ، أن تطلق النيران ،
لمجرد الحماس •• أو للشعور خطأ أن المعركة قد بدأت •

ان هذا يمكن أن يحدث في الحروب •

ان الأعصاب يمكن أن تتوتر عند بعض المقاتلين • أن الأصابع يمكن
أن يفلت زمامها على الزناد •

وهنا تصرف اللواء سعد مأمون أمام هذه المفاجأة •• بكل برود الأعصاب
لم يعلق بشيء •

لم يرسل أى اشارة ليسأل •• من أطلق النار • ولماذا ••

ان مجرد السؤال سيحدث ارتباكاً • وسيشغل كل مسئول في موقعه
عن مهامه الخطيرة في هذه الدقائق الحاسمة ••

ومرت الدقائق السبع ••

وجاءت ساعة الصفر ••

وبدأت المعركة ••

وانتهت المعركة •• ولم يسأل اللواء سعد مأمون حتى الآن من أطلق
النار ••

— لماذا ؟ ••

— هذا شيء يمكن أن يحدث في الحروب • المهم كيف يعالج !

••••••••••

ماذا كان الهدف من حرب ٦ أكتوبر ؟ ••

لماذا لم نتقدم في مواقعنا الى خطوة أخرى .. وكان الانتصار معنا ؟ ..
واذا كان الهدف محددا من قبل .. لماذا طورنا الهجوم يوم ١٤
أكتوبر ؟ .. لماذا ليس قبله .. ولماذا ليس بعده ..

.....

أسئلة لا تزال تتردد •

— الهدف من حرب أكتوبر سياسيا .. هدم نظرية الأمن الاسرائيلية
التي تعتمد على الحدود الآمنة واثبات فشلها •

— والهدف عسكريا .. هزيمة التجمع الرئيسى للعدو في سيناء ،
والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيب الظروف المناسبة
لاستكمال تحرير الأراضى المحتلة بالقوة المسلحة ، لعرض الحل السياسى
العادل للمشكلة •

.....

لماذا طورنا الهجوم عسكريا يوم ١٤ أكتوبر ؟ .. (١)

ما يمكن أن أقوله من تحرياتي الصحفية في الاوساط العسكرية
والسياسية ، ان قرار تطوير الهجوم ، فرضته طبيعة القتال في سوريا
في هذا الوقت بالذات ، وعلاوة على اكتساب مزيد من الأرض لصالح
المعركة •

.....

اشتد الضغط على القوات السورية •

تجاوزت القوات الاسرائيلية خطوط ١٩٦٧ •

(١) راجع الفصل الحادى عشر عن حقائق الثغرة كما يرويها الفريق
الجمسى •

كان لابد من جذب القوات المقاتلة في الجولان .. الى سيناء ، لتخفيف الضغط المترکز على سوريا ، واعطاء القوات السورية فرصة لاعادة تنظيم هجوم مضاد .

وحقق قرار تطوير الهجوم هذا الهدف .

وكانت معارك التطوير قاسية .. وتطورت وأصبحت دموية رهيبة . وصفها موسى ديان في مساء يوم ١٤ أكتوبر بقوله : « ان اسرائيل تخوض الآن حربا صعبة . معارك الدبابات فيها قاسية . ومعارك الجو مريرة .

انها حرب ثقيلة بأيامها وثقيلة بدمائها » .

.....

.....

ويجب أن نعترف أننا تكبدنا خسائر كبيرة في المدرعات في هذه المعارك .. ولكننا كبدا العدو خسائر أفدح . كان القتال رهيبا حقا . دمويا حقا . والمواجهة بين المدرعات قريية جدا ، لم تشهدا حروب من قبل .

.....

وحدثت مفاجأة مؤسفة صباح يوم ١٤ أكتوبر . يوم تطوير الهجوم .

لقد سقط اللواء سعد مأمون في ممر قيادته وفقد وعيه تماما .

أصاب قلبه أزمة مفاجئة .. كان الجميع يتوقعونها الا هو . بل أنه في الساعة ١١ من مساء ١٣ أكتوبر ، اتصل به القائد العام الفريق أحمد

اسماعيل وقال له : حتى الآن لم تتم يا سعد • وده مش كويس • يجب
أن تستريح •

وقال سعد : حاضر يا أفندم •• لكن مش قادر أنام •• مهام التطوير
شاقة جدا •

القائد العام : يجب أن تستريح ، حتى تستطيع أن تعمل •

كان اللواء سعد مأمون في يقظة غربية منذ ٥ أكتوبر •

لم ينم ليلاً أو نهاراً • مجموع ساعات نومه في ثمانية أيام ، حتى
سقط مغماً عليه ، لم يزد على ثلاث ساعات !

لقد سلبته اجواء المعركة ، الشعور الطبيعي بالحاجة الى النوم •

وكان ذهنه صافياً • وكان خفيف الحركة • كان يتابع المعركة على
الطبيعة ، ويتفقد المواقع في أقصى الشرق كل يوم • مرة ومرتين وثلاث
مرات ابتداء من الثامن من أكتوبر • وفي اليوم الأخير قبل اصابة قلبه
(١٣ أكتوبر) كان في قطاع الفرقة ١٦ مع العميد عبد ربه •
ووصل حتى ٥٠٠ متر من الحد الامامي للقتال ولم يشعر أنه مجهد • في
اليوم الأسبق كان في قطاع الفرقة ١٦ ، والفرقة ١٨ • ولم يشعر أحد
بأنه تغير في قسماته • وهذا خدعه • اعتاد أن يدخن ٣ سجائر يوميا
فكان يدخن ٦٠ سيجارة • كان يشرب فنجانين من القهوة أصبحوا
٢٠ فنجانا •

وفي صباح ١٤ أكتوبر لاحظ أركان حربه ان الارهاق يغطي وجهه ••
سأله : أنت شاعر بحاجة يا أفندم ••

ولم يجب القائد •

سقط فجأة !

ولم يشعر بشيء الا بعد ثلاثة أيام وهو في المستشفى •

قلت : لقد أخذ عليك هذا العيب .. أنك لم تكن تمام • والتائد يجب أن يستريح •

وأجاب : وقيل ان الجنرال مونتجمري • دخل الى حجرته لينام بمجرد بدء الهجوم وقا لأركان حربيه •• أيقظنى عندما ينتهى الهجوم •

قلت : أنا لا أصدق أن مونتجمري فعل هذا •• ولكننى لا أتصور أنك تبقى ٨ أيام بلا نوم ••

قال : قد يكون هذا خطأ •• ولكننى لم أستطع النوم فعلا أمام الشعور بالمسئولية من يوم ٦ أكتوبر • كنت أشعر أن العدو سيركز هجماته على قطاع الجيش الثانى ، بعد أن أصبح لدى فى الشرق قبل منتصف ليلة ٦ أكتوبر ٥٠ ألف مقاتل ، بما فيهم الوحدات المدرعة والمدفعية •• وفى الصباح التالى مئات الدبابات • وكانت دبابات الجيش الثالث لم تعبر بعد • ثم بدأ العدو يركز هجومه بالطيران والمدفعية والمدركات فى جنوب الاسماعيلية على الفرقة ١٦ وشمال الاسماعيلية على الفرقة الثانية • كنت مصمما على ألا يحقق العدو هدفه وهو تدمير القوة الرئيسية للجيش الثانى بدليل أنه قام بـ ٣٦ هجمة مضادة بكل أسلحته • ومنها ٧ هجمات استخدم فيها من ١٠٠ الى ١٥٠ دبابة •

هذا هو الموقف •• واستمر هذا القتال الضارى ليل نهار حتى مساء يوم ١٣ أكتوبر •

ولذلك لم أنم ••

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

تولى رئيس أركان الجيش الثانى القيادة بعد اللواء سعد مأمون

ثم تولاها قائد آخر •

وخاصة أن تسلك العدو يوم ١٦ أكتوبر الى الغرب .. كان قد بدأ يشكل خطرا ..

ونجحت قوات العدو في العبور بعد معارك دامية رهيبة ، وبعد خسائر خيالية .

ويسجل الضابط الاسرائيلي آموس قائد رأس الجسر في خطاب الى زوجته ليلة ١٨ أكتوبر .

— « اذا كانت قد كتبت لى النجاة هذه الليلة ، فانها معجزة . فلم تكف قذائف الكاتيوشا عن السقوط على رؤوسنا . وكان الجنود يغادرون سياراتهم دون أن يسعفهم الوقت بايقاف المحرك . لقد كانت أكثر الأمور رعبا هي عمليات القصف التى تلتها هجمات الطائرات ، وبالنسبة للقصف المدفعى فهذا أمر تعودنا عليه ، ولكن عندما تشترك الطائرات فان ذلك لم يكن بالأمر المحتمل . ان أفضل شيء هو أن يظل الانسان فى مخبئه وأن ينتظر وهو يصلى . لقد كان المصريون مصريين على تصفية رأس الجسر . أنه الجحيم بعينه . لقد كانت الصواريخ والقنابل والفابالم تنهال ، وكان علينا أن نصلح باستمرار ما يعطب » ..

وقال الجنرال برن : لقد عبرنا القناة فى الساعة العاشرة مساء .. ولم تكد ثلاث من دبابات تعبر القناة حتى أعطب أحد الجسرين . وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطئ الغربى تعرضت لقصف شديد لم نشهد له مثيل فى حياتنا .

كل هذه الأقوال وردت فى المؤلف الاسرائيلي « عيد الغفران » .. وقد سجل المؤلفون أن الجزء الأكبر من القوة الاسرائيلية لم يستطع أن يعبر يوم ١٧ أكتوبر ، لأن المصريين شنوا هجوما مضادا كاد يسحق رأس الجسر .

وفى اليوم التاسع والعشرين من أكتوبر عين اللواء سعد مأمون مساعدا لوزير الحربية .

وفي أوائل ديسمبر صدر قرار بتعيينه مندوبا عن القائد العام ، لقواتنا المسلحة غرب القناة ، وكلف بتنفيذ خطة لمواجهة الوجود الاسرائيلي في الغرب .

وفي ٢٤ ديسمبر تم وضع الخطة « شامل » ، وصدق عليها القائد الأعلى الرئيس أنور السادات في اجتماع خاص تم بالقناطر الخيرية^(١) .

وكان من الممكن أن يكون قدر سعد مأمون ، قيادة القوات المصرية لتطهير الغرب من القوات الاسرائيلية .

ولكن الاسرائيليين أدركوا أن مصلحتهم الأولى هي في الانسحاب .
وتم الانسحاب .

(١) تفصيل الخطة « شامل » في الفصل الأخير من هذا الكتاب .

الفصل السادس

عملتها يا بابا!

●●● « العسكرية هي هوايته، وطفله الأصغر شريف (١٢ سنة) أمضى معه في الجبهة طوال أشهر عطلة الصيف حتى أول أكتوبر . وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الأسلحة ! .. أمله أن يراه مقاتلا . وكان الطفل يقول لوالده العميد فؤاد عزيز غالى « أمتى بقى ، تنزلوا علم إسرائيل ! »

وبعد أن تحقق الانتصار ، وفي أول اتصال تليفونى للأب مع أسرته صاح شريف فى التليفون ضاحكا « عملتها يا بابا برفو عليك ! »

وكانت هذه التحية أول وسام يحصل عليه قائد معركة القنطرة ! ●●●

اشترك في معارك فلسطين عام ١٩٤٨ وهو ملازم .. في شمال غزة •
في بيت جالون في جباليا • وفي رفح • كان يعمل تحت قيادة الضابط
المشهور السيد طه الذي اطلقت عليه الصحافة حينئذ لقب « الضبع
الأسود » ..

ثم اشترك في حرب اليمن ثلاثة وثلاثين شهرا و ١٧ يوما ! .. بدأها
في ٣ فبراير عام ١٩٦٣ ، قائدا لمجموعة قتال .. ثم قائدا للكتيبة .. في
مناطق مختلفة •

ومنذ نوفمبر عام ١٩٦٧ ومواقع عمله في الضفة الغربية .. جنوب
الاسماعيلية .. وشملها حتى أصبح قائد للفرقة ١٨ مشاة ، وقائدا
للمحور الساحلي العريش - قنطرة - غزة ..

ومنذ أن أصبح المشير أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما ..
كانت كلمته له ، التي لم تتغير .. « مسئوليتك تحرير القنطرة شرق ..
هذا قدرك مع الحرب • ومعى » !

وفي ساعة الصفر .. في السادس من أكتوبر .. بدأ غؤاد عزيز غالى
لقاءه مع قدره • وتحجرت القنطرة شرق بعد قتال مرير عنيف .. ثم
أصدر القائد الأعلى قراره في ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ بتعيينه قائدا للجيش
الثانى ..

هو اذن نموذج للمقاتل المصرى ، الذى لس فى صدر حياته العسكرية ،
الخيانة العربية فى حرب ٤٨ .. وكان الفشل .. ثم عزك حرب اليمن
التي تكبدنا فيها خسائر كثيرة .. ولكننا - على حد قوله - خرجنا منها

بـخـبـرات عـسـكـريـة كـثـيـرة •• الـاعـتـمـاد عـلـى النـفـس •• حـرـب الجـبـال ••
خـبـرات لـتـخـصـصـات مـخـتـلـفـة •• حـريـة التـصـرف لـلـقـادـة المـحـلـيـن •• الضـبـط
والـرـبـط • ثم وـاجـه مـرـارـات المـقـاتـل المـصـرى بـعـد هـزـيـمـة ٦٧ الـتـى اـبـتـعـلت
مـعـارك عـسـكـريـة قـاتـل فـيـها الجـنـدى المـصـرى بـكـفـاءـة وـبـسـالـة •• وـلـكـن التـارـيـخ
أـغـفـلـها •• وأـحـس بـالمـهـانـة تـأـكل قـلـبـه • وـكـان لا يـرـتـدى حـاتـه
العـسـكـريـة ، عـنـدـما يـنـزل الـى المـديـنة • غـالـجـمـاهـير كـانـت كـافـرة بـجـيـشـها •
والـجـيـش كـافـر بـالقـيـادـات الكـبـرى الـتـى حـرمـته مـن اثـبـات وـجـودـه وقـدـراتـه
•• وـهـكـذا أـمـضى وـقـتـه بـعـد ذـلـك • يـنـتـظـر سـاعـة صـفر جـديـدة ، يـسـتـعـيـد
فـيـها كـرامـته ••

كـان يـحـاول خـلال حـرـب الـاسـتـنزـاف أن يـنـتـقـم لـمـهـانـة ٦٧ • قـام بـأكـثـر
مـن عـمـليـة عـبـور •• ضـرب وـدمـر •• وـعـاد بـالـأسـرى بـيـن الكـاب والتـيـنـة ••
ومـرة أـخـرى فـى مـنـطـقة الجـيـش الثـالث •• ومـرات بـعـد ذـلـك ••

وـهـاجـم مـنـطـقة شـمـال البـلـاح مـن قـبـل ثـلاث مـرات •• نـجـح فـى هـجـوم
عـام ٦٩ •• فـشـل فـى الـهـجـوم الثـانى فـى نـهـايـة عـام ٦٩ • اسـتـخـدم فـى
الـهـجـوم الثـالث عـام ١٩٧٠ أسـلـوبـا مـخـتـلـفـا ••

وفـى أـبـرـيل عـام ١٩٧٠ •• قـام فـؤـاد غـالـى مـع مـجـمـوعـة قـتـالـيـة بـعـبـور ••
وـهـاجـم اـحـد المـواقـع بـعـنـف شـديـد • وـكـان قـتـالـا عـنـيـفا • انـسـحـب بـعـده
واـخـتـبأ فـى مـوقـع قـدر أن القـوة الاسـرائـيـليـة سـتـعـود مـنـه ، واسـتـمـر مـخـتـبأ
أكـثـر مـن ٩ سـاعـات •• وتـحـقـق تـقـديـره •• وفـاجأ القـوة الاسـرائـيـليـة بـنـيران
لـاتـرحـم ، التـهـمـت ٤٨ مـن جـنـود العـدو • وـكـانـت مـجـمـوعـته مـن ١٣ مـقـاتـلـا •

وصـمـم الاسـرائـيـليـون فـى الـيـوم التـالى عـلى الـانـتـقـام مـن هـذه الضـريـة
المـرة ••

وألـقـوا فـى غـارـاتـهم الـانـتـقـامـيـة بـقـنـابـل ثـقـيـلة ، تـعـادـل فـى مـجـمـوعـها ،
ما ألـقى فـى حـرـب الـأيـام السـتـة كـما أـعـلـن ذـلـك قـادـتـهم ••

وكان هذا حقيقيا • لقد بلغ مجموع الحفر التي أحدثتها قنابل العدو من زنة ألف رطل وألفى رطل في موقع دفاعي مساحته ٦٠٠ متر X ٨٠٠ متر •• بلغ عدد حفر القنابل ٤٨٠ حفرة !

وقد ذهل ضابط أجنبي كبير زار هذا الموقع •• عندما سمع غؤاد غالى يطلب من الجنود أن يظهروا من مخبئهم ••

قال الضابط الأجنبي الكبير :

وهل يوجد موضع لهم هنا •• بعد أن أصبح موقعهم هدفا معروفا ••

وكان رد غؤاد غالى :

بالعكس •• كان يجب أن أستمّر في استخدام هذا الموقع ، لأنه من وجهة نظر العدو قد تدمر تماما •• ولن يكون فيه موضع لقدم •• كانت كل جزئيات في أرض القنطرة شرق •• مرتسمة في ذهنه كصورة فوتوغرافية كاملة •• المعلومات اليومية التي يحصل عليها من نقط الاستطلاع • المراقبة الجوية •• المراقبة بالنظر ••

عاش خمس سنوات وثمانية أشهر •• يدرس الأرض والتحصينات •• ويحلم بالتهامها •• العسكرية هوايته •• وطفله الأصغر شريف عمره ١٢ سنة •• أمضى معه في الجبهة طوال أشهر عطلة المدرسة حتى أول أكتوبر • وكان يدرب طفله على استخدام كل أنواع الأسلحة ! •• أمله أن يراه مقاتلا •• وكان الطفل يقول له : « أمتى بقى •• تنزلوا علم إسرائيل » !

وبعد ان تحقق الانتصار •• وفي أول اتصال تليفونى للأب مع أسرته صاح شريف في التليفون ضاحكا : عملتها يا بابا •• برافو عليك ••

وسألت الرجل : ألم تفكر في أسرتك ، ليلة الهجوم ..

— مطلقا ..

— حتى مع هذه العاطفة القتالية التي تربطك بطفلك شريف ..

— مطلقا ..

— وكيف أمضيت الليل بعد أن عقدت الاجتماع الأخير مع قيادتك ..
وسلمتهم مظروفات ساعة الصفر ..

— لم أنم • كنت في تفكير هادئ متصل • كانت أمامي كل الاحتمالات
• وكنت أراجع أساليب تصرفنا أمام هذه الاحتمالات ..

— هل كان منها توقع ضربة مفاجئة من العدو ..

— طبعا .. كان هذا الاحتمال محسوبا وخاصة في الأيام الأخيرة ..

— وبماذا تعال هدوء أعصابك وأنت مقدم على تجربة الحياة والموت ..
— لم تكن بالنسبة لى تجربة حياة أو موت .. لقد أخذتها من جانب
الموت فقط .. كان شعارى الذى غمر أيضا كل قلب من الجنود ..
« يا قاتل .. يا مقتول » .. اما أن نحرر الأرض .. أو أن نموت عليها
حتى آخر رجل .. هذا أمر ليس موضوع مناقشة أو تردد .. المستحيل
هو أن أعود من القنطرة شرق حيا .. وأتركها للعدو ..

وكانت كلمات الرئيس السادات في آخر اجتماع شهده ، هى التى
تسيطر عليه تماما :

— يا أولادى .. هذه هى امكانياتنا .. ليس فى مقدورنا ان نحصل على مزيد من السلاح .. هذا أقصى ما استطعنا أن نوفره .. وانتم عارفين كل حاجة .. وأنا مطلعكم على التفاصيل أول بأول .. تقولوا أسلحة دفاعية .. أسلحة هجومية .. سموها زى ما أنتم عاوزين .. لكن ده اللي عندنا .. هنقدر نحارب وألا لأ ؟ .. ده هو السؤال .. احنا مؤمنين بأن تحرير الأرض هو قدرنا .. أم لأ ؟ .. ده هو السؤال .. نموت أحرار .. أشرف ألف مرة من حياة المذلة .. والعدو قدام عينيا .. وواقفين عاجزين .. اذلاء » .

وهذا فى رأى أقوى بطولات معركة ٦ أكتوبر .

القتال بالامكانيات التى بين ايدينا ، والى الحد الذى تستطيع هذه الامكانيات ان تحققه مع التخطيط الجيد ، والاستعداد الكامل ، والاقتحام المتفانى ..

كما أن التخطيط للمعركة لم يفرض من « فوق » ..

لقد أعطيت لكل القيادات الميدانية .. حرية الحركة والتصرف .. وكل قائد فرقة أبدى ملاحظاته على الخطة .. بعد استشارة القيادات التى تتبعه .. ونوقشت كل الملاحظات مع القيادة الأعلى وهكذا .. حتى آخر سلسلة قيادية ..

ومن هنا كان كل قائد مقتنعا بخطة معركته ..

وعندما قام المشير أحمد اسماعيل بآخر زيارة له لجبهة القتال .. فى الأيام السابقة على ساعة الصفر .. وبالتحديد قبلها بسبعة أيام ..

ناقش المشير قائد بور سعيد فى خطته .. ثم اتجه الى غؤاد غالى :

— وانت كيف ستتولى على هذه النقط .. (من حصون بارليف) ..

وأجاب باعتزاز :

هادوس على زرار يا أفندم .. وبعدها ستسقط جميع النقط القوية
في القنطرة شرق !

ولم يظهر على وجه المشير احمد اسماعيل أى تعبير ، يمكن أن يوحى
بأن هذه الاجابة أعجبتة أو لم تقنعه ..

وانتظر لحظات ثم قال : لا .. أشرح لى خطتك الأخيرة ..

وشرح قائد الفرقة ١٨ كل التفاصيل ..

وأقرها القائد العام فى شكلها النهائى ..

* * *

وحانت ساعة الصفر ..

بدأت هجمات طائراتنا على العدو ..

بدأت نيران المدفعية تحمى العبور ..

وعبرت قوات الفرقة ١٨ .. وعبر قائدها ..

وبدأ تنفيذ الخطة على الفور ..

صعوبة القنطرة شرق .. ان العدو يعرف ان سقوطها له معنى سياسى كبير ، لأنها المدينة الثانية فى سيناء بعد العريش .. ولذلك فان تركيز العدو عليها أمر مفترض ..

والصعوبة الثانية .. ان أرض القتال فيها تتوسطها مباني المدينة .. وهذا عائق قتالى فى وسط المعركة ..

* * *

ولم تكن معركة سهلة ..

ويجب أن نعرف أن القوات الاسرائيلية ، قاتلت بشراسة واستماتة ، ودافعت عن مواقعها بكل امكانياتها ..

اننى أكتب هذا .. لأن الكثيرين فى مصر .. تصوروا ان العبور والاستيلاء على حصون بارليف .. والتقدم فى العمق .. مر هكذا سهلا وكأنه نزهة .. وكأن الاسرائيليين هربوا منذ الدقائق الأولى وانتهى الأمر ١

لقد أخذتهم المفاجأة فعلا فى الساعات الأولى من المعركة .. ولكنهم قاتلوا بكل احتياطاتهم القريبة ، وراء بارليف على ثلاثة خطوط ..

ولما أفاقوا من المفاجأة .. استخدموا كل امكانياتهم .. حتى تحطموا فعلا .. لولا الانقاذ الأمريكى الذى بدأ فى اليوم الرابع للقتال .. واستمر وبدأ يظهر منذ الحادى عشر من أكتوبر . وكانت معارك الدبابات رهيبه فعلا . ولم تكن الدفرسوار هى الثغرة الوحيدة التى حاول العدو ان ينفذ منها ، الدفرسوار كانت واحدة من المحاولات . حاولوا عند الفردان واستطاعت دبابة اسرائيلية أن تصل الى قرب كيلو متر واحد من كوبرى الفردان ولكن لواءهم ألـ ١٩٠ تدمر تماما . وحاولوا مرة ثانية وفشلت المحاولة .. معركة دبابات رهيبه سميت معركة « الطالية » .. وثالثة .. ورابعة .. ان كل الهجمات المضادة الاسرائيلية طوال أيام القتال كانت محاولات لاختراق قواتنا للوصول الى الضفة الغربية .

وسيجىء تفصيل ذلك ، فى موضع آخر من هذا الكتاب ..



كانت المعركة صعبة فى القنطرة شرق .. لأسباب عديدة .. منها ان موقع الهجوم المصرى فى الضفة الغربية .. منخفض (أرض زراعية) • وموقع العدو مرتفع فى الشرق • كما ان أرض المعركة ليست جافة .. معظمها (سبخ) لا تصلح للسير ولا تيسر التحرك العسكرى شرقا أو غربا • كما ان تحصينات العدو فى الشرق (خط بارليف) كانت من أكبر تحصيناته •

وقد اختار القائد المصرى أن يهاجم تحصينات بارليف فى معظم نقاطها .. من الأمام لا من الخلف .. اختار المواجهة ، وهى المهمة الصعبة .. وفى التحصينات البعيدة هاجمها من الخلف والأجناب ..

كما أنه بنى خطه على مواجهة سريعة جدا ، بكل القوة الضاربة دفعة واحدة .. مع محاصرة المدينة بنفس السرعة باندفاع قوى بقوته الرئيسية •

كانت أمامه ٧ نقاط لخط بارليف • وكانت مسافة المواجهة ٣٧ كيلو مترا فاختار أولا : أن يركز قواته وهجومه على امتداد ١٨ كيلو مترا فقط أمام النقاط الرئيسية وهى أربع • واقتصر ضربه على النقاط المتطرفة شمالا ويمينا بالضرب النيران • واختار أولا ان يهاجم النقطة الأولى .. والنقطة الرابعة .. وأن يحيطها بدرع من قواته خلفهما • حتى يكون فى وضع يتصدى فيه لاحتياطات العدو الخفية عند تقدمها .. وجعل لدرعه اعماقا متتالية • من الصعب اختراقها ..

.

تم احتلاله للنقطة الأولى والنقطة الرابعة بعد ٢٥ دقيقة من العبور بالمشاة والأسلحة الخفيفة • ورفعت القوات المصرية الأعلام عليها ..

وبدأ حصار المدينة بعد ٣٥ دقيقة ..

ثم هاجم النقطة الثانية وأحتلها ..

ثم سقطت النقطة الثالثة التي قاومت بشدة حتى الساعة الثامنة من المساء ..

أن الجانب الأيمن الذي بدأ منه عملية الحصار .. هو منطقة شمال البلاح ..

والجانب الأيسر هو منطقة الحرش ..

وقد بدأ الهجوم الاسرائيلي حوالى الساعة الثالثة الا الربع ..

واستمرت هجماته المضادة .. وحتى الغروب في السادسة مساء .. فشلت هذه الهجمات المضادة أمام مقاومة المشاة المصريين بالأسلحة الخفيفة ..

وكان العدو يهاجم من اليمين واليسار .. وفي المنتصف بهدف فك الحصار على قواته داخل مدينة القنطرة ..

وفي الساعة السادسة والربع من المساء .. ركز العدو ضربة شديدة على الجانب الأيمن .. واخترق الحصار المصرى فعلا .. وتخلت القوة عن مسافة تتراوح بين كيلو مترين ونصف وثلاثة كيلو مترات .. الى الورا .. وركز القائد المصرى مواقعه الدفاعية بسرعة .. وعلى أعماق متتالية .. ومن هنا اطمأن الى أن العدو ، لو أنه اخترق هذه الدفاعات ، فإنه سيكون فى مصيدة نيران من جميع الجهات ..

وكانت مساحة هذه العمليات بعرض من ٦ الى ٨ كيلو مترات .

واستمرت المعارك طوال الليل .. وكانت الدبابات المصرية قد عبرت (على معديات — لا كوبرى) ..

وكان يمكن أن تؤدي نجاح هجمات العدو الى نتائج خطيرة •

— لأنها أولا عطلت قدرتنا على عبور الدبابات •• وبعد تركيز الضرب على المعديات •• ثم قوة الهجوم الاسرائيلي على الجانب الايمن •• لم نتمكن الا من عبور عدد بسيط من الدبابات فقط كل ساعة ••

ولكن الاختراق من الجانب الايمن لم يفلح ••

لقد استعاد العدو الموقع الحصين شمال البلاح •• ثم استعدناها •• واستمر الموقع طوال الليل ، مناصفة بين قواتنا وقوات العدو •• ولكن الجندي المصري لم يخرج منه أبدا ••

وفي الساعة السادسة من الصباح قام فؤاد غالى بهجمة مضادة عنيفة •• واستعادت قواتنا الموقع تماما •• وتقدمت ٣ كيلو مترات جنوبا ••

وقد قاتل الاسرائيليون بعناد واصرار ••

وتحطم لهم في هذه الهجمات ٣٧ دبابة •• ولم يبق للعدو الا أربع دبابات •• ومع ذلك تقدم بها ، يريد أن يكمل رأس حربه ••

وقضينا على هذه الدبابات الأربع ••

وخلال هذه المعركة القاسية •• لم يتوقف العدو عن الهجوم من اتجاهات أخرى • وجه ضربات للجانب الايمن للقوات المصرية من اتجاه حوض أبو سمارة جنوب رمانة ••

وفي ٧ أكتوبر نجح العدو في اختراق جزء من مواقعنا ••

ولكن قواتنا استعادت مواقعها بمعونة الدبابات التي عبرت خلال الليل ••

* * *

وفي اليوم التالي — ٨ أكتوبر • قرر العدو أن يوجه ضربة عنيفة بلواء مدرع تقدم من رمانة في اتجاه القنطرة •• ووجه ضربته في خطين ••

وتمكننت وسائل استطلاعنا من استكشاف الموقف •

واتصل اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني ، بقائد قواتنا في القنطرة •• وحذره :

— لواء مدرع اسرائيلي يتقدم اليك مع أول ضوء لضربك •

وبنى فؤاد غالى خطته •• على انتظار العدو عند نقطة معينة بحيث يفاجئه بقصف بنيران عنيفة ••

لقد اختار القائد المصرى موقع قيادته في مكان مرتفع يطل منه على الجبهة كلها •• ويستطيع أن يراقب الموقف ، ويقدر المسافات ••

ان المعركة الناجحة في رأيه تقدير مسافة أولا •• مع تقدير وقت ••

فوجئت القوات المهاجمة بالقصف الشديد •• فوق الارتباك بين صفوفها •• وهنا •• كان الطيران المصرى ، قد ظهر في الوقت المناسب المحدد له ، ليضرب بعنف ••

وباعتراف أحد الأسرى أن ٧٠٪ من الكتيبة الميكانيكية لهذا اللواء المدرع الاسرائيلي ، قد ابيدت تماما ••

ويقول فؤاد غالى :

كان مشهد الطيران المصرى ، مثيرا وممتعا حقا • ولم يكتف طيار واحد بضربة واحدة •• كان بعضهم يدور ثلاث دورات ويضرب ويضرب ويضرب ••

وانتهى هجوم العدو بالفشل ..

أننا الآن فى الثامن من أكتوبر ..

فشل هجوم العدو على الجانب الأيمن ..

ولكنه كان يهاجم فى الوقت نفسه الجانب الأيسر من قوات هجومنا على القنطرة .. ونجح فى تحقيق اختراق جزئى بها ..

وطهرت قواتنا هذا الاختراق الجزئى فى ٤٥ دقيقة ..

وبعد هذا يتأس العدو فعلا .. من محاولات استعادة القنطرة ..

وسألت فؤاد غالى : ولماذا لم ينجح طيران العدو فى حماية اللواء المدرع المهاجم ..

قال :

الملاحظة العامة أن طيرانه كان « مهزوزا » .. فى هذه المراحل الأولى من القتال ، بعد أن سقط منه الكثير ..

* * *

ولكن العدو لم ييأس ..

بدأ تجميع قواته .. وأعد لهجوم مدرع آخر على شمال الاسماعيلية . وكانت هذه مهمة عساف ياجورى قائد اللواء مدرع ١٩٠ اسرائيلى ..

وتصدت الفرقة الثانية بقيادة أبو سعد لهذا الهجوم ، كما شرحنا فى فصل آخر ..

.. فى هجوم آخر للقوات المدرعة الاسرائيلية على قوات الجيش الثانى

شمال شرق الاسماعيلية .. تقدم بقوات الى اليمين .. وأخرى الى اليسار .. واخترق من الوسط .. وحقق نتوءا في الوسط .. أمام كوبرى الفردان .. وتمكنت احدى دباباته أن تصل الى بعد أقل من كيلو متر من الكوبرى ..

وهذه هى الثغرة التى فشل فى صنعها .. ليصل الى الضفة الغربية .. وليستولى على مدينة الاسماعيلية ..

هنا وجد اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، الموقف بالغ الخطورة ! ..

وتصرف بهدوء ..

دفع بقوات جديدة من الغرب ، عبرت الى الشرق • لكى تعاون فى التصدى من الوسط ..

وفى الوقت نفسه .. طلب من قوات القنطرة بقيادة فؤاد غالى .. التقدم وتوجيه ضربة الى جنب وظهر دبابات العدو التى تقوم بالهجوم على الجنب الأيسر للفرقة الثانية •

وتم كل ذلك بنجاح ..

ولكن المعركة الرهيبة استمرت ثلاثة أيام ..

وقد ذهبت الى موقع هذه المعركة ..

ومن تبة وبالمنظار المكبر .. رأيت آثار المعركة ، فى الدبابات الاسرائيلية المحترقة ..

وفي يوم ١١ أكتوبر قام العدو بمحاولة أخرى ..

كان يريد أن يصل الى مفترق الطرق .. الذى يمكن أن تنفذ منه قواتنا الى الطريق الساحلى اذا تقدمت شرقا ..

وقام العدو بهذه المحاولة مستخدما طريقين ..

وحقق نجاحا جزئيا .. ثم تدمر هجومه تماما ..

* * *

وخلال ذلك .. بدأت معركة دبابات أخرى فى التاسع من أكتوبر ..

يسمونها معركة (الطاليا) .. وهى التى استشهد فيها قائد اللواء الذى منح نجمة سيناء ..

وتصدت فى هذه المعركة .. الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ (مما سيجىء تفصيله فى فصل آخر) ..

كانت على مساحة شاسعة من أرض الصحراء ..

ولم تتوقف هذه المعركة التى كانت تتجدد كل يوم ، حتى يوم ٢٢ أكتوبر !

وقد زرت أرض هذه المعركة .. وهى تواجه مدينة الاسماعيلية ..

وفي هذه الأرض ، ظهر عبد العاطى المشهور ، الذى دمر وجماعته
٢٤ دبابة اسرائيلية بصواريخ اليد !

والشهد رهيب حقا ..

على امتداد الأفق دبابات محترقة ، نراها من بعيد كأنها علب كبريت
صغيرة سوداء .. ويقربها إلينا المنظار الكبير .. وهى منتشرة فى
الصحراء ، صفوفًا وراء صفوف .. هذا عدا الدبابات التى تمكن
الاسرائيليون من رفعها .. ونقترب من الدبابات المحترقة .. بسيارة
صلبة تخترق طريقها فى الرمال .. ويأخذنا المنظر المخيف .. أطنان من
الصلب المحترق .. وعلى بعضها علامات (X) بالطباشير الأبيض ..
ان هذا يعنى أن الاسرائيليين أخرجوا الجثث منها ..

* * *

وبعد .. أنى أعتبر عرضى السابق لمعركة تحرير القنطرة .. عرضاً
جافاً .. ولأننى أغفلت فيه ، وأنا أحدد الخطوات العسكرية ، الجانب
الاهم والأخطر .. وهو الجانب الانسانى ..

الانسان المصرى الذى واجه هذه الحرب المريرة ..

انسان معجزة ٦ أكتوبر ..

الانسان يتمثل فى القائد أولاً .. الذى كانت القنطرة بالنسبة له ..
« يا قاتل .. يا .. مقتول » ..

كانت هذه الخطة الأولى .. أن نحرر القنطرة .. أو نبقي فيها ،

ولنكن جثثا .. حتى آخر رجل .. اذا عجزنا عن التحرير ..

هذا هو الوقود الأول للمعركة .. الذى ملأ قلب كل مقاتل فى هذه المعركة .

ولذلك لم يكن غريبا أن نرى الجنود المصابين فى معركة القنطرة ، وهم عائدون فى القوارب الى الغرب ، لكى ينقلوا الى المستشفيات .. بعضهم فقد أصابع قدمه .. دمه يسيل .. وهو لا يشعر .. انه يغنى ؟ .. ويصنق ! .. وكأنه راجع من رحلة ! ..

وهذا معنى الانتصار !

وهنا نسمع من فؤاد غالى .. أنه يعتز بالمقاتل الفلاح !

وعند تعويض خسائره فى عمليات إعادة تنظيم القوات ، وكان الفريق أول محمد فوزى ، وزير الحربية .. طلب فؤاد غالى ، جنودا من الفلاحين .. وكان الاتجاه حينئذ أن يعاد تكوين القوات المسلحة .. بالشباب المؤهل فى الجامعات .. واستدعاه محمد فوزى وسأله : هل تريد أن توجد تنظيمًا خاصًا لك .. يختلف عن التنظيم العام للقوات المسلحة ..؟

وكانت وجهة نظر فؤاد غالى ، التى احترمها وزير الحربية ، أن المقاتل الفلاح اذا درب تدريبًا حسنًا ، فإن ذكائه فى التنفيذ خارق .. وان قدرته على الاحتمال تصل الى حد الاعجاز .. وهذا يعنى عدم الاحتياج الى نسبة كبيرة من المؤهلات .

لقد خبرها فى حرب الاستنزاف ..

انه لا ينسى مبروره على قواته بعد ١٥ يوما من الضرب المتواصل بقنابل العدو من طائراته .. الضرب الذى لم يتوقف ليلا أو نهارا ..

— الواحد مهم واقف زى السبع فى موقعه .. وأسأله .. أنت مش خايف يا فلان .. وأسمع رده : العمر واحد والرب واحد يا أفندم ..

* * *

هذا المقاتل المصرى .. هو الذى اندفع الى حقول الألغام .. دون أن يفكر فى حياته لحظة .. وهو يصرخ « الله أكبر » ..

ان المجموعة الأولى التى هاجمت نقاط بارليف .. كان من بينها جنود ، رقدوا على الاسلاك الشائكة بأجسادهم ، لكى يعبر فوقهم زملاؤهم ! .. لقد استشهدت هذه المجموعة ، وبقي منها جندى واحد على قيد الحياة ..

وضابط شاب بطل حصل على نجمة سيناء .. تفخر به قوات القنطرة .. كانت مهمة هذا الضابط اقتحام النقطة الأولى من حصون بارليف .. ونجح .. ولكن زملاءه الذين اقتحموا النقطة الثانية لم يستطيعوا الوصول اليها ، لأن الطيران الاسرائيلى طاردهم .. فتأخروا .. واذا بالضابط الأول .. يقتحم النقطة الثانية أيضا .. بنفس قوة أفرادها التى اقتحم بها النقطة الأولى !

* * *

قلت للواء فؤاد عزيز غالى :

— اذاعت اسرائيل انها دمرت موقع قيادتك فى القنطرة .. هل هذا صحيح ؟ ..

— نعم .. هذا صحيح .. ومع ذلك رفضت تغييره ، ولو أن هذا خطأ عسكرى ولكننى قدرت أن وجودى فى موقعى رغم ضربه ، له أثر طيب على معنويات المقاتلين معى .. ولذلك لم أغیره ..

* * *

لقد تعرض للموت ثلاث مرات ..

المرّة الأولى في أول أيام القتال .. في ٦ أكتوبر • لقد قصفوا الموقع بقنابل ألف رطل .. رمى نفسه في حفرة بدون غطاء ، على بعد ٧ أمتار من الضرب • ونجا • ولن ينسى أن الجنود ارتموا فوقه لانقاذه • أرادوا أن يفتدوه !

وكانت المرّة الثانية في ١٧ أكتوبر .. والثالثة في ٢١ أكتوبر ، لم يكن بمركز القيادة في المرّة الثانية • كان يقود مفرزة تتقدم بها بعد حدوده الأمامية .. ومعه طقم صواريخ ..

وكانت هذه إحدى واجباته .. التي كان يكلف بها نفسه .. ومن الممكن أن يؤديها ضابط برتبة صغيرة .. ولكن قيام القائد بهذه العملية الاستطلاعية .. كان يؤكد لكل مقاتل معه • أنه معهم جميعاً على خط النار والاستشهاد ..

وفي إحدى هذه الجولات الاستطلاعية الخطيرة لاحظ تقدم مجموعتين من دبابات العدو .. إلى يساره .. وفي مواجهته • وبدأ طقم الصواريخ بمجموعة اليسار .. فأصاب الدبابة الأولى • ثم الثانية .. وبقيت الثالثة .. وقبل أن يصوبوا نحوها .. كانت الدبابات المواجهة تقصفهم .. ونجسوا بأعجوبة !

* * *

وكانت هذه الجولات الاستطلاعية تسمى رحلات اقتناص الدبابات خارج الحدود • وفي أحداها تمكنوا من الاستيلاء على أحدث دبابة أمريكية • سليمة تماماً •

ولا ينسى القائد يوماً تقدم إليه ضابط برتبة ملازم ، يعمل في الشؤون الإدارية للفرقة ..

قال الضابط الصغير : أنتى أشعر يا أفندم .. أنتى لا أحارب • أريد أن أشارك في عمل قتالى .. فوق الشؤون الإدارية ..

واشترك هذا الضابط في كمين ليلي لدبابات العدو خارج رأس الكوبرى
.. وعاد الى عمله في الشئون الادارية ، مستريح الضمير ..

ان خسارة العدو في الدبابات أمام رأس الكوبرى تصل الى ٥٨ دبابة .
وخسائره في الداخل في مواقع التحصينات .. وفي هجمات
الاحتياطي المضادة .. تصل الى ٦٧ دبابة .

أما الأرواح .. فالتقدير يتراوح بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ قتيل في حصون
بارليف ، وعلى أرض المعارك ..

وكانت خسائر قواتنا في الأفراد في معارك تحرير القنطرة .. هي بنسبة
الخمسة ، اذا قيست بمتوسط خسائرنا في جبهات القتال الأخرى ..

ولم نفقد أسيرا واحدا ، حتى ٢٢ أكتوبر ..

* * *

وفي يوم ١٣ أكتوبر كان واضحا في كل جبهات جيوشنا شرق القناة ،
أن الجيش الاسرائيلي قد واجه انهيارا كاملا ..

وبدأت تظهر في اليوم الحادى عشر .. طلائع الامدادات الأمريكية
بالدبابات والطائرات والصواريخ الحديثة التى لم تستخدم في فيتنام .

وفي ١٦ أكتوبر بدأت محاولة العدو .. فى التسلل الى الغرب عن طريق
الدفرسوار ..

وبدأت معارك رهيبة ..

وهذه قصة أخرى ..

الفصل السابع

العميد.. في شهر العسل!

●●● « كان في أول أيام شهر العسل ، عندما
تلقى الاستدعاء التليفوني الى الجبهة ..! واستطاع
ان يقدم الى حبيبته الاولى مصر .. اروع هدية .
نمر اللواء الاسرائيلي المدرع ١٩٠ ، وأسر قائده
عساف باجورى .

واوقف اطلاق النار . وعاد الى عروسه برتبة
اللواء على كتفيه ..

قصته .. هي قصة الحب والحرب » ●●●

في الحادية عشرة من مساء ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اجتمع قائد الفرقة الثانية في الجيش الثاني ، بجميع قيادات فرقته .. وأبلغهم ساعة الصفر • الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي •

وتسلموا منه مظروف ساعة الصفر عند منتصف الليل ، لابلأغه الى وحداتهم في الصباح • وقرأوا الفاتحة معا •

وكان قسمهم على القرآن معا • • أن ننتصر أو لا نعود •

ثم انصرف القادة الى وحداتهم • • للاستعداد لآخر اللمسات • • وجميعهم يعتز بشعار هذه الفرقة « المبادأة — المفاجأة — الخداع » • •

أما قائد الفرقة العميد حسن أبو سعده ، فقد توجه الى لقاء قائد الجيش الثاني اللواء محمد سعد الدين مأمون • • واستكمل معه بعض المعدات الأساسية الناقصة من مخازن الاحتياطي • • ثم عاد الى مقر قيادته • •

ولم ينم • •

ان جبهته تمتد من الاسماعيلية الى الفردان ، على مسافة حوالى ٣٠ كيلو مترا • • وهم يطلقون عليها « صرة » الجبهة • • لأن العدو لو نفذ اليها ، استطاع أن يستولى على الاسماعيلية • • وانتهى الأمر !

والعدو له على الضفة الشرقية المقابلة ٥ نقاط حصينة • • تدعم ظهرها • • دبابة قريبة • • وكتيبة مشاة ميكانيكية • • وفي الخط الثانى للعدو يوجد لواء مدرع قد يصل الى مائة دبابة أو أكثر • •

وفي الاجتماع الأخير للقيادات على مستوى الفرق الذى تم ذات يوم

من شهر سبتمبر .. احتدمت المناقشات حول كل احتمال .. واستكملت القيادات كل مطالبها الناقصة ، في حدود ما هو ممكن . ووضع احتمال أن يقوم العدو بضربة « اجهاض مفاجئة » .. وتم الاستعداد لذلك . وكان العميد أبو سعدة يتوقع أن يقوم بها العدو في الثالث من أكتوبر . وقد انتظر متوثبا للمفاجأة في ذلك اليوم .. ولكن العدو لم يقم بالضربة .. وعرف بعد ذلك أن رئيس أركان العدو لم يزر جبهة القتال منذ ثلاثة أشهر .. وأن الضباط المهندسين المختصين بأنابيب النابالم التي كان مخططا لها أن تحول مياه القناة الى جهنم عند وقوع أى هجوم .. عرف أن هؤلاء المختصين لم يتفقدوا هذه الأنابيب منذ شهرين ! .. وقد أسر مهندس كان يتفقدوها يوم الهجوم فقط .. في ٦ أكتوبر !

وأشرق فجر ٦ أكتوبر ..

وأطمأن القائد على اللمسات الأخيرة ..

ثم سجل خطاب الهجوم ، الذي كان مقررا أن يذاع بالميكروفونات على الجنود مع أول طلقة ..

ثم صلى آخر ركعتين .. واتجه الى السماء ولسانه يردد : اللهم أنت تشهد أنني بذلت أقصى جهدي من علمي وأخلاصي ..

وكان ذلك في الساعة السادسة والربع من الصباح ..

وغمرت نفسه سكينه صافية ..

وبدأ يشرف على تنفيذ كل التفاصيل ..

لمحظات المخاطرة الرهيبة تقترب ..

ولا يستطيع المحارب حتى في أخرج اللحظات الا أن يفكر في زوجته .. أنه عريس لم يستمتع بأجازة شهر العسل الا يوما واحدا .. لقد عقد قرانه في يوليو ٧٣ .. وأجل الاجازة التي بدأت في ٢٦ سبتمبر

ولكنه تلقى اشارة تليفونية فى صباح اليوم التالى .. بالعودة الى
موقعه على الفور ..

وفهمت زوجته كل شىء ، عندما كتب لها شيكا بكل ما يقتصده فى
البنك ..

وتماسكت .. ودعت له بالتوفيق ..

وتذكرت كلماته عندما اتفقنا على الزواج ..

قال لها : لا أريد ان اخدعك .. اننا مقدمون على الحرب ..

وقالت : الأعمار بيد الله .. وفخرى ان زوجى سيكون من الأبطال ..

قال : أرجو ان تفكرى مرتين ..

قالت : أنت تطعننى فى مصريتى ..

* * *

وجاءت لحظة الصفر ..

ودوت المدفعية المصرية .. وانطلقت الصواريخ .. وأنطلقت
الطائرات ..

وبدأ العبور العظيم ..

وخطواته متفق عليها ، بالدقيقة والثانية ..

عبور بالقوارب والأسلحة الخفيفة على ظهر الجنود وفي أيديهم ..

اختراق السواتر الترابية الضخمة التي أقامها العدو ..

اقامة الكبارى ..

• خلال ذلك الاستيلاء على مواقع بارليف وتدميرها •

التصدى بالمشاة فقط لدبابات العدو .. واحتياطي دباباته ..

التمسك بالأرض .. حتى تعبر دبابتنا فوق الكبارى ..

التصدى للواء مدرع للعدو في « المليز » .. خلف مواقع بارليف ..

والساتر الترابي المواجه في هذه المنطقة رهيب .. ان ارتفاعه هنا يصل الى ٣٣ مترا ..

وكان الرئيس أنور السادات قد زار هذا الموقع .. ورأى من الضفة الغربية ، ضخامة هذا الساتر .. وكان سؤاله :

— هل استعدادتم لضخامة هذا الساتر .. ؟

وهذا الساتر • سبق أن رآه جنرال سوفيتي .. وكان معه اللواء سعد مأمون .. وقال الجنرال يومها أن العبور مستحيل ..

وسأل القائد العام أحمد اسماعيل .. قائد الفرقة الثانية أمام الرئيس .. كان ذلك في شهر مايو ١٩٧٣ ..

— هل تستطيع أن تعبر بقواتك غدا .. ؟

وكانت الاجابة : انا جاهز الليلة يا أفندم ..

القائد العام — هل تعنى ما تقول .. ؟

— أننى أعنى ما أقول تماما ..

وشد الرئيس على يده ..

ثم تفقد الرئيس « المصطبة » المقامة على الضفة الغربية .. والمواجهة لمواقع العدو .. هذه المصاطب فكرة مصرية مائة في المائة . وصفها « بوفر » القائد الفرنسى بأنها أهرامات .. وضعت فوقها للتعمية نقط مراقبة مكشوفة .. ولكنها كانت تخفى كل أنواع الأسلحة « من مدفعية وصواريخ ، ودبابات بمدفعية .. » وبحجم من ١٥٠ ألف الى ٢٠٠ ألف متر مكعب للواحدة وتكلفت ملايين الجنيهات .. وتصوير العدو لها لم يكن مجديا فى معرفة أسرار استخدامها ..

وسأل الرئيس أنور السادات فى ذلك اليوم عن مهمة الهجوم ، والأرض المفروض الاستيلاء عليها ..

ثم قال : هل تستطيع الاستيلاء عليها فى ليلة واحدة ..

واجاب : ممكن يا أفندم .. لو فتحت الكبارى فى الوقت المحدد تماما .

ودارت مناقشة حول التوقيت .. وهو أهم وأخطر عامل فى معركة العبور .. لأن المشاة كانوا سيواجهون وحدهم دبابات العدو ، لعدة ساعات ، حتى تصل مدرعاتنا ..

وفى ذلك اليوم .. قدم قائد الفرقة الثانية الى الرئيس علم الفرقة ، وقال له :

« أرجو ان تحتفظ بهذا العلم يا سيادة القائد الأعلى ، حتى تضعه

أمامك على مكتبك عندما يصلك البشير بأن الفرقة الثانية .. نفذت مهمتها
.. وحقت النصر » •



اقتربت لحظة الصفر ..

وكل هذه الرؤى لا تفارق مخيلة قائد الفرقة الثانية .. وهو يشرف
على آخر لمسات المخاطرة الكبرى ..

انه يفترض في تقديره أن العدو سيفاجئنا .. رغم كان عمليات الخداع
وعلى هذا الأساس كان تخطيطه لكل تحرك • ولذلك كان مستعدا لكل
احتمال •

ان امامه • نقاط حصينة للعدو • علاوة على السواتر محاطة
بكل أنواع الوقاية • • حقول الغام • • أسلاك شائكة • • سيارات
ميكانيكية • • عدا ثلاثة خطوط احتياطية من الدبابات خلفها • •

وبدأ العبور بالقوارب المطاط ..

وتم تسلق الضباط والجنود للسواتر • • والتقدم كيلو مترين • • في
عشر دقائق فقط • • وكان الوقت المقدر من ٣٠ الى ٤٠ دقيقة !

وظهرت دبابات العدو بعد وصولهم بعشر دقائق • • وبدأت تضرب
ولكن القوات المصرية في نشوة خالدة • • لقد ارتفع العلم المصرى على
الأرض المحتلة • وأصاب الآلاف بهزة فرح خارقة وانطلقت أصواتهم
كالرعد • • الله اكبر • • الله اكبر • كانوا يصرخون في وقت واحد • •
وعلت أصواتهم على دوى المدفعية والصواريخ • • انطلقوا كالمارد • •

وكان القائد يرتب كل شيء على الضفة الغربية • • حتى حان الوقت
المحدد لعبوره • بعد ساعة ونصف • وكانت أعصابه هادئة • بل انه

دخن سيجارة في القارب أثناء عبوره القناة • واستقبله الجنود على الشاطئ الشرقي بالهتاف والتصفيق •• وعلت صيحاتهم •• « ايوه يا وحش » •• وانتشر نبأ وصوله بين وحدات الفرقة •• وكان لهذا أثره في مضاعفة معنويات المقاتلين •• القائد بين ضباطه وجنوده معا •• لتحرير الأرض •

وتسلق العميد حسن ابو سعده الساتر الترابي ، على قدميه •• ولم يستخدم سلم الحبال بل انه وجد ان جهازا لاسلكيا يحمله احد الجنود ، ثقيلًا على كتف الجندي •• فحمله هو بدلا عنه ••

وهو يعبر عن نفسه في هذه اللحظات : وعندما رأيت علم مصر •• شعرت كأنني أرى مصر لأول مرة •• وجه انسانة عزيزة غالية أعرفها منذ سنوات طويلة •• وحولها وجوه كل من حاربوا من أجل مصر •• واستشهدوا من أجل مصر ••

وتم تركيب كل أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية ••

واتصل باللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني •• وأعطى « تمام » •



أول انتصار كان عند موقع العدو امام بحيرة التمساح ••

كان العبور الى هذا الموقع مفاجأة فعلا للعدو •• لأن كل التقديرات أن بحيرة التمساح غير قابلة للعبور •• ما دام العدو لا يتصور ان العبور ممكن منها •• فلا بد أن نعبر منها وعبرت كتيبة • وقابلها حقل الغمام عمقه ٣٠٠ متر •• فتحت فيه ثغرة ••

ثم تقدمت قوة محاصرة موقع العدو ••

ورأى العدو ان المقاومة غير مجدية .. والتقطت القيادة المصرية رسالة لاسلكية من هذا الموقع الى قيادته بأنه سينسحب بعد آخر ضوء .

وتم على الفور اعداد كمين مصرى على مسافة كيلو متر ونصف .. بعد ان تحدد الطريق الذى يمكن ان يسلكه .. وأبيدت قوة العدو المنسحبة .



وقبل أن استطرد فى رواية معارك الفرقة الثانية (للجيش الثانى) .. أحب ان أوضح هذه الصورة ..

السؤال هو .. ان مواقع خط بارليف ، أقيمت بحيث لا يؤثر فيها أى ضرب بمدفعية أو صواريخ .. فاذا كان الجندى الاسرائيلى مطمئنا بداخلها انها لن تتهدم فوق رأسه .. فلماذا يهرب ؟ .. ثم ما هو السبيل الى اجباره على التسليم ؟ ..

والجواب ان المقاتل الاسرائيلى .. أولا .. يحرص على تأمين حياته . هذا عنصر أساسى فى طبيعته القتالية . وكان الهجوم على أى موقع ، قد تم التدريب عليه مئات المرات . هل يكون من الامام .. أو من الخلف .. أو من الجانبين . وكانت الخطة .. احداث ثغره .. للدخول الى الموقع .. ثم القتال وجها لوجه ..

وقد أثبتت الاشارات الملتقطة .. واثبت التسجيل الذى نشرته « السانداى تايمز » من أحد المواقع .. ان الجنود الاسرائيليين داخل هذه المواقع ، كانوا يطلبون نجدتهم بالمدركات أو ضرب المدفعية .. أو ضرب الطيران .. وكانوا يرون القوات المصرية تحيط بهم من كل جانب .. ثم جاءت المدرعات المصرية .. وكانت القيادة الاسرائيلية تعددهم .. وتعددهم .. ولم يتحقق الوعد .. ففكر الجنود داخل المواقع فى

الانسحاب .. أو التسليم .. وفريق منهم أضطر أن يقاتل أمام
موقعه • وكان قتالهم شرسا ..

وفي موقع لسان بور توفيق مثلا .. قاتلوا من داخل الموقع الى أكبر
وقت ممكن .. ثم لم يجدوا مفرا من طلب التسليم تحت علم الصليب
الأحمر •



وفي معارك الفرقة الثانية أكثر من قصة عن سقوط المواقع
الاسرائيلية ..

نقطة جنوب الفردان مثلا ..

لم يستطيع الملازم المصرى قائد الهجوم على الموقع من الامام مع جنوده
فهاجم الى اليسار .. ولكن ضربات مدفعية العدو والطيران .. لم تهيب
له النفاذ الى الموقع ..

فتسلل ضابط آخر ومعه جنديان من وسط الالغام والأسلاك الشائكة
.. وتسلقوا دشمة .. وكان خارج الموقع جنديان أحدهما معه مدفع
رشاش .. قفزوا عليهما .. قتلوا الأول بخنجر • استولوا على مدفعه
ووجهوه الى الثانى .. فتقدمت نحوهم سيارة مدرعة للعدو .. وكان
طيرانه يهاجم أيضا .. فأصاب الاسرائيلين .. فخرج أفراد قوة العدو
من داخل الموقع .. وجرى قتال متلاحم حتى سقط الموقع صباح
٨ أكتوبر ..

وفي الليلة الأولى .. تقدمت ٨ دبابات للعدو لحماية هذا الموقع ..
وتصدى لها الجنود المصريون .. فنسفوا أربعة منها بالصواريخ .. وكان
قائد المفزة المصرية (نقيب) قد أصيب في بطنه .. ولم يتراجع ولم يتخل
عن موقعه .. وأصر الجنود على ملاحقة الأربع دبابات الأخرى المنسحبة
ودمروها •

وهكذا لم يكن القتال سهلاً .. وكانت المعارك دموية قبل عبور المدرعات المصرية .. وبعد وصولها • المقاتلون المصريون متعطشون للأرض .. وبمعنويات قتالية ملتجة ، وخاصة بعد أن نجح العبور .. والاسرائيليون يحاولون تأمين أنفسهم ، لحماية مواقعهم .. ولكن القتال يجرفهم الى المواجهة •

وكان صراع الزمن هو المحك الصعب ..

هل تصل دبابات العدو الاحتياطية في خطوطه الخلفية ، لنجدة المواقع الاسرائيلية • أولا .. أم ان القوات المدرعة المصرية سوف تصل من الغرب قبلها ..

وقد حسبت القيادات المصرية هذا التوقيت .. على أساس استطلاعهم لمواقع دبابات العدو في الخطوط الخلفية .. والمدى الزمني الذي يستغرقه وصولها .. وحساب توقيت تركيب الكبارى .. وعبور الدبابات ..

* * *

وكان السؤال الخطير في احد الاجتماعات العسكرية التي حضرها الرئيس .. وما هو الموقف .. لو وصلت مدرعات العدو الرئيسية قبل مدرعاتنا ..

وكان جواب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني : لا حل الا موقف واحد .. الرجولة والتشبث بالأرض .. وصد دبابات العدو مهما كانت التضحيات •

* * *

ومفاجأة عبور الدبابات ليست بالأمر الهين ..

ان تعطل دبابة واحدة فجأة فوق الكوبرى .. استدعى رفعها بونش

•• واعادتها •• لمرور باقى الدبابات • عملية صعبة فى ظل القصف الجوى
للعدو •• ومع سباق الزمن •• الدقيقة الواحدة لها أثرها فى توجيه
المعركة ••

وقد كانت التعمية حتى فى تركيب الكبارى وعبور الدبابات عليها ••
وأضرب لذلك مثلاً ••

فى هذه المنطقة بين الاسماعيلية والفردان •• هناك موقع على القناة ،
يفتح على طريق مسفلت فى الضفة الشرقية •• والضفة الغربية أيضا •
وهذا الموقع أيضا ، قريب من الطريق الأوسط فى سيناء •

وكان من الطبيعى ان يتصور العدو ان القوات المصرية ، ستقيم كوبريا
ضخما فى هذه المنطقة ••

وفكرت القيادة المصرية ، ان هذا سيكون تصور العدو ••

فأوحت فعلا بأعمال معينة على الضفة الغربية •• انها تستعد لاقامة
الكوبرى •

وكان قائد الفرقة الثانية ، يخرج فى الأيام الأخيرة •• ومعه ضباط ••
وخرائط •• ويظهر أمام قوات العدو على الجانب الآخر •• وكأنه يعد
فعلا ، لاقامة كوبرى فى هذه المنطقة ••

وفعلا فى يوم العبور •• تم أنزال قطع كوبرى (غير حقيقى) ••
وانزلت عليه هياكل خشبية لدبابات ••

وانشغل العدو بضربه بالطيران أكثر من مرة ••

وكان القائد يأمر باصلاحه بعد كل ضرب ••

وكان العدو يعاود الضرب ••

وكان كل ذلك تعمية ، لحماية الكبارى الأخرى الحقيقية .. وتخفيف
وطأة طيران العدو عليها .. واستمرت هذه العملية طوال الليل .. وقد
عاش هذا الكوبرى أربعة أيام يؤدي مهمته بنجاح حتى أغرق !

* * *

وقد تم انشاء الكوبرى الحقيقى الأول فى الساعة الثامنة وعشرين
دقيقة من مساء ٦ أكتوبر وبدأ عبور الدبابات ..

وتم انشاء الكوبرى الثانى بعده بثلاثين دقيقة .. وعاشا الى ما بعد
انتهاء المعركة .

قلت ان الصراع الزمنى الرهيب كان هو العامل الأول .

ولذلك فان قائد الفرقة الثانية ، بعد ان عبر .. وبعد ان أكمل تحديد
موقع قيادته ، وتم تركيب وسائل اتصاله السلكى واللاسلكى .. بقواته
.. وبقيادته فى الجيش الثانى .. كان يعد الدقائق .. لوصول أول دبابة
مصرية ..

ولقد وصلت أول كتيبة من دبابات العدو من خطوطه الخلفية فى
الساعة الثامنة والنصف تماما .

كان العدو يتقدم مجزءا .. تقدم بكتيبة . وتم ابادتها بقوات
المشاة .. ثم تقدم بالكتيبة الثانية ..

وتخرج الموقف ..

وفجأة تلقى القائد الاشارة بالشفرة :

« هالو .. هنا كيتوكو ٣١٧ . تم العبور » ..

وصرخ القائد من فرحته وهو يرسل اشارته ..

— انطق بالعربى ..

وجاء الرد — تم عبور الكوبرى •

وبدأت معارك الدبابات الرهيبة ••



لقد وجد العدو •• ان الجزء الوحيد من الجبهة الذى عبرت اليه
الدبابات ، هو فى هذه المنطقة ، وهى التى تؤدى الى الطريق الأوسط فى
سيناء •• أهم الطرق ••

فركز مجهوده الرئيسى عليها ••

وبدأ الصراع الجبار ••



يوم ٧ أكتوبر :

العدو يضاعف ضربات الطيران ••

العدو يضاعف الضرب على الكبارى ••

العدو يضاعف تحدياته للدفاع الجوى المصرى ،

وعند أول ضوء •• كانت معنويات المقاتلين المصريين فى قممتها ••

أول شمس تطلع عليهم •• وهم على أرض سيناء •

وكان الجنود يضحكون •• وهم يسمونها « الصباحية » ••

بدأ الاحتياطى الكبير لقوات العدو المدرعة •• يصل الى أرض القتال
فى الساعة السابعة من مساء ٧ أكتوبر ••

وبدأ العدو يتصرف بخطة ..

كان تصرفه في النهار الأول .. والليلة الأولى .. والنهار الثاني ..
تصرف الرد على فعل قواتنا وهجومنا والمفاجأة السريعة ..

كان تصرفه رد فعل ..

الآن تصرف العدو .. هو فعل .. مبادرة منه بخطة موضوعة ..

* * *

الساعة الثامنة من مساء ٧ أكتوبر صدر أمر قيادة العدو الى اللواء
١٩٠ مدرعات بالتحرك من بير سبع على الطريق الساحلى .. على أن
يلحق به جزء من اللواء متمركز من قبل * فى العريش ..

وكانت المهمة هى تدمير القوات المصرية فى الفردان .. ثم العبور الى
الضفة الغربية - كما عرف بعد ذلك ..

وبدأت مدرعات العدو تظهر فى الساعة ١١ من صباح ٨ أكتوبر .

ظهرت سرية من ١٠ دبابات هاجمت الجانب الأيسر من قوات الفرقة
الثانية .. وتم تدميرها بالكامل .. واستشهد فى هذه المعركة العقيد فطين
.. الذى منح نجمة سيناء ..

ثم هاجمت سرية ثانية .. دمرنا منها ٦ دبابات ..

ثم هاجمت سرية ثالثة ..

وكان هذا يعنى ان هذه الهجمات المتتالية فى ثلاثة مواقع من الجانب
الأيسر لقواتنا .. تعنى ان وراء هذه الهجمات شيئاً كبيراً .. وخطة .

وطلب العميد حسن أبو سعد قائد الفرقة الثانية ، من دوريات
الاستطلاع ، ان تبحث عما يختفى وراء هذه القوات المدرعة التى هاجمت
ثلاث مرات ..

وكانت نتيجة الاستطلاع ان قوات مدرعة بأعداد كبيرة .. على مسافة من ١٠ الى ١٥ كيلو مترا من مواقعنا في طريق العريش ..

وقد رت دوريات الاستطلاع عدد دبابات العدو من ٧٠ الى ٨٠ دبابة .. وأن موتوراتها ، دائرة .. وتقف متأهبة .. وأن مدافعها في اتجاه الفردان .. أى في اتجاه قوات الفرقة الثانية ..

وتتابعت تقارير الاستطلاع ، بما يؤكد أن معركة كبير تقترب .. ثم التقطنا إشارة لاسلكى تعطى بلاغا من قائد هذه القوات المستعدة أنه سيبدأ هجوما بعد عشرين دقيقة وبأقصى سرعة ..

كانت الإشارة باللغة العبرية طبعا .. وترجمت وأرسلت للقائد المصرى .. واستغرق هذا حوالى ١٠ دقائق .. ومعنى ذلك أنه لم يتبق امامه الا ١٠ دقائق للتصرف ، في كيفية مواجهة الهجوم ..

وقواتنا على مسافة ٥ كيلو مترات من القناة .. وهى التى تشكل رأس الكوبرى ، عند نقطة العبور ..

وكان السؤال امام القائد المصرى ..

هل يصد القوات المهاجمة عند حد قواته الامامى .. ومعنى ذلك ان تتجمع قواته ومدفعاته على الفور عند الحد الامامى لصد الهجوم .. أم ان يترك القوات المهاجمة تتقدم .. وتدور المعركة فى الداخل ؟ .. وكان يجب ان يتخذ القرار على مسؤوليته ..

ولا يكفى ان يصد القوات فقط .. لأن الصد يمكن ان يوقف الهجوم بعض الوقت .. ثم يتابع العدو الهجوم للمرة الثانية ..

وفكر القائد لحظات ..

ان أى معركة على حدود القوات ، لن تمنع العدو من الاختراق .. واذا ركز كل جهده وقواته على الحد الامامى .. فمن الممكن أن يتطور الموقف الى أسوأ .. بعد ان يخترق العدو ..

وكان الأهم ان يحدد القائد المصرى ، استنتاجا ، المكان الذى يستهدفه العدو بعد هذا الهجوم ..

كنت هناك نقطة للعدو فى الجانب الأيسر — على خط بارليف — لا تزال تقاوم .. ولم تقع .. ولم تستسلم ..

وكان من الطبيعى ان يهاجم العدو بالمدركات ليصل الى هذه النقطة .. ومنها يحاول العبور الى الضفة الغربية ..

واستطاع القائد المصرى ان يحدد الخط الذى سيسير فيه العدو فى هجومه ..

* * *

وكان هجوم العدو وبتشكيل دباباته على هيئة رأس سهم .. فى قوات متتابعة ..

وكان يؤمن هجومه .. بغارات طيران مستمرة ..

وأصدر القائد المصرى أمره الى قائد الكتيبة الواقعة على حدود قواتنا ..

— العدو سيخترق فى اتجاهك .. دعه يمر .. قبلت الاختراق .. سيتم ضربه فى الداخل ..

وكان المشهد رهيبا .. أصوات المدرعات المخيفة .. زئير غارات الطيران .. زوبعة مريعة مفزعة من الرمال ..

وكان صعبا على قائد الكتيبة المصرية المقدم «الشهيد» ابراهيم زيدان .. ان يترك دبابات العدو تخترق بدون مقاومة .. لأنه كما يلقبونه استاذ القتال المتلاحم فى المدرعات ..

ولكنه امثالاً لأمر القائد .. نزل في الحفر مع رجاله ..

وسارت دبابات العدو فوق الحفر ..

وفي الوقت نفسه كانت الكتيبة المصرية تضرب على جانبي طريق دبابات العدو بالطلقات حتى تأمن عدم تفرقها الى عدة طرق ..

وكانت مدرعات العدو تجرى بسرعة عالية جدا وهي ٤٠ كيلو مترا ..
والسرعة العادية للمدرعات من ١٥ الى ٢٠ كيلو مترا ..

ولكن العدو شاء ان يكون اختراقه سريعا ومفزعا ..

ان مدى مدفعية الدبابة يصل الى كيلو مترين .. ويجب ان تتدمر دباباته قبل أن تصل الى عمق رأس الكوبرى المتمركز ..

دخلت مدرعات العدو ٥٠٠ متر ..

واصلت التقدم ٥٠٠ متر أخرى ..

ثم بدأ إطلاق النار عليها من جميع الجهات .. من اليمين واليسار وأمامها .. وحتى كتيبة زيدان التي تركت دبابات العدو تخرق .. بدأت تضربها من الخلف .. وكانت هذه الخطة هي مصيدة الموت ..

فوجئت قوة العدو انها في كمين «أرض قتل» كما يقول العسكريون ..

كانوا يهاجمون باثنين وسبعين دبابة ..

وكان ترتيب وقوف قواتنا انتظارا لتطويقهم ، بحيث تصوب أكثر من ٦ مدافع من أنواع مختلفة على كل دبابة ..

ولم يكن ليستطيع الانسحاب .. لأن قوة ابراهيم زيدان ، تقدمت خلفه .. وكانت تضربه في المؤخرة وعلى مسافة ٥٠ مترا ! .. وبعض

الجنود المصريين .. هاجموا وهم جرحى .. وبعضهم هاجم ويده
اليسرى مقطوعة !

وانتهت هذه المعركة الخيالية في دقائق !

ان معركة لواء في العلم العسكري ، تستغرق من ساعتين الى ثلاث
ساعات .. ولكن ما حدث .. كان حدثا فعلا !

ولم يشأ القائد أن ينتظر لكي يتفقد المعركة ..

لقد أمر على الفور ، بمجرد احتراق دبابات العدو .. وتعطلها ..
وتدميرها .. بتطوير هجوم قواته الى الجانب الايمن ..
فاستولى على مركز قيادة للعدو في « تبة الشجرة » .. وهرب منه
جنوده ..

ثم اندفع بقوات أخرى الى الموقع الذي كان لم يستسلم بعد .. وكان
ينتظر وصول لواء المدرعات اليه .. وسقط هذا الموقع في الساعة الرابعة
مساء ، أى بعد أربع ساعات ..

اما قواته على جانبه الأيسر الذي تم منه الاختراق .. فقد تقدمت
الى اليسار لتحسين أوضاعها ..

وبقيت دبابة العدو لم تدمر .. وتحاول الافلات من رأس الكوبرى ..
تصدت لها دبابة مصرية .. ضربتها مباشرة في مقتل .. تحت برجها
مباشرة ..

قفز من دبابة العدو المحترقة أربعة .. جروا وسط الرمال .. وأختبأوا
في حفرة انضم اليهم أربعة آخرون من عربة مدرعة للعدو .. وأصبحوا
كلهم في الحفرة الواحدة ..

دفعنا اليهم سيارة مجنزرة حتى لا يهربوا ..
طوقتهم ..

تقدم اليهم المقاتل فتحى نجيب ومعه عدد من الجنود .. خرجوا من
الحفرة .. رموا السلاح .. رفعوا الأيدي ..

قال واحد منهم بلغة عربية ركيكه : انا قائد اللواء الاسرائيلى ..
عاوز أقابل القائد المصرى •
الملازم : اثبت هذا ..

أخرج الطبنجة .. وبطاقة تحقيق شخصية ..
كان يرتدى حلة عسكرية بلا رتب عليها ..

* * *

وغمى وجهه • ووثقت يده من الخلف • طبقا لمعاهدة جنيف •
وتم الاتصال بالقائد المصرى .. العميد حسن أبو سعده ..

كان القائد منشغلا .. باكمال تطوير الهجوم •

طلب ان يرسل اليه فى الصباح •

تم اللقاء • قال ان اسمه الكولونيل عساف ياجورى •

— وظيفتك .. •

— قائد لواء مدرع ١٩٠ (قالها بالانجليزية) •

— انت ضابط احتياطى ..

— نعم •

— وما هو عملك المدنى ..

— مدير فندق فى تل أبيب •

* * *

وفى اليوم الثامن من أكتوبر أصدر الفريق أول احمد اسماعيل القائد
العام ، هذا النداء •

نـسـدء

من القاءء العام للقواء المسلحة

الى ءميع افرع وتشكيلات القواء المسلحة

يسعدنى ان ابلغكم ان الفرقة الثانية المشاة • قد دمرت اللواء ١٩٠
مدرع الاسرائيلى بالكامل صباح اليوم • وأسرت قائءه العقيد عساف
ياجورى ، وقد بلغ ما تم تدميره من قواء العدو المدرعة فى القطاع
الأوسط صباح اليوم ١٥٠ دبابة •

وانى باسمكم ءمىعا أءىى العمىء أ.ح. حسن أبو سعءه قائء
الفرقة الثانية المشاة ، وضباطه وءنوده وأشد على يءهم فردا فردا ••
كما أقءم شكرى لكل من رجال قواءنا المسلحة فى البر والبحر والءو ،
على كل — ما بذلوه وببذلونه فى أءاء واءبهم ••

ان عءوكم اليوم قد عرف من هو الءنءى المصرى ، ومن هو القاءء
المصرى ، عرف المقاتل المصرى الذى اءىء له الظروف المتكافئة لىءبء
قوته وقءرته وعزمه •

ان عءوكم اليوم فى ذهول من هذا النوع الءءىء من ءنود مصر •
فعلى بركة الله •• ءءءموا اىها الأبطال •
وعلى بركة الله ءققوا النصر لمصر •

فرىق أول أءمء اسماعىل على
القاءء العام للقواء المسلحة

* * *

ونعوء الى الوراء مرة اخرى • الى السادس من اءءوبر الساعءة
السادسة والنصف من المساء ••

انتهت المهام الأولى المكلفة بها قواتنا في الفرقة الثانية .. وهي
تدمير الأهداف القريبة • محاصرة النقاط القوية .. وقد تم الاستيلاء على
نقطة منها • وتم عزل ٣ نقط وحصارها ..

ولم يتوقف القتال ..

بدأ لواء مدرعات العدو .. الرابض خلف مواقعه ويسمى لواء «المليز»
الهجوم بأكثر من ٣٥ دبابة .. تتقدم بأصوات رهيبية .. وكشافاتها
مضاءة ..

دباباتنا لم تصل بعد ..

أمر القائد ، بأن تهاجم هذه المدرعات بـ « أطقم » اقتناص الدبابات •
وسألت محدثي .. ما معنى « أطقم » ..

قال — انها مجموعات من ٣ أو ٤ أفراد .. تقترب من الدبابة على
بعد ١٠٠ متر وتضربها بصواريخ محمولة بالأيدي ! .. وقد تدربوا على
هذه العملية آلاف المرات خلال السنوات الماضية •

وكان هؤلاء المقاتلون يختارون بمواصفات خاصة .. حتى يكون
التعاون بينهم كاملاً !

تقدمت مجموعات المشاة ..

ضربت كشافات الدبابات أولاً •

دمر جزء منها ..

أطفأ العدو باقى كشافاته .. واعتمد على الأشعة تحت الحمراء ..
وهي محدودة المدى .. تقدمت « الأطقم » نحوها ..

هاجمت بعدد كبير .. دمر منها ١٢ دبابة ..

حدث الارتباك • اختلطت الدبابات .. فقدت اتجاهها • بعضها ضرب
بعضه !

كانت هذه المعركة من أول مفاجآت ضرب المدرعات .. بالمشاة ..
بالنسبة للعدو .. الفكرة فيها بسيطة ..

مشهد الدبابة مخيف • حجم كبير • صوت مفزع • مجهزة بمدفعية •
أبسط أسلوب للهجوم .. عليها .. ان تقترب منها جدا .. وتكون في
حماية من ضربها « لكى تهاجم الفيل البد تحت ودنه » كما يقول المثل
العامى • وكان هذا المثل هو التطبيق العملى لحرب المشاة للدبابات

أنها عملية انتحارية .. تحتاج الى شجاعة • حسن رماية • لياقة بدنية •

وقد ساعد فى معركة لواء المليز .. ان احدى دباباته انفجرت وظلت
مشتعلة طوال الليل .. مما سهل لرجالنا مهمة الضرب بالصواريخ •

بعد الضربات الأولى ..

تقدمت كتيبة دبابات أخرى للعدو .. وهاجمت من اليمين .. ودخلت
وسط قواتنا • لم يبق منها الا دبابة واحدة • كلها تدمر • وهربت الدبابة
الوحيدة .. وسارت على غير هدى .. الى ان ضربت .. وتوقفت •

وتم أسر طاقمها •

وسط كل هذه النيران • لم ينس القائد عروسه ! .. لم ينس انه
استمتع بيوم واحد فقط من شهر العسل ! ..

وعندما اتيح الاتصال التليفونى من أرض المعركة .. كان أول صوت
يسمعه هو صوتها !

كانت تبكى من الفرح ..

وكان يضحك من الفرح ..

ان الزوجة لا تنتظر الآن عريسها .. انها تنتظر البطل !

وعاد البطل بعد وقف النار .. ورتبة اللواء على كتفيه !

الفصل الثامن

وحوش ونيران ودمار

●●● « القصة الكاملة لمعارك الدبابات
الرهيبية التي لم تشهد مثلها الحرب العالمية
الثانية . لم تهدأ النيران الا لكي تتجدد أكثر
التهابا . لم تصمت المدافع أبدا . كل الأسلحة
اشتركت في هذه المعارك النووية الوحشية .
الدبابات وجها لوجه . المقاتلون وجها لوجه .
أروع قصص البطولة والاستشهاد . المدرعات
تحولت الى علب كبريت . الصواريخ تملأ
الصحراء . انها قصة الرعب والموت » ●●●

ماذا لو لم تنجح خطة الخداع التي برعت في كتمان كل الأسرار حتى
الطلقة الأولى في ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر ؟ ..

هذا السؤال كان موضع دراسة دقيقة مستفيضة من قيادات القوات
المسلحة على مختلف المستويات •

كان المتوقع ، اذا انكشف السر ، أن يقوم العدو بما يسمى ضربة
أجهاض • أن يسبق في الهجوم • أن يقضى على كل الخطة • • أو على
الأقل يعطلها وبخسائر فادحة من جانبنا •

ولكن هذا الاحتمال ، درس ، بأكثر مما درست تفصيلات خطة العبور
وما تلاها من خطط • درس في وقت أطول • • وبدخول الى كل
الاحتمالات •

كان من الممكن أن يضرب العدو من مواقعه على الضفة الشرقية بنيران
المدفعية ، وأن يهاجم بنيران الطيران • •

وكان من الممكن أيضا أن يقوم العدو بعملية عبور من الشرق الى
الغرب • • ويهاجم قواتنا المستعدة في الأيام الأخيرة ، لتنفيذ مهامها في
ساعة الصفر • •

واذا نجح العدو ، في ضربة أجهاض شاملة • • فقد كان هذا يعنى نكسة
أخرى • • بل هزيمة أشد قسوة من هزيمة ٦٧ • • ويعلم الله متى كنا
نستطيع أن نجتمع قواتنا لحرب جديدة !

* * *

ولذلك درس هذا الاحتمال بعناية شديدة .. ووضعت الخطة المضادة
لضربة الاجهاض المتوقعة ..

كان التفكير المصرى .. ان العدو قد يوجه ضربة اجهاض جزئية ،
اذا لم يسعفه الوقت وكان اكتشافه لنوايا الهجوم المصرى فى وقت
متأخر . أو أن يوجه ضربة اجهاض كاملة .. اذا كان عنصر الزمن فى
صالحه ، واكتشف نوايانا فى وقت مبكر . ووضعت الخطة المصرية
المقابلة للاحتمالين ..

وتم التدريب على الخطة ، تدريجيا قاسيا وصل الى أدق الجزئيات ..
بأكثر مما تم التدريب على العبور والاقترام ..

وكانت الأيام الثلاثة الأخيرة قبل ساعة الصفر .. هى الأيام الفاصلة .
هل يسبق العدو بالضرب ؟ .. هذا هو السؤال الذى شغل ذهن كل قائد
فى جيشنا على امتداد الجبهة .. وكانت كل العيون والآذان مفتوحة ..
لأى تحرك مشبوه من العدو ..

وكانت خطواتنا المضادة لضربة الاجهاض ، تتركز فى ثلاثة اجراءات .

١ - ايقاف الضربة ..

٢ - ثم تدميرها ..

٣ - ثم تنفيذ العبور الى الضفة الشرقية ..

ولم يسمح لى القادة الذين تحدثت اليهم ، بأكثر من هذه الخطوط
العامة .



ومع ذلك .. وفى تقديرى .. أن أية ضربة اجهاض من العدو ، مهما
نجحنا فى امتصاصها كان سيكون لها أسوأ الآثار .. على الأقل فى ارتفاع

خسائرننا قبل العبور .. وفى « الفرکشة » التى كان يمكن أن تحدثها
الضربة .. وفى تبريد الحماس المعنوى الملهب الذى ملأ قلوب جنودنا ،
وهم يعبرون بنجاح ، بنداء « الله أكبر » .. الذى كان يدوى بأقوى
من أصوات الصواريخ ..

وقد ثبت فيما بعد ، ومن الوثائق العسكرية للعدو التى استولت
عليها قواتنا ، ان العدو كانت له خطة اجهاض فعلا ..



لقد نجحت خطة الخداع المصرية • ولم يتأكد العدو من أن هجوما
مصريا سيقع الا فى الساعة الرابعة من صباح ٦ أكتوبر • وعلى الرغم
من أن المعلومات التى حصل عليها العدو ، هى أن الهجوم المصرى كان
سيبدأ فى الساعة السادسة من المساء .. أى أنه كانت أمامه ١٤ ساعة
لتنفيذ خطة الاجهاض أو الاحباط .. فانه لم يتخذ قراره •

وقيل بعد ذلك أن جولدا مائير رفضت اتخاذ القرار السياسى بالمبادرة
بالهجوم ، بحجة انها لا تستطيع أن تقنع العالم ، بعدالة الهجوم ..
وأنها تفضل أن يهاجم العرب ، حتى تكسب التأييد الدولى ..

ولكن الحقيقة غير هذا • لأن اسرائيل لم تكن يوما ، تهتم بالرأى
العام العالمى اذا كانت تتصور أنها معرضة فعلا لخطر من هجوم مصرى •

لقد تراجعت اسرائيل عن خطة ضربة الاجهاض ، لعدة أسباب ..
أهمها انهم كانوا يتصورون ، حتى بعد تأكدهم من معلومات الهجوم ،
أن مصر ستخسر المعركة فيما لا يزيد على اليومين .. وأن اسرائيل
ستتمكن من الابادة الشاملة للقوات المصرية .. فلماذا تبدأ اسرائيل
بهجوم ، وهى واثقة من الانتصار المكتسح السريع ؟ ..

وقد ثبت فيما بعد ، مما أذاعته اسرائيل ، ان موسى ديان وزير
الدفاع ، رفض أيضا ضربة الاجهاض • وعندما بدأ الهجوم المصرى ،

قال تصريحه المشهور ، الذى يعنى أنه سيتمسح القوات المصرية من الوجود ...

وكانت لدى ديان أسباب عسكرية فنية أخرى ..

فلم يكن متيسرا أن يقوم بضربة الاجهاض أو الاحباط ، على اتساع كافة خط المواجهة .. واذا فعل ، فستكون الضربة ضعيفة .. ولو كانت المعلومات عن الهجوم المصرى ، قد تأكدت لديهم قبل ثلاثة أو أربعة أيام .. كان يمكن أن يكون الوضع مختلفا ..



قال لى اللواء عبد رب النبى حافظ (سكرتير عام وزارة الحربية الآن) قائد الفرقة ١٦ التى كانت مكلفة بأشق مهام القتال فى خطة ٦ أكتوبر .. فقد كانت مسئولة عن التقدم فى القطاع الأوسط للجبهة ، المتجة الى العوجة والقسيمة .. وكان القائد الاسرائيلى الذى يواجهه هو ايريل شارون الذى تسلم القيادة بعد أن استدعوه من مزارعه فى بير سبع ، وقطع ٢٢٠ كيلو مترا حتى وصل الى مقر قيادته فى الطاسة ..

قال لى اللواء عبد ربه (هكذا ينادونه) ..

— لقد وضعنا توقعيات عديدة لاحتمالات ضربة الاحباط من العدو .. وخاصة فى الأيام الثلاثة الأخيرة .. وقبل كل توقعيت ، كنا نستعد بكل أعصابنا وقواتنا .. لتنفيذ الخطة المضادة .. حتى جاءت الساعة السادسة من صباح يوم ٦ أكتوبر .. ولم يهاجم العدو .. فلم تبق أمامه الا فرصة واحدة .. كان تقديرنا أن تكون الساعة العاشرة من الصباح .. وتجاوز عقرب الساعة رقم ١٠ .. فامتلا قلبى بالتفاؤل .. ليس أمام العدو فرصة أخرى .. ومن هنا تركت موقع قيادتى .. ومررت على القوات .. وأطمأنت الى أن كل شىء معد تماما لساعة الصفر ..

القوات فى أوضاع الهجوم .. بعد أن تمت إعادة تجميعها ، فى المواقع

التي ستثب منها الى مهامها .. كل معدات العبور في مراتبها .. كل قيادة صغيرة تعرف مهامها بدقة بدقيقة ..

ان خط المواجهة في هذا القطاع الأوسط يمتد ٤٠ كيلو مترا ، من منتصف بحيرة التمساح شمالا ، الى منتصف البحيرات المرة جنوبا . العدو على الضفة الشرقية له نقطتان في الدفرسوار ونقطة ثالثة في تل سلام على البحيرات المرة ، تؤمن نقطتي الدفرسوار . ومركز قيادة العدو المجهز في منطقة الطالية (تم الاستيلاء عليه مساء ٨ أكتوبر) ..

التخطيط هو التقدم .. والتعاون مع الفرقة الثانية شمال الاسماعيلية ، لتشكيل رأس شاطئ للجيش الثاني ..

هجمات العدو متوقعة . الدراسات الدقيقة لتوزيع قوة العدو ، وخطوط احتياطية ، أوحى باحتمالات هجماته التي وصلت في المعركة الى ١٨ هجمة دموية . عمليات الاستطلاع التي استمرت سنوات ، أعطت صورة دقيقة شاملة ، لمسرح العمليات أمامنا .. الاستطلاع بالنظر من الأبراج . تقارير عملائنا وسط صفوف العدو . التصوير الجوي . حتى أننا وضعنا « ماكينات » لحصون العدو من الخارج والداخل .. وكأننا كنا نعيش بداخلها !



وأرجو أن أتمكن من تسجيل معارك القطاع الأوسط .. يوما بيوم .. كما سمعتها من قادة هذه المعارك ، حتى يعيش القارئ معارك الدبابات الكبرى ، التي كانت أضخم بكثير من أكبر معارك الدبابات في الحرب العالمية الثانية .. ولم يكن موشى ديان ليتوقع أن تصل هذه المعارك ، الى هذه الدرجة من الضراوة والدموية عندما وعد بسحق عظام المصريين . فقد عاد في رابع أيام القتال ليقول أن معارك بهذه الدموية وبهذه الخسائر الفادحة لا يمكن أن تستمر طويلا . وهذا حق فقد اشترك فيها من الجانبين أكثر من ألف وخمسمائة مدرعة .. وكان القتال يجري في كثير من الأحيان ، مواجهة بين عشرات المدرعات التي لا يفصل بينها أكثر من

مائة متر ! •• ويسجل التاريخ بالفخار للجندى المصرى ، أنه لم توجد دبابة مصرية محترقة على أرض المعارك ، الا وكانت فوهة مدفعها (الماسورة) فى مواجهة العدو •• وقد رأى شهود العيان ، دبابات اسرائيل المحترقة ، وعدد كبير منها متجة الى الشرق تسلا من رهبة المعركة ••

وكاتب هذه السطور من هؤلاء الشهود •

٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

حانت ساعة الصفر • العميد عبد رب النبى فى موقع الملاحظة على الضفة الغربية الذى يبعد ٩٠٠ متر فقط من الشاطئ ، وفى مكان مرتفع يرى منه كل شىء • الساعة الثانية ودقيقتان •• انطلقت الطائرات المصرية على ارتفاع منخفض جدا ، وكأنها زاحفة فوق الرؤوس •• (على ارتفاع ١٥ مترا) •• اتجهت الى جميع مواقع مطارات العدو ومراكزه المؤثرة ••

شعور شامل بالارتياح والأمل ••

بدأ التاريخ يكتب أول سطور الملحمة ••

القوات الامامية للعدو أذهلتها المفاجأة • لم تفتح نيرانها ! سمعنا أصوات اشتباك الطيران فى العمق •• أول بشرى لنجاح أول ضربات الخطه •

الساعة الثانية و ٥ دقائق • المدفعية المصرية تصب نيران جهنم على امتداد الجبهة • بطاريات مدافع العدو بدأت التدخل • أسكتناها •

الساعة الثانية و ٢٠ دقيقة عادت الطائرات المصرية ••

التهب الحماس ••

أطقم اقتناص الدبابات تنزل الى الماء • بدأ العبور • صرخة الايمان
المدوية « الله أكبر » تهز الأجواء •

الموجات تتدفق • العدو يتدخل بالمدفعية • اسكتناها • الطيران
الاسرائيلي لم يظهر بعد • معابر الاقتحام يتم تركيبها • معابر الناقلات
البرمائية تظهر على الشاطئ ، وتمتد سريعا الى وسط الماء • المعديات
يحملها مئات الرجال • قطع الكبارى تظهر من مكانها • المهندسون
الأبطال يتحركون بأسرع من الطلقات ••

عالم جديد •• ولد في لحظات •• ولا دقيقة للضياع • الكل يعرف
واجبه •• الكل يعرف أنه معرض للضرب بكل أنواع الصواريخ • لا شيء
يهم • المهم فقط أن نعبر • هذا هو اقتحام الموت كما لا يستطيع أن
يسجله خيال الكتاب • مصر تبدأ الميلاد الجديد •

عشرات من الرجال يصلون الى الشاطئ الآخر • أصبحوا مئات •
أصبحوا آلاف • أعلام مصرية ترفع • رجال يبكون • الكل يقبل التراب
والرمل والطين • لا تهمه طلقات الرصاص حوله أو أمامه • كأنها ناموسة
بجوار أذنه • الكل يؤدي مهامه • يأخذ مواقعه • جنود مشاة بأسلحة
خفيفة وصواريخ الكتف قاتلة الدبابات •

الساعة الخامسة • فرقة المشاة كلها على الشاطئ الآخر • وكتيبة
برمائية عبرت من منتصف بحيرة التمساح • وكانت هذه هي المفاجأة •
ان هذه البحيرة مشطوب عليها من العسكريين في أية خطة • الماء
ضحل • ولا يصلح لأي عبور • ولكننا أخذنا المواقع والأساليب التي
لا يتوقعها العدو • استفدنا تماما من الدروس السابقة •

وكان قائد الفرقة قد عبر •

وهذا هو المبدأ الذي التزمت به ملحمة ٦ أكتوبر • القائد في الصف
الأمامي وسط الجنود يدير المعركة معتمدا على الرؤية الشخصية في قلب
اللهيب والنار • وقد نتج عن هذا نسبة خسائر كبيرة في القيادات •
ولكنها سطور فخار •

استولى الجنود على المصاطب الترابية في الشرق .. تسلقوا بأسرع
من لح البصر • القائد في موقع قيادته الجديد ..

الاقترام الأول بدأ بعد ٤٥ دقيقة من العبور •

المشاة المصريون أمام دبابات العدو التي بدأت تهاجم من الجانبين
بالاحتياطي القريب • اشارت عديدة تصل الى القائد • « ظهرت دبابات •
أننى قادر على تدميرها » .. الاجابة على الفور « تصدق • دمرها » ..
فشلت الهجمات المضادة • القائد يصدر أوامر التقدم شرقا لتنفيذ المهمة
الثانية • الكل يجب أن يكون في موقعه على الخط الجديد على أبعاد
تتراوح بين ٤ و ٦ كيلو مترات شرقا • الكل يستعد للضرب انتظارا
لوصول مدرعات العدو •

هذه أخرج الأوقات •

الوقت المحدد لعبور الدبابات ووصولها الى المواقع الشرقية هو
التاسعة مساء و ٢٠ دقيقة • على أحسن تقدير •

المشاة ستظل وحدها تقاوم هجمات المدرعات •

ماذا لو نجحت هجمات العدو ، قبل أن تعبر الدبابات ؟ ستستطيع
دبابات العدو أن تصل الى الشاطئ • ستوجه نيرانها على المعابر
والكبارى وتعيق العبور • لقد دمرنا الاحتياطي الأول • بقى أمامنا
الاحتياطي الثانى من مدرعات العدو • لحظات فاصلة • سنقاتل بشراسة
مهما كلفنا الأمر • هذه هى الحماية الحقيقية للعبور .. بل لكسب المعركة
كلها .. لقد قدرنا أن نتجح هذه المفاجأة التكتيكية ، وهى تواجد تسليح
مدرّب على الضفة الشرقية ، فى توقيت لا يتوقعه العدو .. وفى أمكنة
تفاجئ هجماته المضادة .. كان المكان الذى تم منه العبور مفاجأة •
استخدام البرمائيات (عربات مدرعة برمائية ذات تسليح خاص) ..
كان مفاجأة ..

الانتشار السريع في أماكن تتجاوز مواقع العدو الحصينة •• كان مفاجأة أخرى • المشاة تواجه المدرعات •• مفاجأة رابعة • حدث الارتباك العظيم •

ولكن هذا لا يمنع أن عبور الدبابات كان هو المقياس الفاصل للنجاح ••

القائد يواجه موقفا رهيبا • قواته من المشاة في الشرق •• وأسلحته في الغرب •• وبينهما القناة! •• أى اختلال في التوقيت يهدم الخطة كلها •

وبدأت الدبابة الأولى تعبر في الساعة التاسعة و ٢٠ دقيقة من المساء •

كان صوتها المزعج •• هو أحلى أغنية سمعها القائد !

ولكن كل ما حضر له منذ ٦ سنوات ، وبتدريبات يومية تعرض أيضا للمفاجآت !

العبور لم يكن نزهة • طائرات العدو تغير • مدفعيته تضرب • ضوء القمر النصفى لا يسعف • قذائف الأنوار تنطلق ولكن للحظات خاطفة •

دبابتان برمائيتان غرقتا في الماء • ليس هذا أمرا سهلا • الكوبرى الأول تعطل • المرساة لم تكن مضبوطة تماما • غرست دبابة عند وصولها • وراءها مئات الدبابات واقفة • ضربة من العدو من الممكن أن تحطم العبور كله • ونش يجب أن يصل الى الضفة الشرقية • ينتشل الدبابة • المهندسون الأبطال يصلحون مرساة الكوبرى • الدبابات الواقفة تتقدم • الدقيقة لها ثمن ، هو الانتصار أو الانكسار • الكوبرى الثانى ضرب • لا بد من ابدال الوصلة من احتياطي قطع الكبارى المخأ على الشاطئ • اقتضى الأمر بعد ذلك تحويل الدبابات كلها الى كوبرى واحد • والفاصل بين الكوبرى رقم ١ والكوبرى رقم ٢ يزيد على ٥ كيلومترات !

أن تحويل المرور من كوبرى الزمالك الى كوبرى قصر النيل ، يربك شوارع القاهرة كلها • فلنتصور تحويل عبور الدبابات من كوبرى الى كوبرى •• والنيران تغطي السماء ! •• والقائد في الشرق يستعد لتطوير الهجوم •• ليواجه هجوما اسرائيليا مضادا • ولكن المراسلين الأجانب

شهدوا بأن مرور العبور بالدبابات كان أكثر تنظيماً من مرور السيارات
في القاهرة! ..

القوات تتدفق • كل وحدة لها نور خاص ملون حتى تعرف مواقعها •
ولها دليل يقودها الى الموقع • ومن الممكن أن نتخيل الصورة في الظلام ••
والعابرون وصلوا في النهاية الى أكثر من ٥٠ ألف مقاتل في الجيش الثاني
فقط وحتى صباح يوم ٧ أكتوبر ، وعلى اتساع هذه الجهة العريضة ••
وبمختلف الأسلحة التي تعرفها الحروب الحديثة •• وبكل الأجهزة
الدقيقة ! العدو يزداد ارتباكاً • العدو يطلق النيران في كل
اتجاه • تاهت دبابتان للعدو وسط قواتنا • وجدناهما على الطريق
•• ثم تدميرها على الفور • تراشق النيران مستمر • العبور البالغ
السرعة أفقد العدو القدرة على القيام برد فعل • لا هجوم الليلة على
مواقع بارليف القوية • المهم محاصرتها واسكات نيرانها ، لمنعها من
الانسحاب •• ولحجب وصول أى امدادات اليها • كل الجهود الرئيسية
مركزة الآن في مواجهة الخطر الكبير من الهجمات المضادة المتوقعة من
احتياطات العدو في العمق •

أول هجمة مضادة في العاشرة من المساء من احتياطي العدو •

تم تدمير الهجوم •

نقط الملاحظة تتقدم • التصنت على الأصوات • استراق اشارات
العدو اللاسلكية •• المعلومات تتجمع •• القائد مع مجموعة القيادة ،
يستعد للمعارك المقبلة ••

الحرب في ليلتها الأولى لا تعرف النوم !

٧ أكتوبر :

القائد منذ الفجر يتفقد كل مواقع القوات • الأوامر مستمرة لتعديل
المواقع ، وحل المشكلات المفاجئة • عبور الدبابات مستمر • العدو يبدأ

هجوما كبيرا في الثامنة والنصف صباحا في الجانب الأيمن للقوات من اتجاه حبيطة • قوة الهجوم ٥٠ دبابة ووحدة مشاة ميكانيكية • أمكن صدها وتحقق تدمير ٢٠ دبابة • المعركة على بعد ٣ كيلو مترات فقط من مركز القيادة • مسرح العمليات أمامه يراقبه ويوجهه بالعين المجردة • المعركة دائرة وطيران العدو يركز ضرباته منذ أول ضوء على جميع مناطق العبور • حائط الصواريخ في الضفة الغربية يؤدي مهمته بنجاح ساحق • قوات من الدفاع الجوي كانت قد انتقلت شرق القناة • المعارك بكل أنواع الأسلحة • القوات الجوية تنطلق في طلعات اعتراض • الملاحظ اننا تمكنا من كسر موجات هجمات العدو بالطيران • كانت على ارتفاع منخفض • كل موجة من ٨ طائرات الى ١٢ طائرة • وكل مجموعة ٤ طائرات • الأخبار سارة • الضرب على المعابر غير مؤثر بسبب كفاءة الدفاع الجوي • الغرور الاسرائيلي هيا لهم أنهم قادرون ، على ما فشلت فيه قوات الطيران الأمريكي في فيتنام • (قالت البعثة العسكرية الأمريكية التي جاءت الى المنطقة لدراسة حرب أكتوبر ، أن اسرائيل لم تأخذ العبرة من درس فيتنام) • كل هذه الطلعات لم تحدث أصابة مباشرة الا في كوبري واحد • صاروخ أصاب أحد البراطيم • فك البرطوم • • أبدل بآخر من الاحتياطي المجهز على الشاطئ الغربي • •

• • • • •

هجوم ثان من العدو بالمدركات عند الظهر • من نفس قطاع الهجوم الأول • قوة الهجوم ٥٠ دبابة • دمرنا ١٥ • تراجع العدو • استمرت المعركة أكثر من ساعتين •

• • • • •

قواتنا مستمرة في التقدم • الهدف الوصول الى منطقة « الطالية » وتطويقها • التعبير العسكري أن الطالية • • هيئة متحركة بسبب ارتفاعها — ٣٤ مترا — تسيطر على الأرض حتى القنال • كانت هذه هي المهمة الأولى ابتداء من بعد العبور مباشرة •

أمكن تحقيق الجزء الأكبر من المهمة • •

لابد بعد ذلك من السيطرة على ثلاثة مواقع تحيط بالطالية •

* أبو طربوش •• وارتفاعها ١٠٩ أمتار •

* الخيل •• وارتفاعها ١٢٣ مترا •

* أبو وقفة •• وارتفاعها ١٠٣ أمتار •

* بير حبيطة •• وارتفاعها ٨٧ مترا ••

على يسارنا •• قوات الفرقة الثانية من الجيش الثانى ••

هناك فاصل ••

التقدم يعنى أيضا الالتحام مع قوات الفرقة الثانية وتكوين رأس
كوبرى موحد •• اسمه العسكرى •• رأس كوبرى جيش ••

• • • • •

استمر الليل هادئا من المعارك حتى الصباح •

تراشقات بسيطة بالنيران •

العدو يستعد لهجوم جديد •

قواتنا تستعد للتقدم ومواجهة الهجوم •

الساعة الثالثة صباحا • من حق القائد أن يستريح ساعة واحدة فقط •

٨ أكتوبر :

العدو يهاجم الجانب الأيسر للقوات مرة ثانية ، فى الثامنة صباحا •
نفس الاتجاه •

بدأ الهجوم بـ •• دبابة • لم ينجح •

العدو يعاود الهجوم .. فى نفس الاتجاه فى الساعة العاشرة والنصف
صباحا • قوة الهجوم ٥٠ دبابة •
المعركة تستمر ثلاث ساعات •

• • • • •

قواتنا تستغل هذا النجاح ، لتحقيق المهمة النهائية • الاستيلاء على
مواقع الخيل ، وأبو طربوش ، وأبو وقفة •
أوامر اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بتطوير الهجوم وذلك
بالتعاون مع الفرقة الثانية وفى نفس الوقت •
القوات تتقدم فى ثلاث اتجاهات كما تتقدم الفرقة الثانية من ثلاث
اتجاهات أخرى •

• • • • •

الساعة الرابعة مساء • العدو يعاود الهجوم على يسار قواتنا ، لكى
يمنع الاتصال مع قوات الفرقة الثانية • الهجوم بالغ العنف هذه
المررة •

عند آخر ضوء .. أمكن التحام قوات الفرقتين • تم انشاء رأس
كوبرى الجيش الثانى • تجهيز المواقع الجديدة • القادة يتبادلون التهانى •
تم اخلاء الجرحى • والشهداء • اصلاح الدبابات التى أصيبت ولا تزال
قابلة للعمل • حفر الخنادق طوال الليل • مشاورات بين قادة مختلف
الأسلحة لتعديل المواقع • وحدات الاستطلاع تقدم المعلومات • اشارات
من القيادة فى القاهرة ، بما التقط من اتصالات العدو •

استخدم العدو حوالى ١٥٠ دبابة • تركيز متتابع على الجنب الأيسر •
قائد لواء اليسار العقيد عادل يسرى يدير المعركة من الحد الأمامى
• القائد البطل يصاب فى ساقه اليسرى بطلقة دبابة • الاصابة
شديدة • الدم ينهمر • القائد يرفض أن تقدم له معونة من

أى فرد ، بعد أن فشل رباط الميدان فى وقف النزيف • المقاتل
الشامخ يقفل الجرح برمالم سيناء ! • لم يكن مجرد جرح •
لقد فقد ساقه بأكمله • طارت الساق من عنف الاصابة • استمر يقاوم
نزيفه بساق واحدة • • وهو يصدر أمرا لا يقبل المناقشة • « استمروا
فى القتال » • القذائف تدوى • زوابع الرمال تغطى المكان كله • صرخات
انتصار • وصرخات موت • • صرخات حياة • • وصرخات هزائم • •
دبابات تحترق • أحياء يتحولون الى فحم فى دقائق • القتال لا يتوقف •
وأخيرا وبعد أكثر من أربع ساعات • • قدر العدو أن تقدمه مستحيل •
بدأ يتراجع • • قائد اللواء البطل العقيد عادل سليمان يسرى ، لا يزال
يتابع المعركة بساق واحدة • رمال سيناء لم تقو على اندفاع الدم •
كان دمه متعطشا الى مزيد من الرمال • • لواءه يسجل الانتصار • والعدو
يتقهقر • وامتزجت دموع الألم من عيون رجاله بدموع الانتصار • •
لحظات عجيبة • النقيض يمتزج بالنقيض • • الحياة والموت • الألم
والفرحة •

ولكن الحرب يجب أن تستمر !

تم اخلاء العقيد البطل الى المستشفى حيث أسعف بالعلاج •

العميد عبد رب النبى يتلقى النبأ القاسى باصابة البطل •

ما أقسى مهمة القائد •

لا وقت حتى للألم •

لابد من الاعداد السريع لاستكمال المهمة • •

ولكن القائد انسان • جاء اليه من روى قصد الجريح البطل • أبلغ
قيادة الجيش الثانى باشارة عاجلة • فى نفس اللحظات يتلقى أشارة
مفرحة • قائد اللواء المكلف بمهاجمة نقطتى الدفرسوار أنجز مهمته •
أتم هجوه من أجناب الموقعين الحصينين • • ومن الخلف • الاشارة
تقول « تم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار • تم أسر
٣٧ من قوات العدو » •

الإشارة تقول « تم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرسوار •
تم أسر ٣٧ من قوات العدو » •

الرد العاجل « ألف مبروك • أرجو أن يتم التمسك بهذه النقط
وآلا يسمح للعدو باستردادها مهما كانت الأسباب • رحلوا الأسرى الى
الخلف » ••

يتبين بعد ذلك أن اثنين من الأسرى من قوات البوليس الدولى • قصف
المدفعية حول كشك البوليس الدولى الى قطعة من النار كما قالا بعد
ذلك • اضطروا الى الاحتماء داخل ملاجئ الحصين • شاهدوا قتالا
مرعبا • الفاصل بين القوتين لم يزد عن ٦٠٠ متر فقط ! ••

كان العميد عبد رب النبى يتمنى أن يرى هذا الطابور الطويل من
الأسرى • ولكن لا وقت أيضا ، حتى للاستمتاع برؤية أسرى الجيش
الذى كان يتصور أنه لا يقهر ••

انها الحرب التى تؤجل كل العواطف ••

كل ما يمضى يدخل التاريخ ••

واللحظة الجديدة استعداد لكتابة تاريخ جديد ••

وطوى سجل الحرب صفحات هذا اليوم ••

وأشرق فجر جديد ••

٩ أكتوبر :

القائد يقول أن العدو حتى الآن لم يقم بالهجمات الحاسمة النهائية ••
أن محاولته منع الالتحام مع الفرقة الثانية كانت أول مؤشر لضرباته
القوية المقبلة • طوال ليلة أمس ، الاستعداد لهذه الضربة • المعلومات
أنه حشد اللواء ٦٠٠ مدرع بالإضافة الى القوات الموجودة أصلا لديه •

في التاسعة صباحا بدأ الهجوم بحوالي ١٥٠ دبابة ..

الاستطلاع يقول أن هجوم العدو على مدى المواجهة كلها .. صفوف
من المدرعات تظهر على شكل نصف دائرة ..

القائد يقدر الموقف سريعا ..

ليس هدف العدو هذا الهجوم المواجه .. ليست هذه كل قواته .. الهدف
هو أن يشغل قوات المواجهة ، حتى يختار نقطة ضعف يخترق منها بقوة
وسرعة وبأعداد ضخمة لا تزال في الخلف وبذلك يشطر قطاع الفرقة
الى شطرين .. ومن ثم يستطيع النفاذ والوصول الى شاطئ القناة ..

ولهذا احتفظ القائد بجميع الاحتياطيات في الخلف وعلى الأجناب
حتى يتبين اتجاه الضربة الرئيسية للعدو ..

في التاسعة والنصف .. اندفع العدو الى منتصف التشكيل بقوة
اللواء المدرع ٦٠٠ بالكامل ..

احتياطينا المدرع والمضاد للدبابات يدخل بهجمة مضادة عنيفة ..

القتال لا يتوقف ..

العدو يحاول شغل الأجناب .. ويعود الى الاقتحام .. من الوسط ..
قواتنا تتصدى ببسالة خارقة .. المواجهة بين الدبابات لا تريد على
مائة متر !

قناصة الدبابات يقومون بأعمال خرافية ! ..

الاقتراب الى بضعة أمتار من الدبابة المهاجمة لا يخيفهم ..

مجموعة منهم دمرت ٢٤ دبابة ، على التوالي ..

العدو يرتد .. ولكنه يعاود التقدم ..

محاولات مستميتة من الاسرائيليين لنقل جرحاهم ..

الدبابات تحترق كأنها من خشب •• بل من ورق ••

المشهد مربع •• المواجهة واسعة •• موقع الطالية مرتفع تستطيع أن ترى منه الدبابات المنتشرة تواجه بعضها •• وكأنها علب كبريت صغيرة سوداء •• النار تشتعل كأنها عود كبريت • التلسكوب يقرب المشهد •• أبشع مجازر الحرب • لا رحمة • لا هواة • كر وفر والتفاف • كل فنون قتال المدرعات على مسرح العملية الرهيبة • المدفعية ترمجر من الجانبين • اشتباك الطيران لا يتوقف • الصواريخ تملأ الفضاء • دخان ووهج وأتربة ودماء ••

مشهد التاريخ يستمر سبع ساعات كاملة حتى الرابعة والنصف !

لقد زرت هذه المنطقة بعد المعركة ••

كنت أتمنى أن تبقى كل آثار المعركة في موضعها •• لتزورها الأجيال • بقيت بعض الآثار • ولكن كثيرا من الدبابات المحترقة قد رفعت بالأوناش ونقلت لتستخدم كحديد خردة ! ••

قائد الجيش الثانى اللواء سعد مأمون يتابع المعركة دقيقة بدقيقة ويعاون الفرقة بامكانيات عديدة •

الساعة السابعة مساء •• القائد العام الفريق أول أحمد اسماعيل يرسل برقية مكتوبة الى العميد عبد رب النبى حافظ يشيد فيها بموقف الفرقة البطولى في صد وتدمير اللواء المدرع الاسرائيلى ٦٠٠ ويتمنى للقوات استمرار النصر ••

العميد عبد رب النبى •• يأمر بابلاغ تهنئة القائد العام الى قادة اللوائت ومنهم الى الجنود ••

الروح المعنوية في قمة ازدهارها •• في الصباح التالى وصلت ١٠ نسخ من جريدة القوات المسلحة وفيها نص التهنئة • الجنود يتخاطفون هذه الاعداد القليلة • الأعداد العشرة تنتقل من يد الى يد ليقرأها الآلاف !

القائد يتابع اشاراته لقيادة الجيش الثانى بنتائج المعركة • الأرباح والخسائر • فقدنا اليوم بطلا كبيرا •

الشهيد العميد شفيق متری سدراك قائد اللواء الأوسط •

كان في سيارته المدرعة ، يدير المعركة الدفاعية ضد أقوى هجوم
على رأس شاطئ الفرقة في كتيب أبو طربوش •

كان في الخط الأمامي يواجه خطر الموت كل لحظة ••

أرتد الهجوم •• ولكن طلقة دبابة أصابت سيارته •• فتحولت بمن
فيها الى رماد في لحظات !

١٠ أكتوبر :

يوم آخر مشهود • هجمات العدو لم تتوقف •

بدأت في الخامسة صباحا • نفس الهدف • اختراق التشكيل من
الوسط للوصول الى القناة •

الهجوم هذه المرة بأعداد أقل • سبعون دبابة بعد تمهيد المدفعية
والطيران •

ولكن العدو لم ييأس ! ••

بدأ هجوما ثالثا على يمين التشكيل في الخامسة من المساء • وانتهى
أيضا الى انسحابه •

الخسائر كبيرة من الجانبين في العتاد والأرواح •

كل هذه المارك في قمة الشراسة والضراوة • ان العدو الاسرائيلي
عندما يقاتل باعداد كبيرة ، وبعد أن يؤمن نفسه بضرب المدفعية وحماية
الطيران ، فانه يقتحم المعركة بكل قواه •• ويستخدم كل فنون التكتيك ••
ولا يهرب من المواجهة • هذه حقيقة يجب أن نسجلها •

العدو دائما يتجنب الخسائر الكبيرة •• هذه فلسفته القتالية •

وهو يحاول بالحيل العسكرية ، أن يختار منافذ الضعف ، ويجيد استغلالها • وهو يستخدم أسلوب الارباك في أكثر من جهة بأعداد قليلة ، ثم يقتحم بكل قواه •• وهو يقاتل الى آخر المدى ••

وهو في اليومين الآخرين ، كان قد تمالك نفسه ، وتخلص من ارتباك مفاجأة العبور •• ونظم قياداته ••

وكان يريد أن يحقق هدفا واحدا •• الاختراق بأي ثمن للوصول الى شاطئ القناة •• ثم العبور الى الغرب •

وحتى الآن فشل في تحقيق هذا الهدف •• وبخسائر ضخمة •

وسألت قائد الفرقة ١٦ :

— يقولون أن العدو يقاتل بالأسلوب الغربى •• أى أنه لا يعتمد على الكثافة •• ونحن نقاتل بالأسلوب الشرقى (السوفيتى) وهو الاعتماد على الكثافة العددية •• ومن هنا كانت خسائرنا في معارك هذين اليومين كبيرة رغم أننا احتفظنا بمواقعنا ••

وأجاب :

— في رأيى أن كلا الأسلوبين الغربى والشرقى •• هو قتال بأحدث الفنون العسكرية • ولكن المهم هو التصرف أثناء المعركة • ولا توجد قواعد جامدة نظرية تطبق على أرض المعركة • الموقف وتطوراته ومفاجآته •• كلها تتحكم في الأسلوب سواء كان غربيا أو شرقيا ••

* * *

١١ أكتوبر :

هجمات العدو المضادة مستمرة •

التركيز على الجانب الأيسر •

الهجمات لا تزال قوية •

١٢ أكتوبر :

ضعفت هجمات العدو • وضح الارهاق • كان ينتظر تجمع الاحتياطيات •
استولينا على النقطة القوية من خط بارليف في تل سلام • رفع عليها
العلم المصرى •

نجا العميد عبد رب النبى من الموت بأعجوبة ! •• كان يمر في جولة
تنظيمية على قواته ، في سيارة جيب يقودها مساعده والى جواره ضابط
العمليات وهو في الخلف • كان على الخط الأمامى في كثيب أبو طربوش ،
وهو في طريق العودة الى الطالية • ضرب الطيران من العدو كان مركزا •
رأوا فجأة غمامة سوداء متسعة نتيجة انفجار أمامهم • أضطر قائد
السيارة (مساعده) أن ينحرف بها ، وبسرعة جدا ، ٩٠ درجة • أى أنه
دار بسرعة على شكل زاوية قائمة • وانطلق بالسيارة وزجاجها قد تهشم ،
وضغط الانفجار كاد أن يقذف بالسيارة في الهواء • توقفوا بعد أن
انقشعت الغمامة • هي نتيجة انفجار دانة ألف رطل ! •• تضخم اطار
العجلات من شدة الحرارة ، وتحول الى بالون ! •• عادوا الى موقع
الانفجار • تبين أن حفرة الانفجار كانت تبعد عن موقع انحراف
سيارتهم بثمانية عشر مترا فقط ! •• لو كانوا قد تقدموا ثانية واحدة ••
لتحولوا جميعا الى رماد ••

* * *

هذه هي المرة الثانية التى ينجو فيها من الموت بأعجوبة •• المرة الأولى
كانت يوم العبور •• وبعد أن استقر في موقع قيادته على الضفة
الشرقية • انفجر صاروخ من العدو بالقرب من موقع القيادة وهو
واقف على بعد ٦ أمتار فقط ! ••

* * *

ومن قبل استشهد قائد لواء وجرح قائد لواء آخر من الفرقة ••
وما أروع تقديرنا لبطولة القادة عندما نعرف أن الفرقة مكونة من
ثلاثة ألوية !

١٣ أكتوبر :

بدأ العدو يسحب قواته من الجانب الأيسر • سحب النيران لا تزال
تملأ الفضاء • استعدنا كفاءة التجهيز • المهندسون يبذلون جهداً رائعاً
فوق طاقة البشر • السيطرة من جديد على كافة المواصلات • استمر
الحفاظ على رؤوس الشواطئ • تطوير الهجوم بالمدركات • عناصر
مدرعة جديدة تنضم الى التشكيل • احتياطات جديدة للعدو تصل من
جبهة سوريا • معارك تصادمية بالدبابات بدأت من السادسة والنصف
صباحاً • لم يحقق العدو أهدافه •

اشارات عديدة متبادلة بين قيادة الجيش الثاني •• وقيادة الفرقة •

الدروس المستفادة من معارك الأيام السابقة •

في ٨ و ٩ و ١٠ أكتوبر خسائر العدو فادحة جداً في المدرعات
والأرواح • بدأت بعد ذلك تظهر أسلحة جديدة • في القطاع الشمالي
استولينا على دبابتين دائرتين هرب منهما الأفراد ، دون إصابة الدبابة •
عداد الدبابة كان متوقفاً عند الكيلو ١٧٠ • عرف أن الامدادات الأمريكية
تصل الى العريش •

١٤ أكتوبر :

صدرت أوامر القيادة العامة بتطوير الهجوم واكتساب مواقع جديدة •

العدو يتصدى بعنف • ظهرت أسلحة جديدة • الصاروخ الأمريكي
« تاو » ميزته أن أرضه الميتة قصيرة المدى • كل صاروخ عندما ينطلق ،
لا يبدأ توجيهه بالسيطرة الا بعد مسافة •• هذه المسافة تسمى الأرض
الميتة • هذا الصاروخ يمتاز بأن السيطرة عليه وتوجيهه تبدأ بعد انطلاقه
بمسافة قصيرة جداً • وهذا يضعف فرصة أصابته في هذه المرحلة •
كما أنه قادر على إصابة الهدف ليلاً وبدقة •

ليس هذا هو السلاح الأمريكى الجديد الوحيد الذى ظهر فى المعارك •

لقد ظهرت فى المعارك التالية صواريخ « سمارت » •• و « مافريك »
•• والنوع الثانى لم تستخدمه القوات المسلحة الأمريكية الا فى سيناء ! •
وهو صاروخ جو — أرض وقد اعترف بذلك تقرير لجنة الكونجرس
الأمريكية العسكرية ، التى زارت اسرائيل بعد الحرب ••

يقول التقرير الأمريكى بما نصه : « لقد تم ارسال صواريخ Tow
بحرا الى اسرائيل قرب نهاية النزاع (هذا غير صحيح ، لأن هذه
الصواريخ استخدمت فى اليوم الخامس للقتال • وارسالها بالبحر يعنى
أن تصل متأخرة جدا) » ••

ثم قال التقرير الأمريكى : « كان للصاروخ مافريك Mavrick » •
وهو صاروخ جو — أرض زودنا به اسرائيل ، انطباع جيد للغاية خلال
الحرب • (معنى هذا أنه أرسل مبكرا) • فقد استخدمه الاسرائيليون
بكفاءة أثناء الحرب وأعطى أحسن النتائج • وكانت أهدافه الدبابات
ومخازن الوقود • ان المافريك يمكنه اختراق أكثر الدبابات المدرعة
السوفيتية ثقلا وسمكا • وجدير بالذكر أن المصريين على علم تام بكفاءة
وقدرات هذا الصاروخ ، وقد أشار الرئيس أنور السادات الى المافريك
فى عدة مناسبات •

ثم يقول التقرير الأمريكى : « وقد أفرط الاسرائيليون فى الثناء على
سرعة وكفاءة الامداد الجوى ، خاصة بالطائرات نوع (C.S.A.) •
وقال الاسرائيليون ان الجسر الجوى الأمريكى لاسرائيل ، ومجهودات
الاحلال العسكرى ، كانت أكثر كفاءة من الجانب الآخر » •

ويقول التقرير الأمريكى : « ان الدبابة السوفيتية ت — ٦٢ لفتت
الأنظار أثناء الحرب • وتعتبر واحدة من أحدث الأسلحة التى أعطيت
للحرب • وعلى الرغم من أنها ظهرت لأول مرة فى هذه الحرب الا أن
إنتاجها يرجع الى سنة ١٩٦١ ، وهى بلا شك أقل كفاءة من مثيلتها
الأمريكية » •



هذا بعض ما جاء في التقرير العسكرى الأمريكى .. أشير اليه هنا فقط ، بمناسبة ظهور الأسلحة الأمريكية الجديدة فى المعركة .. بعد أن واجه الجيش الاسرائيلى هزيمة كاملة ..

١٥ أكتوبر :

ليس أمام العدو الا ضربة انتقام كبرى مهما كانت النتائج • لقد فشل العدو فى تدمير القوات المصرية بضربة احباط قبل العبور • وفشل فى تدميرها أثناء العبور • وفشل فى تدميرها فى المراحل الأولى للقتال قبل وصول الدبابات الى الضفة الشرقية • وفشل فى تدميرها بضربات مضادة قوية بعد نجاحنا فى تكوين رؤوس الشواطىء وتعزيزها •

فكر العدو فى حشد ضخمة بعد وصول الأسلحة الأمريكية ، يحاول به العبور الى الضفة الشرقية مهما كانت الخسائر •

الجهود الدولية مكثفة لمحاولات وقف النار • أمريكا تطالب موسكو بالحاح عنيف أن تتوسط لدى مصر • الاتحاد السوفيتى ببذل ضغطا كبيرا متصلا لوقف النار • تل أبيب على علم بكل هذه الجهود • انها تريد أى كسب قبل وقف النار حتى تكون فى موقف يسمح لها بأن ترفع رأسها قليلا • بدأ الشعب الاسرائيلى فى الداخل يدرك فداحة الخسائر • الموقف السياسى يتطلب تقدما عسكريا بأى ثمن •

بدأ ضغط عنيف من قوات العدو بعد آخر ضوء • الضغط مركز على الجانب الايمن للفرقة فى الدرفسوار عند التقاء القناة بالبحيرات المرة • هاجم العدو بمائة دبابة • لم يتمكن من الاختراق • خسائرنا كبيرة • خسائر العدو بالغة الضخامة • القتال وصل الى أقصى درجات العنف والضرارة •

١٦ - أكتوبر :

التقطنا برقية أرسلها قائد اللواء المدرع الاسرائيلى الى القيادة • أنه يطلب الغاء العملية أو على الأقل تأجيلها • الخسائر فادحة جدا •

الرد يقول من القيادة •• تمسك بمواقعك • سيصلك امداد كبير •
احتياطات ضخمة للعدو تتقدم • التركيز في نفس الاتجاه الجانب الايمن
عند التقاء القناة بالبحيرات المرة • الهجوم هذه المرة بثلاثة ألوية
مدرعة • حوالي ٣٥٠ دبابة ••

استمرت المعركة الرهيبة طوال الليل (١) •

قاتلت قواتنا أمام الأسلحة الأمريكية الجديدة قتالا أسطوريا •
القتال لم يهدأ دقيقة واحدة • المواجهة دموية • دمرنا للعدو ١٠٠
دبابة • خسائرنا كبيرة ولكن المقاومة مستمرة وبحماسة بالغة •

(١) أعلن جيش شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى أمام إحدى لجان مجلس
الشيوخ الأمريكى أن الولايات المتحدة أرسلت ٧٠٠ دبابة لاسرائيل لتعويضها
عما فقدته في حرب أكتوبر وخاصة في سيناء •
١ برشة رزيتير — من واشنطن — ٢١ يونيو ١٩٧٤)

الفصل التاسع

حبوب الشجاعة!

●●● « أذهلتهم شجاعة المقاتل المصرى ،
فتصوروا ان القيادة تقدم للجنود المصريين حبوبا
تخلق فيهم الشجاعة ! .. هذا الفصل يروى
قصة الأعمال المجيدة التى حققها سلاح الطيران
المصرى .. وسلاح الدفاع الجوى .. الأعمال
المجيدة التى قضت على أسطورة طيران
اسرائيل » ●●●

سأل رجل المخابرات الاسرائيلية ، الضابط الطبيب المصرى بعد أن وقع فى الأسر :

— ما هى الحبوب التى تصرفونها للجنود المصريين اثناء القتال ؟ ..

واندهش الأسير المصرى من السؤال ، وتصوره عبثا من المخابرات الاسرائيلية ، وسأله بدوره :

— ماذا تقصد بكلمة حبوب ؟ ..

الاسرائيلى : سؤالى واضح .. الحبوب الطبية التى تصرفونها للجنود اثناء القتال .. وأنت ضابط طبيب • فلا تحاول أن تتظاهر بعدم علمك •

المصرى : ولماذا نصرف حبوبا للجنود ؟ ..

الاسرائيلى : لا تحاول المراوغة .. ان لصبرى حدود .. وتذكر أننى لا أزال أعاملك برفق ..

المصرى : أنت تسأل عن شىء لم أسمع به فى حياتى ..

الاسرائيلى : اذن .. أنا مضطر أن استخدم القوة ..

المصرى : أنا متأكد أنك تهزل •

الاسرائيلى : ان معلوماتنا موثوق بها .. أنتم تعطون للجنود حبوبا ، تلهب شعورهم ، وتنسيهم خطر الموت ، وتجعلهم يقتحمون المعارك بروح انتحارية ..

المصرى (ضاحكا) : من قال لكم هذه التخاريف ..

الاسرائيلى : أنت تحاول المراوغة مرة أخرى ..

وبدأ ضابط المخابرات الاسرائيلية الشجاع ، فى تعذيب الأسير
الأعزل • وانتهت الجولة الأولى من التعذيب ، وعاد يكرر سؤاله :

— أننا نعرف أنكم تطلقون على هذه الحبوب اسم حبوب الشجاعة ••
لا تحاول أن تتكرر مرة أخرى •• والا سأعيد جولة التعذيب •• أريد أن
أعرف منك كطبيب مما تتكون هذه الحبوب ؟ ••

ولما تأكد الأسير المصرى ، أنه أمام حيوان لا يريد أن يفهم بأن
شجاعة المقاتل المصرى ، هى من أعماق إيمانه الخالد بأرضه ووطنه ••
قال له :

— فعلا كان جنودنا يتناولون حبوب الشجاعة قبل القتال ! ••

واستراح رجل المخابرات الاسرائيلى •• وتصور أنه توصل الى سر
شجاعة المقاتل المصرى ، وتحديه الموت بلا مبالاة !

روى لنا هذه القصة الواقعية المثيرة ، اللواء محمد على فهمى قائد
الدفاع الجوى ، وهو يقول : هكذا أفزعتهم بسالة المقاتل المصرى ،
وأخذوا يبحثون عن سرها ، بخيال مريض ••

والحق أن فدائية المقاتل المصرى ، فى ملحمة أكتوبر الخالدة ، كما
يسمىها قادة الأسلحة فى جيشنا ، غاقت تصور كل خيال انسانى ••

الايمان •• هو السر أولا وأخيرا •

ولم يكن الايمان ، نتيجة شحنت كلامية لا يلبث أثرها أن يزول ،
•• فهناك فرق بين بناء الايمان •• وبين الشحن بالايمان ••

بناء الايمان ، هو ترسيخ صادق لكل معانى الرجولة والشرف والدفاع
عن العرض وحماية التراب المقدس ••

بناء الايمان ، ينمو صحيحا سليما ، فى الوجدان الصادق ••

ومن دعائم الايمان ، أن الكل سواء فى ميدان الفداء • الجندى
والضابط الكبير • كان القادة فى الصفوف الأمامية دائما مع الجنود •

عبر الجندي وعبر قائد السرية • وقائد الكتيبة • وقائد اللواء • وقائد
الفرقة • وقائد الجيش • الكل صدورهم مفتوحة للاستشهاد • ووجبة
طعام واحدة في أقصى ظروف القتال ، وزمزية ماء واحدة ، للضابط
وتلجندى •

والدليل أن خسائرنا في القادة على كافة المستويات رغم أنها قليلة
جدا ، هي أعلى نسبة في الخسائر في أى حرب حتى الآن •

ان البناء المعنوى هو الذى حمى المقاتل المصرى من « مرض الخنادق »
كما يسميه العسكريون •

ان البناء المعنوى — لا الشحن — هو الذى جعل من صرخة الله أكبر
•• متفجرة من القلوب ، حافزة لا لعبور على الماء •• بل للسير على
الماء ! •• نعم لقد كانوا يعبرون بطاقة روحية أسطورية •

الله أكبر •• لم تكن فقط صرخة العبور ••

واسمعوا معنا هذه الأسطورة من اللواء حسنى مبارك قائد
القوات الجوية :

— كانت الطائرة المصرية تغير على مطار العدو فى سيناء • وألقت
قذائفها ودمرت عددا من الطائرات • وبقي عدد آخر من الفانتوم
لم يدمر • خلال ذلك أبلغت القاعدة المصرية ، الطيار المقاتل ، باللاسلكى
أن طائرته أصيبت ، وطلبت اليه العودة • وإذا بصوته يسمع باللاسلكى
وهو يصرخ « الله أكبر » •• وأندفع بطائرته الى أرض مطار العدو ،
ودمر الطائرات الباقية •• وهو يستشهد ! ••

كان السباق رهيبا بين طيارينا الى الفداء ••

يقول قائد القوات الجوية :

— لقد قاتلنا ١٨ معركة عند ثغرة الدفرسوار غرب القناة ، ألفان
وخمسمائة طلعة فى سبعة أيام ! ••

الطيار المصرى كان يقوم بست طلعات قتال فى اليوم الواحد !!

— الطيار المصرى كان يعود الى القاعدة ، ولا يخرج من طائرته حتى تمون بالوقود ، ثم يقلع بها ثانية الى نفس المعركة التى عاد منها !

— تلقت احدى قواعدنا أمرا باقلاع طائرات .. فأقلعت الطائرات الأربع فى وقت واحد خلال دقيقة ونصف دقيقة !

— أصيبت الطائرة ، وأضطر الطيار أن يقفز قرب أنشاص ، فربط نفسه بالشاش ، وقفز الى طائرة أخرى .. وعاد الى معركة الجو . وهذه ظاهرة نادرة ، لأن القفز يسبب للطيار رضوضا عضوية ، وخاصة فى العظام ، تستدعى الراحة والعلاج لبضعة أيام تصل الى أسبوع أو أسبوعين !

— احدى غارات العدو ضربت ممرا للطائرات .. وتقدم الفنيون الى اصلاح الممر واستمروا فى اصلاحه رغم انفجار القنابل حولهم . واستشهد أحدهم .. ولكن الممر أصلح ، وأقلعت طائرتنا تضرب العدو !

— سقطت قنبلة على ممر فى مطار آخر ، ولم تنفجر ، واذا بالمهندس الفنى يمسك بالقنبلة ويقذف بها بعيدا .. والمعروف أنها تنفجر بعد ١٥ ثانية .. ومن الممكن أن تصيبه شظاياها .. ولكنه فعلها .. وانفجرت القنبلة ولم يأبه .. وأقلعت المقاتلة المصرية لتؤدى دورها فى مطاردة طائرات العدو !

أما أطرف القصص التى تثبت ارتباك طيران العدو الذى كان يزهو بنفسه ، فقد وقعت فى بور سعيد •

هاجمت طائرات الميراج بور سعيد ، وتدخلت طائرتنا وأضطرت تشكيل العدو أن ينقسم • وأختفت طائرتنا .. واذا بطائرات العدو تضرب بعضها البعض ! .. لقد تصوروا أن مصر هاجمت بطائرات ميراج ، وأدى الارتباك الى أن اشتبكوا معا فى معركة .. وسقطت بعض طائراتهم !

ولكن ماذا حدث في ساعة الصفر .. بالنسبة لقوات الطيران ؟ ..

قال اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية :

ان قواتنا الجوية قامت بضربة قوية في تمام الساعة الثانية مساء يوم ٦ أكتوبر على مطارات العدو ومواقع صواريخه ومواقع الشوشرة .. كما ضربنا مركز سيطرة ضخم في سيناء ، وأضطروا الى نقله لمكان آخر في ارتباك ملحوظ ، سمع من التصنت اللاسلكى • أما مركز الشوشرة فقد دمر تماما ، ولم يستخدم حتى وقف النار • أما مطارهم الرئيسى في سيناء فتد عطل ٤ أيام •

ثم تكررت الهجمات بأحجام أقل • ثم بدأت قواتنا الجوية تنفذ مهامها مع باقى القوات •

وماذا عن هجمات العدو ؟ ..

— قامت ٧ معارك عنيفة في شمال الدلتا في الأيام الستة الأولى ، استمرت معركة منها ٥٠ دقيقة • وهذا وقت قياسى في استمرار معارك الطيران • واشتركت في هذه المعارك ٦٠ طائرة مصرية ، اشتبكت مع الفانتوم ، وسقطت قنابل العدو في المزارع •

— معركتان جويتان كبيرتان في يومى ١٩ و ٢٠ أكتوبر ، فقد فيها العدو ١٨ طائرة .. وكان قد فقد في معركة سابقة ١٧ طائرة •



ويكمل اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى الصورة ..

ان سلاح الدفاع الجوى ، هو الذى يتولى الانذار بغارة العدو ويحدد مسارها .. وهو الذى يوجه المقاتلات بمعلومات الانذار .. وهو الذى يسيطر على غابة الصواريخ أرض — جو .. الصواريخ قصيرة المدى .. والبعيدة .. والمتحركة .. ثم المدفعية المضادة للطائرات • ثم وسائل الدفاع الجوى الالكترونية التى لم يفصح عنها •

ويكفى لى نقدر قيمة الدفاع الجوى ، أن نعرف أن العدو هاجمنا في الأيام الثلاثة الأولى مستخدماً ٥٠٠ طائرة ، ألقت من القنابل ما يوازى في أثره ، قوة أول قنبلة ذرية ألقيت في هيروشيما

وقد بدأنا استخدام الصواريخ في مصر في عام ١٩٦٣ فقط • وكنا نستخدم قبلها المدافع المضادة للطائرات • والمدفعية المصرية لها شهرة دولية اكتسبتها في الحرب العالمية الثانية وسجلتها المؤلفات العسكرية • ولم ينشأ سلاح لقوات الدفاع الجوى الا في يونيو ١٩٦٨ •

وأستطعنا أن نبني قواعد الصواريخ • أو ما يسمى حائط الصواريخ في يونيو ١٩٧٠ • ودفعنا بغابة الصواريخ الى الجبهة في عام ١٩٧٢ • ولم يكن ذلك بالأمر السهل •• فان غارات العدو كانت تلاحق مواقع الصواريخ ساعة بعد ساعة •• باعداد رهيبه من القاذفات •• واستشهد أبطال مدنيون في بناء القواعد •• وتم دفع حائط الصواريخ الى الجبهة بخطت تمويه • لم يكشف عنها حتى الآن •• حتى أن جولدا مائير صرحت بأن غابة الصواريخ المصرية كأنها عش الغراب •• كلما دمروا قاعدة •• زرعت على الفور قاعدة جديدة !

ولغابة الصواريخ جولات مع العدو منذ تقدمت الى الجبهة •• ولعل أهمها اسقاط طائرة الاستطلاع والتجسس « الاستراتوكوزر » •• وهى من أكبر وأعلى طائرات التجسس ، فيها ٧ ملاحين ، وثمانها ملايين من الدولارات !

وفي هذه الجولات ، يذكر قائد الدفاع الجوى بالفخار •• الجندى المدفعجى خيرى زكى الذى بقى وحده جريحاً في موقع منعزل بالجزيرة الخضراء ، بعد أن استشهد كل زملائه •• واسقط طائرتين •• ورقى الى عريف •• ثم رقيب •• واستشهد أخيراً في عملية أنزال بحرى ••

ويذكر بالفخار أيضاً الرائد شطا قائد الكتيبة ، الذى استشهد في موقع ميدانى غير محصن بعد أن دمر ٤ طائرات للعدو ••

وهكذا سارت الأمور •• حتى فتح التاريخ صفحة الملحمة الخالدة في أكتوبر •

يقول اللواء محمد على فهمي :

سيطرنا منذ اللحظات الأولى على نطاق أمن شرق القناة •

وجاء أول رد فعل للعدو بعد ٤٠ دقيقة من بدء الهجوم • ويعنى هذا أن العدو كان على درجة من الاستعداد • • ولكنه كان يهاجم بغير خطة منظمة وبعد ٣ ساعات كان قد خسر ١٥ طائرة !

عم الارتباك السلاح الجوى للعدو ، بعد أن تبين له أن صواريخه الموجهة لم تحقق نتيجة • • الاعاقة الرادارية لم تحقق نتيجة • الخداع الإلكتروني لم يجذب صواريخنا •

وكنا ننتظر ضربة جوية ضخمة من العدو في صباح ٧ أكتوبر • لقد خطط لضرب مطاراتنا الأمامية • وهاجم بسبعين طائرة • وأقرب من أهدافه على ارتفاعات منخفضة ، وكانت النتيجة أنه خسر ١٨ طائرة ، ولم ينجح في تحقيق مهمته • ولكنه عدو عنيد • كرر العملية • واجه مزيدا من الفشل ، حتى قال بارليف يوم ١٠ أكتوبر ان اسرائيل ستحاول معالجة الموقف •

وكان العلاج ، هو اختيار هدف منعزل • بور سعيد • وذلك لرفع المعنويات • وركز الضرب على بور سعيد بشراسة • وكانت ملحمة رائعة كبذته فيها عناصر الدفاع الجوى خسائر فادحة • وفي التاسع من أكتوبر أصيبت بعض صواريخنا باعطل • وتصور العدو أن المجال الجوى لبور سعيد أصبح نزهة بالنسبة له ، عندما لاحظ أن قواعدنا لا تخرب • ولم يكن يعرف أنها خطة للتمويه • أنها فترة تسكين للإصلاح ثم تأتي بعدها المفاجأة • وفي ١٢ أكتوبر جاءت طائراته للفسحة فوق بورسعيد • • وفوجيء بأنها تتساقط • لقد سقطت له ٢٢ طائرة دفعة واحدة ، وكان يتصور أن بور سعيد قد خلت من الصواريخ • وقل نشاط العدو • • ولكنه زاد النشاط فجأة بعد أن وجد الدعم الأمريكي • ان تقديرات خسائره في الشرق ٢٥٨ طائرة • • وفي الغرب ٢٠٠ طائرة •

!!

ويقول قائد الدفاع الجوى :

هناك أسرار في الخداع الالكتروني لم يحن الوقت للكشف عنها •
ودلائها ماثهد به الطيارون الأسرى • أن طائرة الفانتوم ، بها لمبة حمراء
تضاء اذا ما اقترب منها الصاروخ • ولكن الطيار يقول أن الصاروخ
أصاب طائرتة دون أن تضاء هذه اللمبة • لماذا ؟ • هذا هو السر
المصرى • وطيار آخر يقول • أضاءت اللمبة ، واستطعت أن اتفادى
الصاروخ • ولكننى فوجئت بصاروخين واحد من اليسار والثانى من
اليمين • كيف ؟ • هذا هو السر المصرى • ان تفادى الصاروخ معناه
نجاح الطائرة فى الافلات من دائرة الضرب • ولكنه ضرب • •
وبصاروخين !

الاستماع ممتع حقا الى ملحمة البطولات ••

وقصص قوات الصاعقة يمكن أن تملأ مجلدات فى الفداء الانسانى •
قوات الصاعقة هى التى قاتلت معركة رأس العش بعد الهزيمة • هى
التى حمت البلاد فى حرب الاستنزاف •• أول أسير وقع فى قبضتها
•• وآخر أسير قبل وقف النار حينئذ •

ان قائد قوات الصاعقة العميد نبيل شكرى ، يتحدث الينا عن التدريب
الشاق أولا • « العرق فى التدريب يعوض الدم » •• هذا هو الشعار •

قوات الصاعقة لها أمجادها منذ الطلقة الأولى فى ٦ أ كتوبر الخالد •
كانت منتشرة فى كل الاعماق • لها دورها الخالد فى الممرات • كانت
حمايتها رائعة فى حرب المدرعات • القنطرة شرق سوف تروى كيف
طهرتها قوات الصاعقة من كل أثر للعدو • لم يهرب موقع للعدو من
آثار هجماتها المرعبة فى كل أعماق سيناء • ولم يؤسر منها مقاتل واحد
الا بعد ان نفذت ذخيرته •

وكان العدو يتصور أنهم يتعاطون حبوب الشجاعة !

هكذا قدرت حساباته بعد أن روعه القتال الجبار •

لم يكن البطل الوحيد الذى أقدم على هذا الفداء •

ان بطولات الصاعقة ولدت مع تكوينها • • منذ عام ١٩٥٩ • ان العميد
نبيل شكرى لا ينسى « الدورية » التى ضلت طريقها فى جبل عتاقة ،
فى يوم ملتهب ارتفعت حرارته الى ٤٥ درجة • • وكان أفرادها الستون
معرضين للموت عطشا بعد أن فقدوا مياه الشرب وتدهورت أحوالهم • •
ولكن بطلا منهم ، أخذ يعدو ويعدو حتى وصل الى الطريق ، واستغاث
لانتقاذ زملائه • • وسقط البطل • •

الفصل العاشر

ماحمة السويس

« كل بطل .. له قصة .. وكل قصة لها أبطال »

يوم ٢٢ أكتوبر بعد وقف النار . . . منطقة الدفرسوار التي عبر منها العدو ، والمساحة التي أمنها في الغرب . . . قطعة مشتعلة من نيران الصواريخ ، بأضوائها التي تمرق في الظلام .

الظلام دامس . لم تتوقف حركة العدو لحظة بعد وقف النار . تقدم من جنيفة الى الجنوب على الساحل الغربى . له هدفان . الوصول الى السويس . وفي الوقت نفسه حصار قوات الجيش الثالث شرق القناة الممتدة من فنارة الى السخنة جنوبا على خليج السويس . قوات التأمين التي تركها الجيش الثالث على الضفة الغربية من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ ، لم توقف تقدم العدو الذي بدأ تحركه في الثامنة من المساء . استطاع العدو أن يغطي جزءا كبيرا من قطاع الفرقة السابعة بقيادة العميد أحمد بدوى . تم إبلاغ العميد بدوى بالموقف . دفع بمجموعة اقتناص دبابات عبرت المجموعة الى الغرب على المواسير الممتدة لنقل الوقود . انتشروا في الغرب في المناطق الزراعية . كان التحرك ليلا سهلا بالنسبة لمجموعة اقتناص الدبابات . لقد عاش في هذه المنطقة ست سنوات بكتيبته ولذلك فهو يعرفها شبرا شبرا . العدو تمكن من أسر بعض أفراد كتائب نقل البترول والماء . أنها ليست كتائب قتال . استطاعت قوة اقتناص الدبابات أن تدمر ١١ دبابة للعدو ومركبة قيادة في المناطق الزراعية . ولكن ذلك لم يمنع تقدم قوات العدو . قوات أخرى من الفرقة السابعة والفرقة ١٩ بقيادة العميد يوسف عفيفى عبرت الى الغرب وتمركزت في الأماكن التي لم يصل اليها العدو بعد لتعوق تقدمه . مجموعة اقتناص دبابات أخرى بقيادة المقاتل حسان هاجمت العدو على طريق المعاهدة الشلوفة . . . وجنوب طريق ١٢ . طيران العدو في طلعات لا تتوقف بغير خوف من غابة الصواريخ التي كانوا دمروا قواعدها في هذه المنطقة منذ يوم ١٦ أكتوبر . الضرب مركز وعنيف بصواريخ جو - أرض الأمريكية الحديثة . صواريخ تاو (أرض - أرض) التي تجيد الاصابة ليلا ، استخدمت على نطاق واسع . تجاوز العدو كل مقاومة واستطاع أن يصل الى نقطة العوايد وهي أحد مداخل السويس ، تصل الى الزيتية ومنها الى العين السخنة . .

كانت الساعة قد وصلت الى الخامسة والربع من مساء يوم ٢٣ أكتوبر .

وضحت نية العدو في حصار السويس .

تركيز الطيران بعنف على منطقة مصنع السماد • وعلى طريق عتاقة —
الأدبية •

تعليمات القيادة المصرية تصل تباعا ••

— « نظموا سريعا الدفاع عن مدينة السويس » ••

كانت قيادة الجيش الثالث قد خصصت قوات للدفاع عن المدينة ،
تدفقت من المحور الذى يصل الى معابر الجيش • محور بور توفيق •
الخطة •• قفل مداخل المدينة الرئيسية • أى « محاور » المدينة
بالتعبير العسكرى •

١ — محور المثلث •• مدخل المدينة من الطريق الرئيسى • القاهرة.
السويس •

٢ — المحور الزراعى •• المدخل من ناحية الاسماعيلية •• وهو
مساحات واسعة من الحدائق •

٣ — محور بور توفيق •• وهو المحور الذى يصل الى معابر الجيش
الثالث •

المحوران الأولان محاصران تماما من العدو •

المحور الثالث هو الباقي ••

قفل العدو طريق السويس •• فلا امداد من القاهرة •

كما قفل أيضا طريق الأدبية • بعد أن هاجم ميناء الأدبية جنوب
السويس مباشرة فى العاشرة من المساء واستولى عليها عند صباح
الرابع والعشرين من أكتوبر • أمن الميناء بعد الاستيلاء عليه • وتقدم
حوالى نصف كيلو متر جنوبه •

العدو يستعد طوال الليل بعد أن هاجم الأدبية •• للاستيلاء على
السويس • وكان هذا هو خطؤه الأول •

لقد أفقد نفسه عنصر المفاجأة .. عندما لم يستمر في هجومه ليلاً ..

قوة مصرية برياسة العميد فتحى عباس .. كانت متمركزة في مبنى
احدى الشركات ترقب تحركات العدو . مرت أمامها دبابات العدو المتجهة
الى الزيتية . أسرع العميد فتحى عباس بدخول السويس ، لابلأغ
قيادة المدينة بالموقف . كان المتوقع أن يتم الهجوم ليلاً . الموقف ضامض
بالنسبة لأهالى السويس . كانوا يسمعون القصف على الأدبية . لم يكن
أحد يتوقع أن العدو متقدم . وأنه يحاصر مداخل السويس في هذه
اللحظات . قيادات المدينة بدأت تستعد . المحافظ . المستشار العسكرى .
مدير الأمن العام . الحكمدار . قيادات المقاومة والدفاع الشعبى ومعها
القيادة العسكرية .

تم الاتصال بالقاهرة . صورة كاملة أمام القيادة العامة لكل التطورات
دقيقة بدقيقة . أصدر القائد العام أمراً بتعيين المستشار العسكرى للمدينة
قائداً عسكرياً لها . بدأ على الفور تنظيم وتحديد القوات المخصصة
للدفاع عن المدينة .

كان الاجتماع الخطير في غرفة العمليات . عرض شامل للموقف .
الدفاع العسكرى . حاجات هذا الدفاع . تموين المدينة من المخزون .
الماء . الوقود . حماية مخزن الدقيق . حماية المواقع الاستراتيجية .
الاحتفاظ بالروح المعنوية .. وسائل تنظيم الجنود غير المقاتلين من
الجيش الثالث (الفرق الادارية التى لجأت الى السويس من الدفرسوار
وجنوبها) تقرر أن تقسم المدينة الى عدد من قطاعات دفاعية . تم تعيين
قائد لكل قطاع .

ثم قطاعات فرعية في الزراعية واليهودية وغيرها .. انها أقل أهمية ،
لأنها مكتظة بالمباني أو في المناطق الزراعية .

القوة الرئيسية للدفاع تتكون من وحدة في المدينة ، من الشرق .
١٩ . كانت مهمته الدفاع عن المدينة قبل العبور .

بدأ تركيب أجهزة تليفون .. وأجهزة لاسلكية في قطاعات الدفاع
الرئيسية تربطها بقيادة الدفاع عن المدينة .

وزعت تموات اقتتاص الدبابات • ركبت المدافع المضادة للدبابات
(م • د) ومدافع ١٣٠ مليمتر بعيدة المدى في المواقع الدفاعية الأساسية •

تم انتشار قوات الدفاع الشعبى وعناصر المقاومة الشعبية بجوار
أفراد القوات المسلحة •

استمر العمل الشاق طوال الليل • الاتصالات بالقاهرة لا تتوقف •
الاتصالات بقيادة الجيش الثالث في الشرق مستمرة • بدأت فرق
الاستطلاع ، تخرج الى مشارف المدينة ، لتبين تشكيلات العدو •
انتشرت الأخبار في المدينة • استيقظت السويس كلها بنسائها وأطفالها •
حركة غير عادية في كل أرجاء المدينة •

جاءت صلاة الفجر • فاكنتزت المساجد بالناس • مشاعر غامضة من
التساؤل والقلق والثقة ومحاولات استطلاع الحقائق •

أعلن بدوى الخولى المحافظ في مسجد الشهداء الحقائق لشعب
السويس •

— المدينة محاصرة • العدو يستعد لدخول السويس بين لحظة وأخرى
نظم الدفاع عن المدينة تماما • المطلوب هو الهدوء وضبط الأعصاب •
كل مواطن عليه أن يساهم بكل ما يستطيع • سننتصر • لن تسقط
السويس • الله أكبر •

وارتفع الدعاء الى السماء من أعماق القلوب ••

وخرج الناس من الجوامع ، وانتشروا في المساكن • كل يأخذ له
موقعا • كل مواطن جند نفسه للمعركة ، وتسليح بما استطاع ان يصل اليه •
زجاجات مولوتوف • شكائر طوب • سكاكين • قطع حديد • صفائح غاز
تبلى فيها كور من القماش •

المشهد ن ينساه التاريخ •

الانسان المصرى بكل طوائفه • وطبقاته • وأعمارهم •• يستعد
لقتال الحياة والموت •

• الأطباء والممرضات في المستشفيات مستعدون •

• قوات الشرطة تأخذ مواقعها مع قوات الجيش •

التحذير المستمر للمواطنين • لا تعرض نفسك لمنطقة مكشوفة •
تحصن وراء ستر • الجأ الى أماكن الوقاية عند قصف الطائرات •

• الطرق الرئيسية سدت بالسيارات والاحجار •

عادت فرق الاستطلاع عن طريق الاسماعيلية عند منتصف الليل ،
لنقول ان العدو وصل الى بعد ١٢ كيلو متر • تأخر وصوله نتيجة مقاومة
الفرقة ١٩ • لم يصل العدو الى مدخل السويس من هذه الناحية الا في
الصباح •

الساعة السادسة صباحا • العميد عاد اسلم القائد العسكرى يعطى.
تمام الاستعداد •

الاشارة الى القاهرة •• سننتصر • الاشارة بالاسلحى الى قائد الجيش
الثالث فى الشرق • وتبلغ تليفونيا الى القائد العام • الرد • تمسكوا
بمواقعكم • سننتصر •

العسكريون يعرفون أنها معركة صعبة • المدينة صغيرة • قوات العدو
تحاصرها من كل الاتجاهات بالمدفعية والمدركات • فى الزيتية احتل العدو
العمارات وتحصنوا بمدافع الرشاشات • مقاومتنا للطيران بالأسلحة
الصغيرة فقط ، وهى لا تقاوم الطيران السريع ••

ولكن العسكريين يعرفون أن العدو سيلقى ردعا عظيما • ان قتال
المدن ليس بالأمر السهل على المهاجم مهما كان عتاده • والروح المعنوية
الى قمة الالتهاب • وكل مواطن ينظر فى لهفة قوية ••

• الساعة السادسة والنصف •

العدو يمهّد لمعركة الاقتحام • غارات طيران مكثفة وسريعة ، بطلقات
لا تتوقف • ضرب مدفعية من جميع الجهات • قذائف ثقيلة • كل بيت

ثقى السويس اصابته قذيفة • حديد شريط السكة الحديد فى الشارع
الرئيسى انصهر من حرارة القذائف : والتوى الى ارتفاع ٣٠ مترا ! •
فرق الانقاذ تعمل بكل نشاط وشجاعة •

• المستشفى يستقبل الجرحى

آذان أبطال السويس ، بدأت تستمتع بدوى القذائف .. وانفجارات
الصواريخ .. وصوت التفاثات الرهيب .. أثناء هذا القصف الوحشى
الداعى : كان أحد البسطاء « يقلى » الطعمية فى محله المتواضع ،
ليرساها « سخنة » فى أرغفة العيش الى المقاتلين !

استمر الضرب المتواصل العنيف ثلاث ساعات كاملة ••

تصور العدو أن المدينة اخذت درسا قاسيا ..

تصور أن الكل أصبح مستعدا للاستسلام •

تصور أن مدرعاته سوف تدخل المدينة لترى الرايات البيضاء تطلب الأمان •

ان خسائر المباحي رهية ..

ان رعب القصف يكفى لأن تتجمد الدماء فى العروق ..

وتوقف القصف ..

وبدأ الهجوم على المدينة من كل مداخلها ..

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

كانت الساعة التاسعة والنصف من الصباح ..

مدرعات العدو تتحرك من اتجاه (المثلث) •• المدخل الرئيسي للمدينة •

— من اتجاه القطاع الزراعى (الهويس) .. المدخل من الاسماعيلية •

— ثم من اتجاه الزيتية .. وكانوا قد احتلوها .

الهجوم لم ينجح من اتجاه الهويس . كان على العدو أن يجتاز كوبريا صغيرا . الكوبرى محتل بالمدافع (م . د) المضادة للدبابات . الدفاع عنه أسهل كثيرا من الهجوم .

القوات العسكرية تتصدى للهجوم من ناحية المثلث .. المقاومة تضرب من المساكن الشعبية .. المقاومة تستمر ساعة واحدة .. استطاع العدو أن يحدث ثغرة . وصلت مدرعته الى مشارف الشارع الرئيسى ..

نجح العدو أيضا فى اختراق تحصيناتنا من ناحية مدخل الزيتية ..

أمن العدو قواته عند مدخل المثلث . اندفع بعشر دبابات وعشرين عربية مجنزرة . كل دبابة وراءها عربتان . هيا له غباءه أن وضع أعلام دول عربية على المدرعات يمكن أن يخدع أحدا بعد كل هذه المعارك !

مرق العدو بدباباته ومجنزراته بسرعة ، ليتلافى أى مقاومة جانبية . من الأسلحة الخفيفة .. استطاع أن يصل الى بور توفيق . اصطدم هناك بحقل الغام . انفجرت الألغام فى الدبابة الأولى . انهالت عليها قذائف الـ (م . د) .. أصابت الدبابة الثانية . ارتبكت صفوفه .. كانت مدفعية الدبابات التى دخلت من الزيتية تحميه بستر من نيرانها . تقدمت الدبابات الثمانية الباقية والعربات المدرعة الى الزيتية ، هاربة من استمرار المقاومة .

بعد نصف ساعة .. « قول » آخر من دبابات العدو يقتحم مدخل المثلث ..

مجموعة منظمة سيناء ، أطلقت أول صاروخ على أول دبابة ، عند جامع الأربعين . الطلقة لم تصب الدبابة . انفجرت فى سور السكة الحديد الممتدة فى الشارع . خرج بطل من حصنه فى دار السينما الى الشارع . انتظر الدبابة . أصبح بينه وبينها ١٢ مترا فقط . طلقة (م . د) من مدفعه أطارت رأس سائق الدبابة فى الهواء . وقفت الدبابة . جنود الدبابة قذفوا حولهم قنابل يدوية للوقاية . اقتحم البطل المصرى نيران القنابل . قفز على الدبابة .رمى بداخلها قنبلة

• يدوبة • انفجرت • اشتعلت فيها النار • كان وراء الدبابات ٣ عربات
مدرعة • رجالها يطلقون النيران ويملأون المكان حولهم بسيلاج من القنابل
اليديوية • البطل يقتحم النار مرة أخرى • يقذف أول عربة مدرعة •
تشتعل العربة • باقى الدبابات تتوقف • العربات المجنزرة أيضا تتوقف •
يقفز منها الجنود الاسرائيليون محاطين بسيلاج من النار • المنطقة تتحول
الى جهنم • كل مواطن فى المساكن والطريق الرئيسى والشوارع الفرعية
الضيقة بدأ يضرب • بالبنادق • بزجاجات مولوتوف • بكور النيران •
بالطوب • محافظ السويس بدوى الخولى فى قلب المعركة • يشجع
المقاتلين • اضرب • تقدم • احترس من هذه القذيفة • روح معنوية
طاغية • صبى فى السابعة من عمره يضع على رأسه خوذه • ويجرى فى
وسط الشوارع يخترق النيران الرهيبة • الصبى يصل الى مبنى الدفاع
الشعبى الذى أصبح مقرا للمحافظ ، ومقرا لتشوين الذخيرة • الصبى
يملا الخوذة بالذخيرة •• يعود حاملا الخوذة فى يده ورأسه عاريا ! ••
يجرى وسط النيران • يسلم ابطالنا الذخيرة •• يوزعها عليهم • يعود
ثانيا تحمى رأسه الخوذة • ويرجع رأسه عارية والخوذة ملأى بالذخيرة •
أسطورة شجاعة لطفل فى السابعة من عمره ! ••

حماك الله أيها الشعب !

الاسرائيليون أصبحوا فى مصيدة هذا الشارع بين دار السينما
والجامع • النار والاحجار والقذائف تحيط بهم من جميع الجهات ••
يجرى بعضهم الى حارة مفتوحة أمامه ، يرى أن الحارة امتلأت فجأة
بالعشرات • تهدده القنابل • يعود • يحاول البعض الآخر الاحتماء فى
مسكن • ينهال عليه الطوب • رؤوس الاسرائيليين مبعثرة • المقاومة
تقفز على الدبابات • شهداء ابطال يسقطون • استطاع ٢٥ اسرائيليا أن
يمرقوا الى مبنى قسم الشرطة فى الوسط بين السينما والجامع • ارادوا
أن يؤمنوا أنفسهم داخل القسم ، بعد أن تمزقت اجساد الباقين •
استطاعوا أن يشبهوا طريقهم بخماية المدافع الرشاشة • رجال القسم
يقاومون • استشهد ١١ جنديا • سيطروا على القسم • المباني حول
القسم تحميه • دباباتهم وعرباتهم المدرعة احترقت • ثلاث دبابات ، ١٢
عربة مدرعة ، عربات ذخيرة • أصبحت قطعا من الفحم • شعب السويس
لم يكتف بذلك • حتى بعد احتراق الدبابات • أعادوا خرقها من جديد •

الساعة الخامسة •

مجموعة من أبطال منظمة سيناء مع عدد من العسكريين وعدد من المقاومة الشعبية تزرروا اقتحام قسم الشرطة • كانوا ٢٥ بطلا • القسم وسط منطقة مكشوفة ، ومحصن بالمباني بعد هذه المنطقة • وصلوا الى سور القسم • تسلقوا السور • شعر الاسرائيليون • سلطوا عليهم النيران • لم يتوقف الهجوم • استشهد ثلاثة أبطال وهم يقفزون السور • نزل الباقون الى الفناء • أحد الشهداء هو البطل ابراهيم سليمان أحد رجال منظمة سيناء • أنه الشجاع الذى ضرب أول دبابة وأطار رأس قائدها وأحرقها • انه مقاتل رهيب • له سجل حافل فى العبور الى الضفة الشرقية منذ عام ٦٨ • هو الذى عاد الينا بأول أسير فى منطقة الشط فى ذلك الوقت • انه موظف كتابى بشركة السويس للتصنيع البترولى • ولكنه وهب نفسه للفداء وتطوع فى منظمة سيناء • ووصل الى رتبة نقيب • وهو متزوج وله أطفال • ولكنه كان يقدم نفسه للموت كل يوم ! • مع القوة المهاجمة عدد من ضباط الشرطة • استشهد منهم ضابطان •

لم ينجح الاقتحام •

سقط عدد من الاسرائيليين داخل القسم •

خلال هذه المعركة • أصابت قذيفة مخزن الدقيق بالمدينة • احترق المخزن • الخسارة كبيرة • انه تموين المدينة استعدادا لأيام القتال • غرقة الطافيء • المواطنون • جهود جبارة لانقاذ الدقيق • احترق ١٢٠٠ جوال وبقي فقط ٨٠٠

المقاومة الشعبية عنيفة فى الزرايرة واليهودية والمغربية والهويس • محاولات مستمرة للعدو للاقتحام • كلها دمرت •

محاولة أخرى للعدو لاقتحام المدينة من مدخل المثلث بثلاث دبابات وعربتين مدرعتين • الهدف هو الوصول الى مبنى قسم الشرطة ، لانقاذ الاسرائيليين • تقدمت الدبابات عربية مدرعة • سائق المدرعة أصيب بالذهول من مشاهد النيران والدبابات المحترقة وعنف المقاومة • دار بالعربة المدرعة حول نفسه مرتين ، وعاد بأقصى سرعة • هرب بجلده • هربت الدبابات وراءه • لم يكن الاسرائيليون يتخيلون أن شعبا سيقاوم

بهذه الشجاعة الخارقة • بقى ١٢ اسرائيليا أحياء داخل القسم • محاولة
تخليصهم هى كل أمل العدو •

جاء الظلام • صممت مدفعية العدو • عرف أن القصف بالنيران والصواريخ
لن يهز هذه المدينة أبدا • عرف أن الاستيلاء على المدينة كان مغامرة
خاسرة •

ان عنف المقاومة • والشوارع الضيقة • واكتظاظ المدينة بالمبانى •
يمثل عقبة كبيرة أمام العدو •

استطاع الاسرائيليون التسلل من قسم الشرطة أثناء الظلام • كان
الاجهاد قد حل بالجميع بعد المعركة الرهيبة • انشغل الكثيرون بنقل
الجرحى ، واعادة تجهيز المواقع ، وتشوين الذخيرة •

تنبه بعض رجال المقاومة الى الهاربين فى طريق اليهودية والزرابير •
أصابوا ثلاثة •

أمكن اكتشاف ستين جثة للعدو • بعد وقف النار تسلموا ٢٧ جثة •
عرفوا أن قواتهم — بعد ذلك — تنقص ٣٣ • قلنا لا نعرف • كنا نعرف
أنهم قتلوا • ولكننا أردنا أن نساوم بهم • حتى يتصوروا أنهم لا يزالون
أحياء • قلنا سنبحث • كان ذلك بعد قطع الماء عن المدينة •

٢٤ أكتوبر:

مر اليوم هادئا • العدو لم يهاجم • القوات المسلحة وقوات المقاومة
والدفاع المدنى • يستعدون لمعركة جديدة • جمع الأحجار • حفر خنادق
جديدة • اتصالات لاسلكية بقيادة الجيش الثالث • وصول أسلحة • القائد
العام يصدر تعليماته من القاهرة ويتلقى تقارير تفصيلية • المستشفى
الأميرى لم يعد يتسع للجرحى • فريق من الجرحى فى فرقة الدفاع المدنى
ومعهم أطباء متطوعون • المخابر تعمل • بدأ التفكير فى تحديد توزيع
المؤن •

جاء الليل ••

بدأ العدو يتابع القصف بالمدفعية من جميع الجهات خارج المدينة •

الأنباء تصل الى قائد مدينة السويس • الاسرائيليون يريدون البحث عن الـ ٣٣ الذين لم يعودوا • انهم لا يعرفون عنهم شيئاً • هل قتلوا ؟ • هل وقعوا في الأسر ؟ انهم لا يزالون يحتلون جزاء من الزيتية • قيادتهم في أحد مكاتب شركة تصنيع البترول • يوجد معهم حوالى ١٥٠ موظفا وعاملا مصريا • أخبارهم على ألسنة المصريين في الزيتية تصل انى قيادة السويس • ان الاسرائيليين يتصورون أن المدينة مسلحة تسليحا خارقا • أنهم مترددون في القيام بهجمات جديدة • لقد أيقنوا أن التضحيات كبيرة • بدأ الاسرائيليون يستخدمون أساليب التهديد • الضباط الاسرائيليون يتصورون أنهم أكثر ذكاء • يحاولون التحدث الى المصريين في الزيتية ، واستدراجهم الى الكلام والحصول منهم على معلومات • انهم يسألون •• بلدكم فيها ايه •• تقريبا ؟ •• حوالى ٨٠ ألف ؟ •• طبعاً كلهم عسكريين •

المصريون أكثر ذكاء • انهم يضاعفون لهم الأرقام •

طلب القائد الاسرائيلى من سعد الهاكع الموظف بالشركة ، أن يتصل تليفونيا بالمحافظ قال له أنه لا يعرف رقم المحافظ • استخرجوا أرقاماً من دفاتر التليفون •

اتصل سعد الهاكع بفرقة الدفاع المدنى • رد عليه المحافظ • قال أن القائد الاسرائيلى يريد أن يتصل بالمخافظ • الاسرائيلى يتكلم بلهجة عربية شامية • ليبلغه بالتهديد بهدم السويس اذا لم تسلم •

رد المحافظ

الاسرائيلى : أنت المحافظ

المحافظ : لا •••

الاسرائيلى : لا •• أنت المحافظ •

المحافظ : أنا لست المحافظ •• عاوز ايه علشان تبلغ المحافظ ••

الاسرائيلى : شوف •• احنا هندمر البلد بالطيران والمدفعية •

مش حنطى ففها طوبة واحدة .. فى ؤلال نص ساعة . اذا لم تعلنوا
تسليم السويس .

المحافظ : لا .. نص ساعة ده وقت قليل لآاية ما اتصل بالمحافظ
وأرد عليك ..

الاسرائىلى : نص ساعة بس .. بعد كده البلاد حتتحول طوب وبحث .
المحافظ : ده وقت قليل .

الاسرائىلى : ما عنديش كلام ثانى . تيجى أنت والقائد العسكرى
ومدير الأمن ومعكم كل الأهالى . رافعين أعلام بيضاء .. وأنا منتظر
فى الاستاد .

انتهى الحديث

كان تقدير البعض أن هذه عملية تهويشية ؛ وأن الاسرائيليين لن
يهاجموا ، بعد ما تكبدوا من خسائر بالأمس .. هجومهم مستحيل .
لو كانوا قادرين لما لجأوا الى هذا الأسلوب وآراء أخرى تطالب بدراسة
الموقف من جميع نواحيه ..

والكل كان مخلصا فى ابداء رأيه ..

المحافظ يتصل تليفونيا بالقائد العسكرى . روى له الحديث . شرح
تفصيلات تقييم الموقف من وجهة نظره .. التموين . الماء . الأدوية .
الخبز . القتلى والجرحى . طلب من القائد تقدير موقف . هل قواتك كافية
للدفاع عن المدينة ؟ ..

القائد العسكرى يقول اننا قادرون على الدفاع عن السويس وسأقوم
بالرد بعد أن أدرس الموقف مرة ثانية .

المحافظ يتصل بممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

• جاء رد القاهرة بعد لحظات • انه رد الرئيس أنور السادات •
• لا تسليم • قاتلوا حتى آخر رجل وأمرأة وطفل •

• صفق الجرحى وأبطال المقاومة ومن يقاومون الموت •

• رد أنور السادات ضاعف من الروح المعنوية • نصف المقاتل أصبح
مقاتلا • المقاتل أصبح في قوة عشرة مقاتلين • الجريح نسي آلامه • من
يعانى حشجة الموت دبت فيه الحياة •

• فليذهب تهديد القائد الاسرائيلي الى الجحيم •

• المحافظ يتصل بالقائد العسكرى • قرار القاهرة هو استمرار القتال •
القائد العسكرى : هذا هو قرارى أيضا • أننا قادرون على معركة
ومعارك أخرى •

القائد الاسرائيلي يتحدث فى التليفون بعد مرور نصف ساعة • السماعه
تقف فى وجهه بمجرد سماع صوته •

القائد الاسرائيلي يتصل بكل المكاتب التى يجد أرقامها فى دفتر التليفون •
اتصل بالحكمदार • يا أخى ما تهد البلد اذا كنت قادر •

اتصل برئيس مباحث الأمن العام • • ومين قالك اننا حنسلم •

فقد القائد الاسرائيلي أعصابه • كان لا يسمع الا سخریات !

المحافظ يكلف مندوب الاتحاد الاشتراكى ورجال الشرطة وعددا من
رجال المقاومة ، أن يمروا بعربات فى جميع شوارع المدينة وبميكروفونات •
انطلقت أصواتهم عالية من الميكروفونات • العدو يطلب أن تسلم •
لن نسلم • سنقاوم • سنقاوم • سنحارب • سننتصر •

المحافظ يطلب من الشيخ حافظ سلامه أن يعلن من جامع الشهداء • • فى

الأذان • • وأثناء تأدية الصلاة • • شعار المقاومة حتى آخر رجل • الجامع
الآن أصبح مقر القائد العسكري • تحول الجامع الى ثكنة عسكرية •
تشوين ذخيرة • تنظيم خطط الدفاع • رجال من المقاومة يدخلون ويخرجون •
أخبار عن العدو تحملها فرق الاستطلاع •

كل جوامع المدينة تحولت الى قلاع مقاومة • الله أكبر • سنقاوم •
سننتصر • •

يوم ٢٥ أكتوبر :

قصف بالمدفعية من خارج المدينة • أصوات القذائف لم تعد ترهب أحدا •
العدو يذيع كذبا أن المدينة استسلمت • تخرج برقية كاذبة أرسلها
مراسل الأسوشيتدبرس « دافيد لانكشير » : هذا نص البرقية :

السويس المحتلة — أب — من دافيد لانكشير :

« احتلت القوات الاسرائيلية كل مدينة السويس تقريبا ، وهي البداية
الاستراتيجية ، الى الطرف الجنوبي من قناة السويس • صرح بذلك اليوم
(الخميس ٢٥ الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل) الضابط
الاسرائيليون في الوقت الذي كانت فيه طلقات المدافع تنفجر على طول
القناة على الرغم من وقف اطلاق النار » •

ثم أطلق هذا المراسل لخياله العنان وقال ما نصه :

« كان الدخان الرمادي يسبح بين المباني ، وكان يبدو أن القوات المصرية
المعزولة على الجانب الآخر من القناة في الشرق ، تقصف المدينة في محاولة
يائسة لطرد القوات الاسرائيلية التي احتلت المدينة •

وصرح لى ضابط اسرائيلي برتبة كولونيل، وعرف نفسه بأنه قائد قطاع
مدينة السويس قائلاً أن قواتنا داخل مدينة السويس منذ ما قبل وقف
اطلاق النار الأول • وقال هذا الضابط أن المدينة محتلة بالكامل تقريبا •

باستثناء جيوب قليلة للمقاومة • ربما مئات قليلة من الجنود المصريين في وحدات متناثرة ، لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم يشكلون قوة •

ووصف دافيد لانكشير المراسل الأمين جدا الكولونيل قائد قطاع مدينة السويس بقوله :

« ان قائد السويس الاسرائيلي كان يحمى مسدسا وخنجرا في حزامه ، وكان يتحدث على الطريق الواقع عند الطرف الجنوبي من السويس ، بالقرب من منازل المدينة التي بدت مهجورة • ومن نقطة تقاطع طرق على مسافة ميل الى الشمال كانت القوات الاسرائيلية ، والسيارات نصف جنزير والمدرعات تتحرك داخله وخارجه من المدينة من الغرب دون أية علامات مقاومة • وقد رفض القائد الاسرائيلي أن يحدد كم عدد قواته داخل المدينة • وصرح القائد الاسرائيلي بأنه كان هناك مقاومة عندما تحركنا الى المدينة ، أما الآن فلا يوجد سوى جيوب قليلة لا تزال صامدة • ربما بفايا الجيش الثالث • ولكن لم يعد من الممكن وصفهم بأنهم جيش • وقال القائد الاسرائيلي أيضا أن الأسرى يتوافدون الآن ، وأن لدينا حوالي ٤٠٠ استسلموا حتى الآن وما زالوا يتوافدون حاملين أعلاما بيضاء » •

هذه هي الأكذوبة التي نشرها الاسرائيليون •

ولكن قيادتهم وجدت أنها كبيرة •• وبعدها وفي يوم التالي (٢٦ أكتوبر) في الساعة السابعة و٥٠ دقيقة مساء أذيع البيان الرسمي التالي الاسرائيلي من جميع وكالات الأنباء • وأنا أنقل نص ما أذاعته وكالة يونيتدبرس :

« نفت القيادة العسكرية الاسرائيلية اليوم أن قواتها موجودة داخل مدينة السويس وهي المدينة المصرية الواقعة عند الطرف الجنوبي من قناة السويس • وكان أحد الضباط الاسرائيليين قد قال للصحفيين الذين زاروا المنطقة يوم الجمعة أن القوات الاسرائيلية موجودة بالمدينة التي تم اخلاؤها من السكان المدنيين وكان معهم ١٥ ألفا من الجنود المصريين • وقد صرح الكولونيل مهمان كارمن - المتحدث الرسمي بلسان القيادة الاسرائيلية بقوله : أننا عند ضواحي مدينة السويس ، وبالتالي فنحن لا نسيطر على المدينة • أننا نحاصرها ولكننا لسنا بالداخل • ووجه حديثه الى الصحفيين

قائلا : انكم تستطيعون القول بأن مدينة السويس مستقلة عن القوات
الاسرائيلية » •

حاول العدو دخول المدينة مرة أخرى • اندفع من أحد المداخل بشجاعة
ومدرعة وسيارة جيب • حمى نفسه بفيران مستمرة • كان يسعى الى
استكشاف •• أين يوجد الاسرائيليون الثلاثة والثلاثون • انه يتصور أنهم
أحياء • استطاع أن يختطف أحد المواطنين •

قوات المقاومة تهاجم العدو عند مدخل السويس ناحية المثلث •
استطاعوا أن يختطفوا أحد ضباطهم • الضابط يصيح بلغة عربية ركيكة •
أنا عندي معلومات • أنا حفيديكم • ولكن الأهالي أعطوه علكة ساخنة •
أصيب ونقلوه الى المستشفى الأميري •

انتشرت اشاعة في المدينة أن المدرعات الاسرائيلية ستهاجم المدينة •
ولكنهم سيضعون في مقدمة المدرعات المصريين الذين يعملون في الزيتية •
سيصدرونهم أمام الدبابات حتى لا يستطيع أى مدافع عن المدينة أن
يضرب المدرعات • الاشاعة تقول أنهم اختاروا ١٥٠ من مهندسى وعمال
المصانع •

كان لابد أن نناقش هذه الاشاعة • هكذا قال لى محدثى من أبطال
السويس •

ماذا نفعل •• لو كان هذا صحيحا •• هل نضرب ونضحى بأخواننا
دفاعا عن المدينة • أو أن نمسك عن الضرب • حرصا على حياة أخواننا ••
ثم تسقط المدينة ••

واستمرت المناقشات •• ثم استقر الرأى على قرار واحد • سنضرب
مهما كان الثمن • كرامة الوطن تطالبنا بالاستشهاد • هذا قدرهم •
وقدرنا شهداء •

٢٦ أكتوبر •• أول أيام العيد :

أراد العدو أن ينتقم من ضربة العبور في عيد الغفران •• غارات طيران
مكثفة على الجيش الثالث وعلى أطراف السويس • ضرب متواصل

بالمدفعية • الضرب وطلعات الطيران وقذائف الصواريخ لم تتوقف دقيقة واحدة من الحادية عشر ، في الصباح حتى الخامسة مساء •

هذا الضرب المتواصل بكل الخسائر التي سببها ، لم يؤثر على استمرار الاستعداد العسكى • اعادة الأوضاع الدفاعية داخل المدينة • • الكتائب الادارية التي كانت في الغرب ، وهددها عبور الاسرائيليين • وصلت امدادات أسلحة الى المدينة من الجيش الثالث في الشرق • ذخيرة • أسلحة (م • د) • • الصاروخ فهد •

مجموعات بوحدهاتها من الفرقة ١٩ انضمت للدفاع عن المدينة • الوصول الى السويس عن طريق المزارع كان ميسرا • استمر التجهيز الهندسى • خسائر ضرب الطيران محدودة • تأثيرها النفسى الآن مفقود ، من كثرة ، اعتياد الناس على دوى القنابل والصواريخ والقذائف •

بدأت تظهر مشاكل التموين والسيطرة على النظام • • لقد أخذنا درسا من ٦٧ • وأعدت أماكن لتخزين العمليات والماء • خزانات مياه تحت الأرض متصلة بمواسير الى داخل المدينة ١٢ ألف متر مكعب من المياه في الخزانات • الخزان الرئيسى في الزيتية وبه ٩٠ ألف متر مكعب • المعلبات جزء منها في السويس • • وجزء في الحدائق • • في مدخل السويس •

كان لابد أولا من الاطمئنان على السيطرة على مصادر الماء وتأمين خلقها في المواسير •

• تقرر وقف بيع الخبز من الأفران • لم يبق في المدينة بعد حريق مخزن الدقيق الا ٨٠٠ شوال • تقرر لكل فرد رغيفان من الخبز يوميا • وزع على كل فرد ثلاث معلبات (فول — بامية — لانشون) • الخبز يوزع • كل مصلحة تقدم قائمة • القطاع الزراعى يتسلم خبزه من مراكز الشرطة •

تنظيم هذا العمل يبدو هكذا سهلا • ولكن التنفيذ صعب والمدينة تعيش جو الحرب والتهديد والموت ، وتواجه قصف المدفعية والطيران ليل نهار ، ولكن المعنويات مرتفعة • الكل راض • الكل يريد أن يشارك بأى تضحية • يكتفى أن العدو لم يستطع اقتحام المدينة بعد اندحاره في معارك ٢٥ أكتوبر •

التنسيق كامل بين المدينة وقوات الجيش الثالث • تقرر لكل جندي ربع
• رغيف كل يومين • تعيين اليوم الواحد لكل جندي يقسم على أربعة أيام •
الاتصال مستمر بين القيادة العامة في القاهرة • • وقيادة السويس • •
• وقيادة الجيش الثالث •

٢٧ أكتوبر :

تراشق بالنيران على مشارف المدينة •
مدفعية العدو تضرب في العمق •

٢٨ أكتوبر :

وصلت أول مجموعة من قوات الأمم المتحدة • كان كل جهدا السيطرة
على وقف النار • أمكن السيطرة على الاسرائيليين • المدافعون عن المدينة ،
من غير العسكريين ، من الصعب السيطرة عليهم • انهم منتشرون في كل
مكان • الاسرائيليون في مباني شركة النصر في الزيتية عند مشارف المدينة •
رجال المقاومة في العمارات التي تواجهها • وبينهما فضاء •

استخدم رجال الأمم المتحدة كل الوسائل لمنع اطلاق النار • اذا ساروا
ففرادى كانوا يحملون علم الأمم المتحدة • في السيارات يرفعون « البيارق »
بأعلام الأمم المتحدة • الضرب مستمر ، وكانوا يخشون أن يصابوا •

استمرت محاولات السيطرة أربعة أيام متصلة •

كان يتم الاتفاق بين قوات الأمم المتحدة ، على أن الضرب سيتوقف بعد
١٥ دقيقة • الاتفاق ارتضاه الاسرائيليون والمصريون • في الدقيقة الأخيرة
يصب المصريون ضربات نار قوية ومتسعة • يرد الاسرائيليون • يبطل
الاتفاق • وهكذا • •

٣٠ أكتوبر :

بدأت تظهر مشاكل داخلية في المدينة ، الدفاع عن المدينة في الساعات

الحرجة اقتضى أن ينتشروا في كل مكان ، وأن يضربوا بأى شيء • مواد
التموين غير كافية • الأعصاب مرهقة • وقعت مشكلات بسبب الطعام •
أمكن السيطرة عليها •

صدر قرار القائد العام بتعيين قائد عسكري جديد للمدينة من قوات
الجيش الثالث في الشرق هو العميد الكنزى •

بدأ سريعا عمليات اعادة تنظيم الدفاع عن المدينة • تنظيمات جديدة
للدفاع • مكعبات خرسانية • الاستفادة من قضبان السكك الحديدية •
أسلاك شائكة • ألغام • مدافع جديدة وصلت من الجيش الثالث من
الشرق • خنادق في أماكن دفاعية جديدة ••

كان عملا عسكريا رائعا ••

كل العناصر غير المحاربة ، بين هؤلاء الجنود بدأوا تدريجا عسكريا شاقا ،
رغم أن أعمارهم متقدمة •

الاتصالات بقوات بدر (٢ فرقة من الجيش الثالث شرق القناة)
مستمرة عن طريق معبر لم يستطع الاسرائيليون الاستيلاء عليه
أو تدميره • ضرب هذا المعبر بالطيران والمدفعية والدبابات • ضرب
العدو من الزيتية يمكن أن يصل مداه الى بور توفيق • من القطاع الزراعى
يستطيع أن يضرب الى موقع الكيلو ١٦٠ ، من الموقع الذى وصل اليه
وهو الكيلو ٥٢ • من بور توفيق يمكننا الوصول الى حوض الدرس حيث
يوجد المعبر • هناك طريق آخر الى منية الغلة • ضرب المعبر استمر
ليلة بطولها ، حتى تحول الى شعلة من النور • ومع ذلك •• فلم يتحطم
•• وأمكن اصلاحه •• وكان العبور الى الشرق يتم عليه !

المخابرات الاسرائيلية تحاول الحصول على معلومات عن الحالة داخل
المدينة • تصوروا أن المصرى يمكن أن يكون جاسوسا • اتصلوا ببعض
المصريين في مواقع خارج المدينة • ودفعوهم الى داخل المدينة باغراءات
مالية • كان المصرى يدخل الى المدينة ويتجه على الفور الى قيادة مدينة

السويس • كان يروى كل شيء • وكان يحمل معه الاجابة التى ترهق
أعصاب الاسرائيليين •

كانت أسئلة المخابرات الاسرائيلية • ما هو اثر وقف مباحثات الكيلو ١٠١
على المواطنين ؟ • هل لديهم ماء كافى ! • كيف يأكلون ؟ • ألم تتم
مظاهرات ضد الحكومة ؟ •

كانوا يتصورون أن هذا الشعب يمكن أن يضعف أو يرضخ •

وكانت الاجابات تصلهم • شعب السويس واثق من الانتصار • هذا
التمسك الاسرائيلى مهما اتسع مداه ، واقع فى المصيدة • سيباد • الأكل
عن جدا • الماء متوفر • كل الناس سعداء • سنقضى على هذا الحصار •
تواننا ستفتح الطريق •

فى الأيام الأولى رموا المنشورات التى تطالب بالاستسلام • فاشتعل
الناس النار فى هذه المنشورات •

لجأوا الى مكبرات الصوت عند أطراف المدينة • سلموا • ستتحطم
المدينة حجرا حجرا • سننهي حياتكم •

وكان الرد • اشتعال المقاومة •

أوقفوا المنشورات • وأوقفوا الصراخ فى مكبرات الصوت •

انهم يواجهون الارادة المصرية لأول مرة ••

بعد اعادة التجهيز العسكرى زادت خسائر العدو فى الترشق بالنيران •
كانت نيرانه بلا هدف • كانت نيراننا تعرف هدفها • كانوا يضربون ضرب
عشواء ، وكنا نصيب أهدافنا •

وكانت الجماهير تستطيع أن ترى على البعد سيارات الاسعاف تنقل
قتلاهم وجرحاهم بعد كل تراشق نيرانى ••

وكانت الروح المعنوية تزداد ارتفاعا رغم •• معاناة النقص فى الماء
والطعام •

بل حدث في الأيام الأخيرة •• أن الجنود اليهود كانوا يصرخون ••
يا مصريين •• احنا تلامذه • عاوزين نذاكر • عندنا امتحانات • احنا
ما ضربناش • الموقع الثانى هو الذى ضرب • اضربوه ••

وتتجه نيران المصريين الى الموقع الثانى •• فيصيحون •• ما تصدقوش
احنا ما ضربناش • ومش حنضرب أبدا ! •

وهكذا شعر أبناء السويس •• بقوتهم •• رغم الحصار !
القائد الاسرائيلى يطلب مقابلة محافظ السويس تحت علم الأمم المتحدة •
القائد الاسرائيلى يريد أن يعرف مصير الثلاثة والثلاثين اسرائيلى
المفقودين • طلب معلومات •

ولم تصلهم المعلومات •

واستمر الحصار مائة يوم •

وتأجج نضال شعب السويس مائة يوم •

بل أنهم احتفلوا بالعيد الكبير • برنامج ضخم فى جميع شوارع المدينة •
المدنيون يزورون القطاعات العسكرية • الجميع يزور المرضى • حفلة خاصة
للأطفال فى حديقة المستشفى • ما أروع أطباء المستشفى • كل طبيب كان
هرما • كل ممرضة كانت مصر • مدير المستشفى الشهيد الدكتور أيوب •
بذل فى صمت • عمل بأضعاف جهد سنه • تحدى كل شىء • أعطى دمه
وعلمه وفنه وراحته • وفى يوم فك الحصار •• كأنه شعر أن رسالته قد
انتهت • مات فجأة فى صمت ، كما كافح فى صمت • كانت السويس تحتفل
بانتهاء الحصار •• وكان جثمانه يخرج من المدينة الى القاهرة ! •••
عندما بدأت الأفراح •• لم يكن بعد له مكان !

يا لفارقات القدر !

٣ يناير :

العيد الكبير • الآلاف فى الجوامع يؤدون صلاة الفجر • الله أكبر ••
همسة الايمان تخرج من قلوبهم • العدو يضرب بالمدفعية • المدينة تهتز •

همسة الله أكبر • • ترتفع مع ارتفاع دوى المدفعية • دعاء الايمان يتحول الى صرخة اصرار • الله أكبر • مدفعية العدو تستمر في الضرب • الله أكبر تدوى بأقوى من المدفعية • دموع الايمان في كل العيون • نبض الايمان في كل القلوب • وخرج المصلون من الجوامع • • أكثر اصرارا • وأحتل كل واحد موقعه • واستعد لمعركة جديدة •

الله أكبر !

١٦ يناير :

تم توقيع اتفاقية الانسحاب •

الاسرائيليون عند مشارف المدينة يرقصون ويغنون ويسكرون • أسعد يوم في حياتهم • العودة الى اسرائيل بعد المعارك الفاشلة • الانتصار الوحيد هو أن يعودوا سالمين • كانوا يهتفون بالعربية • • السادات راجل تمام • السادات رجل جدع • جولدا مائير بنت كلب • مائير بنت • • • • • (ويعف القلم عن ذكر الصفات الشائنة التي الحقوها بشرف رئيسة وزرائهم)

برقية من الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام الى قيادة السويس يوم ٢٨ يناير الساعة ٨٣٠ مساء :

« من وزير الحربية الى قائد مدينة السويس :

« الى قائد مدينة السويس • بمناسبة توقيع اتفاق الفصل بين القوات وانسحاب القوات الاسرائيلية شرق قوائنا في سيناء ، أبعث اليكم وإلى جميع قواتكم ضباطا وجنودا ، أبعث اليكم بتحياتى القلبية وتقديرى العميق • وأؤكد أن جهودكم وتضحياتكم كانت عاملا رئيسيا في توقيع اسرائيل اتفاق انسحابها شرق مواقع قوائنا في سيناء • وأؤكد ضرورة استمرار اليقظة والاستعداد وعدم التهاون اطلاقا لحين اتمام الانسحاب كاملا • وإلى اللقاء قريبا • باذن الله والله يوفقكم » •

هذه ليست أول برقية من القائد العام • كان الاتصال كما قلت يوميا • ومن سجلات الحرب أقدم بعض البرقيات السرية التي أرسلت من السويس إلى القائد العام في القاهرة •

✽ اشارة الى القائد العام فى ١٣/١١/١٩٧٣ الساعة ٣ صباحا :

« عن القوات شرق القناة ، المعنويات ممتازة • الجميع فخورين بما حققوه من نصر • توجد بطولات مشرفة كثيرة • درجة الايمان عنية جدا • القادة والقواد يبذلون جهدا مشرفا لتدعيم الدفاع ورفع كفاءة التجهيز الهندسى ، علاوة على التدريب • الاتصال اليومى من الوزير يرفع المعنويات • القائد العسكرى فى السويس يبذل جهدا مشرفا لتنظيم الدفاع عن المدينة • المعنويات ممتازة للعسكريين والمدنيين • المدنيون يقدمون كل معاونة ممكنة للعسكريين • الأطباء وهيئة التمريض بمستشفى السويس الأميرى قاموا بعمل بطولى رائع » •

✽ اشارة الى القائد العام فى ٥/١٢/١٩٧٣ الساعة ١١ مساء :

« المخابرات الاسرائيلية تسعى الى معرفة معلومات عن معنويات العسكريين فى رأس الشاطيء فى السويس • وعن موقف الذخيرة والوقود فى رأس الشاطيء ، وعن مدى بيان القاهرة بايقاف المباحثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ » •

✽ اشارة الى القائد العام فى ٣/١/١٩٧٤ الساعة ١٠ مساء :

« بدأ العدو الاشتباك الساعة (٥٥٥) — أى السادسة الا خمس دقائق الاشتباك من كفر جودة والمثلث وكازينو روكسى فى اتجاه كفر أحمد عبده والمثلث وحوض الدرس • تم الرد على العدو بنيران مؤثرة • استمر الاشتباك حتى ساعة (٧٥٥) — أى الثامنة الا خمس دقائق • استمرت احتفالات العيد بالمدينة دون تغيير • الروح المعنوية أكثر من ممتازة •

خسائر العدو ٣ قتلى ، ٣ جرحى • تدمير عربة جيب على طريق العوايد • اصابة دبابة خلف مدرسة فى قطاع المثلث • اشتعال النيران بها • اصابة لورى • خسائر قواتنا طوال اليوم ٢ فرد شهيد » •

وبعد .. هذه بعض سطور من ملحمة السويس • الملحمة تحتاج الى مؤلفات • كل معركة تحتاج الى أقلام • كل نقطة دم تلهب الهمم الشعراء والكتاب • كل بطل له قصة • وكل قصة لها أبطال • والقصة الكبرى .. هي آلاف من أمجاد الرجال • ولم يكن ميسرا الى في هذا الكتاب، أن أروي حكاية كل بطل • جرحه • قتاله • الأحياء والشهداء • ولكنى قصدت أن أقدم شريطا قصيرا لرواية طويلة • العنوان قصير • ملحمة السويس • ولكن صفحات التاريخ أطول وأكبر وأروع من أن يسطرها قلم واحد .. بل مئات الأقلام •

تال لهم السادات : قاتلوا حتى آخر رجل وأمرأة • وطفل •
وقاتل الرجال • وانتصر الرجال •

* * *

الفصل الحادى عشر

حقائق الثغرة

●●● « لأول مرة ، يذيع قائد مصرى ، هو الفريق محمد عبد الفنى الجيسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، حقائق معارك الثغرة منذ وقوعها ، حتى وضع الخطة العسكرية — شامل — لحصارها وأبانيتها .. ثم انسحاب الاسرائيليين .

لقد وقعت بعض أخطاء منا . ولا يعيننا هذا .
والحرب معارك متصلة . والفريق الجيسى يتحدث
فى هذا الفصل لأول مرة عن كل الأسرار » ●●●

الرئيس السادات : هل قرأت عن غزو نورماندى فى الحرب العالمية ؟

اللواء الجمسى : نعم .. ياسيادة الرئيس ..

الرئيس السادات : خذ هذا الكتاب ، واقرأه جيدا .. أعتقد أنه سيفيدك • وكان الكتاب الصغير ، باللغة الانجليزية ، على منضدة بجوار الرئيس ، فأعطاه للواء الجمسى ، الذى قرأه عدة مرات .. ولاحظ أن الرئيس قد وضع خطوطا وملاحظات على بعض سطور وفقرات من الكتاب • ان هناك أوجه شبه فى بعض النواحي العسكرية بين انزال قوات الحلفاء .. فى نورماندى .. وبين عبور قواتنا الى شرق القناة • تلك عملية انزال قوات فى أرض يحتلها عدو على نطاق واسع .. والعبور .. هو أيضا الوصول بقوات ضخمة الى أرض يحتلها عدو ويفصلها عائق مائى .. والكتاب يتناول عمليات الطيران .. وعمليات تنظيم القوات ذات الاعداد الضخمة بعد انزالها .. كما يتناول دور القادة المحليين فى العملية الكبرى ..

وعرف الجمسى من ملاحظات الرئيس المكتوبة ، على صفحات الكتاب ماذا يدور فى ذهن القائد الأعلى عن المعركة وامكانيات العبور •

كان ذلك ذات يوم فى أغسطس من عام ١٩٧٢ •

وكان الرئيس قد دعا وزير الحربية ورئيس الأركان وبعض القادة الى اجتماع خاص فى القناطر الخيرية ..

وفى هذا الاجتماع قدم اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بوصفه رئيسا للعمليات تقريرا شاملا عن أوضاع القوات المسلحة المصرية .. وتناول فى تقريره ، وجود المستشارين والخبراء السوفيت ، وعدم تبعيتهم للقيادة المصرية ، والنتائج التى يمكن أن تحدث من جراء ذلك اذا وقعت الحرب •

ومن هنا كما قال الرئيس أنور السادات في اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة في أكتوبر ١٩٧٢ ، بدأت تدور في ذهن الرئيس فكرة إنهاء خدمات الخبراء السوفيت ، حتى يمكن أن ندخل المعركة بدون وجود قوات سوفيتية على أرضنا .. ثم أخذت الفكرة تتبلور شيئاً فشيئاً ، وهي تنمو في العقل الباطن للرئيس ، حتى اتخذ قراره التاريخي المشهور في الوقت المناسب .. وغادرنا الخبراء السوفيت في يوليو ١٩٧٣ •

وفي اجتماع القناطر (أغسطس ١٩٧٢) •• نبه الرئيس أنور السادات وزير الحربية والقادة الى عدة نقاط هامة منها ••

• قال لهم الرئيس ، أنه يحذرهم من التفكير النمطي المعروف في وضع الخطة العسكرية •• التفكير النمطي يمكن أن يتوقعه العدو ، ويتيسر له أن يقاومه •• وطالبهم الرئيس بالابتكار والخلق ، من واقع ظروفنا الموضوعية المحلية ••

• طلب اليهم الرئيس ، أن تكون مفاجأة العدو ، هي الأساس الهام في الخطة العسكرية •• قال : توفير المفاجأة والمباغتة يعتمد عليه نجاحنا في تلافى خسائر كبيرة في العبور ••

ومن هنا فعلاً ، بدأ التفكير العملي في خطة الخداع •• التي نفذت على أحسن وجه ، ووضع الجسمي أساسها في الكشكول الصغير الذي كتبه بخط اليد من نسخة واحدة ، وقدمه الى الرئيس (كما أشار الرئيس في حديثه الى المؤلف في الجزء الأول من هذا الكتاب) •

• وكان الرئيس مهتماً بالغ الاهتمام بوضع الطيران ، وبضرورة مواجهة تفوق العدو في الطيران •• وفي هذا الاجتماع ، أصبح واضحاً أنه من الممكن الاعتماد على القوات الجوية المصرية ، ابتداءً من أكتوبر ١٩٧٢ ، بعد تنفيذ اقتراحات معينة طرحت في هذا الاجتماع ••

خرج اللواء الجسمي من اجتماع أغسطس •• وهو على يقين كامل ، أن الرئيس أنور السادات ، جاد كل الجد ، في أن يصدر قرار الحرب •• في فترة قريبة •• وقريبة جداً •• وبدأ على الفور تنفيذ تكاليفات القائد

الأعلى • ولكنه كان يشعر مما يراه حوله ، من تصرفات بعض القادة ،
ومن أقوالهم ، أنهم لا يعيشون جدية الموقف الخطير ، كما يجب ، وبما
يتجاوب مع فكر القائد الأعلى ••

ولذلك • لم يفاجأ • بقرارات اعفاء وزير الحربية وبعض القادة ••
وكن في دمشق مكلفا بمهمة عسكرية ، عندما قرأ هذه الأنباء ، وملاه
التساؤل بتعيين الفريق أحمد اسماعيل وزيرا للحربية •• لقد عمل معه
سنوات طويلة ، ويعرف مدى كفاءاته القيادية ، وقدراته العسكرية ••

وبدأ الوضع في القوات المسلحة ، يتطور الى الاعداد الشامل الجدى
للقتال ، عبورا ، وهجوما ، وتطويرا للقتال •• وانتقلت الخطة العسكرية
الى مناقشة كل الجزئيات •• وبدأ ٦ أكتوبر العظيم ••



وكان تخطيطي وأنا أكتب فصول هذا الكتاب ، أن يكون الفريق الجمسى
رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، في مقدمة من ألتقى بهم من القيادات
العسكرية ، لمعرفة الدور الذى أداه •• ولكنه أستطاع أن يتهرب من
مطاردتي له طوال أشهر اعداد الكتاب ، وفهمت أنه يريد أن يقفل فمه
من أى حديث عسكرى • وأنه يرى أن من واجبه تسجيل الحقائق
العسكرية لحرب أكتوبر في مؤلف علمى ، يصدره بعد أن يترك الخدمة
في القوات المسلحة ، ليكون دليل تاريخ • ولكنى لم أتوقف عن
مطاردته •• وحصلت على اذن خاص ، أن يتحدث الفريق الجمسى عن
حقائق الثغرة •

لقد أمر الرئيس بعد وقف اطلاق النار ، أن يجرى حوار عسكرى في
أكاديمية ناصر ، عن الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ، يشترك فيه كل
من أسهم في المعارك ، وقد كان موضوع الثغرة ، من أهم الموضوعات
التي رثى أن تسجل حقائقها يوما بيوم ، من واقع سجل الحرب •

قلت للفريق الجسمى : هل تريدون اخفاء حقائق الثغرة عن الجماهير .
وعن التاريخ ؟ ..

قال : اطلاقا .. ان كل شىء سجل . وكل ما يحيط بحرب أكتوبر .
يناقش فى دراسة عسكرية علمية ..

قلت : اذن .. لماذا تهربت من مطاردتى أكثر من أربعة أشهر ؟ ..

قال : ها أنذا أمامك الآن ..

قلت : اذن .. لن نضيع الوقت ، ما هى حكاية الثغرة ؟ .. وكيف
فات على قيادة القوات المسلحة التى وضعت الخطة ، أن العدو يمكن
أن ينفذ من نقطة الضعف بين الجيشين الثانى والثالث ! ..

قال : ان التتبه لنقاط الضعف بين جيشين أو لواءين أو كتيبتين ..
مسألة محسوبة . وليست مفاجئة لأحد . وأساليب تأمين الحدود بين
الجيشين فى الخطة العسكرية موجودة منذ أن وضعت . لم يكن الموضوع
اذن خافيا ، كما نشر أحد الكتاب .. وقد كنت اعتزم توضيح الموقف
للرأى العام حين نشر ذلك التحليل للثغرة .. ولكن القائد العام رأى
ألا نتكلم حتى تنتهى المعركة . أن المنطقة الفاصلة بين الجيشين الثانى
والثالث ، هى منطقة البحيرات . وقد درسنا هذه المنطقة جيدا . واتساع
البحيرات . وطبيعة الأرض فى الشاطئين الغربى والشرقى ، ووضع
الألغام فى الاتجاهين يجعل من الصعب عبورها ، من العدو أو منا .
هى منطقة مؤمنة جغرافيا الى حد ما .

ولكن هل كان هذا يكفى ؟ ..

بالطبع لا . لذلك خصصنا قوات لتأمين الجنب الأيسر للجيش الثالث ،
والجنب الأيمن للجيش الثانى .. بحيث تستطيع النيران أن تصل فى
الوقت المناسب اذا حدث اختراق . وكان من المستحيل طبعا أن نغطى
كل شبر من الأرض على امتداد المواجهة ، وهى ١٧٠ كيلو مترا ، ونؤمنها
بقوات عسكرية . هذا ليس بالعمل العسكرى . ولكننا أمنا جنبى الجيشين
الثالث والثانى للحماية من الاختراق . وكان هذا مخططا ومعلوما للجيش.
على مستوى القيادة ؟ .

فقلت : إذن .. كيف تم اختراق العدو ؟ ..

قال : ان العدو كان يقوم بهجمات مضادة عنيفة حتى يوم ١٣ أكتوبر ، على قوات الجيشين الثانى والثالث .. ولعلك سجلت فى كتابك تفصيلات هذه الهجمات ، وأنا أعلم أنك ألتقيت بكل القادة ..

قلت : نعم .. ولولا صد هذه الهجمات ، لحدث اختراق من العدو الى الغرب فى أكثر من موضع ..

قال : وفى يوم ١٤ أكتوبر قررنا تطوير الهجوم شرقا لنحقق هدفين ..
نقل ثقل العدو من الجبهة السورية الى سيناء .. والحصول على مزيد من الأرض ..

قلت : يقال عسكريا ، أنه لم تكن هناك ضرورة لهذا التطوير ، فقد تكبدنا فيه خسائر كبيرة ، ولم نتقدم الا لمساحات قليلة من الأرض لم تكن تساوى هذه الخسائر .. كما أن التطوير هو الذى أتاح للعدو فرصة الثغرة ..

قال : كلام غير سليم عسكريا .. فقد كان من المستحيل أن نتوقف ، وكان لابد من تنفيذ الخطة ، ولا يمكن أن تبقى قواتنا فى مواقعها ، وتتحول من موقف الهجوم الى موقف الدفاع .. ان بقاء قواتنا مدافعة فقط ، كان سيجتنب للعدو أن يخرقها من أماكن عديدة ، لأن هجماته كانت مستمرة .. وهدفه الاختراق .. أن العدو كان يحتفظ بشريط قتالى من الشمال الى الجنوب ، يبتعد من قواتنا ١٥ كيلو مترا ، ومن مواقعه فى خط الشريط الممتد ، كان يستطيع تركيز هجماته من أكثر من موضع .. لذلك كان لابد أن نتقدم ، لكى نصلى الى هذا الشريط ، ويكون هو الخط الحدى الجديد لقواتنا .. عندئذ كان العدو مضطرا للتقهقر الى شرق المضائق .. وتكون قواتنا مؤمنة من هجماته المستمرة ..

قلت : ولكن قيل أن امكانية التغطية بالصواريخ المضادة للطيران كانت أقل من حماية تطوير الهجوم ..

قال : هذا أيضا تقدير غير عسكرى .. لأن لنا فى الشرق منذ

أبداية : قواعد صاروخية •• كما كانت لدينا الصواريخ المحمولة •• وليس من الضروري أن يكون الهجوم بتأمين كامل ضد طيران العدو •• علاوة على أن قوة طيراننا كانت كافية • وعندما تمكن العدو من أحداث الثغرة ، كان سلاح الطيران هو الذى يطالبنا بأن يؤدي أى تكليف •• وكان دائما لديه فائض للاستخدام • أى ان الطيران المصرى كان قادرا على حماية تطوير الهجوم •• مع قوة الصواريخ وان كانت محدودة نسبيا ••

بدأ تطوير الهجوم فى ١٤ أكتوبر • ودفعنا بفرقة مدرعة هى الفرقة ٢١ من الغرب الى الشرق ، وعبرت فى منطقة الجيش الثانى ، من اتجاه الدفرسوار بالذات • قواتنا اذن لم تكن قليلة شرق القناة فى منطقة الدفرسوار •• وكان العدو مركزا فى هجماته على الفرقة ١٦ بقيادة اللواء عبد رب النبى حافظ •• وقد قاتلت هذه الفرقة قتالا مجيدا ، وصدت هجمات ضارية ••

قلت : ولكننا خسرنا يوم التطوير حوالى ٢٠٠ دبابة ••

قال : نعم خسرنا ولكن ليس كل هذا العدد •• وكان العدو يستخدم الأسلحة الأمريكية الحديثة التى وصلته ، ومن أهمها الأسلحة المضادة للدبابات بالذات •• ولكن العدو تكبد خسائر أفدح •• فى هذه المعارك التى سميت بمعارك الدبابات الكبرى • كانت المواجهة بين الدبابات لايفصلها أكثر من كيلو متر واحد ، وهذا لم يحدث فى أية حرب سابقة فى العالم •• كانت معارك دامية وشرسة •• وفى رأى أن تطوير الهجوم نجح فى هدفه ، وهو أن شريحة الأرض الجديدة التى استولينا عليها ، لم تكن كبيرة •• وكانت خسائر العدو فادحة جدا ، وأكبر من خسائرنا • وهذه حقيقة معترف بها •

قلت : ولكن الثغرة بدأت يوم تطوير الهجوم ••

قال : هذا غير صحيح •• فى حوالى الساعة العاشرة من مساء ١٥ أكتوبر (ليلة ١٦/١٥) ، تمكنت قوة صغيرة للعدو تتكون من ٧ دبابات أن تصل الى غرب القناة • باستغلال ملتقى القناة بالبحيرات المرة •• فى هذا الوقت بالذات كان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ، قد

فاجأه المرض منذ صباح يوم ١٤ حيث أصيب بنوبة قلبية ، ونقل من مقر قيادته الى المستشفى .. وتولى رئيس أركانه مسئولية القيادة .. الى أن عين اللواء عبد المنعم خليل قائدا للجيش الثانى ، وكان من قبل قائدا لهذا الجيش ..

قلت : ماذا كان تصرف القيادة العامة ، عندما أبلغت مساء ١٥ أكتوبر بهذا التسلل ..

قال : الذى حدث أن القيادة العامة لم تبلغ • وهذه أول الأخطاء .. لقد اكتشف رئيس أركان الجيش الثانى هذا التسلل • وصباح يوم ١٦ أكتوبر أبلغ به القيادة العامة ، وكان تقديره أنه تسلل بسيط ، وأنه قادر على التعامل معه .. وكان صباح ١٦ أكتوبر ، هو يوم اجتماع مجلس الشعب ، حيث تحدث الرئيس أنور السادات الى الشعب .. وكان الفريق أحمد اسماعيل القائد العام موجودا بالمجلس • وعندما عاد من المجلس ، أقر كل التصرفات التى اتخذناها ، والحقيقة أن التبليغ لم يكن مستقرا • كان متضاربا • الدبابات اتجهت الى الشمال • بعضها اتجه الى الغرب • بعضها اتجه الى الجنوب • عادت الى الشمال .. وزاد عدد الدبابات المتسللة من ٧ دبابات الى ٣٠ دبابة .. لقد كانت الثغرة أكبر مما تصورها القائد المحلى • ورأت القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلى وأنه يجب أن يعالج على مستوى القيادة العامة • أن الهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطينا فى الغرب لم يفلح .. الهجمات كانت ضعيفة • وقررت القيادة العامة ، فى أوامرها عدم العمل بقوات صغيرة • وصدر الأمر باستخدام لواء بالكامل ، للتدمير • من احتياطيات القوات بالغرب ، وتم حشد نيران المدفعية ضد العدو فى منطقة التسلل • وهاجم الطيران ابتداء من صباح ١٦ أكتوبر • ولكن مقاومتنا لم تنجح ، لأن دبابات العدو الثلاثين التى تسربت ، تفرقت فى المنطقة الجبلية فى عدة اتجاهات .. وكانت لها حماية طبيعية .. ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف .. وقد قاتلت القوات المصرية المهاجمة قتالا باسلا • وأستشهد قائد كتيبة .. وقائد لواء .. وقائد فرقة .. فى الهجوم الذى تقرر يوم ١٧ ..

قلت : كانت القوات الاسرائيلية المتسللة قد دمرت مواقع الصواريخ ؟

قال : لا .. حتى يوم ١٦ أكتوبر ، كانوا قد ضربوا موقعين صواريخ فقط حتى المساء .. ولم يكن هذا الأمر ليشكل خطورة كبيرة ..

قلت : وماذا كانت خطة الهجوم الكبير يوم ١٧ أكتوبر ؟ ..

قال : كانت خطة القيادة العامة .. هي حصار الثغرة في أضيق مساحة من الأرض في الغرب وسرعة تدميرها .. وفي نفس الوقت قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو • وتقرر أن يهاجم الجيش الثاني جنوبا ، وأن يهاجم الجيش الثالث شمالا ، لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو في المصيدة • وقد كان هذا الموقف الصعب ، هو موضع المناقشة الحامية في القيادة الاسرائيلية .. وكان سؤال بعض قادتهم • وما العمل ، اذا نجح الجيشان الثاني والثالث في سد الثغرة من الشرق ؟ .. واختلفت آراءهم .. وكان المثير للفرع لديهم أن خسائرهم ستكون فادحة جدا ..

قلت : وهل نفذ الهجوم ؟

قال : نعم .. تقدمت قوات الجيش الثاني جنوبا .. وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالا .. ووصلت المسافة بينهما الى ٤ كيلو مترات فقط ، ولكنهما لم يتمكنوا من الالتقاء .. لقد استعد العدو لتأمين مرور قواته شمالا وجنوبا ، وكان القتال رهيبا .. استخدمت فيه كل الأسلحة • وهكذا استطاعت قواته يوم ١٧ أكتوبر أن تنفذ بأعداد أكثر الى الغرب • ولكن القتال الرهيب استمر أيام ١٧ ، ١٨ و ١٩ و ٢٠ أكتوبر • وقد تكبد العدو في هذه الأيام الأربعة أكبر خسائر في الحرب كلها ، سواء في العتاد أو الأرواح • وقلت لك أن القتال تم بجميع أنواع الأسلحة • المدفعية المدرعات • الصواريخ • الطيران • الهيلوكبتر • وزاد تسلل العدو الى المنطقة الجبلية متجها الى الجنوب ، مستخدما أسلوب حرب العصابات التي يجيدها ، بأن تندفع اعداد قليلة من مدرعاته (من ٤ - ٧) في كل اتجاه ..

قلت : وماذا كان توقع القيادة العامة بعد نجاح التسلل ..

قال : توقعنا أن يتجه العدو الى الشمال صوب الاسماعيلية والى الجنوب صوب السويس • ونجحنا فى تأمين الاسماعيلية ، فلم يستطع الاتجاه الى الشمال •• ولكنه تمكن من الانتشار جنوبا ••

قلت : ولكنى أذكر أن الرئيس القائد الأعلى ، كلف الفريق سعد الشاذلى يوم ١٨ بالسفر الى الجبهة وحمله مسئولية تصفية الثغرة ••

قال : نعم •• وكانت خطة القيادة العامة احاطة قوات العدو بستارة من الدبابات والأسلحة المضادة ، لتثبيتها فى أقل مساحة من الأرض فى الغرب حتى لا ينتشر وبذلك يمكن تدميرها بالهجمات المضادة المخططة •• واتخذت بعض الاجراءات لتنفيذ ذلك •• الا أن هذه الاجراءات لم تؤدى الى النتائج المطلوبة تماما ••

ولا يزال هذا الموضوع موضع الدراسة الدقيقة حتى الآن •

والدراسة تجرى على أساس ما هو مثبت فى سجلات الحرب دقيقة بدقيقة ••

قلت : وهل تكتب سجلات الحرب ؟ ••

قال : نعم •• لأن كل أمر يصدر ، يسجل كتابة • وكل من اشترك فى معركة الثغرة ، يستدعى ، ويشرح موقفه العسكرى كاملا ، ويدافع عن وجهة نظره من الناحية العسكرية • ولا يمكن طبعا ، رغم كل هذا ، الا أن نقبل اختلاف التقدير العسكرى الذى لا يعنى ان قائدا مسئولا عن ان قائدا آخر غير مسئول •

قلت : ولكن قيل ، أنه لو تم من اللحظات الأولى ، مقاومة الثغرة ، بهجوم كبير •• كان أمكن القضاء عليها ، وأن الخطأ الأساسى هو فى معالجتها فى اليوم الأول بهجمات صغيرة ••

قال : على كل هذا رأى عسكرى .. ولكننى قلت لك أن التقدير المحلى لأول تسلل لم يكن سليما .. كما أن القيادة العامة لم تبلغ بالموقف الا يوم ١٦ أكتوبر .. وكان العدو قد تمكن من الوصول الى المنطقة الجبلية بما فيها من حماية طبيعية مع استخدام حرب العصابات .

وقد واجه العدو بعد ذلك أرهب قتال دموى شرس فى الأيام التالية ، وتكبد أفدح خسائره فى الحرب كلها . كان قتال القوات المصرية ، معبرا عن أقوى مثل الشجاعة والفداء . واستشهد كما قلت لك .. قائد كتيبة وقائد لواء وقائد فرقة .. كان القائد قبل الجندى .. مندفعاً الى جسارة الاستشهاد فى سبيل تطهير الأرض . وسجل البطولات المصرية ، حافل بأروع القصص ..

قلت : كان هذا هو الموقف حتى يوم ٢٠ أكتوبر ..

قال : نعم .. وتطور الموقف بعد ذلك الى أن العدو وصل بقواته جنوباً الى أن قطع طريق القاهرة السويس ، وبذلك هدد طريق الامداد والتموين عن فرقتى الجيش الثالث فى الشرق ..

قلت : هل كان يمكن للعدو أن يصل الى القاهرة ؟ ..

قال : هذا هو المستحيل ، وأكررها .. هذا هو المستحيل . لقد كانت المنطقة مؤمنة بقوات مدرعة لا تسمح لأى قوة مهما بلغت أن تنفذ الى اتجاه القاهرة . ولم تكن هذه الفكرة ، تزعجنا على الاطلاق ..

قلت : لقد عاد الفريق الشاذلى من الجبهة يوم ١٩ مساء ..

قال : نعم .. وعبر عن وجهة نظره فى تقدير الموقف العسكرى للقائد العام .. ورؤى أن يحضر القائد الأعلى الرئيس السادات الى مقر هيئة العمليات .. واستمع القائد الأعلى الى وجهة نظر الفريق الشاذلى .. واستمع الى وجهات النظر الأخرى .

* * *

قلت : أنا أذكر أن الرئيس السادات قد صرح من قبل في حديث صحفي أنه لم يوافق على فكرة سحب قواتنا من الشرق إطلاقا •

ثم تطورت الأمور كما يعرفها القارىء ، وكما جاءت في فصل آخر من هذا الكتاب ••

أعلن الرئيس السادات يوم ٢٠ أكتوبر قبول وقف إطلاق النار ، بضمان من أمريكا والاتحاد السوفيتى بالتنفيذ الفورى لقرار مجلس الأمن ••

أمكن تقدم العدو بعد وقف النار في ٢٢ أكتوبر ••

وضعت الخطة العسكرية « شامل » لمقاومة الثغرة غربا •• ولتطوير الهجوم شرق القناة • (وسيجد القارىء تفصيلها في الفصل المقبل) •• ثم انسحبت قوات إسرائيل ، تنفيذا لاتفاق فصل القوات ••

* * *

وسألت الفريق الجسمى :

ألم يكن ميسرا أمام القوات الاسرائيلية أن تدمر قوات الجيش الثالث ! ••

وأجاب : بالطبع لا •• لقد كان رأى الذى أعلنته في اجتماع الساعة الواحدة — صباح ٢٠ أكتوبر مع الرئيس القائد الأعلى ، أن قوات الجيش الثالث في الضفة الشرقية تكون صخرة صلبة ، من فرقتين مشاه مدعمتين مدفعية • ذخيرتها متوفرة • كانت تستطيع أن تقاوم بالتموين الذى لديها أيام عديدة • ولم يكن العدو ليقدّم على هذه المقامرة أبدا •

قلت : وما هو تقديرك لدور أمريكا في موضوع الثغرة ؟ ••

قال : ان الاستطلاع الأمريكى يوم ١٣ أكتوبر ، هو الذى حدد
لإسرائيل نقطة الضعف التى أمكنهم التسلل منها • كما أن السلاح
الأمريكى الحديث ، ساعد فعلا ، على صمود القوات الاسرائيلية رغم
ما تكبدته من أفدح الخسائر • والاستطلاع الأمريكى بعد ذلك ، هو الذى
عرف مدى الاستعداد المصرى الكامل ، لآبادة الثغرة إبادة كاملة ••
ومن أجل ذلك ، فضلت إسرائيل الانسحاب الى الشرق •• بدلا من العودة
الى خطوط وقف النار فى ٢٢ أكتوبر •



ولعل هذا الحديث : وهذه الاجابات من الفريق الجمسى ، هى أول
تصريح رسمى ، يقدم الحقائق كاملة عن قصة الثغرة ••

نعم •• حدثت أخطاء فى التقدير ، ولكنها لا تقلل أبدا من جلال
الانتصار المصرى ، الذى كان قادرا فعلا على تطهير الأرض المصرية من
كل جندى اسرائيلى استطاع أن يعبر الى الغرب •

وهنا يقول الفريق الجمسى :

— وعلى الرغم من أن هذه الثغرة تعتبر نجاحا تكتيكيا للجانب
الاسرائيلى ، الا أن الموقف الاستراتيجى العام للقوات الاسرائيلية كان
يواجه الفشل الكامل • أى أن هذا النجاح التكتيكى لم ينقذ الفشل
الاستراتيجى للعدو • يقابل هذا •• النجاح الاستراتيجى المصرى
الكامل •• الذى لم يؤثر فيه الخطأ التكتيكى من جانبنا فى مقاومة الثغرة •

وتاريخ الحرب العالمية الثانية ، والحروب المحلية منذ عام ١٩٤٤ حتى
الآن ، تقدم لنا أمثلة عديدة ، على أن الخطأ التكتيكى لا يؤثر على النجاح
الاستراتيجى ••

ان الحروب لا تقيم بمعارك محدودة .. ان التقييم السليم هو في
النتائج الاستراتيجية العسكرية للحرب بكل معاركها .. التي تحقق
الأهداف العسكرية والسياسية ..

ولا أعتقد أن خيرا عسكريا عالميا .. تناول موضوع الثغرة ، الا وكان
هذا رأيه ..

الفصل الثاني عشر

من الدفرسور .. إلى جيش

● ● ● « تم وقف إطلاق النار .. وبدأت حرب
الجنرالات في إسرائيل في صحافتهم وصحافة العالم
.. الشعب الاسرائيلي لم يقتنع بأن الجيب
الاسرائيلي يعد انتصارا .. الحالة الداخلية في
اسرائيل يسودها الألم والمرارة ، وتعبر عنها
الدموع . الرئيس السادات يروي قصة الثغرة .
وقرار ضرب الثغرة . كيف أمكن تفادي قتال دموى
جديد والوصول بفصل القوات الى مؤتمر جنيف .
ثم تنفيذ فصل القوات .. ماذا قال الرئيس
لرؤساء تحرير الصحف في منتصف الليل في أسوان
يوم الخميس ١٧ يناير ٧٤ قبيل اعلان
الاتفاق ؟ » ● ● ●

نعم .. استطاع الاسرائيليون أن يعبروا الى الضفة الغربية : من
الدفرسوار • وامتدوا جنوبا الى مشارف السويس • وأخذوا المدنيين
أسرى ، وصورا الأمر في صحافة العالم ، أن قوات الجيش المصرى
تستسلم بالآلاف • وهذا غير صحيح طبعا ولو كان فى مكنتمهم أن يبيدوا
الجزء المحاصر من الجيش الثالث لما ترددوا • ولكنهم أرادوا أن يكسبوا
الدعاية النفسية ، لتغطية هزائمهم الساحقة فى الشرق • وصوروا
جلودا مائير فى الزيتية • وكانت أيضا فرصة أمام موسى ديان لكى يظهر
فى الصورة ، بعد انتهاء اسطورته كقائد عسكرى •

كان من المستحيل إبادة الجزء المحاصر من الجيش الثالث .. لعدم
أسباب :

١ — كان هذا الجزء (فرقتان مشاة مدعمتين) يملك ذخيرة كافية
وقادرا على القتال •

٢ — لم يكن الجيش الاسرائيلى ليحتمل مزيدا من الخسائر : بعد
أن تكبد أفدحها فى الأرواح والعتاد ، بأعتراف الاسرائيليين فى مؤلفاتهم ،
لكى يحقق العبور الى الغرب بأى ثمن •

ولذلك لجأوا الى العمل المسرحى ..

من ذلك مثلا • اذاعة فى التليفزيون الاسرائيلى طرفا الحوار فيها
الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان الأسبق • ومقاتل مصرى أسير ..
بارليف :

أطلب منك أن تكون مبعوث اسرائيل لدى الجيش الثالث •

المقاتل المصرى :

لماذا ؟

بارليف :

هذا عمل انسانى لصالح مصر • اذهب الى رفاقك فى الجيش الثالث على الضفة الشرقية ، وأبلغهم بعرضنا أن ينتقلوا الى الضفة الغربية ويعودوا الى الخطوط المصرية ، أننا قادرون على ابادتهم ، ولكننا نفضل الأسلوب الانسانى • قل لرفاقك أننا مستعدون لأن نتركهم يرحلون لا بوصفهم أسرى حرب ، وانما ليلحقوا بقوات الجيش المصرى •

المقاتل المصرى :

لا •• لن أفعل ••

بارليف :

انك تستطيع أن تنقذ آلاف الارواح اذا قمت بهذه المهمة •

المقاتل المصرى :

لا •• لن أفعل ••

وأنصرف المقاتل المصرى مرفوع الرأس •

هذا الحوار نقل الى جميع أنحاء العالم ، لتحقيق الهدف الدعائى • كيف يمكن أن نتصور أن اسرائيل تأبى أن تبديد جيشا مصرى اذا كان هذا فى مكنتها !

ان بارليف هذا ، صاحب خط بارليف •• كان فى قمة من تلقوا الصفة بعد انهيار خطه • هو بعينه الذى قال لوكالة الأنباء الفرنسية فى ٥ فبراير ١٩٧١ ما نصه :

« ليست لدى المصريين أدنى فرصة للنجاح اذا هم حاولوا عبور القناة • من المؤكد أن لديهم الوسائل اللازمة لمثل هذه المهمة ، ولديهم

خطط العمل • ولكن ما ينقص مصر هو الجيش الذى يستطيع أن يخطط وينفذ ويقاتل » ••

وهو الذى قال أيضا فى ٨ مارس ١٩٧٣ : « أقول باختصار •• اذا أستأنفت مصر القتال ، فان اسرائيل لن تخسر موقعا واحدا » ••

كل واحد من قادة اسرائيل ، بهذه الأساليب الدعائية بعد حرب أكتوبر كان يحاول الدفاع عن نفسه • كان يحاول أن يغطى على تحريضاته المغرورة السابقة •

موشى ديان كان يقول •• ان مصر لن تحارب قبل عشر سنوات ، اذا هى فكرت فى الحرب فعلا •• وكان يشفع هذا القول بنكته « واذا حاربت فأنتى أعدكم بأننى سأقول لكم لماذا حاربت » ! •• ويضحك المستمعون •

وهو الذى قال : ان الجبهة المصرية لا تستحق من جهد جيش اسرائيل أكثر من ٦٠ دقيقة ! ••

وكان اليعازر رئيس أركان ديان يياهى باليد الطويلة التى تستطيع أن تمتد فى لحظات الى أى موقع فى الأرض العربية ، ثم تتحول الى قبضة قوية تضرب بلا رحمة !

أما جولدا مائير فقد كانت تتحدث فى « تواضع شديد » •• وتتساءل فى دهشة •• اذا كان أنور السادات عاجزا عن الحرب ، واذا كان يعلم تماما أن الهزيمة الساحقة المفكرة هى النتيجة المحتومة •• فلماذا لا يقبل المفاوضات مع اسرائيل ؟ وهى تقصد طبعاً •• لماذا لا يرفع يديه ويستسلم ؟ ••

أما فصيحتهم أبا ايان فقد كان يعطى محاضرات التاريخ والحكمة والفلسفة •• وينتهى بالتساءل الساخر •• هذه هى أول مرة يسمع فيها أن المنهزم يريد أن يملأ شروطه على المنتصر !

وقد روى كيسنجر بعد ذلك وهو في القاهرة ، أن ابا اييان كان يزوره يوم ٤ أكتوبر • أى قبل الحرب بيومين • وفي أثناء الحوار بينهما ، قال كيسنجر لأبا اييان •• أنتم فى وضع قوى ومحصن ١٠٠٪ • ألم يأت الأوان لى تتقدموا بشىء لحل المشكلة • ان مصر يحكمها رجل معقول ؟ •• ويمكن الوصول الى حل • وكان رد اييان : ولماذا نقدم حلولاً ؟ •• سنبقى على ضفة القناة للخمسين سنة القادمة • ومصر لا قيمة لها • ولن تستطيع مواجعتنا فى يوم من الأيام •

وبعد أقل من ٤٨ ساعة صحا كيسنجر من نومه ، على صوت ابا اييان يستجد : لقد هجمت مصر وسوريا •• أرجوك الاتصال بالرئيس نيكسون •

ويمضى كيسنجر فى روايته الى الرئيس السادات :

— وقتها حزنت عليك • وقلت • بعد ساعتين •• ثلاثة •• سيدمروا الجيش المصرى فى القنال • واسرائيل اذا انتصرت لثانى مرة ، فلن يستطيع أحد أن يتحدث معها •

وفى مساء ٦ أكتوبر ، اتصلت جولدا مائير وقالت : ان الحرب ستنتهى بعد يومين •

وفى اليوم الثالث اتصل ديان وقال : أعطونا يومين آخرين • ولكن كونوا جاهزين لتعويض المعدات •

ويقول كيسنجر :

— وأنتظرنا • وقلقنا عليهم • وصور البنتاجون العملية • وقدموا تقريراً بأن اسرائيل خسرت حتى تلك اللحظة ٣٥٠ دبابة ، والمركة ليست فى صالحها • وبعد ساعتين اتصل ديان يطلب ٤٠٠ دبابة فوراً ، بدلاً من التى خسرناها على الجبهة المصرية •

ويعلق الرئيس السادات على ذلك :

— وهنا بدأ التغيير الأمريكى • طلب كيسنجر جولدا مائير وقال لها
أنها خسرت المعركة استراتيجيا ، ولابد من البحث عن حل سلمى •

هذا هو مبرر تحول الموقف الأمريكى • وجاء كيسنجر الى مصر لجس
النبض • ووجد أن النصر لم يلهب رأسى • ولكننى قلت له : لن أتنازل
عن بوصة واحدة من الأرض •



واختلف الجنرالات فى اسرائيل بعد الهزيمة •• ولم يستطيعوا اقناع
أحد داخل اسرائيل ، أن العبور الى الغرب ، يعنى أى انتصار • وكانت
التصريحات الصهيونية الواقعية تؤكد أن هذا العبور ، هو عملية مسرحية ،
دفع فيها دم كثير ، بلا مبرر • وقال النائب البريطانى الصهيونى
« كروسمان » فى نداء وجهه الى زعماء اسرائيل « ان القتال فى غرب
القناة طنطنة لن تفيد • الأولى بكم أن تواجهوا الواقع » ••

وبدأت فى اسرائيل حرب الجنرالات على صفحات الصحف الاسرائيلية
والعالمية •

وجاء التقرير المبدئى «اللجنة اجرانات» للتحقيق فى مسئوليات الهزيمة
مناخا لغرور الجنرالات : وكانت اللجنة مشكلة من : رئيس المحكمة
العليا ، والجنرال يادين ، والجنرال حاييم لاسكوف رئيس الأركان
الأسبق ، ومشى لاندوا قاضى المحكمة العليا ، واسحق غنتراخى رئيس
لجنة رقابة الدولة •

وتضمن ما نشر من هذا التقرير المبدئى ادانة كاملة للجنرال دافيد اليغاز
رئيس أركان الجيش الاسرائيلى • اتهمته اللجنة بأنه تقاعس عن أى
جهد حقيقى لكى يستخلص استنتاجا سليما للموقف كقائد عسكرى ، حتى
أنه لم يقيم بزيارة الخطوط الأمامية خلال فترة زيادة التوتر فى الأسبوع
السابق على بدء القتال • وكانت الدلائل كلها تشير الى أن مصر وسوريا
كانتا تستعدان للحرب • وقال التقرير أن المخابرات العسكرية الاسرائيلية
طبقت نظريات عفا عليها الزمن ، جعلتها تتجاهل المعلومات الواضحة التى

قدمها قادة الميدان وآخرون في الأيام السابقة لنشوب الحرب • وقالت أن هذه النظريات البالية هي أن مصر لا يمكن أن تدخل الحرب ، ما لم تتم أولا ، بتجنب نسبة مئوية معينة من قوة سلاح الطيران الاسرائيلي عن طريق ضربها ، وتجاهلوا الحقيقة بأن مصر مزودة بصواريخ سوفيتية حديثة ، تمكنت الى حد كبير من تحييد قوة سلاح الطيران الاسرائيلي •

وقال التقرير : عندما اتفق قادة المخابرات على أن مصر وسوريا سوف تهاجمان يوم ٦ أكتوبر ، فإنهم اخطأوا في حساب الساعة التي ستبدأ فيها الهجوم • لقد حددوا السادسة مساء • وبدأ الهجوم قبل ذلك بأربع ساعات ، مما كلف اسرائيل خسائر فادحة •

ولكن لأسباب سياسية دافعت اللجنة عن موسى ديان ، وقالت انه زار جبهة الجولان قبل نشوب القتال بأسبوع ، ودعا الى إرسال تعزيزات للمواقع اضافة للأوامر التي يصدرها رئيس الأركان •

وطردت اسرائيل رئيس الأركان ، ورئيس المخابرات العسكرية ، وقائد الجبهة الجنوبية ••

وتعالت الأصوات •• ليسوا هؤلاء وحدهم هم المسئولون ••

وطالب الشعب الاسرائيلي بمزيد من الادانات •

وقال اليعازر ان تقرير اللجنة ظالم ، لأنه لا يحكم بميزان واحد • وطالب آلون باستقالة ديان •

وهاجم اسحق رابين القادة العسكريين •• وقال في اجتماع حزب العمل وأنا أنقل هنا عن مؤلف الاسرائيليين « عيد الغفران » •• قال رابين « ان موسى ديان ، ورئيس هيئة الأركان ، ومدير المخابرات العسكرية ، كانوا جميعا واقعين تحت نوع من الحصار • كانوا أسرى لاقتناعهم العميق ولتصريحاتهم الخاصة • كان المصريون بالنسبة لهم لا يستطيعون شئيا • وكانوا عاجزين عن أى حرب • وأنهم حتى اذا دخلوا مثل هذه الحرب ، فإنهم سوف يسحقون فيها بصورة لا قيام لهم بعدها ••

وهاجم ديان الجنرال اسحق رابين • وقال أنه كان مصاباً بانهايار
تقبل حرب الأيام الستة ، عندما كان رئيساً للاركان • ودفع موشى ديان
الجنرال عزرا وايزمان رئيس العمليات في حرب ٦٧ ، أن ينشر وثيقة
تدين رابين بأنه لا يصلح لشغل أى منصب قيادى • قالت الوثيقة أن
رابين أصيب بانهايار عصبى حاد قبل وخلال حرب يونيو ، وظل عاجزاً
عن العمل تماماً أكثر من ٣٦ ساعة قبل بدء الحرب مباشرة • وأنه لم يتخذ
أى قرار أثناء الحرب • وكان يبدو عليه التوتر والتشاؤم • ولكن الجماهير
خدعت في رابين واعتبرته بطلا قومياً ، بسبب انتصار اسرائيل المبرج
في حرب يونيو وهو أمر لا دخل لرابين فيه • وقال وايزمان أن الجنرال
رابين استدعاه في الساعة الثانية من صباح ٢٣ مايو ١٩٦٧ ورجاه أن
يتولى عنه منصب رئاسة الأركان ، وكان يبدو رجلاً محطماً تماماً •
وقال الدكتور جبلوت الطبيب العسكرى الذى كان يتولى علاجه ان رابين
يعانى من انهايار عصبى حاد •

ورد رابين ، بان هذه الوثيقة نشرت بايعاز من ديان • وأنه عرض
فعلاً على وايزمان رئاسة الأركان ، بسبب الاجهاد الشديد الذى
أصيب به أثناء الاعداد لحرب يونيو ، ولكنه لم يصب بانهايار عصبى •

ولا أريد أن افرض في حرب الجنرالات لأنها يمكن أن تستغرق مؤلناً
خاصاً • ولكننى أقول أن كل الحركات الدعائية التى قصدها اسرائيل،
من العبور الى الغرب بتضحيات غالية جداً ، لم تحقق أهدافها في تغطية
الهزيمة • وأنتهى الأمر الى انسحابهم • ومنع ديان تصوير الانسحاب ،
وقال انه انسحاب من جانب واحد ، سيكون له أسوأ الأثر على الروح
المعنوية للشعب الاسرائيلى •

ويكفى أن ننقل للقارئ بعض الصور عن كثير جداً مما كتبه صحافة
العالم عن اسرائيل من الداخل بعد الهزيمة ••

وهذا بعض قليل جداً مما كتب بعد وقف النار •• وأثناء وجود
القوات الاسرائيلية في غرب القناة :

* دان جير : مراسل الاسوتعتدبرس : « كان الشعب الاسرائيلى
ينصت الى الأنباء في الراديو وأجهزة الترانزستور ، في هدوء يشوبه

الغم • مواطن اسرائيلي يقول لى : ان ما تحقق لا يساوى حياة جندي اسرائيلي واحد • وشاب آخر • • كنا نحلم بطردهم من سيناء • • وقال ثالث • • جاء وقف النار فجأة كما جاءت الحرب فجأة • •

✽ **مراسل نفس الوكالة في القدس :** « اختفى الناس من الشوارع المظلمة ، رأيت حاخاما يصلى مع زوجته الأمريكية عند حائط المبكى • وتتناقض هذه الصورة تماما منظر الجموع المحتشدة التي تدفقت نحو الحائط في ١٩٦٧ للصلاة في أيام الانتصار » •

✽ **خبراء عسكريون بريطانيون في تليفزيون لندن :** « أننا لا نشك مطلقا في أن مصر بعبورها القناة ، وتحطيمها لخط بارليف ، برؤوس جسورها : جاءت بعكس كل التقديرات والتوقعات • وأن تقدم القوات المصرية في سيناء هو نصر عسكري ضخم • وأننا نشك تماما ، في جدوى وجود قوات اسرائيلية غرب القناة ، لأن وجود هذه القوات ، يمكن أن يتحول الى كارثة بالنسبة لاسرائيل » • •

✽ **الجنرال الأمريكى أيفيل بانجر — يونيتدبرس — لوس انجلوس :** « أن اسرائيل بقيت قائمة كدولة لأننا لم نخنها • فبدون الأسلحة والانفاثات الأمريكية كان محتوما أن تفنى اسرائيل » • •

✽ **مجلة (لانوفيل أوبزرفاتير) الفرنسية :** مقال بعنوان (نهاية دولة اسرائيل الكبرى) بقلم فيكتور سيجلمان ، يتحدث فيه عن اغاني الانتصار التي كانت تردها اذاعة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ عن (شرم الشيخ) و (القدس الذهبية) • • لقد حلت محلها اليوم في حرب أكتوبر اغنية تلاحق الاسرائيليين ليل نهار من الاذاعة والتليفزيون ، وتقول كلمات الأغنية (باسم الجنود الذين احترقوا أحياء في دباباتهم • • باسم الطيارين الذين هبطوا والنيران مشتعلة في اجسادهم • • باسم • • باسم • • أعدك يا صغيرتى العزيزة ، أن هذه الحرب ستكون الأخيرة • • نعم الأخيرة • الأخيرة • الأخيرة) • • ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : (كانت أغاني ٦٧ تعبر عن فرحة الحياة ، ولذة النصر • • اما اليوم فقد خارت قوى الأبطال ، ولم يسبق في تاريخ اسرائيل القصير ان شعر الاسرائيليون ، بمثل هذه الشدة والحدة ، بالتعطش الى السلام والهدوء وزوال التوتر) • ثم يتحدث كاتب المقال عن أثر تصريحات ديان وغيره

من العسكريين الاسرائيليين حول الانتصار المزعوم فيقول .. (ان الاسرائيليين أنفسهم لا يشعرون بانهم انتصروا على الاطلاق * والظاهرة الغريبة بالفعل ، تتمثل في أن رجل الشارع الاسرائيلي لا يعبأ بمثل هذه الأمور ، ولا يهمله كثيرا تحديد من الذي انتصر ومن الذي انهزم ، فالشغل الرئيسى لرجل الشارع الاسرائيلي يتركز الآن في الانتهاء من هذه الأمور بسرعة ، وفي اعادة الجنود المربطين على الجبهة ، ووضع حد لقائمة القتلى والمفقودين والجرحى ، لكى يتسنى له أن يتنقذ أنفاسه التى كادت تتوقف .. وحينما يقول الجنرال ديان : لسوف تصبح عما قريب ، أقوى بكثير مما كنا قبل الحرب * حينما يقول هذا ، يغضب الاسرائيليون أو يبتسمون باستخفاف .. لقد فقدوا الثقة في وزرائهم ، وهم يشكون في جنراتهم السياسيين ، الذين يتبادلون الاتهامات) ..

*** ويكتب ميشيل سولومون في صحيفة تريبيون دى جنيف السويسرية تحت عنوان « كلمة أخطأنا .. على السنة جميع اليهود »**
.. ويقول :

« تتردد هذه الأيام ، في عناوين الصحف وفي المحادثات التى تدور بين الناس في اسرائيل كلمة عبرية هى كلمة ماندال أى الخطأ * تلك الكلمة التى تحمل معنى دينيا الى حد ما والتى وقعت منذ بداية الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة سواء بالنسبة للتأخر في ادراك خطر الهجوم العربى ، أو فيما يتعلق بالاوضاع السيئة في الميدان ، ونفس الشيء ينسحب بلا شك على الخلافات التى ثارت بين الجنرالات والتى قامت الصحافة المحلية والعالمية بترديد صداها » .

*** وتنتشر التايمز البريطانية تحقيقا عن أزمات مباحثات وقف النار بقلم أريك مارسدن يتناول في ختامه الوضع العسكرى الاسرائيلي بقوله :**
« ان الادلة تتزايد على وجود حالة من القلق تؤثر على كل الشعب في اسرائيل وعلى الجنود في الجبهة ، وقد ظهر التعبير عن قدر من الشعور بخيبة الأمل في الرسائل التى تلقتها الصحف * ولخص هذا الشعور بخيبة الأمل بصورة عنيفة مقال كتبه زيف شيف في صحيفة ها آرتس المستقلة .
وهو مراسل يتمتع باحترام كبير في اسرائيل * قال شيف : (ان الجنود يشكون من نقص الذخيرة وعدم كفاية المعدات ، ويقولون بأنه ينتابهم

شعور مثير للاجباط ، لأنهم لا يتلقون اجابات عن الأسئلة التي يوجهونها حول الحرب • ثم كتب « شيف » أنه توصل الى استنتاجات مريرة وغريبة من الأحاديث التي أجراها مع عشرات الضباط والأشخاص الذين يشغلون مواقع المسؤولية » ••

*** ومقال آخر في جريدة « ناسيونال تسابتونج بازل » :السويسرية السويسرية تحت عنوان « مزيد من الضحايا بعد ضريبة الدم » •• يقول الكاتب : « لقد جندت اسرائيل — أكثر من مليون شخص — منذ اندلاع حرب يوم الغفران ، وسوف يبقى هذا العدد الكبير في الجيش عدة أشهر على الأقل • ويتكون هذا العدد من الشباب ، والغالبية من القوى العاملة ذات القدرات العملية • وترتب على هذا انخفاض في الانتاج تصل قيمته الى ٤٠٪ • ومع ذلك فليس هذا أسوأ تأثير اقتصادى نجم عن الحرب • اذا ان التسليح العسكرى الذى تدهور فى الثمانية عشر يوما أثناء الحرب ، تكلف كثيرا من مليارات الجنيهات الاسرائيلية (الجنيه الاسرائيلى يساوى فرنكا سويسريا) ، ويصل اجمالى مرتبات الاحتياطى المستدعى أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى الشهر وهناك صعوبات فى نقل التموين الى السكان المدنيين ، بسبب نقص وسائل النقل ، لأن أغلبية عربات النقل ، وجزءا كبيرا من سيارات الأتوبيس انضمت للخدمة العسكرية • لذلك فقد قررت الحكومة طلب ٢٥٠٠ عربة نقل ثقيلة ، ذات حمولة عشرة اطنان من الخارج • ولكن الأمر يحتاج الى سائقين ، وكانت النتيجة أن كثيرا من المؤسسات الصناعية قد توقفت عن العمل ، لأن بعض العمال ذوى المراكز الكبيرة قد جندوا » ••

*** ولم يكن الاسرائيليون ليصدقوا أبدا متحدثهم العسكرى حاييم هيرتزوج مدير مخابرات اسرائيل السابق • انهم يستمعون اليه منذ سنوات • وهو الذى صرح فى اليوم الأول للقتال ، أن القوات المصرية ستعرف معنى الهلاك والتدمير الكامل •

وهو الذى قال للاسرائيليين وبالتحديد فى ٢٧ فبراير ١٩٧١ أن النظام المصرى سيسقط اذا حارب المصريون •• وقال « اذا فتحت مصر النيران ، فأنتنى أحذر المصريين بأن الرد الاسرائيلى سيكون ثقيلًا جدا ، وعنيفا جدا ، وليس هذا فقط •• ان الرد الاسرائيلى لن يكون مفاجأة للمصريين وحدهم ، ولكنه سيفاجئ العالم كله » •

وفعلا تحققت المفاجأة للعالم كله .. ولكن بهزيمة اسرائيل !

* ثم قال بعد ذلك : ان أى هجوم مصرى ، مصيره الفشل • هذه حقيقة • ولكن ليعلم المصريون ، أن أى هجوم اسرائيلى ، سيؤثر بغير أدنى شك ، على هبة ومركز الرئيس السادات ، ويعرض النظام كله للخطر •

* ثم قال : ان القيادة الاسرائيلية تتوقع طبعاً ، ان يحاول المصريون القيام بعملية عبور للقناة ، تحت ستار المدفعية وحماية الصواريخ أرض - جو • ولكننى أقول للمصريين أننا نعد لهم مفاجأة قاصمة •

* وتصريحات أخرى لموشى ديان بالمئات :

** * في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٩ (مؤتمر صحفى) : « أن خط بارليف خط منيع يستحيل اختراقه • أننا أقوياء لدرجة تكفى أن نحتفظ به الى الأبد • ان عمليات العبور المصرية - اذا حدثت - ستلقى الرد الحاسم ، ولن تؤثر على قبضة اسرائيل الحازمة على خط بارليف » •

** * في ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ (فى الكنيست) : « اذا فضل المصريون استخدام القوة وعبور قناة السويس ، فأننى اعلن أن قواتهم ستتحول الى رماد » •

** * في ٢٦ مايو ١٩٧١ (وكالة أ.ب) : « اذا حاول المصريون الاقدام على مخاطرة العبور ، فإن هزيمة دموية فى انتظارهم • وحتى اصدقائهم ، يعلمون انهم لم يصلوا الى مستوى القتال » •

** * في ١٩ سبتمبر ١٩٧١ (الوكالة الفرنسية) : « اذا حاولت مصر عبور القناة فسوف يتم ابادتها • • سيواجه الجيش المصرى كارثة » •

** * في ٢٨ فبراير ١٩٧٢ (تصريحات صحفية وهو فى واشنطن) : « أننى أحذر المصريين من الهلاك اذا اطلقوا النار » •

* * *

وديان بنفسه هو الذى كان قد تصور أنه سيسحق الهجوم المصرى
فى ٦ أكتوبر خلال يومين فقط •

وأنتى أترك للاسرائيليين أنفسهم وصف الموقف ، كما سجلوه فى كتاب
« عيد الغفران » •• قالوا :

* « حتى مساء ٦ أكتوبر لم يكن أحد أدرك بعد مدى اتساع
التغلغل المصرى وأهميته الاستراتيجية • كانت عمليات تخليص
المحاصرين باستخدام المدرعات عسيرة • وصل الجنرال جونين الى الموقع
الحصين الذى كان معدا ليستخدم بمثابة قيادة عامة لسيناء فى زمن
الحرب • استقر الجنرال مندلر بدوره فى موقع متقدم للقوات المدرعة •
كان الموقف يشير الى أن ما يقرب من ٥٠٠ دبابة قد اشتبكت بالفعل
فى معركة فى الخط الأول • وهى تبذل جهودا يائسة • أدركت القيادة
العامة ان الخسائر ستكون فادحة • تمكن المصريون من اباد ٤٠ دبابة
اسرائيلية وعربة مصفحة ، بينما كانت تحاول اخلاء موقع محاصر صغير ،
كما أباد المصريون وحدة اسرائيلية كانت تحاول انقاذ ٣٠ رجلا •

* « بعد ظهر يوم الأحد حضر الجنرال شارون والجنرال أدان الى
موقع القيادة المتقدم • اقترح شارون تخليص المواقع الحصينة بفتح
ثغرة فى الخطوط المصرية يأخذها من قواته • اقترح موشى ديان حل
الموقف هكذا « ليس أمامنا الآن ان نختار • ان الذين يستطيعون الفرار
عليهم أن يفعلوا ذلك • أما الآخرين فعليهم البقاء داخل الدشم » •
أنه قرار رهيب • ولكن ماذا يمكن عمله غير ذلك ؟ » •

ومن نفس المؤلف الاسرائيلى انقل هذه الفقرة • أنها تعطى الصورة
الكاملة على لسانهم ••

* كانت مشكلة اخلاء جنود خط بارليف ، هى التى أرقت ضباط
مواقع القيادة المختلفة ، طوال الأيام الثلاثة الأولى من الحرب • وكانت
الرسائل التى يتلقونها بليغة كل البلاغة :

« ان ٨٠٠ جندى مصرى يهاجمون » ••

وبعد بضع ثوان من الصمت ، يجيء نداء جديد باللاسلكى :

« انهم فى ساحة الموقع • افنى مضطر الى التراجع للداخل • وهم يطلقون النار علينا » •

وبعد ذلك يجيء الاتصال الأخير :

« انهم قريبون جدا •• ها هم قد وصلوا • انهم يدخلون الحصن » •

وفى المؤخرة ، وعلى خرائط القيادة ، تمتد ذراع لتضع خطا تشطب به الموقع الذى سقط • ويعلو البكاء والنحيب بين رجال الاستماع الذين يتلقون الرسائل •

قال عامل لاسلكى اسرائيلى :

« اننى كنت اسمع صوتا • انها رسالة • ثم يكون الصمت • وعندئذ كنت أقول لنفسى : هذا قتل آخر • لا تتعب نفسك بالحديث • أنه لن يجيب •

كان ذلك هو الموقف فى مواقع خط بارليف • وفى الوحدات التى كانت تحارب القوات المصرية على طول قناة السويس » •

ونقل هنا وصفا لأحداث الثغرة ، وكيف واجهناها على لسان الرئيس أنور السادات ••

قال الرئيس أنور السادات :

حدث بعد أن القيت خطابى فى مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر ، أن ذهبت مساء الى مكانى فى غرفة العمليات • وكان المشير أحمد اسماعيل الى يمينى والفريق الشاذلى الى يسارى • وفى هذا الاجتماع ، قلت للشاذلى : عليك أن تكون بعد ساعة ونصف فى الاسماعيلية لتنفيذ المهمة التى اتفقنا عليها ، وهى فرض طوق حول بحيرة الدفرسوار ، بحيث نترك اليهود يدخلون الى هذه المنطقة ، ولكن ليس خارجها ، بعدها تصبح

ذلك القوة الاسرائيلية في يدي • كلهم أسرى • عملية الدفرسوار عملية
 مسرحية • وقد سبق لى أن عمت توجيهها محمدا وجهته للمجلس الأعلى
 للقوات المسلحة قبل المعركة بخمسة أيام ، أن يكون قادة الجيش في منتهى
 البرود ، لأن الاسرائيليين سيلجأون الى عمليات تليفزيونية ، مسرحية •
 ينزلون في نقطة منعزلة في العمق من أجل الارباك ، في نقطة على البحر
 الأحمر — مثلا — فيصطحبون معهم المصورين والتليفزيون ويذيعون على
 البراء بأنهم نزلوا واستولوا واحتلوا • مثل هذه الأعمال المسرحية تتم
 بسرعة على طريقة الحرب الخاطفة ، تهدف الى أحداث انهيار نفسى •
 فاليهود يعتبرون ان العرب « بتوع فوره » • انهم يعتمدون على نظريات
 « بلتزر كريج » Blitz Krieg التى طبقت في بداية الحرب العالمية الثانية •
 وازد على مثل هذه العمليات معروف • نحن نشبهها بماكينة مليئة
 بالتروس ، تدور بسرعة • فلو استطعت أن تضع بين هذه التروس حصة
 صغيرة • تستنف الماكينة وتتكرر • هذا تشبيه عسكرى معروف عندنا •
 وعندما وقعت عملية الدفرسوار ، أدركت منذ البداية انها من هذا النوع •
 وكان عندي في القناطر الخيرية أخيرا الجنرال « بوفر » وقد أيد وجهة
 نظرنا تماما بأن عملية الدفرسوار هى عملية تليفزيونية ، لذلك قلت
 للشاذلى : خلال ساعة ونصف ، يجب أن تصل الى الاسماعيلية وتمنع
 أن يتجاوز الاسرائيليون النطاق الذى حددناه لهم • وأنا لا أريد التحدث
 في تفاصيل ما وقع خلال الثلاثة أيام الى اعقت ذلك • والذى حدث ان
 المشير اسماعيل اتصل بى في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١٨ أكتوبر
 وذهبت وكان رأى الشاذلى أن علينا أن ننسحب من سيناء • ودرست
 العملية فوجدت أن التوسع الاسرائيلى ليس مخيفا • والدليل أننى
 استطعت أن أوقف القتال عند خط ٢٢ أكتوبر وهو الخط الذى كان يسميه
 ديان والعسكريون الاسرائيليون « المصيدة » • • لم يكن الشاذلى
 يعارض وقف اطلاق النار كما أشيع بعد ذلك • كان يطالب بانسحاب
 القوات كلها • وهذا هو هدف اسرائيل من عملية الدفرسوار ، أن أنهار
 وأسحب قواتى الى الشرق • عندئذ ، وبعد أن أخذت قرار اعفاء الشاذلى
 من منصبه ، عينت مكانه الجيسى رئيسا للأركان ، وأبقيت هذا القرار
 سرا طيلة شهرين • ليه ؟ لأنه لم يكن جائزا أن أعلن شيئا لا أمام قواتى
 المسلحة ولا أمام البلد ولا أمام الاسرائيليين • هذه قصة الشاذلى • •
 وقد عينته سفيرا في لندن ، لأن الرجل عبر وأقتحم خط بارليف • وسوف
 أذكر دائما أن المراسلين الأجانب كتبوا أيام المعركة أن نظام المرور في

الجبهة كان أفضل من نظام المرور في القاهرة • كان هذا جهده • ورأيه في ضرورة الانسحاب من الشرق لا يخرج عن أن يكون رأيا •

كان القرار المصرى اذن ، مقاومة الثغرة عسكريا ، بدون انسحاب أى جندى مصرى من الشرق الى الغرب •

وهذا هو القرار الذى اتخذ يوم ١٩ أكتوبر بعد عودة الشاذلى الى اجتماع القيادة العامة في القاهرة ، من الجبهة •

وعاد الرئيس من القيادة الى مكتبه • وأرسل للقوتين الكبيرتين ، استعداداه للاستجابة الى وقف النار ، بضمان القوتين ، أن يتم الانسحاب الكامل • وفي نفس الوقت أرسل الرئيس الى دمشق رسالة للرئيس الأسد بها كل تفاصيل الموقف •

وفي ١٢ ديسمبر ٧٣ عين الفريق الجسمى رئيسا للأركان • وعين اللواء سعد مأمون قائدا لجبهة مقاومة الجيب الاسرائيلى •

وكنا جاهزين للقتال وطرد الاسرائيليين في ٢٤ ديسمبر ، عندما درست الخطة في اجتماع عسكري بالقناطر برياسة السادات • وأقرها القائد الأعلى • ولم يبق الا التوقيت • وكانت الدبابات التى كنا نحتاج اليها ، قد استكمل وصولها من الجزائر •

ثم حدثت اتصالات السلام • وجاء كيسنجر الى القاهرة • وأعلن اتفاق وقف النار ••

خطة "شامل" لتدمير الثغرة

قال لى الفريق الجسمى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ..
— اتخذ القائد الأعلى قرار مقاومة الثغرة الاسرائيلية عسكريا فى
١٩ أكتوبر ١٩٧٣ •

قلت :

وأعلم أنك عينت فى هذا اليوم رئيسا للأركان ..

قال :

القرار أعلن بعد ذلك .. لقد ظل سرا حتى ١٢ ديسمبر ..

قلت :

ماذا كانت خطة مقاومة الثغرة ..

قال :

لقد تم ايقاف النار الفعلى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ، بعد وصول قوات
الأمم المتحدة •

واعتبارا من ٣١ أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب استنزاف مخططة ضد العدو
غرب وشرق القناة •

كانت أماننا مهمة رئيسية وهى ألا نسمح للعدو أن يتركز أو
يخندق ويثبت أقدامه فى الغرب • كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة ،
الى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة ..

وقد وضعت خطة الهجوم الشامل .. نوقشت .. صدق عليها القائد العام .. وتقرر أن يعين لقواتنا في الغرب قيادة منفصلة تقود جميع القوات لتصفية الجيب • ونترك قوات بدر في الشرق تقاتل معركتها • وقوات الجيش الثاني تقاتل معركتها ..

وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة • الطيران الدفاع الجوي • البحرية .. وأختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة • •

وعرضت على السيد الرئيس القائد الأعلى أنور السادات في ٢٤ ديسمبر وصدق عليها .. ولم يبق الا تحديد الموعد .. بقرار من سيادته •

وكانت حرب الاستنزاف مستمرة .. طبقا للتخطيط الموضوع لها ، وهي ضرب قوات العدو غرب وشرق القناة ، وعلى طول المواجهة ، بهدف ايقاع أكبر خسائر في أرواحه ومعداته ، ومنعه من تحسين مواقعه •

وطبقا لبيانات الأمم المتحدة ، قامت قواتنا بـ ٣٩ عملية ضد العدو ٣٩ عملية في نوفمبر و ٢١٣ عملية في ديسمبر .. ومن أول يناير الى ١٧ يناير ١٣٣٣ عملية ..

وهذه هي الخسائر التي أعلنها العدو : ١١ طائرة ، ٤١ دبابة ومدعة ، ١٠ رشاش ثقيل ، ٣٦ معدة هندسية ، ١٨٧ قتيل •

لم يحدث اذن أى توقف في عملياتنا .. حتى تم اتفاق فك الارتباط • استمرت حرب استنزاف لم تترك للعدو هدوءا ليلا أو نهارا •

* * *

أعود الى خطة تصفية الثغرة .. التي صدق عليها الرئيس في ٢٤ ديسمبر وهنا يذيع الفريق الجسمي هذه الأسرار :

- * لقد سلمت الخطة الى جميع قيادات القوات المسلحة في ٧ ديسمبر •
- * صدرت التعليمات لكل القوات للاستعداد لتنفيذها • تخطيط • اعداد • تدريب • استكمال •

✱ كانت ساعة الصفر المقررة أول ضوء يوم ١٨ ديسمبر •

✱ ولكن طبعاً ترك تحديد ساعة الصفر للقائد الأعلى •• لاختيار الوقت المناسب سياسياً • وتم هذا في اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة القائد الأعلى السيد الرئيس •• في ٢٤ ديسمبر • أقر الرئيس الخطة •• وكان أمره •• كانوا جاهزين في أية لحظة ••

وتم اختيار الاسم الكودي للخطة •• « شامل » ••

وسألت الفريق الجمسي :

كيف يتم اختيار اسم الخطط العسكرية ••

قال :

قد يكون الاسم رقماً • وقد يكون تعبيراً عن أهداف الخطة •• كنا قد اخترنا اسم « واصل » لخطة تصفية الثغرة •• بما يعنى أننا سنصل الى قوات بدر في الشرق • ثم رأينا أن اسم « شامل » هو الأنسب •• لأنها كانت هجوماً شاملاً ••

✱ ✱ ✱

والتقيت بعد ذلك باللواء سعد مأمون الذي أختير لقيادة الهجوم •• وكشف لى بعض أسرار الخطة باذن خاص •

لقد بدأ تكليف اللواء سعد مأمون من المشير أحمد اسماعيل بقيادة الهجوم على الثغرة في الساعة الثالثة من مساء ١٢ ديسمبر •

استدعاه القائد العام وقال له :

— يبدو يا سعد أنك ستغادرنا وتعود الى الميدان من جديد ، كمندوب للقائد العام لقيادة القوات الرئيسية غرب القناة لتصفية الثغرة • أنت من الآن مسئول أمام وزير الحربية والقائد العام عن تدمير الجيش الاسرائيلي • وثقتى فيك لا حدود لها • متى يمكن ان تسافر ؟ ••

سعد مأمون :

لن أنسى ما حييت هذه الثقة • وسأحقق المهمة بأذن الله •

وسافر الى الجبهة على الفور • وقام بجولة على الحدود الامامية
للقوات من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب • قام بتعديل الخطة على
الطبيعة وفقا لما رأى •

صدق وزير الحربية على التعديل الأخير • ناقش الرئيس الخطة في
٢٤ ديسمبر كما ذكرنا • ركز الرئيس في توجيهاته على أمرين :

* أهمية التعاون المشترك للقوات البرية مع القوات الجوية والبحرية
والدفاع الجوي •

* أهمية العمل الحاسم السريع للمدرعات •

ثم يستطرد اللواء سعد مأمون :

كانت الخطة تعتمد على :

١ — تقدير سليم لقدرات العدو •

٢ — تحديد واضح لنقاط ضعفه •

٣ — تحديد سليم لنقاط قوته •

ان العدو في مصيدة • وكان يجب أن أزيده احساسا بأنه في مصيدة •
كان العدو متخذا أوضاعا دفاعية لا هجومية • كان يدافع في حالة نفسية
سيئة • ويبدو قلقه في جميع تصرفاته • ان أوضاعه الدفاعية تدل على
فرعه • مثلا رص العدو أمامه حوالي ٧٠٠ ألف لغم • حفر خنادق مضادة
للدبابات على معظم المواجهة (عرض من ٦ الى ٧ أمتار ، وعمق ٥ أمتار)
كان لديه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ دبابة •

وكان شعارى ان نلقن العدو درسا • • أقصى من درس العبور وتحطيم
حصون بارليف •

• وواقع الحال ان الجيب الاسرائيلي كان هشا •

كل دبابه للعدو في الغرب • • كان يقابلها حوالى دبابتين في قوائنا ،
وقد نعتان مضادتان للدبابات • • علاوة على نيران المدفعية والطيران • علاوة
على احتياطي القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعه تحت سيطرة
المشير •

وتقد قدرت خطة « شامل » كافة الاحتمالات ، بطريقة لعلها أحسن من
تحضيرات ٦ أكتوبر وكان تفكيرى ان النصر في هذه العملية لا يحتمل
الجدل ولا التجربة • وقمنا بمشروعات حقيقية للخطة على أرض مشابهة •

وكان التقدير :

بالنسبة للوضع العسكرى العام • • أنه تم احتواء العدو تماما في
الغرب •

لقد حاصرنا العدو من كل جانب وله منفذ واحد في الدفرسوار
لا يزيد عرضه على ٦ كيلو مترات • وكان مقررا قفل هذا المنفذ بالقوات
في ساعات قليلة • • وهذه الشريحة كان مخصصا لها اعداد
هائلة من القوات •

وسألت اللواء سعد مأمون :

أرجو أن تصرح أكثر ببعض أسرار خطة الهجوم •

قال :

دون أن ادخل بك في نواحي عسكرية جافة ، أو أفشى سرية • • كان
المقرر ان نصفى الجيب الاسرائيلي على ٤ محاور بالتعاون مع كافة أفرع
القوات المسلحة • أى أننا كنا سنهاجم من ٤ اتجاهات • وكانوا حقاً
في مأزق •

قلت :

لماذا في مأزق وقد تمكنتوا من توسيع رقعتهم ؟ • •

قال :

هذا هو المأزق • ان قوات العدو في ٢٢ أكتوبر تمكنت من عمل رأس شاطيء واحد غرب الدفرسوار بمساحة ٧٠ كيلو مترا مربعا (٧ X ١٠) • قواتنا في الشرق كانت قد عملت رؤوس شواطيء في الجيوش مساحتها ٧ آلاف كيلو متر مربع • أى مائة ضعف • كان موقف العدو العسكرى حرجا للغاية • لذلك حاول ان يحول هذا الوضع الحرج (يصغر حجم رأس جسره في الغرب) الى وضع محتمل بأن ينتشر جنوبا • ثم طور فكرته لأنه أحس ان هذا الانتشار ، فيه نوع من اضعاف قوته في الكثافة أمام القوات المصرية • حاول دخول السويس • قطع خطوط المواصلات لعزل جزء من الجيش الثالث في الشرق • والهدف هو أن يساوم بهذا الوضع الجديد على موقفه الحرج في الغرب • ولكن وضعه عسكريا هش جدا •

قلت :

لماذا ؟

قال :

لا يوجد لدى العدو ما نعبر عنه بالاتزان الاستراتيجى • قوات شبه محصورة في الغرب • عجز عن زحزحة قواتنا في الشرق بوصة واحدة على طول المواجهة من عيون موسى جنوبا الى بور فؤاد شمالا • وخلال حرب الاستنزاف اعتبارا من نوفمبر ٧٣ اكتسبنا نحن أرضا جديدة غربا وشرقا • ثم انه مجبر على التعبئة الكاملة في اسرائيل • كل لقمة • كل جرعة ماء • كل دانة مدفعية • كل نقطة بنزين • يجب أن تصل اليه من بعد • • ٣ كيلو متر في الخلف • • من مخنق عرضه ٦ كيلو مترات •

كان التخطيط ان نقفل هذا الممر ، ونشعله نارا • في نفس الوقت الذى ندمر فيه قواته في الغرب • • واستطيع أن اقول ان هذا كان سيتم في « لا وقت » ! أى وقت قليل جدا !

قلت :

ولماذا لا وقت • •

قال :

نعلم من خط بارليف ان الدفاع مهما كان حصينا ، يمكن اختراقه •
فما بالك بهذا الجيب • قواعد طيراننا قريبة جدا • الدفاع الجوى استطاع
أن ينشئ حائطا ثانيا للصواريخ أقوى مما كان • العدو • • ثقته فى نفسه
وفى قياداته اهترت ولا أشك أن العدو بتصويره الجوى لقواتنا فى الغرب
أدرك ما يمكن أن يحدث له ، ولذلك فضل الانسحاب فى سلام • وكان من
المستحيل أن تتسحب اسرائيل لو كان لديها مجرد أمل فى امكانية البقاء •

الرئيس يعلن الاتفاق

دعا الرئيس أنور السادات رؤساء تحرير الصحف الى اجتماع خاص في أسوان تم في الساعة ١٨ من مساء يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٧٤
قائماً الرئيس :

أنا متأسف • أخرتكم • لقد وصلني من كيسنجر الساعة ٨ مساء أن كل شيء حول اتفاق فصل القوات •• تمام • رأيتم قبلكم نواب رئيس الوزراء وأريد الآن أوضح لكم الصورة • ما تم أخيراً وخلفياته •

في نوفمبر جاء كيسنجر بعد وقف النار • أنهينا الى النقاط الست • هرج علينا كثيراً بعض العرب وغيرهم على أنها تنازلات من جانب مصر • الآن ممكن أن أتكم في الوقت المناسب • العملية مستمرة • وتجيء مراحل يمكن الإفصاح عنها • المراحل المقبلة كثيرة • ومن الخطأ الحكم على جزئية بسيطة في إحدى المراحل •

جاء كيسنجر • أنهينا الى النقاط الست • قيل انها تنازل من جانب مصر • هي العقدة القديمة قبل ٦ أكتوبر أننا لن نستطيع عمل شيء • كيسنجر سيضحك عليكم • انا ما حدثت يجبرني أكل لقمة توجع بطني • أن الآوان أن نرعى هذه العقد • لقد واجهنا عسكرياً ، وعلينا أن نواجه سياسياً ولا نخاف • روجوا أن كيسنجر يضحك علينا • حاولوا الاصطياد • ومن بعض اخواننا العرب • بكل آسف مثل ما حدث من وزير خارجية سوريا أخيراً • أرسلت لأول مرة لحافظ الأسد ، رسالة بها كلمات لم اتعود على استخدامها عن تصرف وزير خارجيته • رايح يقول ان مصر اتفقت على حل منفرد • فصل القوات تمهيد للحل المنفرد • ولو كان فيه اتفاق مسبق كما يزعم ، ما كانت كيسنجر يقعد ٨ أيام في مباحثات •

اتصل بي حافظ الأسد اليوم ، وطلب تأجيل توقيع الاتفاق • وأن توقع الاتفاق سوريا بعد ان ينتهى اتفاق سوريا • كان رأيي أن أوقع

اتفاقنا ، مدمت قد انتهيت منه ، ثم أوجه كل جهدي مع الرئيس الأسد
لأنهاء اتفاق سوريا • أنا ملتزم • حقيقة يجب أن تعرفوها • أنني أعمل
وفق مبادئ وقيم لن أتنازل عنها • الرئيس حافظ الأسد له دين في عنتي
الى يوم القيامة ، لن أفرط فيه • انه الرجل الوحيد الذي اتخذ معي قرار
٦ أكتوبر • ان له هذا الدين في عنقكم جميعا • وفي عنق كل مصري وكل
عربي • لسوء الحظ حصل خلاف حول البدء في اتفاق فصل السلطات •
كان المقروض أن نبدأ معا • ولكن سوريا رأت ألا تبدأ معنا • ولكنني
أكرر لكم ، أن هذا لا يعني أي شيء • أكرر أننا يستحيل أن ننسى
الأسد كفرد أو كشعب • لا نفرط فيه • ولا نبيع • ولا ندخل ضده
في أي شيء حتى لو دخل ضدنا • الأسد له دين قومي علينا • وسوريا
يعني حافظ الأسد • بدون فتح الجبهتين في وقت واحد ، كانت إسرائيل
تتفرد بنا واحدا واحدا كما هي عاداتها • وهناك أبعاد كثيرة لمعركة ٦ أكتوبر
لم تتضح حتى الآن • أبعاد عميقة ومؤثرة على العالم كله ..

أقول لكم •• عملنا مع كيسنجر اتفاق النقاط الستة •• وقلنا الانسحاب
الى خط ٢٢ أكتوبر في إطار فك الارتباط بين القوتين •

هذه فكرتي •• لا فكرة كيسنجر •

كيسنجر قال : خط ٢٢ أكتوبر مأزق لإسرائيل • كان القتال يوم
٢٢ أكتوبر في قمته • وضع الاسرائيليون كل ما عندهم • جاءهم دم جديد
من أمريكا • ونحن أعددنا لتعزيز قواتنا بعد وقف النار •

قبل أن يجيء كيسنجر ، أرسلت اسماعيل فهمي الى أمريكا • قلت ان
خط ٢٢ أكتوبر يشكل مصيدة لإسرائيل • ولذلك حاولوا أن يأخذوا
السويس والاسماعيلية وفشلوا • نص تقرير لجنة الاعتمادات العسكرية
في الكونجرس الأمريكي على أن الدفرسوار هي محاولة لحفظ كرامة
إسرائيل • سجلوا روعة قتال الجيش المصري • هذا يكفي •

إسرائيل كانت استراتيجية بلا قدمين في الدفرسوار •

كنت صاحب فكرة فصل القوات • فلن نضيع الوقت في خط ٢٢ أكتوبر،
لأنه مصيدة بالنسبة لهم •

وجاء كيسنجر • وعملنا النقط الستة ، وهذا سبب أننا نصينا على
الفصل بين القوات في هذه النقط •

واقنتع كيسنجر بأنه بدل ان يضع كل ثقل أمريكا ، في خط ٢٢ ،
يضع كل ثقلها في فك الارتباط •

تدريجياً

وقد أول بعض العرب ، ان مباحثاتي الطويلة مع كيسنجر لن تكون عن فك
الارتباط بل كانت عن حل منفرد • وبكل أسف بعضهم أفهم الرئيس
الأسد هذا • في معركتنا القوي هي : أمريكا — الاتحاد السوفيتي —
إسرائيل •

أى اتفاق مع أمريكا ينعكس على إسرائيل ، لأنها تمدها برغيف العيش
والفانتوم • وهذا سبب ذهاب وعودة كيسنجر بين مصر وإسرائيل •

قال لي : انت في أسوان •• أجيئك •

وحضر •

الوقت الطويل الذي مضى ، هو في تطويع إسرائيل التي تملك قوى
تدافع عنها في أمريكا • في كل موقع مؤثر سياسى وعسكرى • السياسة
الأمريكية الموضوعية منذ عام ١٩٥٨ أنه اذا تحركت مصر يجب أن تضرب •
بدليل ان كيسنجر عندما حضر منذ شهر في القناطر ، كان ملتزماً بأن
تحارب أمريكا مع إسرائيل اذا بدأنا قتال تصفية الجيب الاسرائيلي •

قلت له :

لماذا ؟ ••

قال :

أنا مقتنع بأن هذا خطأ • نيكسون أيضا مقتنع • ونريد تغيير السياسة

الأمريكية • ولكن هذا لن يتم بين يوم وليلة • حتى يمكن أن نغير السياسة الأمريكية أمامنا جهد كبير أمام القوى السياسية وأمام الرأي العام الأمريكي • أننا متعهدون لإسرائيل بنظرية التوازن التي ترفضونها • كان يجب أن نساعدنا عسكريا ، فلم نكن نسمح لأن تهزم إسرائيل هزيمة كاملة بسلاح روسي •

ومضى الرئيس للسادات قائلا :

ومرت الثغرة • ومضت الأيام العصيبة التي عشتها • الشعب عاش واستمتع بملحمة ٦ أكتوبر إلا أنا • كيف أهرب من المسئوليات • أنني صادق مع نفسي • ومر الوقت ، إلى أن جاء كيسنجر لفك الارتباط • وهذا موضوع معتد • وانتهينا إلى اتفاقية من جملة أشياء • فيه بيان تمهيدى عن اتفاق عسكري يوقع بين رؤساء الأركان ، لأن ما نحن بصدده عملية عسكرية بحته •

قلت للأمريكان : اختاروا • خط ٢٢ أكتوبر أو فك الارتباط • مش عاوزين فك ارتباط • يرجعوا إلى ٢٢ وأنتم وروسيا ضامنين • طبعاً إسرائيل رحبت بفك الارتباط حتى تعود إلى الشرق ، لأنها تعرف أنها في مأزق عسكري •

غدا • • سيوقع الاتفاق في الساعة ١٢ ظهراً • وسيكون كيسنجر في أسوان • الخطوط الرئيسية • إسرائيل ترحل من الغرب كاملاً • وتدخل إلى المضائق ، وتأخذ خط محدد على خريطة محدودة •

خطنا في الشرق لن يتزعزع • كان فيه فجوات بنعدناها • يعود خطنا مستقيماً • بعض التواءات في الشمال عدلناها •

الأمم المتحدة في المنتصف بيننا •

وأكرر أن هذا اتفاق عسكري بحت ، وليس له أى دخل في الحل السياسى • اتفاق يوضح • • احنا فين واليهود فين •

وواضح أن اليهود لو رأوا أنهم يستطيعون البقاء بدون خسائر • • كانوا قعدوا ورفضوا انهم يتزعزحوا •

واضح اذن •• انه لا حل منفرد •• ولا حل جزئى •

أننى لا أشعر بأى عقد فى المواجهة السياسية • ويجب أن نعيش
عصرنا • يحدث خلال العمليات العسكرية ، ان يجتمع القادة المتحاربون ،
وبعد نصف ساعة تبدأ عمليات • وهكذا ••

العملية عادية • ولا أقبل أن يكون احد أو دولة ولى أمرى •

ولا تهمنى مزايدات من يريدون المزايدة •

ثم قال الرئيس :

— النقطة الأولى التى أريد أن أوضحها لكم أنه اتفاق عسكرى •
لا دخل له بمؤتمر جنيف وعملية السلام •• ولكن كيف نتكلم فى جنيف من
غير وقف النار • حتى هذه اللحظة الضرب شغال • ونحن لا نهذا •

الساعة ١٢ ظهرا غدا سنوقف اطلاق النار •

ونحن نريد السلام فعلا • ونحن واضحون مع أنفسنا • وسياستى
هى ألا معارك سياسية مع من يزايدون •• ومع من يتهمون بأن هذا
منفرد • لن أدخل فى معارك جانبية مع أحد مهما تسفل •

•• قد قال ما هو الوضع بالنسبة لسوريا •

أننى متعهد بفصل القوات فى سوريا مثلما تم فى مصر • وقد وصلتنى
الساعة السابعة من مساء أمس برقية من الرئيس الاسد يفوضنى
برسميا أن أتحدث مع كيسنجر فى فصل القوات •

احنا سلمنا الأسرى • وأنا عارف أنا بأعمل أيه •• أنا تفاديت معركة
كانت ستكون مثل معركة ٦ أكتوبر • جهد عسكرى • تخطيط • قتال •
خسائر • كنا سنجليهم بالقوة العسكرية • أنا تفاديت كل هذا • واجهنا
قليلًا من الخسائر فى الأيام الأخيرة • ولكنها ربع خسائر اليهود • لم
نتركهم لنوم ليلا أو نهارا • كانت ستكون معركة رهيبه ، أمام السلاح

الأمريكي الحديث الذي لم يستخدم من قبل • تفاديت كل هذا • وحقت هدفًا بلا دم • العملية بنيت فوق بعضها طوبة طوبة •

وقد قلت للرئيس الأسد :

أى شيء أحصل عليه كسبًا لى • هو كسب لسوريا أيضا • لأننى ملتزم معك بفك الارتباط •

وشرح الرئيس السادات الاتفاق :

١ — اليهود يخرجون من الغرب بالكامل الى الشرق •

٢ — خطنا باقى كما هو وتعديل بأرض زيادة •

٣ — العمليات متساوية تماما • متوازية •

٤ — خطنا من القناة الى الشرق • خطهم من أمام المضائق الى الخلف كان هناك خلاف على تحديد القوات • وهنا اقترحت على كيسنجر أنه آن الأوان أن تدخل أمريكا باقتراح proposal أنتم قاعدين تخرجوا ، والثقة مفقودة مع اسرائيل •

قدم كيسنجر اقتراحا للطرفين • وتمت الموافقة • وهذا ماحدث •

• الانسحاب سيتم فى ٤ يوما • لجان العمل ستراقب •

والوثيقة الثانية فى الاتفاق ، هى مشروع أمريكى قدم لمصر ولإسرائيل ، ووقع منى هذه الليلة فقط ، بعد أن وقع من مائير • الليلة فقط • الساعة التاسعة مساء • تخفيف القوات على الخطين • الخط المصرى • • نهاية خطنا فى الشرق • التحديد من نهاية خطنا فى الشرق الى قناة السويس • حددنا المدفعية بعيدة المدى • والتخفيف على الخطين منعقول •

أول تنفيذ للاتفاق سيكون فك حصار السويس ، وفرقتى الجيش

الثالث • ويوم أن يتم هذا ، علينا أن نعامل أمريكا كما نعامل أوروبا
في حظر البترول • أنا وعدت بهذا ، مادام أمريكا قد تغير موقفها ،
وتبذل جهودا كبيرة من أجل السلام • ممكن ستحدث مزايدات في هذا
من البعض ، ولكن موقفنا واضح اننا نسلك سلوك الأقوياء •

المستقبل •• هل هو صلح ! •• هل هو معاهدة سلام ؟

لا •• لا صلح ولا معاهدة ، وانما اتفاق سلام •

في المرحلة المقبلة ستدخل سوريا والفلسطينيون مباحثات مؤتمر جنيف •

وفي النهاية لا يصح الا الصحيح • ليس عندي حل أخبئه تحت
المنضدة • أننى أعمل في وضوح كامل •

ودارت العجلة •

وتحقق اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية •

والأمة العربية تستعد لمؤتمر جنيف •

محتويات الكتاب

صفحة

هذا الكتاب لماذا ؟ ٥

الجزء الأول

السادات قال لي ١٢

الفصل الأول

أسرار عسكرية خطيرة يكشفها أنور السادات . . . ١٥

الفصل الثاني

المحضر السري لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة . . ٢٥

الجزء الثاني

الوثائق السياسية ١٠١

الفصل الأول

ذات مساء من أبريل ١٠٣

الفصل الثاني

حديث لم ينشر ١٢٥

الفصل الثالث

سقطت جميع اللافتات ١٤٥

الفصل الرابع

المحاضر السرية لاجتماع الرؤساء العرب قبيل وفاة عبد الناصر . ١٥٩

الفصل الخامس

مؤامرة مراكز القوى ٢٠٧

الفصل السادس

مسرحية .. روجرز ٢١٩

الفصل السابع

أزمات مع السوفيت ٢٤٣

الفصل الثامن

« أنا حزين » أنور السادات ٢٧٥

الفصل التاسع

الشكوك .. والخوف من معركة خاسرة ٢٩٩

الفصل العاشر

القذافي .. اللغز المكشوف ! ٣٢٥

الجزء الثالث

الوثائق العسكرية ٣٤٧

الفصل الأول

البحث عن بدلة عسكرية ! ٣٤٩

الفصل الثاني

٤٨ ساعة في برج العرب ! ٣٦٧

الفصل الثالث

٦ عتبات أمام العبور ٣٨٥

الفصل الرابع

الساعات الأخيرة لخط بارليف . . البطولة . . في الانسحاب —
تعليق اللواء سعد مأمون ٣٩٩
أمامى ٢٥٠ قتيلا يا شارون .

الفصل الخامس

قائد . . لا ينام ! ٤٦٣

الفصل السادس

عملتها . . يا بابا ! ٤٩٢

الفصل السابع

العبيد . . في شهر العسل ! ٥١٥

الفصل الثامن

وحوش . . ونيران . . ودماء ٥٣٩

الفصل التاسع

حبوب الشجاعة ٥٦٥

الفصل العاشر

ملحمة السويس ٥٧٧

الفصل الحادى عشر

حقائق الثغرة ٦٠٥

الفصل الثانى عشر

من الدفرسوار . . الى جنيف ٦٢١
الرئيس يعلن الاتفاق ٦٤٥

مطابع الامرام التجارية
رقم الابداع بدار الكتب
١٩٧٤ / ٤١٢٥



هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب الكبير عرضاً صحفياً ، وليس هو مجموعة من المقالات والآراء ، ولكنه تسجيل تاريخي لكل أسرار حرب أكتوبر السياسية والعسكرية ، بالوثائق الرسمية التي تذاغ لأول مرة في العالم كله .

لقد أمضى موسى صبرى ٩ أشهر كاملة وهو يعد هذا المؤلف الضخم ، في اتصالات مستمرة على أعلى المستويات السياسية والعسكرية ، وزار جبهة القتال عدة مرات ، واستقبله الرئيس أنور السادات ثلاث ساعات ، واختص سيادته الكتاب بأحاديث خاصة ، ووثائق سرية سياسية وعسكرية ، كما اجتمع به المشير أحمد اسماعيل أكثر من ١٠ ساعات في أكثر من لقاء . . وقابل جميع قادة المعارك . . الفريق الجمسى ، اللواء سعد مأمون ، اللواء إبراهيم غالى ، اللواء عبد النبي عبد ربه ، اللواء حسن سعده . . وغيرهم . وعاش ملحمة السويس دقيقة بدقيقة . وتابع المؤلف تطورات الموقف سياسياً وعسكرياً منذ وفاة جمال عبد الناصر ، وتولى أنور السادات مسئولية القيادة . . حتى شنت الحرب . . ثم تابع المعركة السياسية بعد الحرب .

إن هذا الكتاب ، يروى بأمانة وموضوعية كل أسرار اتخاذ القرار التاريخي . . قرار الحرب . . ثم القصص الكاملة لمعارك القتال . وهو يستعرض الخبايا الداخلية والعربية والدولية التي صاحبت هذه المرحلة ، وهى بلا شك أخطر المراحل في تاريخ مصر الحديث . ويتضمن ذلك أسرار العلاقات العربية ، وخفايا المواقف السوفيتية ، وكل ما دار في اجتماعات القمة في موسكو والقاهرة ، وتطورات الاتصالات الأمريكية من مسرحية روجرز إلى مباحثات نيكسون وكيسنجر . ثم يوميات الحرب ساعة بساعة .

وقد استخدم المؤلف ، أسلوب التحقيق الدقيق ، وابتعد تماماً عن الاستنتاج والإثارة ، ودعم كل الوقائع بالأدلة والوثائق ، ليكون كتاب « وثائق حرب أكتوبر » ووطنيا وتاريخيا ، لهذه الحرب التي غيرت بحق الاستراتيجيات العالمية في كإننا نقدم « وثائق حرب أكتوبر » إلى قراء العالم العربى ، ونحن سعداء بذلك صفحات من تاريخنا الوطنى .

الناشر : المكتبة

اصحى

الثلث ٢٠٠

مطبعة الاسرام التجارية

Bibliotheca Alexandrina



0633440